

الثورة التحريرية الجزائرية

قراءات ومقاربات



عندما نتكلم عن الثورة التحريرية فإننا نتكلم عن توثيقها في مجال العلوم الإنسانية التي تقوم على دراسة الأنشطة الإنسانية وتوثيق تجارب الإنسان وكل ما يرتبط به. وأيضا في مجال العلوم الاجتماعية التي تهتم بتخصصاتها وفروعها بالمجتمع وعلاقات الأفراد مع بعضه البعض داخل المجتمع. وكذلك بالدراسات الإقليمية ودراسات الاتصالات والدراسات الثقافية وما ينجر عنهم في المخيال الاجتماعي، باعتباره حصيلة حتمية لإفرازات البيئة الاجتماعية الذي يتحكم في سلوك الفرد والمجتمع، وفق ما تمليه الخبرة الاجتماعية، من خلال ترك أثره في التمثلات الاجتماعية وفي المخيال المحلي الوطني وأيضا المخيال الاجتماعي الدولي، باعتبار أن الثورة التحريرية نموذج للثورات الوطنية الشعبية.

Anzar éditions
anzaredition@yahoo.fr
Tél: 05 41 66 53 60
Chetma wilaya de Biskra Algérie



ISBN: 978-9931-646-27-3



Mars 2022

الثورة التحريرية الجزائرية

قراءات ومقاربات

الثورة التحريرية الجزائرية

قراءات ومقاربات
من منظور العلوم الإنسانية
والاجتماعية

اشراف، تنسيق وتقديم

د. بيموني شمرزاد د. سوالية ثورية



الثورة التحريرية الجزائرية
- قراءات ومقاربات -
من منظور العلوم الإنسانية
والاجتماعية

إشراف تنسيق وتقديم

د. ميموني شهرزاد و د. سوامية نورية

Anzari
Editions

مارس 2022

عنوان الكتاب :

الثورة التحريرية الجزائرية - قراءات ومقاربات –
من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية

اشراف، تنسيق وتقديم :

د. ميموني شهرزاد و د. سوامية نورية

صنف الكتاب :

دراسة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

الغلاف : الهادي مزياني

الحجم: متوسط

عدد الصفحات: 460 ص

ر.د.م.ك : 3-27-646-9931-978

الإيداع القانوني : مارس 2022

anzaredition@yahoo.fr

Tél : 05 41 66 53 60

Chetma wilaya de Biskra Algérie

Anzar
Editions

هذا الكتاب يتضمن مجموعة من نصوص
المدخلات في الملتقى الدولي
الثورة التحريرية الجزائرية - قراءات ومقاربات -
من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية.



نُظِّم هذا الملتقى يوم 24 فيفري 2022
تحت رعاية السيد مدير جامعة معسكر،
بإشراف السيد عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،
بمساهمة أعضاء اللجنة العلمية من خلال المشاركة
في مراجعة المدخلات وتحكيمها.
وأيضا مساهمة كل المشاركين بأعمالهم في هذا الكتاب.
نقدم لهم جزيل الشكر

اللجنة العلمية

- أ.د/ رباني الحاج، جامعة معسكر، الجزائر
أ.د/ بلغيث سلطان، جامعة تبسة، الجزائر
أ.د/ قوراري عيسى، جامعة معسكر، الجزائر
أ.د/ بوشمة الهادي، جامعة تامنغست، الجزائر
أ.د/ أحمد موسى بدوي، وزارة الثقافة المصرية
أ.د/ بدران بن لحسن، جامعة قطر
أ.د/ أنور غيتسيتش، المشيخة الاسلامية صربيا
د/ أسعد لايق، جامعة توقات غازي عثمان باشا تركيا
أ.د/ سهام موعد، المشيخة الاسلامية صربيا
د/ جبالة محمد، جامعة معسكر، الجزائر
أ/ عبيد محمد، جامعة معسكر، الجزائر
د/ سوامية نورية، جامعة معسكر، الجزائر
د/ فاضل لخضر، جامعة معسكر، الجزائر
د/ ميموني شهرزاد، جامعة معسكر، الجزائر
د/ مقدم مختارية، جامعة معسكر، الجزائر
د/ بشير الشريف أحمد مكين، جامعة أم درمان الاسلامية السودان
د/ زيدان نعيمة، جامعة وهران2، الجزائر
د/ بشير شايب، جامعة سكيكدة، الجزائر
د/سلطاني عبدالرزاق، جامعة سوق أهراس، الجزائر
د/ فرفار جمال، جامعة معسكر، الجزائر
د/ بورزق نوار، جامعة تبسة، الجزائر
د/ عليوة علي، جامعة سوق أهراس ، الجزائر
د/ غراز الطاهر، جامعة جيجل، الجزائر
د/ شوايل شائلة شهرزاد، جامعة معسكر، الجزائر
د/ بن زيان خيرة، جامعة وهران2، الجزائر
د/ بحرة كريمة ، جامعة معسكر، الجزائر

فهرس

تقديم

- 7 - كلمة الرئيس الشرفي للملتقى الدولي مدير جامعة معسكر
- 8 - كلمة السيد نائب المدير للاتصال والتنشيط والتظاهرات العلمية والعلاقات الخارجية
- 9 - كلمة المشرف العالم للملتقى الدولي عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
- 10 - كلمة رئيسة الملتقى
- 11 - تقديم عام للكتاب

I. الثورة التحريرية الجزائرية من منظور التاريخ

- 27 1- المحافظ السياسي في ثورة التحرير الجزائرية (1956-1962)
- 35 2- أثر الصراع بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهيأة الأركان العامة على العلاقات بين الولايات التاريخية 1958-1962م
- 53 3- البعد المغربي للثورة الجزائرية : دراسة حول إسهامات مؤتمر طنجة 1958، الداعم للثورة الجزائرية ومشروع الوحدة المغربية
- 66 4- مقارنة بين الثورة الجزائرية و ثورة الملك والشعب: 1954- 1956 (أوجه التشابه والاختلاف)
- 78 5- السياسة الدولية ليوغسلافيا تجاه القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة 1955-1962

II. الثورة التحريرية الجزائرية من منظور الدين والعلوم السياسية

- 89 1- الثورة التحريرية الجزائرية في ميزان الإسلام (دراسة شرعية)
- 117 2- الخطاب المسجدي ودوره في ترسيخ الذاكرة الوطنية: الثورة الجزائرية التحريرية أنموذجاً
- 127 3- الثورة الجزائرية من منظور نظريات العلاقات الدولية: مقارنة متعددة
- 141 4- الأبعاد السياسية للثورة الجزائرية على المستوى الإقليمي والدولي
- 154 5- الدعم السياسي أو الدبلوماسي للدول الأفريقية غير العربية للثورة الجزائرية

III. الثورة التحريرية الجزائرية من منظور علم النفس والفلسفة

- 173 1- التعرض للتعذيب خلال الثورة التحريرية: أي أثر نفسي بعد 56 سنة من الاستقلال؟
 - 188 2- قراءة للثورة التحريرية من المنظور النفسي الاجتماعي شخصية هواري بومدين أنموذجاً
 - 194 3- دراسة مقارنة بين أساليب الحرب النفسية لدى المستعمر الفرنسي والمقاومة الجزائرية
- إبان الثورة التحريرية

- 204 4- فاعلية الأساليب النفسية الوجدانية للمستعمر الفرنسي إبان الثورة التحريرية وأثرها على الرأي العام الجزائري والفرنسي
- 222 5- الفلسفة الوجودية وسؤال العدالة للثورة الجزائرية قراءة تحليلية في موقف جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار

IV. الثورة التحريرية الجزائرية من منظور علم الاجتماع

- 237 1- المدرسة الرسمية ودورها في البناء التصوري لحرب التحرير الوطني 1962-1954
- 247 2 - بيان أول نوفمبر 1954: قراءة سوسيولوجية
- 259 3- دور العمل النقابي خلال الثورة التحريرية 1962-1954 الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذجاً
- 272 4- مشاركة المرأة الجزائرية في ثورة التحرير الوطنية 1962-1954 من منظور سوسيولوجي
- 279 5- الثورة التحريرية وانعكاساتها على الأسرة والمرأة الجزائرية - قراءة سوسيولوجية-

V. الثورة التحريرية الجزائرية من منظور الإعلام وعلم الاقتصاد

- 293 1- منظور الثورة الجزائرية من خلال الصحافة والاعلام العربي (تونس، مصر، ليبيا)
- 306 2- الإعلام ودعم العمل الثوري: قراءة في الإستراتيجية الإعلامية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية
- 328 3- الإعلام الإذاعي الجزائري أثناء الثورة التحريرية.
- 337 4- الثورة التحريرية الجزائرية من منظور وسائل الاعلام الثورية - إذاعة الجزائر الحرة المكافحة من 1956 إلى 1962 أ نموذجاً -
- 349 5- الثقافة الوطنية في ثورة التحرير الجزائرية (1962-1954)
- 361 6- الأبعاد الاقتصادية للثورة الجزائرية من خلال مصادرها التوثيقية المذكرات الشخصية نموذجاً (1954- 1962م)

VI. الثورة التحريرية الجزائرية من منظور الأدب والفنون

- 375 1- رموز الثورات الجزائرية من منظور الفن التشكيلي الجزائري والغربي: دراسة على تمثيلات صورة الأمير عبد القادر الجزائري في اللوحات الفنية.
- 389 2 - الأغنية الثورية الشاوية في الأوراس بين الشفهي وأهمية التدوين.
- 397 3- الثورة التحريرية في الأدب النسوي الجزائري- زليخا السعودي أ نموذجاً-
- 409 4- جماليات التوظيف الثوري في الرواية الجزائرية، نماذج مختارة
- 423 5-- ثورة الكتابة وكتابة النص الثوري - ثلاثية الجزائر لمحمد ديب أنموذجاً-
- 437 6- تجليات الثورة التحريرية الجزائرية في النص الأدبي التعليقي - التوثيق والتمثيلات - مرحلة التعليم المتوسّط أنموذجاً
- 449 7- إسهامات الفنانين التشكيليين الجزائريين أثناء الثورة التحريرية

كلمة الرئيس الشرفي للملتقى الدولي

يطيب لي من خلال هذه الكلمة الموجزة، الترحيب بكل متصفح لهذا الكتاب الخاص بملتقى "الثورة التحريرية الجزائرية من منظور العلوم الاجتماعية والإنسانية". هذا الملتقى العلمي الذي امل أن يكون منبرا لمناقشة عصارة أبحاثا متخصصين في مجال الثورة التحريرية الجزائرية ليس فقط بالمنظور التاريخي ولكن بمختلف الرؤى والزوايا سواء كانت اجتماعية منها أو تاريخية، دينية أو سياسية، نفسية أو فلسفية وحتى من الجهة الأدبية، الفنية والاقتصادية.

فمن هذا المقام، أحيي كل أعضاء اللجنة العلمية والتنظيمية وهيئة التحرير، لانتقائهم نوعية المداخلات والمقالات، مع تنوع المواضيع الهادفة للمشاركين للرفي بهذا الملتقى الدولي الهادف الى ترسيخ الذاكرة الوطنية بين الأمم، من خلال تحقيق المؤشرات السامية وتحديد الملامح الراقية لجودة المقالات العلمية المقدمة للقارئ الكريم.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل الباحثين المشاركين من مختلف الأقطار والأمصار، على اختيارهم لهذا الملتقى كمنصة عرض لبحوثهم ومقالاتهم الهادفة لإثرائهم المحتوى وتصويب الاهداف الرامية للرفي بالمنتوج العلمي المعرض للمتصفح الكريم.

كل التوفيق للقائمين على هذا المحفل العلمي ودوام الاستمرارية لهذه النشاطات البحثية في جامعنا العريقة.

أ.د. بن طاطة سمير

الرئيس الشرفي للملتقى الدولي ومدير الجامعة.

كلمة السيد نائب المدير للاتصال والتنشيط والتظاهرات العلمية والعلاقات الخارجية

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أود، أن أتقدم بهذه الكلمة المختصرة لكتاب ملتقى "الثورة التحريرية الجزائرية -قراءات مقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية"، الذي تضمن عدیدا من المداخلات القيمة في شتى مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية والأدبية والفنية. كيف لا وموضوع الثورة الجزائرية كان دائما ملهما ومحركا لمختلف الحركات التحررية التي عرفتها مختلف الدول التي انفجرت عقب اندلاع ثورة نوفمبر 1954.

وبناءً على ذلك سطرت جامعتنا، التي تقع في إحدى الولايات التاريخية المناضلة، برنامجا ثريا للاحتفاء بالذكرى الستون لاندلاع الثورة التحريرية يؤسس على إقامة سلسلة من الملتقيات تتناول ثورتنا المجيدة من مختلف الجوانب والأبعاد.

كما لا يفوتني أن أحيي كل من اللجنة التنظيمية ، اللجنة العلمية والطاقم الإداري لكلية الإنسانية والاجتماعية الذين ساهموا في تحضير وتنظيم هذا النشاط العلمي الذي يخص إحدى مقومات هويتنا الوطنية؛ كما أشكر جميع المتدخلين من داخل وخارج الوطن لتقديمهم عصارة بحوثهم العلمية التي تساهم بشكل أو بآخر في دفع عجلة البحث العلمي في جامعة معسكر.

أ.د. خنثة راج

نائب مدير الجامعة للاتصال والتنشيط
والتظاهرات العلمية والعلاقات الخارجية

كلمة المشرف العام للملتقى الدولي

يشرفني أن أضع كلمة مختصرة ضمن هذا الكتاب؛ الذي هو في الأصل عبارة عن مجموعة مداخلات أُلقيت ضمن ملتقى "الثورة التحريرية الجزائرية -قراءات مقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية"، حيث تنوعت مواضيعها بين مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ كما أنها امتدت إلى الآداب والفنون.

إن موضوع الثورة التحريرية الجزائرية كان ومازال مجالا خصبا للبحث والتنقيب من طرف الباحثين والمتخصصين في شتى المجالات؛ لذلك سطرت كليتنا برنامجا ثريا للاحتفال بالذكرى الستون لاستقلال الجزائر، وذلك من خلال عقد سلسلة من النشاطات العلمية والثقافية لإبراز مختلف الأبعاد التي قامت على أساسها ثورتنا المجيدة التي أصبحت كنموذج يحتذى بها من طرف الحركات التحررية التي عرفتها مختلف الدول المستعمرة.

إن إقامة مثل هذه التظاهرات العلمية ذات الطابع الدولي يتطلب جهدا كبيرا، لذلك أود أن أتوجه بجزيل الشكر لجميع أعضاء اللجنتين العلمية والتنظيمية على تفانيهم وإخلاصهم. كما لا يفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور بن طاطة سمير، مدير جامعة معسكر على دعمه الدائم والمتواصل. كما أشكر الأستاذ الدكتور خناثة رابح، نائب مدير الجامعة للاتصال والتنشيط والتظاهرات العلمية والعلاقات الخارجية على صبره وتعاونهِ ودعمهِ لنا. كما لا يجب أن ننسى المجهودات المبذولة من طرف الأستاذ رباني الحاج، نائب العميد لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية على مرافقته لهذه النشاطات منذ بدايتها إلى نهايتها. كما أقدم شكري الخاص للأستاذ عبيد محمد، رئيس قسم علم الاجتماع على دوره التنسيق بين مختلف الفاعلين الذين ساهموا من قريب أو من بعيد في هذه التظاهرة العلمية التي تعتبر إضافة لكلينا ولجامعتنا المتميزة.

المجد والخلود لشهداءنا الأبرار، وتحيا الجزائر حرة، أبية، كريمة

د. جباله محمد

المشرف العام للملتقى الدولي وعميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

كلمة رئيسة الملتقى

يشرفني في مستهل هذه الكلمة الافتتاحية وإنه من دواعي سروري أن أرحب بكم جميعاً من أساتذة وباحثين من داخل الوطن وخارجه في رحاب أشغال الملتقى الدولي : الثورة التحريرية الجزائرية "قراءات ومقاربات" من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية المنظم من طرف قسم علم الاجتماع ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة معسكر مصطفى اسطمبولي دولة الجزائر.

إنه غني عن البيان التذكير بأن عظمة الثورة الجزائرية وأبعادها المتعددة لا يمكن لنا إطلاقاً أن نفهمها حقها في هذه العجالة، ولا يمكن أبداً أن نحيط بعظمة الشعب الجزائري، الذي أنجبها واحتضنها وضى من أجل انتصارها، فثورة بهذه العظمة وشعب بهذه المواصفات هما جديران بكل التقدير وبكل العناية، لاسيما في مجال تدوين التاريخ الوطني الذي ينبغي، بل ومن الضروري أن يولى له الاهتمام ويسلط الضوء على النقاط والمحطات المضيئة لهذه الثورة الشعبية والعالمية، عبر مختلف تخصصات العلوم وعلى رأسها العلوم الإنسانية والاجتماعية التي يعطى لها الأولوية لاحتضان الثورة التحريرية ضمن دراساتها العلمية فالانتصار المحقق والسيادة المستعادة والاستقلال المنتزع انتزاعاً، بفضل الله تعالى ومنته، ثم بفضل تضحيات الملايين من الشهداء. قلت، هذا الانتصار المحقق، هو خير دليل على سمو هذه الثورة وعلى علو شأنها وشأن شعبها، وهي مكرمة يليق بنا أن نجزل الحمد والشكر لله تعالى، ونجزل العرفان والتقدير والاحترام لمن صنعوها ومهدوا درب نجاحها، وهنا يجدر بي التنويه بجهود كل من ساهم من قريب أو من بعيد في كتابة التاريخ الوطني، غير أن عظمة الثورة التحريرية وغزارة وثراء تاريخنا الوطني في عمومها، يستوجب المزيد من الجهد والمزيد من الرعاية المخلصة.

أتمنى لكم النجاح والتوفيق في أعمال هذا الملتقى وأن يكون نافعا بكم ومنارة لارتقاء البحث العلمي الذي نرجو أن تصبوا قراراته وتوصياته إلى حجم المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقنا جميعاً من أجل تخليد ذكرى الثورة التحريرية الجزائرية المجيدة في أذهان الأجيال المستقبلية

د. ميموني شهرزاد

رئيسة الملتقى الدولي

تقديم عام للكتاب

ميموني شهرزاد وسوالمية نورية

إنّ الثورة التحريرية الجزائرية المشهودة اندلعت ضد الاستعمار الفرنسي في الفاتح من نوفمبر 1954 ودامت سبعة سنوات، راح ضحيتها مليون ونصف مليون شهيد، وهي ضريبة دفعها الجزائريون من مختلف الشرائح والتراتبات الاجتماعية لتحقيق أهدافها التي كان على رأسها نجاحها والحصول على الاستقلال في سنة 1962، فنتج عنها مخلفات عميقة في الأوساط الاجتماعية بربوع الوطن، ليكتسح صداها خارجه عبر أنحاء العالم. مما أسفر عن الثورة التحريرية انطباعات عديدة في مختلف المستويات والمجالات بالمجتمعات العربية والغربية على حد سواء.

عندما نتكلم عن الثورة التحريرية فإننا نتكلم عن توثيقها في مجال العلوم الإنسانية التي تقوم على دراسة الأنشطة الإنسانية وتوثيق تجارب الانسان وكل ما يرتبط به. وأيضا في مجال العلوم الاجتماعية التي تهتم بتخصصاتها وفروعها بالمجتمع وعلاقات الأفراد مع بعضه البعض داخل المجتمع. وكذلك بالدراسات الإقليمية ودراسات الاتصالات والدراسات الثقافية وما ينجر عنهم في المخيال الاجتماعي، باعتباره حصيلة حتمية لإفرازات البيئة الاجتماعية الذي يتحكم في سلوك الفرد والمجتمع، وفق ما تمليه الخبرة الاجتماعية، من خلال ترك أثره في التمثيلات الاجتماعية وفي المخيال المحلي الوطني وأيضا المخيال الاجتماعي الدولي، باعتبار أن الثورة التحريرية نموذج للثورات الوطنية الشعبية.

وهذا ما سعت إليه مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية بأقلام من النخب المثقفة باختلاف أصولها الاجتماعية وتخصصاتها العلمية داخل وخارج الوطن وفي فضاءات عديدة لنشر تعاليم الثورة التحريرية ووصف تجلياتها واتخذت منها أفلاما لكتابتها بأشكال مختلفة عبر قنوات الاتصال من خلال أدبياتها، فأصبحت موضوع إلهام وإبداع في عدة تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية من الأدب والفنون، الفلسفة، علم الاجتماع، علوم السياسية، التاريخ، الأنثروبولوجية... الخ.

إنّ الثورة التحريرية تعتبر محطة تاريخية تمثل مصدر ومرجعية أساسية نلمس تجلياتها في الخطاب المحلي والعالمي لمختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية مع اسهام علوم أخرى لتمجيد الثورة وإعطائها الطابع المقدس أو تحليلها بطرق علمية نقدية. نسعى من خلال أعمال هذا الكتاب إلى:

- إثراء البحث العلمي حول الثورة التحريرية
- إنجاز عمل علمي أساسه التحليل السوسيولوجي لتمثالات النخبة المثقفة للثورة التحريرية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وفيما يخصها الاجتماعي والعلمي
- تفعيل العمل الميداني البحثي في جوانبه التقنية في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية
- المشاركة في النقاش الوطني والدولي ومن منظور مجالات وتخصصات العلوم الانسانية والاجتماعية والتعمق فيها أكثر.
- العمل على فهم أنماط التفكير وأشكال الوعي لدى النخبة المثقفة على الصعيد المحلي والدولي للثورة التحريرية.

وقد تم تقسيم محتويات الكتاب إلى خمسة أجزاء:

يتناول الجزء الأول الثورة التحريرية الجزائرية من منظور التاريخ، يتكون من خمسة نصوص؛ حيث يقدم لنا تاونزة محفوظ في بحثه حول "المحافظ السياسي في ثورة التحرير الجزائرية (1956-1962)" الإسهامات المتعددة للمحافظ السياسي في ثورة التحرير الجزائرية، باعتباره أحد الاستراتيجيات لربط الشعب بالثورة ودعمها ماديا ومعنويا، وما ترتب عن ذلك من انعكاسات ايجابية على مسار الكفاح التحرري الوطني.

ليناقدش بعدها عبد السلام كمون" أثر الصراع بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهيأة الأركان العامة على العلاقات بين الولاياتالتاريخية 1958-1962م؛ حيث أكد أن الثورة الجزائرية حققت عدة انتصارات سياسية وعسكرية على الصعيدين الداخلي والخارجي، لكن في الوقت نفسه اعترتها عدة أزمات وصراعات داخلية وخارجية بين مختلف قادتها وممثلها حول الزعامة والسلطة أثرت بشكل كبير على مسارها الثوري، ومن بين تلك الصراعات الداخلية صراع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مع هيأة الأركان العامة. وفي هذا السياق عالجالباحث إشكالية هذا الصراع، وحاول الإحاطة بجميع جوانبه وبمختلف المؤثرات

والعوامل المؤدية لجمع إبراز مدى تداعياته وتأثيراته على العلاقات بين الولايات التاريخية خصوصاً والثورة الجزائرية عموماً.

ووقف رملي مخلوف عند "البعد المغربي للثورة الجزائرية: دراسة حول إسهامات مؤتمر طنجة 1958 الداعم للثورة الجزائرية ومشروع الوحدة المغربية"، مؤكداً على دور مؤتمر طنجة باعتباره حدثاً مهماً في تاريخ الثورة الجزائرية وخطوة حاسمة في مشروع وحدة المغرب العربي، إذ أقرت خلاله الأحزاب المغربية الرئيسية خطة مشتركة للتضامن مع الجزائريين وبناء وحدة مغربية، فكان مؤتمر طنجة من خلال القرارات التاريخية التي تبناها في مجال دعم الثورة الجزائرية ووحدة المغرب العربي فرصة مهمة لبرمجة تطلعات وأهداف الأحزاب المغربية لتصفية الاستعمار الغربي ووحدة المغرب العربي.

أما كل من بودالي محمد وبن جارة بن داود ركزا في بحثهما حول "مقارنة بين الثورة الجزائرية وثورة الملك والشعب 1954-1956م" على أوجه التشابه والاختلاف بين الثورتين من حيث: طبيعة الاستعمار، حجم العمليات الثورية، الشمولية، التوجيه الحزبي، التسبيق فيما بينهما ... مشكل التمويل والتسليح، بالإضافة إلى التطرق لمفهوم الثورة وأسباب اندلاع كل من الثورة المغربية والجزائرية.

وتناول كل من سلطان نجاح وشلوق فتيحة في موضوعهما: "السياسة الدولية ليوغسلافيا تجاه القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة 1955-1962" الأبعاد الدولية للقضية الجزائرية التي كانت في اتساع مستمر وبنمط يسير وفق ما تم الإجماع عليه في مواثيق الثورة، والدعم الذي حظيت به جبهة التحرير الوطني من يوغسلافيا يؤكد على نجاح الدبلوماسية الثورية الجزائرية في تخطي الإيديولوجيات والتمتع بمرونة في التعامل مع الأحداث الدولية لتجعلها في صالحها خاصة فيما يتعلق بجلب الأصوات المساندة للقضية الجزائرية داخل أروقة الأمم المتحدة.

الجزء الثاني من الكتاب يتعلق بالثورة التحريرية الجزائرية من منظور الدين والعلوم السياسية يشمل خمسة مقالات، بدأ بطرح محمد جبر السيد عبد الله جميل حول " الثورة التحريرية الجزائرية في ميزان الإسلام (دراسة شرعية)"، الذي حاول فيه الباحث تقييم الثورة التحريرية الجزائرية في ضوء تعاليم الإسلام مستنداً على المنهج الوصفي والأسلوب التحليلي في مسح الأدبيات المتعلقة بالموضوع. وأوصت الدراسة بضرورة تبصير الأفراد بالرؤية الشرعية

للثورة التحريرية الجزائرية، وتجلية فضلها، وتكثيف الضوء عليها استنادا إلى كونها صورة مشرفة من صور الجهاد في تاريخ الإسلام وتاريخ المسلمين.

وتناول محمد ولد الصافي في بحثه "الخطابُ المسجديُّ ودوره في ترسيخِ الذّاكرةِ الوطنيّة: الثّورةُ الجزائريّةُ التّحريريّةُ أنموذجًا" أهميّة الخطاب الدينيّ المسجدي ودوره في ترسيخ الذاكرة الوطنية وصيانتها من حيث مضامينه ومحاوره، على اعتبار أنّ التّاريخ جزءٌ لا يتجزأ من ذاكرة الأُمّة وهويّتها، يثير الباحث مجموعة من الإشكالات المعرفية الهامة.

وأشار عبد الوهاب عميري في مساهمته حول "الثورة الجزائرية من منظور نظريات العلاقات الدولية: مقارنة متعددة" إلى خصوصية الثورة الجزائرية المرتبطة بالمبادئ العقلانية مع تحديد بيان الثورة وأهدافه وأبعاده... ومنه أكد الباحث على فكرة أن الثورة الجزائرية جمعت بين معايير السلوك وآلية تحصيل القوة لتحقيق الاستقلال في صورة تعكس تقاطع منظورات كل من الواقعية والبنائية الاجتماعية والليبرالية والنيوماركسية.

أما ريمّة مرزوق وفي مقاربته حول "الأبعاد السياسية للثورة الجزائرية على المستوى الإقليمي والدولي" ركزت في البداية على أن التاريخ الحديث شهد التوسع الاستعماري من طرف القوى الكولونيالية الغربية، أين خضعت معظم دول القارة الإفريقية للاستعمار الأوروبي وتحديدًا الفرنسي وعلى رأسها الجزائر، حيث عرفت تلك الحقبة مقاومة كبيرة أُطلق عليها موجات التحرر والتي تحول بعضها لثورات شعبية، أبرزها على الإطلاق ثورة التحرير الجزائرية. كما ركزت الباحثة أيضا على تحليل مبادئ وأهداف الثورة إضافة لضرورة الإلمام بمختلف أبعادها، وإبراز أهم العوامل التي ساهمت في نجاح ثورة التحرير الكبرى، والتي تجسدت في تفاعل وتكامل دوافعها وأبعادها (البعد السياسي، الاجتماعي، العسكري، الثقافي والديني)، كما تضمنت هذه الدراسة تحليلا للبعد السياسي الذي يشمل الأهداف السياسية الداخلية والخارجية التي قامت من أجلها الثورة، إضافة للدعم والمواقف الإقليمية والدولية.

واقترح عمر بلعربي موضوع "الدعم السياسي أو الدبلوماسي للدول الإفريقية غير العربية للثورة الجزائرية"، وفيه تم إبراز أن الثورة الجزائرية أولت أهمية كبيرة للساحة الدولية من أجل التعريف بالقضية الجزائرية وأهدافها وذلك بالاعتماد على الأصدقاء والحلفاء، مؤكدا على بيان أول نوفمبر 1954 ركز على البعد الإفريقي للثورة الجزائرية وضرورة كسب التأييد الإقليمي والقاري وتخليص الشعوب الإفريقية من الاحتلال والاستغلال، ومن النتائج المستخلصة في البحث أن

فرنسا بدأت في التخلي التدريجي عن تلك الدول بداية بتونسوالمغرب وصولا إلى معظم بلدان غرب إفريقيا لتتفرغ للثورة الجزائرية، محاولة عزل الجزائر عن باقي الدول مما جعل الثورة الجزائرية تكسب تضامنا معتبرا من معظم دول إفريقيا المستقلة، كما لقيت الثورة الجزائرية شهرة واسعة حيث ذاع صيتها في إفريقيا والعالم مما جعلها تصمد أمام السياسة الفرنسية، وقد اعتبرت الثورة الجزائرية نموذجا مشجعا لحركات التحرر في إفريقيا، السعي لتحقيق الحرية والعدالة والقضاء على الظلم بالتركيز على التضامن الإقليمي والقاري المشترك.

ويجمع الجزء الثالث للكتاب خمس مقالات تتمحور حول الثورة التحريرية من منظور علم النفس والفلسفة، وفي المقاربة النفسية ركزت زواني نزيهة في بحثها "التعرض للتعذيب خلال الثورة التحريرية: أي أثر نفسي بعد 56 سنة من الاستقلال؟" على الآثار النفسية المترتبة عن التعذيب خلال الاستعمار الفرنسي من خلال مقابلة تم إجراؤها مع إحدى الضحايا البالغ من العمر 74 سنة. تبين من خلال المقابلة استمرار معاناة الحالة من بعض التأثيرات النفسية كمشاعر اكتئابية، تجنب بعض المواقف والكوابيس. وقد لعب الدعم الاجتماعي دورا كبيرا في التخفيف من حدة الصدمة.

في نفس الصدد أكدت كريمة بحرة في مساهمتها "قراءة للثورة التحريرية من المنظور النفسي الاجتماعي شخصية هواري بومدين نموذجا" على أن الثورة التحريرية الجزائرية واحدة من أعظم الظواهر التاريخية التي عرفها العالم في النصف الأول من القرن الماضي، لما قدمته من نماذج متفردة للانتصار الشعبي على واحدة من أعظم البلدان الاستعمارية. وترى الباحثة في شخصية أبطال الثورة التحريرية مفارقات كثيرة تستحق القراءة والتحليل ولدتها طبيعة المجتمع الجزائري التلاحمية والقيم العريقة التي سعى الاستعمار الفرنسي لطمسها ولكنه لم ينجح في ذلك، والشخصيات الثورية كثيرة نجد منها شخصية هواري بومدين الفذة والتي تعتبر من أهم الشخصيات المؤثرة في العالم وأحد الرموز الوطنية التي ساهمت بشكل كبير في ارساء مفهوم الدولة الجزائرية منذ الثورة إلى ما بعد الاستقلال.

ومنه تناولت ورقتها البحثية البعد النفسي السوسيولوجي للثورة التحريرية الجزائرية ظاهرا في شخصية هواري بومدين، لما فيها من فطنة ودهاء وميول ذهنية وفنية وقدرة على الصبر والتحمل، بالإضافة إلى دور البيئة الاجتماعية التي ترعرعت فيها شخصية البحث بما تتميز به من اصالة ونزوع للقيم الأخلاقية والاجتماعية تشبع بها هواري بومدين، ليصبح واحدا من

أهم الشخصيات التاريخية ونموذجاً صريحاً للشخصيات التي أسهمت في تبلور الفكر الثوري ونجاح الثورة التحريرية.

امتداداً للمقاربة النفسية تركز كل من رومان خيرة دليله وليبيد مختارياً في مداخلتهما "دراسة مقارنة بين أساليب الحرب النفسية لدى المستعمر الفرنسي والمقاومة الجزائرية إبان الحرب التحريرية (1954-1962)" علماً أن الثورة دامت سبع سنوات من الكفاح والعمل المسلح ووجود فئتين، أولها: قيادات ثورية على العزم عقدت وللاستقلال أو الاستشهاد مضت قدماً. وثانيها: عدو يمتلك كل المؤهلات العسكرية والمادية القادرة على قمع الثورة واحباط أية محاولة للتمرد. وعلى الرغم من إدراك قادة الثورة أنّ القوتين غير متكافئتين البتة، إلا أنّهم أصروا وأمنوا بعدالة قضيتهم. أمام هذا الإصرار والإيمان القوي للثوار والشعب الجزائري، أدرك قادة فرنسا أنّ الحرب العسكرية باتت تحتاج إلى أساليب وطرق أخرى لخنق الثورة الجزائرية. لذا سعت دراسة الباحثين في الكشف عن أساليب الحرب النفسية لكلا الطرفين، مبادئها، خصائصها، وما مدى إدراك الثوار والشعب عامة لآليات الحرب النفسية الفرنسية؟ وما مستوى الصلابة النفسية الذي مكّنهم من تحقيق النصر.

وفي نفس السياق تبين عمراوي ليندة في مقالها "فاعلية الأساليب النفسية الوجدانية للمستعمر الفرنسي إبان الثورة التحريرية وأثرها على الرأي العام الجزائري والفرنسي" أن الثورة الجزائرية تمثل موضوعاً ثرياً للبحث والإبداع الفكري الذي يوضح مدى عمق أبعادها ورفعت مبادئها وقيمها الإنسانية، كما تعتبر ميداناً خصباً ومجالاً مفتوحاً أمام الباحثين من كل التخصصات والجنسيات وذلك لتنوع جوانب الدراسة فيها، وتركز الباحثة على أن فرنسا لم تتوان عن استعمال أي أسلوب للقضاء على الثورة الجزائرية خصوصاً بعد أن عايشت هزيمة كبيرة في الفيتنام، ومع التطورات المتسارعة التي حققتها الثورة اهتدت فرنسا إلى الاعتماد على الجانب النفسي من أجل تحطيم معنويات الجزائريين وإبعادهم عنها، وتعميق ثقة الشعب الفرنسي بحكومته وسياستها في الجزائر، وتعد الحرب النفسية من أخطر أنواع الحروب لأنها تعمل على تخريب الروح المعنوية.

وفي المقربة الفلسفية سعت وفاء برتيمية في مقالها حول "الفلسفة الوجدانية وسؤال العدالة للثورة الجزائرية قراءة تحليلية في موقف جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار" إلى إظهار الصورة الإيجابية للنخبة الفرنسية في حقها الفلسفي والأدبي الوجداني والتي جسدت دور الشراكة في

النضال من أجل حرية الشعوب ودعم ثوراتها ونبذ الاستعمار وتجريمه بكل لغات العالم، وفي مقدمتها الاستعمار الفرنسي ضد الجزائر، الذي تفنن في مختلف أساليب الإرهاب والخراب والإبادة. كان على سارتر ورفيقته سيمون إلا تشكيل موقف نقدي يدين جرائم فرنسا ويلزمها بالاعتراف بالظلم والتراجع عن ظلمها للجزائر إلى جانب تشجيعهما للشعب الجزائري والثورة الجزائرية للتمسك بخطى النضال والاستقلال، وقد تجاوز موقف سارتر وسيمون الحدود الإقليمية نحو سائر العالم من خلال المؤتمرات والصحافة والقضاء... لرفع سقف الحريات ووقف سيل الاستعمار الفرنسي المدمر والدامي ضد كل قيم الانسانية والالزام الأخلاقي الذي يهدد مصائر الشعوب ووحدتها، رغم أن "سارتر" و"سيمون" من طينة الاستعمار الفرنسي غير أنهما جسدا الواجب الانساني ضد العدوانية والحيوانية اللامسؤولة تجاه الآخر وحقه في العيش والحياة ضمن فلسفة الحريات والوجود.

أما الجزء الرابع للكتاب مخصص لخمس مساهمات تحت عنوان الثورة التحريرية الجزائرية من منظور علم الاجتماع، وهنا تشير كل من زيدان نعيمة وميموني شهرزاد في بحثهما حول "المدرسة الرسمية ودورها في البناء التصوري لحرب التحرير الوطني 1954-1962" إلى أن المدرسة الجزائرية لعبت دورا فعالا في ترسيخ الذاكرة الوطنية الجماعية لدى الجيل الصاعد، مما ساهم في بناء التصور المثالي التوافقي خاصة عن حرب التحرير الوطني 1954-1962 والتي اعتبرت مرحلة حاسمة ضحى فيها الشعب الجزائري بالنفس والنفيس لاسترجاع الجزائر حريتها وسيادتها. ولكن في وقت نشهد فيه زخما معلوماتيا كبيرا بين ما هو أكاديمي علمي أو أيديولوجي أو تموهبي بفعل تطور وسائل الإعلام والتكنولوجيا وانتشار استعمال الأنترنت خاصة Google، YouTube، بالإضافة إلى مواقع التواصل الاجتماعي، زد عليها اتساع دائرة النشر والإشهار للمؤلفات التاريخية. أصبح التضارب حول الحقيقة التاريخية يمثل جدلا اجتماعيا، ثقافيا وأكاديميا، مما قد يخلق اختلافات بين الجيل الصاعد حول الحقيقة التاريخية لهذه الحقبة الزمنية. وانطلاقا من هذا الإشكال تؤكد الباحثتان أن المدرسة اليوم في الجزائر تعيش تحديات ورهانات خاصة في مادة التاريخ، لغرس الروح الوطنية وبناء الهوية الوطنية والاعتزاز بالتاريخ الوطني، وإنشاء جيل يتمتع بالقدرة على النقد والتحليل وتقبل الحقيقة التاريخية، ويحافظ على الذاكرة والوحدة الوطنية، مواصلا مسيرة أجداده لبناء الوطن.

أما نوار بورزقو محمد عبيد في دراستهما حول "بيان أول نوفمبر 1954: قراءة سوسيولوجية" يعتبران بيان أول نوفمبر وثيقة تأسيسية لإعادة احياء الدولة الجزائرية لمرحلة ما بعد الاستعمار، نال قيمته من النتيجة التي حققها وهي الاستقلال مما جعله محل اهتمام وتمجيد أكاديمي وشعبي. ويهدف الباحثان في قراءتهما لشرح مضامين هذا البيان وفق منظور التغيير الاجتماعي، والرابط الاجتماعي والهوية الاجتماعية والقيم الاجتماعية، أين تم الكشف على دلائل مضامينه السوسيولوجية، وهو ما يمكن توظيفه في واقعنا.

وتركز كل من بن باهي صارة وموساوي فاطمة في طرحهما الموسوم بـ "دور العمل النقابي خلال الثورة التحريرية 1954-1962 الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذجا" على أن اندلاع الثورة التحريرية الكبرى أحدث تغييرا جذريا على مستوى العمل النقابي في الجزائر من حيث المطالب والأهداف. فقد أدرك العمال الجزائريين بأنهم عرضة للامبريالية من خلال الاستغلال الاقتصادي والقمع السياسي، وبالتالي وضعيتهم كشعب مستعمر تطلبت منهم شكلا من أشكال النضال والعمل من أجل التحرر وتحسين الظروف المعيشية والمهنية للطبقة العاملة الجزائرية. لهذا أصبحت النقابة إحدى وسائل النضال الوطني، ولم تتردد جبهة التحرير الوطني في تبني إستراتيجية ثورية قامت على تنظيم وهيكلية الجماهير الشعبية في مواجهة الاستعمار، فأُسفرت عن تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فيفري 1956. هذا الأخير الذي كان له دور فعال في الثورة التحريرية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

وفي موضوع "مشاركة المرأة الجزائرية في ثورة التحرير الوطنية 1954-1962 من منظور سوسيولوجي" قدم لنا كل من عبد الرحمن وليد ضامر وفاطمة الزهراء زاوي دراسة تاريخية اجتماعية لمحاولة الكشف وتبسيط الضوء عن أهم الانجازات التي حققتها المرأة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية وخاصة مشاركتها في ثورة التحرير الوطني أطوارها الممتدة 1954-1962 وبالرغم من العوائق الاجتماعية التي تعرضت لها تلك الفترة، إلا أن مشاركتها في الثورة تمثل إحدى التحديات الاجتماعية سواء من ناحية الأسرة ومن ناحية السياسة الاستعمارية التي تحد من دورها ونهوضها في المجتمع جراء الرواسب الاجتماعية والثقافية. وعلى هذا الأساس تطرقت الدراسة للأسباب والدوافع الكامنة وراء التحاق المرأة بثورة التحرير الوطني، وأيضا الوقوف عند أهم العوائق الاجتماعية التي تعرضت لها المرأة بعد التحاقها بثورة التحرير الوطني.

في حين نجد كل من رزيقة عليلي وغنية فني في مساهمتهما حول "الثورة التحريرية وانعكاساتها على الأسرة والمرأة الجزائرية - قراءة سوسيولوجية-" يركزان على كشف انعكاسات الثورة التحريرية على وضع كل من العائلة والمرأة داخل المجتمع الجزائري، ومعرفة أهم التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي أفرزتها الثورة التحريرية كمرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر والتي كان لها تأثيرها على كامل مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة وعلى رأسها الأسرة والمرأة.. ومن أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة أن الثورة التحريرية كانت العامل والحدث الذي أدخل تغيرات كثيرة على أوضاع الأسرة الجزائرية سواء في بنيتها ووظائفها ونمط العلاقات فيها ونظام القيم بحيث تغيرت أدوار ومكانة الأفراد وخاصة المرأة تغيرا ملحوظا وتفتحت الأسرة على تعليم المرأة وعلى الحوار مع الأبناء داخل الأسرة هؤلاء الذين تعزز لديهم بعد الاستقلال الشعور بالاستقلالية الذي غدهم به الثورة.

ويضم الجزء الخامس للكتاب ستة أوراق بحثية تتعلق بالثورة التحريرية الجزائرية من منظور الاعلام وعلم الاقتصاد، تشمل بداية بحث كل من موسى العاشوري وأيوب شرقي حول "منظور الثورة الجزائرية من خلال الصحافة والاعلام العربي (تونس، مصر، ليبيا)" مشيرين إلى أن الثورة الجزائرية تعد إلهام للعديد من شعوب العالم، وخصوصا العالم العربي، فقد اتسمت بروح المقاومة والصلاية في وجه مستعمر غاشم جاثم على الارض والعباد، وقد استعمل كل وسائله المحرمة والمحظورة للتشبث بالجزائر كما كان يحلوه تسميتها الجزائر الفرنسية، فقد جابه المجاهدين والعزل من أبناء الشعب الجزائري بكل الاسلحة الفتاكة، وسياسة الارض المحروقة، كما استعمل الاعلام لطمس هوية المجتمع الجزائري وعزلها اقليميا ودوليا، لكن عند اندلاع الثورة المجيدة والمظفرة، قاوم الجزائريون الاستعمار الفرنسي بالعتاد والسلاح والنفس ولم ينسى رواد الحركة الوطنية التحريرية استعمال سلاح مهم وخطير وهو سلاح الاعلام والمتمثل في تلك الفترة في الصحافة المنطوقة والمكتوبة لإيصال صوت الثورة الجزائرية لجميع اصقاع العالم، الى ان انتصرت كلمة الحق ونالت الجزائر استقلالها.

وفي نفس الإطار ترى كل من لامية طالة وجميلة قادم في مقالهما حول "الإعلام ودعم العمل الثوري: قراءة في الإستراتيجية الإعلامية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية" أن الإعلام يعد أحد الوسائل الرئيسة في مواجهة الاستعمار إلى جانب السلاح، فقد وظفت الثورة لكسب تأييد الجزائر العديد من الوسائل الإعلامية والدعائية المسموعة والمكتوبة، بهدف جذب الرأي العام

الدولي ومن ثم تدويل القضية الجزائرية، وكذا مواجهة الإعلام الفرنسي الذي كان يسعى جاهدة إلى تضليل الرأي العام الداخلي والخارجي وممارسة التحريف وتشويه الثورة، ومن بين هذه الوسائل تذكر الباحثتين: البيانات والنشرات التي تعد أول وسيلة إعلامية اعتمدها الشعب الجزائري للتوعية والتعبئة الشعبية، بالإضافة إلى الإذاعة السرية، إذاعة صوت البلدان العربية، الجزائر المكافحة، والتي ساهمت هي أيضا في إبلاغ الشعب بحقيقة ما يجري، بدون نسيان الصحف التي دخلت في صراع سياسي مع العدو الفرنسي لتلتف حول الثورة بغية تحقيق الحرية والاستقلال الإعلام الإذاعي الجزائري أثناء الثورة التحريرية.

ويرى حكيم حمزاوي في بحثه حول "الإعلام الإذاعي الجزائري أثناء الثورة التحريرية" أن جبهة التحرير الوطني وضفت الإذاعة كوسيلة إعلام حول ثورة التحرير الوطني، حيث قدمت من خلالها خطابا تشرح فيه وجهة نظرها، أتى تعقيبا على الخطاب السياسي الفرنسي الذي كان ينفي صفة الثورة على الأحداث. ولقد اتبع الباحث في موضوعه استراتيجية تأسست على: أولا تأسيس إذاعة وطنية البث (صوت الجزائر المكافحة) في 1956، ثانيا تأطير إعلام إذاعي دولي جزائري بتنشيط حصص في إذاعات عربية وأجنبية. وثالثا البحث في أبعاد الإعلام الإذاعي الجزائري على الصعيدين الوطني والدولي. مؤكدا على فكرة أن النضال لم يكن عسكريا فقط، بل كان كذلك إعلاميا.

في نفس السياق يبحث طارق هابة في دراسته: "الثورة التحريرية الجزائرية من منظور وسائل الاعلام الثورية - إذاعة الجزائر الحرة المكافحة من 1956م إلى 1962م أنموذجا -" عن المقاربة التي تبنتها إذاعة الجزائر الحرة المكافحة في التعريف بالثورة التحريرية الجزائرية داخل الوطن وخارجه منذ نشأتها في أواخر سنة 1956 وعبر مختلف المراحل التي مرت بها وصولا إلى بسط السيادة الوطنية على مبنى الإذاعة والتلفزيون في أكتوبر 1962، حيث سلط الباحث الضوء في مداخلته على وجهة النظر التي انتهجتها إذاعة الجزائر الحرة المكافحة في تبني الثورة التحريرية الجزائرية ورؤيتها الإعلامية لمفهوم الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي خاصة على اعتبار أن شعارها "هنا إذاعة الجزائر حرة مكافحة... صوت جيش التحرير و جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من قلب الجزائر"، بالإضافة إلى الكشف عن المهام والأدوار الأخرى التي لعبتها هذه الإذاعة في إطار الحرب النفسية والدعائية ضد الاستعمار الفرنسي من خلال تحطيم معنوياته العسكرية والسياسية من جهة، وكسب ثقة الجزائريين وتعزيز الوعي الثوري وحس الانتماء الوطني لديهم من جهة أخرى.

أما سبيحي عائشة ركزت في موضوع "الثقافة الوطنية في ثورة التحرير الجزائرية(1954-1962)" علماهتمام الثورة التحريرية بالثقافة الوطنية، حيث اعتبرت من الأهداف الجوهرية للكفاح المسلح التحرري الذي خاضه الشعب بقيادة جبهة التحرير الوطني، وهذا ما أكد عليه البيان التاريخي لثورة أول نوفمبر وبقية نصوصها و مواثيقها، إضافة إلى الجهود المضنية التي بذلتها الثورة في تعليم و تثقيف أبنائها بجميع فئاتهم عامة.وجنود جيش التحرير الوطني بصفة خاصة، إدراكا منها لدور الثقافة في دفع الجماهير إلى التفاف حول الكفاح التحرري الوطني و المساهمة في تنمية البلاد غداة الحصول على الاستقلال.

وفي مقاربة اقتصادية يشير كل من سنوسي فيصل وبوضياف خديجة في بحثهما حول "الأبعاد الاقتصادية للثورة الجزائرية من خلال مصادرها التوثيقية المذكرات الشخصية أنموذجًا (1954-1962م)" إلى أن الثورة الجزائرية أخذت حيزًا كبيرًا من الدراسة، ولم تختصر على الطابع التاريخي فقط بل تناولتها العلوم الإنسانية كل من منظورها وذلك لتعدد مجالاتها بين السياسة، الجيش، الإقتصاد والثقافة.وخلال دراستهما لجملة من المصادر التوثيقية للثورة التحريرية وفي مقدمتها المذكرات الشخصية وجد الباحثان أنها تحتوي على ميادين اقتصادية ومالية متعددة كالزراعة، التجارة والصناعة شكلت هذه النشاطات مصدر رزق للجزائريين و موردًا هامًا لتموين لثورتهم،مركزين على الاجابة على الإشكاليات التالية: ما هي الجوانب الاقتصادية الواردة في المذكرات الشخصية ؟، كيف تم نقلها في مصادر تاريخ الثورة ؟، ما دور هذه الجوانب في إثراء الرصيد التاريخي للثورة؟

سبعة نصوص تشكل الجزء السادس من الكتاب الذي يضم أوراق بحثية تتعلق بالثورة التحريرية الجزائرية من منظور الأدب والفنون، وفي هذا الإطار يركز كل من بوخاري سمية وبشلاغم يحيى في موضوع "رموز الثورات الجزائرية من منظور الفن التشكيلي الجزائري والغربي: دراسة على تمثيلات صورة الأمير عبد القادر الجزائري في اللوحات الفنية" على أن اللوحة الفنية تعتبر تسجيلًا للحظة مرئية في مكانها، فقد تجاوزتوظيفتها التقنية ودخلت في عملية الصياغة الذهنية، كما أصبحت صالحة أيضًا للاستعمال من أجل إخفاء حقائق كثيرة فقد يتم التلاعب ببعض مكوناتها لأغراض خاصة بهدف التزييف ثم الإحياء بالصدق. وتوظيف الشخصيات على غرار الأمير عبد القادر الجزائري الذي يعد رمزا من رموز المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في الصورة الفنية التشكيلية، قد يكون سلاحا ذا حدين إذ

يمكن أن يتكفل ذلك التوظيف بتدعيم روح الانتماء والتشبّث بالأصالة واحترام الموروث، كما يمكن أن يصير أداة لتسريب الشك والاحتقار لهذا الموروث وتدنيسه. فالنظرة الغربية وخاصة الفرنسية كانت في معظم الأحيان مظلّلة ولم تستطع سبر أغوار الشرق عموماً والجزائر بشكل خاص. هذا الجهل بالآخر اعتبره سوء النية في كثير من الأحيان، ولم تكن مصادفة إلحاق الشرقي الصّور السّلبية على غرار التّسلط والتّخلف والجهل والتعصّب.

وترى مزياني نوميديا في مساهمتها حول "الأغنية الثورية الشاوية في الأوراس بين الشفهي وأهمية التدوين" أن أهمية الأغنية الثورية الشاوية تكمن في مدى غزارتها وقوة أشعارها، بحيث تتعدى كونها تدون أحداثاً هامة وتؤرخ لها إلى كونها فناً راقياً وإبداعاً أدبياً، هذا الصنف من الأشعار والغناء الحماسي استحق التدوين والحفظ منذ السنوات الأولى لاستقلال الجزائر، وهو ما تم إهماله وتجاهله لحد اليوم، فبقيت شفوية متداولة من قبل الجيل الذي صنع الحدث أو كان شاهداً عليه، وهو اليوم يغادرنا كما تقول الباحثة بصمت آخذاً معه هذا الجزء الهام من تراثنا، دون أن يحظى باهتمام الباحثين والأكاديميين تدويناً وبحثاً، وهذا ما جعل مثل هذه الدراسات أكثر من ضرورية وهي تهدف إلى نقل هذا اللون الأدبي من الشفهي إلى الكتابي واستقرأ هذه الأشعار الغنائية لكتابة التاريخ واهم الأحداث التي تناولتها تلك الأغاني بالإضافة إلى إبراز أهمية الأغنية الثورية الشاوية في المجتمع الأوراسي.

وتهدف دراسة نورة بوغفقال حول "الثورة التحريرية في الأدب النسوي الجزائري- زليخا السعودي أنموذجاً-" إلى الحديث عن الثورة التحريرية الجزائرية، من خلال كتابات مؤلفة أوراسية بنت ولاية خنشلة "زليخا السعودي"، التي ألّفت 18 قصة كلها تدور أحداثها في زمن الثورة التحريرية، تحت من خلالها على ضرورة التمسك بالأرض والدفاع عنها والموت فداء لها، والتمسك بالعادات والتقاليد والدين، مع الحفاظ كذلك على مبادئ الثورة التحريرية حتى بعد الاستقلال، لبناء وطن يتمتع بالحرية بتضحيات رجاله ونسائه الأحرار.

في نفس الإطار ترى حنان بن قيراط في بحثها حول "جماليات التوظيف الثوري في الرواية الجزائرية، نماذج مختارة" الثورة التحريرية تمثل مجموعة من الإبداعات الروائية المختارة؛ إذ تعتبر ميداناً خصباً، حاول الروائيون أن يتبينوا مزاياها ومآثرها المجيدة، فكانت نموذجاً رائعاً يحاكي الصلة العريقة بالتاريخ والهوية والقومية، وصوّروا جوانبها لغرس الحس الثوري في نفوس الجزائريين والمناضلين وتوعيتهم بواجبهم نحو وطنهم ضدّ المستعمر الغاشم، وأشارت الباحثة إلى أن صورة الثورة التحريرية جسدت في الروايات المدروسة بذلك رؤية

للتاريخوسؤالاً للهوية وتشكيل الوعي بجمالية فنية، ضمن مقدس يؤسس جسراً تواصلياً بين الماضي والحاضر إلى اليوم.

وعالجت فتيحة عاشوري موضوع: "ثورة الكتابة وكتابة النص الثوري - ثلاثية الجزائر- لمحمد ديب أنموذجاً"، تحدّد فيه مفهوم الثورة من خلال وظيفتها التي تمثّل الإستراتيجية الكلية للبنى الاجتماعية، وسبيلها للخروج من وبال النّسق الاستعماري، وأحياناً تكون حتمية فردية لبلوغ حالات معيّنة من الرّضى. ترى الباحثة أن الثورة ارتبطت في الأدب الجزائري بشكل جلي في فترة الخمسينيات والستينيات خاصّة مع الأدباء الذين كتبوا بلغة المستعمر كـ"محمد ديب" الذي تعتبر ثلاثيته "الجزائر" وليدة بدايات الثورة، ويهدف البحث ضمن هذا المنظار إلى التطلع في اللحظات التي تسبق الفعل الثوري وتركز على لحظات الرّق الكتابي الموازي له، وترنو إلى تصوير اندفاع الفرد للتحرّر في مقابل لحظات المخاض الأولى لخيوط الكتابة باعتبارهما خلاصة اكتمال الوعي الفردي، ويقظة الضمير الجمعي، لذلك يغلب على الفعل الكتابي عند "ديب" مزج التاريخ الشّخصي بالتاريخ العام، يرصد حقائق تاريخية واجتماعية ثورية عبّرت بصدق عن قوّة الموقف والفكرة معاً، ولذلك أيضاً كانت مواضيع الحرّية والثّورة والتعلّم بمثابة الخطاب الذي يبيّن إمكانية التحوّل التاريخي على حدّ تعبير بيضاء شيخي (Chikhi Beida)

وتبين كل من مختارية عواد وعبد الرزاق حاجي في بحثهما حول "تجليات الثورة التحريرية الجزائرية في النص الأدبي التعليمي - التوثيق والتّمثلات - مرحلة التعليم المتوسّط أنموذجاً" دور النصّ التعليمي المدرسي في التوثيق لإبراز محطّات الثورة التحريرية الجزائرية، باعتبارها تمثّل أهمّ المنعطفات الحاملة لهويّة الشعب الجزائري، ذلك أنّ المدرسة الجزائرية تسعى من خلال مناهجها التعليمية إلى ترسيخ الهوية الوطنيّة والمواطنة، وإيقاظ شعور الانتماء إلى الوطن، والاعتزاز والدّفاع عن الرّموز الوطنيّة لدى المتعلّمين. وقد لمست الباحثة ذلك في النصوص الأدبيّة التعليميّة لمرحلة التعليم المتوسّط - على حدّ تعبيرهما - تَهْدَفُ إِلَى الْحِفَافِ عَلَى الدّائِيَةِ الجزائرية التي رَفَضَتِ الاندِمَاجَ المُخَطَّطَ لَهُ مِنْ قَبْلِ المُسْتَدْمِرِ الفرنسي، إلى جانب إبراز حُبّ الوطن الذي كان دافعاً إلى خوض العمليات الفدائيّة، فكلُّ تَضَحِّيَةٍ، وكلُّ مُعَانَةٍ مَا هِيَ إِلَّا ترجمة صَادِقَةٌ لِدَلك الشّعور الخالص لله والوطن.

أما كمال بن سنوسي يؤكد في مساهمته: "إسهامات الفنانين التشكيليين الجزائريين أثناء الثورة التحريرية" على أن الجزائر شهدت مرحلة دامية ضد الاستعمار الفرنسي، إذ كانت

محطة للفنانين التشكيليين الجزائريين في إبداعاتهم الفنية؛ حيث ساهموا بريشتهم للتعبير عن آلام الشعب الجزائري الذي جرد من الحرية لعدة سنوات، وهو يعيش في الدمار والتشرد والفقر وغيرها من المظاهر الاجتماعية. حاول الباحث من خلال دراسته إبراز أهم اللوحات الفنية، التي ساهم فيها الفنانين التشكيليين الجزائريين في الدفاع عن وطنهم أثناء الثورة التحريرية.

الثورة التحريرية الجزائرية

من منظور التاريخ

المحافظ السياسي في ثورة التحرير الجزائرية (1956-1962)

The political commissar in the Algerian liberation war 1956-1962

تاويزة محفوظ

جامعة خميس مليانة (الجزائر)، taouanzamahfoud@yahoo.fr

1. مقدمة:

تيقن قادة الثورة التحريرية الجزائرية أن استمرار الكفاح الوطني ونجاحه مرهون بتجنيد كل الجزائريين كافة وتسخيرهم لخدمته في ظل تواضع العدة والعتاد إذ ما قورنت بإمكانيات العدو وترسانته العسكرية والإعلامية. لذلك كان لابد من وضع إستراتيجية لتحقيق الإتصال بين الثورة وال جماهير الشعب وإقناعها بمشروعية الكفاح حتى يتسنى لها احتضانه عن قناعة.

وأمام الظروف الإستثنائية التي كان يمر بها الجزائريون من فقدان لمصادر الدخل وتدنى المستوى المعيشي وانتشار الفقر والأمية، رأت الجبهة أن الإتصال المباشر بالشعب الجزائري هو أنجع وسيلة باعتبارها تلاءم وأحوالهم، وتضمن تحقيق التعبئة الشعبية وهو ما تجسد على أرض الواقع بإنشاء سلك المحافظين السياسيين إثر انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956.

وعليه تتمحور إشكالية مداخلتنا أساسا حول دور المحافظ السياسي في دعم الثورة وانتصارها وانعكاسات ذلك على مسار الكفاح التحرري الوطني.

ولمعالجة هذه الإشكالية سيتم معالجة الموضوع في ثلاث محاور رئيسية هي:

-التعريف بالمحافظ السياسي

-ظروف ودوافع ظهور المحافظ السياسي

-المحافظ السياسي في مجابهة الحرب الدعائية والنفسية الإستعمارية

2. التعريف بالمحافظ السياسي:

حسب شهادات أغلب الفاعلين في العمل الثوري فإن بوادر وظيفة المحافظ السياسي تزامنت مع اندلاع الثورة التحريرية، إلا أنها لم تكن شاملة لكل المناطق، كما أن مهمته لم تكن محددة وواضحة المعالم والأهداف، يقول المجاهد (محمد بن معلم) في هذا الصدد: "إن عمل المحافظ السياسي كان قائما قبل مؤتمر الصومام لاسيما في الولاية الثالثة، بحيث تولى أعباء ثقيلة تمثلت أساسا في تقديم الخدمات اللوجيستية لجيش التحرير الوطني، والمالية والتموين ،

وجمع الإشتراكات، والعمل السيکولوجي، ومنها الدعاية والدعاية المضادة".(سبيحي، 2017، الصفحات 86-89)

وبانعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، وفي إطار التعبئة الشعبية الشاملة، أقر قادة الثورة إنشاء سلك المحافظين السياسيين عبر كافة التراب الوطني، حيث ورد تحديد مهامهم في القسم الثالث من وثيقة الصومام تحت تسمية المفوض السياسي ومما أوردته نقتطف"المهام الأساسية للمحافظين السياسيين هي: تنظيم الشعب وإرشاده، والدعاية والأخبار، والحرب المعنوية، والمالية والتموين"(بوعزيز، 2009، صفحة 433). وعلى إثر ذلك تم تعيين محافظ سياسي على مستوى الولاية والمنطقة والناحية والقسم كلف بمهام متشعبة شملت مختلف الجوانب.

ففي الجانب السياسي كان يشرف على التربية السياسية والدعاية والإعلام، وفي الجانب العسكري أشرف على التجنيد والعمل الفدائي وعمل المسبلين كما شارك بنفسه في العديد من العمليات العسكرية. وتولى المحافظ السياسي من جهة أخرى تنظيم الإدارة المدنية والجهاز القضائي، وكانت له إسهامات في المجال التعليمي والصحي وفي مسألة التموين والتمويل، حيث كان يقوم بأي مهمة من شأنها جبر النقص وبالتالي ضمان سيرورة العمل الثوري، الأمر الذي حدا بأحد المجاهدين (عبد العزيز واعلي) للقول إن المحافظ السياسي في ثورة التحرير هو كل شيء في عالمها لأنه كان يتكفل بنواحي عديدة (وعلي، 2013، صفحة 55)

وقد تيقنت قيادة الثورة لأهمية الدور الذي يؤديه المحافظ السياسي في خدمة الثورة، لذلك كانت تراعي في إسناد هذه المهمة للمناضلين المتسمين بـ:

- القدرة على التحكم في ناحية النشاط من حيث الإلمام بكل ما يتعلق بها.
- المشاركة في النضال السياسي الوطني قبل اندلاع الثورة، وفي النضال العسكري بعد اندلاعها.
- الإتصاف بحسن الخلق والسيرة الحسن باعتباره صورة الثورة لدى الجماهير الشعبية.
- أن يؤتي قدرا من الحكمة التي من شأنها تمكين المحافظ السياسي من حل المشاكل التي تواجه عمله.
- حيازة قدر من التعليم والثقافة الذي يمكنه من التأثير في الجماهير وإلقاء الخطب ومراسلة قيادات الثورة ومراقبة مناشير العدو الدعائية والرد عليها (بومالي، 2010،

الصفحات 53-60)

3. ظروف ودوافع ظهور المحافظ السياسي:

1.3. تداعيات الحرب النفسية الإستعمارية على مسار الثورة:

لم تدخر السلطات الإستعمارية وسيلة بهدف زعزعة الثورة، وإحداث هوة عميقة بينها وبين الجماهير الشعبية، لذلك جعلت الحرب النفسية امتدادا لحربها العسكرية، وأولتها عناية فائقة نظرا لانعكاساتها الهامة ضد الثورة (وعلي، 2013، الصفحات 55-56).
وأهم الأهداف التي كانت تصبو إلى تحقيقها من ورائها:

- خلق نوع من التذمر لدى الشعب تجاه الثورة بعد إخضاعه لنشاط نفسي
- تحطيم معنويات المجاهدين من خلال تذكيرهم بقوة الجيش الفرنسي والهزائم التي مني بها كل المقاومين الذين سبقوهم زمن الثورات الشعبية
- رفع معنويات أفراد الجيش الفرنسي من خلال تقزيم انجازات وانتصارات جيشها (بن دارة، 2007/2008، صفحة 18).

و تحقيقا لهذه الغاية لجأت سلطات الاحتلال إلى تأسيس هيئات إدارية نفسية تضطلع بمهمة عزل الشعب عن الثورة وتوظيفه في أعمال وعمليات ضدها، كانت الإنطلاقة بتأسيس المكتب الخامس (المكتب الجهوي للعمل النفسي) في مارس 1955، مهمته التكوين والإعلام فضلا عن القيام بعمل سيكولوجي يستهدف الجزائريين عامة ومن خلال السعي لخلق شعب منحاز لإدارة الإحتلال (شريط، وآخرون، 2007، صفحة 306)

دعمت المؤسسة النفسية السالفة الذكر بإنشاء وحدات إدارية متخصصة (صااص) في سبتمبر 1955 أوكلت إليها مهمة فصل الشعب عن ثورته وهذا باستعمال مختلف وسائل الترغيب والترهيب. (جريدة الشعب، 1977، صفحة 8)

2.3. صعوبة استقطاب الثورة لكافة شرائح الشعب:

شهدت الثورة التحريرية في مرحلتها الأولى (1954-1956) عقبات كثيرة في ميدان الاتصال مع مختلف شرائح المجتمع وتعبئتها لخدمة الكفاح الوطني، ويعزي تلك إلى حرص الجبهة على سرية العمل الثوري، حيث جعلت التجنيد في صفوف جيش التحرير الوطني يقتصر على نافر قليل من المناضلين المعروفين بوطنيتهم وإخلاصهم هذا من ناحية، وتردد العديد من الجزائريين في المشاركة في الثورة التحريرية، وعدم مبادرة التشكيلات السياسية باتخاذ قرار الذوبان في الثورة لتأثرها بالحرب الإعلامية والنفسية الدعائية الإستعمارية من ناحية أخرى. (سبيحي، 2017، صفحة 78)

هذه الظروف حالت دون تحقيق التعبئة الشعبية الشاملة التي من شأنها ضمان تمويل الثورة تمويلها، الأمر الذي دفع بالمناضلين إلى الإلحاح على إيجاد آليات من شأنها ضمان الإتصال الدائم بين الشعب والثورة.

4. المحافظ السياسي في مجابهة الحرب الدعائية والنفسية الإستعمارية:

1.4. التربية السياسية في أوساط الشعب وعناصر جيش التحرير الوطني:

كان المحافظ السياسي يشرف على التربية السياسية والدينية للمدنيين والعسكريين على السواء، ويسهر على تكوينهم الإيديولوجي وغرس المبادئ الثورية في أنفسهم حيث كان يلقي خطابات حماسية أثناء تجمعات مواطني القرى والمداشر، في شرح معنى الثورة وبيان مبادئها وأهدافها المشروعة لجعلهم يشاركون فيها عن اعتقاد. (أمقران، 2010، صفحة 44)

و لم يغفل المحافظ السياسي في إطار التربية السياسية الموجهة للمواطنين، مسألة استعادة الشعب لثقته بنفسه، بعد عقدة الشعور بالنقص التي رسخها الاستعمار في نفوس الجزائريين، موظفا في ذلك عناصر ومقومات الشخصية الوطنية، و إبراز جوانب الفخر والعظمة فيها، وبالفعل فقد تمكن العديد من المحافظين السياسيين من المساهمة بفعالية من إزالة الغشاوة على أعين الجزائريين الذين لم يكونوا يبصرون إلا بمنظار الاستعمار الفرنسي. (بومالي، 2006، صفحة 20). وأدرك المحافظ السياسي حتمية تلقي أفراد جيش التحرير الوطني تكوينا سياسيا إيديولوجيا يعضد تكوينهم العسكري، حيث كان يتناول فيه المسائل الوطنية والثورية من خلال حصر أهداف الثورة في تحرير البلاد باعتباره المنعرج الحاسم الذي يتوقف عليه تغير حال الجزائريين نحو الأفضل من خلال المكاسب المادية والمعنوية التي ستجبر عنه بفضل استعادة الأرض والحصول على المناصب... إلخ

حيث كان يجعلهم يشعرون أن مصير الثورة وتحرير البلاد متوقف عليهم، فكان يدعوهم إلى الإستماتة في المقاومة تحقيقا لهذه الغاية. (الشيخ سليمان، 2007، صفحة 409)

2.4. إبلاغ انتصارات الثورة:

أمام سعي الأجهزة النفسية الإستعمارية إلى تضليل الشعب وتشكيك المواطنين في قدرة الثورة على مواجهة الترسانة العسكرية الإستعمارية، كان لزاما على المحافظ السياسي إيصال أخبار الإنتصارات التي تحققت الثورة في كل الميادين سياسيا وعسكريا سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فالمواطنون الذين كانوا يئنون تحت القمع وجحيم المعتقلات ومراكز الحشد كانوا ينتظرون بشغف بشائر المحافظ السياسي أهم بما يجري من أعمال بطولية

فيتقاسمون مع المجاهدين نشوة الإنتصارات وهم كلهم استعداد على التضحية بالنفس والنفيس في سبيل تحرير البلاد(وعلي، 2011، الصفحات 53-58)

3.4. رفع معنويات الشعب:

عمل المحافظ السياسي جاهدا للحيلولة دون إصابة الشعب بالقنوط واليأس جراء عمليات القمع الإستعمارية التي تطالهم، حيث كان يجتمع بسكان القرى بعد كل عملية استعمارية تستهدفهم لرفع روحهم المعنوية للحيلولة دون رضوخهم لمساومات الفرق الإدارية المتخصصة(أتومي، 2013، صفحات 137-144)، كما يقول المجاهد محمد السعيد خياري في هذا الصدد: ((كان المحافظ السياسي يشرف يوميا وفي ظروف شاقة وخطيرة في المناطق المطوقة بخطي شال وموريس على الإتصال المباشر بالمواطنين في الإجتماعات المقررة لهم للإطلاع على ما أصابهم من جيش العدو من قتل وتعذيب ونهب وتعد على الحرمات بإعادة بث روح الطمأنينة في نفوسهم ورفع معنوياتهم)). (سبيحي، 2017، صفحة 157)، وكثيرا ما كان المحافظ السياسي يوظف الخطاب الديني للرفع من معنويات الشعب بتركيزه على الآيات القرآنية التي تحث المسلم على الجهاد وتفضيل المجاهد عند الله على المتقاعس والمتخاذل كما كان يستعين بأئمة المساجد للقيام بهذا الدور من خلال خطب الجمعة والأعياد، ويذكر في هذا الصدد الأستاذ الجزائري أحسن بومالي بقوله: "وقد كانت تلك الخطب التي يلقيها المرشد السياسي وأئمة المساجد تلهب الجماهير الشعبية حماسا وغيرة وطنية، تجعلهم يتسابقون على تلبية نداء الجهاد في سبيل الله والوطن، لأن حب الوطن من الإيمان، وذلك من أجل نيل شرف الشهادة. كما كان المناضلون من جهتهم يجدون في ذلك مادة سياسية جديدة تستهويهم، بحيث كانوا يتابعون تطوراتها اليومية باستمرار واهتمام كبيرين، وكانت هذه السياسة تتطور لديهم كلما تطور الكفاح المسلح، ويتحمسون لها كلما كان جيش التحرير الوطني، يحرز انتصارات معتبرة في ساحة المعركة". (بومالي، 2010، صفحة 64)

4.4. حشد الدعم الشعبي المادي للثورة:

سهر المحافظ السياسي على التعبئة الدائمة للسكان من خلال اجتماعات التوعية التي كان ينظمها لهذا الغرض، والتي كانت تتناول انتصارات الثورة ورد فعل الاستعمار حيالها، وتبليغ موقف القيادة الثورية من مختلف الأحداث والتطورات المتعلقة بحرب التحرير، كما وجب عليه في بعض الأحيان الاعتناء بعائلات الشهداء والمسجونين، حيث كان يرسل إليهم مخصصاتهم الشهرية، و قام بالإشراف أيضا على سير الفروع المحلية للمنظمات

الجماهيرية، حيث يدرس معها مختلف الصعوبات الناشئة، والبحث عن إيجاد الحلول المناسبة، وبحكم اتصاله المباشر بالشعب، فقد تمكنه ذلك من جلب التموين لمراكز جيش التحرير الوطني، وتموين أيضا الشعب في المناطق المحررة، والقيام بجمع الاشتراكات والغرامات والزكوات من السكان لدعم صندوق الثورة (مجلة المجاهد، 1981، العدد 1108، صفحة 23)

5.4. تقويض إدارة العدو:

هدفت الثورة إلى تنظيم الشعب وتدريبه على إدارة شؤونه بنفسه، لذلك أقر مؤتمر الصومام إنشاء المجالس الشعبية بديلا عن المجالس البلدية الاستعمارية، حيث تشكلت هذه المجالس في كل دوار وقرية، وجعلتها قيادة الثورة تحت إشراف المحافظ السياسي الأمر الذي تطلب منه الكثير من الجهد والعمل حيث كان العمل الجماعي الجاد حتى يتوافق ورغبات الشعب، وتأثيرها على نفسيته مما يزيد من إلتحامه مع قيادته والتفافه حول ثورته، حيث استطاع أن يجمع الشعب إلى النفور من الأجهزة الإدارية الإستعمارية والإبتعاد عنها، إلى أن أضحت شبه خالية من المواطنين (عزالدين، 2011، صفحة 197)، فبعد عامين من إندلاع الثورة وجدت الإدارة الإستعمارية نفسها وقد فقدت سيطرتها الإدارية بالموازاة مع توسع الأجهزة الإدارية الثورية، حيث يقول المجاهد محمد السعيد خياري: "كان المحافظ السياسي بمثابة سمل لعين العدو، فتعطلت إدارته ولم يعد يتصل بها أحد، فكانت ضربة قاضية نفقد العدو بها سيطرته على الشعب" (سبيحي، 2017، صفحة 157)

كما أشاد المجاهد والمحافظ السياسي السابق عبد الحفيظ أمقران بالدور الفعال الذي أداه المحافظ السياسي في دفع الشعب إلى إدارة ظهره للإدارة الإستعمارية تدعيما لثورته وخدمتها بقوله: "وكيف لا نتذكر اليوم الدور العظيم الذي قام به المحافظ السياسي في جيش التحرير وفي مستوى الهياكل من القسم إلى الناحية إلى المنطقة إلى الولاية، من أجل توعية المجاهدين في كتائب جيش التحرير، وفي خلايا المسبلين، واللجان الخماسية، والمسؤولين عن الجبهة ومراكز الجيش والاتصال والتموين والاستعلامات، وغيرها من الفروع التي عرفتها ثورتنا الظافرة، وهي بلا شك تجربة رائعة رائدة نقلت إدارة البلاد الفعلية من مكاتب الإستعمار الشكلية-رغم قوته وضغطه وترهيبه للمواطنين- إلى الإدارة الحقيقية لجيش وجبهة التحرير الوطني". (الحفيظ، 1992، صفحة 23)

5. خاتمة:

-إن ترسيم هيكل المحافظ السياسي إثر انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 يندرج ضمن إستراتيجية الثورة الرامية إلى تعبئة كل فئات المجتمع الجزائري، بإعتبار أن مصير الكفاح الوطني يتوقف على دعمها والتفافها حولها

-أدركت جهة التحرير الوطني حساسية المهام المنوطة بالمحافظ السياسي وتأثيرها على مجرى المعركة التحريرية، لذلك لم تكن تسند هذه الوظيفة إلا للمناضلين المتسمين بالشجاعة والإخلاص والصبر والتحدي والسيرة الحسنة، والذين يحوزون على قدر من التاريخ النضالي والمستوى الثقافي

-ساهم المحافظ السياسي بفعالية في توسيع الهوة بين الجزائريين والإدارة الإستعمارية لاسيما من خلال إحداث إدارة ثورية موازية، تمكنت في ظرف قصير من الاضطلاع بالمهام الإدارية الأساسية من جهة، وفي تثمين العلاقة بين الجماهير وقيادتها الثورية من جهة أخرى -انتصرت الحرب النفسية للثورة التحريرية بقيادة المحافظ السياسي على الحرب النفسية الإستعمارية رغم ضخامة وسائلها وإمكاناتها، ويعزى ذلك إلى أن المحافظ السياسي كان دائم الاحتكام بالشعب، الأمر الذي مكنه من التأثير عليه مباشرة بعكس العدو وبذلك يكون قد منح نفسا جديدة للثورة، حيث أضفى عليها الطابع الشعبي الجماهيري، وبالتالي فلولا المحافظ السياسي لما تمكنت الثورة من الوصول إلى الشعب وتبليغ رسالتها النضالية المشروعة.

6. قائمة المراجع:

- أتومي جودي، (2013)، وقائع سنين الحرب في الولاية الثالثة (منطقة القبائل) 1956-1962 (قصص حرب)، ج2، بجاية، الجزائر، مطبعة ريم سيدي عيش.
- أمقران عبد الحفيظ، (2010)، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، الجزائر، دار الأمة.
- أمقران عبد الحفيظ، (1992)، 'دور المجاهدين في نقل التجربة الثورية إلى الأجيال الصاعدة"، مجلة اول نوفمبر، العددان 140-141، الجزائر
- الشيخ سليمان، (2007)، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، الجزائر، دار القصة للنشر

- الرائد عز الدين، (2011)، الفلاقة، ترجمة جمال شعلال، الرغبة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- بوعزيزي، (2009)، ثورات القرن العشرين، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع
- بومالي أحسن، (2010)، أدوات التجديد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1956)، الجزائر، دار المعرفة
- بومالي أحسن، (2006)، "الإعلام والاتصال أثناء الثورة التحريرية الجزائرية"، جريدة اليوم، الأحد 12 فيفري، الجزائر
- جريدة الشعب، (1977)، "يوم دراسي حول الضباط الشؤون الأهلية"، جريدة الشعب، ال عدد 16، 17، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000
- وعلي عبد العزيز، (2011)، أحداث ووقائع في تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، الجزائر، منشورات الجزائر للكتب

أثر الصراع بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهيأة الأركان العامة

على العلاقات بين الولايات التاريخية 1958-1962م

The impact of the conflict between the Provisional Government of the Algerian

Republic and the General Staff on the relations

between the historical states 1958-1962

عبد السلام كمون

جامعة أحمد دراية - أدرار (الجزائر)، kamouneabdeslam@univ-adrar.edu.dz

1. مقدمة:

تعتبر الثورة الجزائرية (1954-1962م) من أعظم ثورات القرن العشرين، وذلك نظراً لما حققته من انتصارات سياسية ودبلوماسية وعسكرية على الصعيدين الداخلي والخارجي، لكن هذا لا يعني أنها لم تخلو من السلبيات والانتكاسات والتعثرات، فهي كغيرها من ثورات العالم شهدت عدة صراعات خارجية وداخلية كان لها الأثر السيئ على مسارها الثوري خصوصاً وعلى تاريخ الجزائر المعاصر عموماً.

ومن بين تلك الصراعات الداخلية التي شهدتها الثورة الجزائرية هو الصراع بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهيأة الأركان العامة، وما هذا الصراع، في الواقع، إلا حلقة من حلقات الصراع بين القادة السياسيين والعسكريين للثورة الجزائرية، والذي تعود جذوره إلى مرحلة ما قبل الثورة الجزائرية، لكنه استفحل واشتد خطره بشكل فاضح منذ مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م وما بعده.

إن دراسة ومعالجة هذه الإشكالات والصراعات نراها ضرورية جداً في التأصيل والتأريخ للثورة الجزائرية، وتساعدنا على فهم وإدراك الحركية السياسية والعسكرية لها، بل أكثر من ذلك تعتبر معالجة هذه الصراعات أمراً لا بد منه في بناء دولة وطنية ديمقراطية، وبالرغم من كثرة الكتابات حول هذه المسألة، إلا أن معظمها كتبها الذين صنعوا الحدث، أمثال محمد حربي ولخضر بورقعة وغيرهما، مما يجعلها قد لا تجانب الموضوعية.

بناء على ما سبق ذكره، تأتي هذه الورقة البحثية لتعالج إشكالية مهمة خاصة بالثورة الجزائرية، والمتمثلة في الصراع بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهيأة الأركان

العامة، ومدى تأثير هذا الصراع على العلاقات بين الولايات التاريخية خصوصاً، وعلى مسار الثورة الجزائرية بشكل عام.

وفي سبيل معالجة موضوع الصراع بين جهازي الثورة الجزائرية يجب علينا توظيف المنهج التاريخي التحليلي الملائم للدراسات التاريخية، وذلك من خلال الاعتماد على المصادر والمضام الأصلية في سرد الأحداث وتحليلها ونقدها نقداً بناءً بكل موضوعية علمية، بعيداً عن الذاتية والندرجسية، خاصة وأن الدراسة تتعلق بصراع نشب بين قادة الثورة الجزائرية، وسنحاول معالجة هذه الإشكالية وفق العناصر الآتية:

2. تأسيس الهياكل ... الظروف والسياق التاريخي

عرفت الحركة الوطنية الجزائرية، داخل الجزائر وخارجها، منذ اندلاع الثورة الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954م تطوراً سياسياً ظل ينمو ويتسارع بشكل مذهل تبعاً لمجريات الثورة وأحداثها، ولم يقتصر الأمر على الطبقة السياسية المحترفة فحسب؛ بل أصبح الجميع يتطلع إلى ما يجري ويتساءل عن المخرج السياسي للأزمة، خاصة بعد تأكيد الكل بأن العمل العسكري وحده غير كافياً لتحقيق الإستقلال.

ولهذا ظلت الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى شبع معزولة، ولم تحظ بالعناية والاهتمام الكافيين من لدن الدول الشقيقة، غير أن صمود الشعب الجزائري واستبساله في مواجهة القوة والترسانة العسكريتين الفرنسييتين لفت أنظار الدول الشقيقة ودفعها إلى التعاطف مع القضية الجزائرية، وهوما هيأ الظروف لجهة التحرير الوطني لإرسال مبعوثها إلى هذه الدول وإلى المنتديات والمؤتمرات الدولية للتعريف أكثر بالقضية الجزائرية، مثل ما حدث في مؤتمر باندونغ المنعقد بإندونيسيا بتاريخ 24 أبريل 1955م، وفي مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة بأكرا، وفي الأمم المتحدة منذ العام الأول من الثورة، وقبل وفود جهة التحرير في هذه المؤتمرات بصفة ملاحظين (عثماني، 2012م، ص 409).

ولما كبرت الثورة الجزائرية - حسب تعبير عبان رمضان- كان لا بد أن تكبر معها مؤسساتها وهيكلها، فجاء مؤتمر الصومام المنعقد بتاريخ 20 أوت 1956م الذي أرسى قواعد الثورة في الداخل والخارج، وأنشأ هيكل جديدة للثورة (معمري، 2007، ص 343)، وكانت أولى تلك المؤسسات والأجهزة المجلس الوطني للثورة الجزائرية ولجنة التنسيق والتنفيذ الأولى المنبثقين عن مؤتمر الصومام، ثم أخذت تلك المؤسسات تكبر وتتوسع بزيادة عدد أعضائها خاصة بعد خروجها خارج الجزائر، ونقصد هنا المجلس الوطني للثورة المنعقد بالقاهرة ولجنة

التنسيق والتنفيذ الثانية أوت 1957، ومع تطور الثورة واشتدادها سنة 1958م، عرفت مؤسساتها تطوراً جديداً تمثل في تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958م، فما هي خلفيات وظروف تأسيسها؟

1.2. خلفيات وظروف تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية:

بالرغم من كثرة المعارضات والانتقادات ضد تأسيس الحكومة المؤقتة، إلا أنها مثلت حدثاً هاماً في تاريخ الثورة الجزائرية، وكان لها التأثير المباشر في التعريف بالقضية الجزائرية وأكسبتها العديد من التأييدات والاعترافات الدولية، وفيما يلي سنحاول استعراض ظروف إنشاء هذه الحكومة.

إن فكرة تأسيس حكومة مؤقتة جزائرية لم تكن وليدة اجتماع المجلس الوطني للثورة المنعقد بالقاهرة في صيف 1957 فحسب، بل تراودت الفكرة في أذهان الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني منذ أواخر 1955، وهو أول من فكّر في إنشائها انطلاقاً من القاهرة، وذلك تعبيراً عن تطور القضية الجزائرية على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتسهيلاً لمهمته في التعامل مع الأصدقاء والأشقاء وجميع المتعاطفين مع القضية الجزائرية، وهو ما أكدته تقرير عباس بن الشيخ الحسين العائد من القاهرة أواخر 1955 إلى عبان رمضان، ورد هذا الأخير في أول الأمر بالرفض (عباس، 2012، ص163).

وفي مطلع عام 1956 عدل عبان عن رأيه وقال إن الحكومة المؤقتة يجب أن تكون بالأحرى داخل البلاد، وهذا استناداً لرسالته المؤرخة في 15 مارس 1956م، حيث جاء فيها: "إن تشكيل الحكومة المؤقتة يجب أن يكون بعد العفو عن جميع القادة المعتقلين لا قبله..". (بلحسين، 2004، ص172).

بيد أن الفكرة طُرحت بشكل جدي في اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في القاهرة في الفترة ما بين 20 و28 أوت 1957، ففي هذا الاجتماع كلّف المجلس لجنة التنسيق والتنفيذ بتشكيل حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، ومع تطور الأحداث وتفاعلها في مطلع عام 1958مرت لجنة التنسيق والتنفيذ بوضعية صعبة وحرّجة للغاية، خاصة بعد فقدانها عضوين بارزين فاعلين فيها وهما العربي بن مهيدي وعبان رمضان، وفي خضم هذه الظروف اعتلى ديغول السلطة في باريس إثر أحداث 13 ماي 1958، وقد أعلن هذا الأخير أنه عازم على تصفية حساباته نهائياً مع الثورة الجزائرية، مستعملاً في ذلك أسلوب التهيب

(مشاريع اقتصادية، سلم الشجعان، تقرير المصير) والترغيب (مضاعفة التواجد العسكري بالجزائر وإطلاق مخطط شال العسكري) (قداش، 2011م، ص188).

كما تم طرح فكرة تأسيس الحكومة المؤقتة في مؤتمر طنجة المغربي في ابريل 1958، ولقد لقيت الفكرة ترحاباً كبيراً من طرف الأحزاب المغربية الثلاثة، واعتبروا أن الفكرة جاءت في وقتها المناسب، كل هذه العوامل والتطورات دفعت لجنة التنسيق والتنفيذ للتفكير الجدي من أجل البحث عن الحلول الممكنة والمناسبة لمواجهة السياسة الديغولية، وفي نفس الوقت إيجاد جهاز رسمي شرعي يساهم في تعجيل مسار المفاوضات.

برزت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى الوجود بتاريخ 19 سبتمبر 1958، وتم الإعلان عنها رسمياً من القاهرة، ودون استشارة أي صديق أو حكومة أجنبية، لقد كان قراراً جزائرياً محضاً، وتم إعلام الحكومتين التونسية والمغربية ساعة قبل الإعلان الرسمي، وأسندت رئاستها لفرحات عباس، واعترفت بها حوالي 26 دولة من بين الدول العربية والإسلامية والإفريقية والتقدمية (بن حمودة، 2012م، ص315)، وكان الهدف من وراء هذه الخطوة الجريئة، إضفاء الصفة الشرعية على العمل الثوري، ورفع معنويات الشعب النضالية، والظهور بوجه جديد وإحراج علاقات فرنسا الخارجية (مقلاتي، 2012، ص110).

غير أنه للأسف الشديد لم تمض سوى عدة أشهر على تأسيسها حتى بدأت الأزمات تعصف بها، وذلك بسبب صعوبة الاتصال بين قيادة الداخل والخارج، حيث تمكن الاستعمار الفرنسي في خلق هذه الصعوبات والعراقيل إثر إنشائه لخطي موريس وشال، اللذان جعلتا نقل السلاح وتنقل المجاهدين من وإلى الداخل أمراً صعباً للغاية، هذا على غرار الصعوبات التي واجهت جيش التحرير الرابض على الحدود (آيت حمو، 2011، ص120)، هذه العراقيل وغيرها أدت إلى تفاقم الأزمة، ودفعت المجلس الوطني للثورة إلى اتخاذ قرار تأسيس هيئة الأركان العامة.

2.2 تأسيس هيئة الأركان العامة:

إن أكبر عقبة كانت تواجه الحكومة المؤقتة منذ تأسيسها هي مشكلة توحيد جيش التحرير الوطني، ولهذا أولت الحكومة اهتماماً بالغاً بالجانب العسكري، ولا أدل على ذلك من استحداث وزارتين في تشكيلتها تعنى بهذا الجانب، وهما: وزارة القوات المسلحة برئاسة كريم بلقاسم نائب الرئيس، ووزارة التسليح والتموين برئاسة العقيد محمود الشريف، وفي سبيل إيجاد حل توافقي لأزمة توحيد الجيش تبنت الحكومة المؤقتة في أبريل 1958 اقتراح كريم

بلقاسم القاضي بتعيين لجنة تنظيم عسكرية على الحدود الشرقية بقيادة العقيد محمدي السعيد ويساعده كل من العقيد محمد لعموري، العقيد عمارة بوقلازة، الرائد عمار بن عودة، ولجنة تنظيم عسكرية على الحدود المغربية بقيادة القيد هوارى بومدين، ويساعده العقيد الصادق دهيليس (حربي، 1983م، ص180).

غير أن اقتراح كريم لم يحل الأزمة، خاصة بعد التأكد من أن مردود لجنة التنظيم العسكرية بالشرق سلبياً وأن بقاءها أصبح غير مجدياً، لهذا سارع كريم بلقاسم، بصفته وزير القوات المسلحة، إلى حلها في 9 سبتمبر 1958، وأرفق هذا الحل بسلسلة من الإجراءات العقابية المتفاوتة تجاه أعضائها الأربعة بالنفي والتنزيل في الرتب، وبعد حل اللجنة أعيد التفكير مجدداً في مسألة جديدة من أجل الحفاظ على وحدة الجيش وهياكله، فاستحدث كريم بلقاسم ثانية هيئة جديدة عُرفت باسم "قيادة الأركان" تتبع رأساً لوزير القوات المسلحة، تتكون من فرعين اثنين (عثماني، 2012، ص489):

- قيادة أركان الجهة الشرقية بقيادة العقيد محمدي السعيد
- قيادة أركان الجهة الغربية بقيادة العقيد هوارى بومدين الذي وفق في قيادة لجنة التنظيم العسكرية.

غير أن هذا التنظيم الجديد أظهر هو الآخر عدم فاعليته من خلال عجزه عن بسط نفوذه على الوحدات والمؤسسات العسكرية، مما أدى إلى ظهور أزمات داخلية سياسية وعسكرية امتدت إلى الحكومة المؤقتة نفسها، منها أزمة محمد لعموري الانقلابية وما أفرزته من تجاذبات وخلافات، ومروراً باجتماع العقداء الأربعة بجيجل خلال شهر ديسمبر 1958، وصولاً إلى استقالة لمن دباغين وتردي أوضاع الوحدات المقاتلة في الداخل والخارج، وهو ما أدى في الأخير إلى اجتماع العقداء العشرة في سنة 1959 الذي دام ما بين 94 و 124 يوماً (لونيسي، 2002، ص41)، ثم أعقبه اجتماع المجلس الوطني للثورة بالقاهرة دام شهراً كاملاً، وقد أسفر هذا الاجتماع عن تأسيس هيئة الأركان العامة للجيش (E. M. G).

وهكذا خلال اجتماع المجلس الوطني بالقاهرة من ديسمبر إلى جانفي 1960 تم إنشاء كل من: هيئة الأركان العامة للجيش، وإلغاء وزارة القوات المسلحة واستبدالها باللجنة الوزارية للحرب" المشرفة على هيئة الأركان العامة، غير أن تحديد الأشخاص الذين يتولون قيادة هذه الهيئة العليا لم يتم إلا في فترة الحكومة المؤقتة الثانية من 18 جانفي 1960 إلى 25 أوت 1961 برئاسة فرحات عباس أيضاً (آيت حمو، 2011، ص120)، وأعضاء هيئة الأركان هم:

- العقيد هوارى بومدين، قائد هيئة الأركان العامة
 - قايد سليمان، رائد في هذه الهيئة
 - علي منجلي، رائد ثان في هذه الهيئة
 - رابح زراري، رائد ثالث في هذه الهيئة، غير أن هذا الأخير انسحب من طاقم القيادة لعدم تفاهمه مع زملائه الثلاثة، فقرر الدخول إلى الجزائر في شهر جانفي 1962، أي ستة أشهر قبل استقلال الجزائر.
- وهكذا تولى هوارى بومدين ومعاونيه مهمة قيادة هيئة الأركان العامة رسمياً بتاريخ 23 جانفي 1960، أما المهمة الأساسية لهذه الهيئة فهي الإشراف وقيادة الجيش في الداخل والخارج، وكذا تمويل الداخل بالأسلحة (آيت حمو، 2011، ص125).

3. الصراع بين الحكومة المؤقتة وهيأة الأركان... الجذور والحيثيات:

إن جذور الصراع وخلفياته تعود إلى الإخفاقات التي منيت بها هيئة الأركان العامة، خاصة ما تعلق بقضية التمويل الداخل بالسلح، فقد بدا تقصيراً فاضحاً في هذا الجانب، ومن ثم فإن نفوذها على الولايات كان ضعيفاً، ولما سألت الحكومة المؤقتة الهيئة عن سبب التقصير عزته إلى خط موريس دون أن تقوم بأية محاولة لاجتيازه، كما أدى الصراع القائم داخل اللجنة الوزارية للحرب للحيلولة دون مراقبة هيئة الأركان، فقد انشغل أعضاؤها (الباءات الثلاثة) بالتصارع والتسابق نحو السلطة، وأطلقوا العنان للهيئة لتتصرف حسب أهوائها (آيت حمو، 2011، ص126)، ومنذ ذلك الوقت أخذ نفوذ الباءات الثلاثة يتراجع ويتقلص، ونفوذ هوارى بومدين ينمو ويزداد (دحلب، 2007، ص114)، وكان ذلك إيذاناً ببداية الصراع بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة.

وكمحاولة منها لإعادة السيطرة وإلجام هيئة الأركان العامة، سارعت اللجنة الوزارية للحرب إلى إعطاء التعليمات لمسؤولي الولايات والاتحاديات وحذرتهم من مغبة التعامل مباشرة مع هيئة الأركان، حيث أن هيئة الأركان كانت تعتبر أن ولايات الداخل تخضع لسلطتها، في حين أن اللجنة الوزارية للحرب أكدت أنه لا يمكن لهيأة الأركان المقيمة في الخارج التحكم إلا في قوات وجيش الحدود، وهو ما دفع اللجنة الوزارية للحرب إلى تحريض الحكومة المؤقتة، ودفعها إلى إصدار أمر بدخول هيئة الأركان إلى الأراضي الجزائرية قبل نهاية شهر مارس 1961 (أحربي، 1983، ص222)، وهناك من يرجع أصل الخلاف بين هيئة الأركان واللجنة الوزارية

للحرب إلى رفض هذه الأخيرة طلب قائد الأركان بالانضمام إليها، ومن ثم توسع الخلاف واشتد ليصبح بين هيئة الأركان والحكومة المؤقتة (زروال، 2010، ص62).

ومن جهة أخرى تؤكد بعض المصادر، أن بداية الصراع بين الحكومة وهيئة الأركان، تسبب فيه انعدام الثقة بين الطرفين، وبدأ كل الطرف يكيل التهم للطرف الآخر ويحملة مسؤولية المشاكل التي نعاني منها ولايات الداخل، فهيئة الأركان طالبت الحكومة المؤقتة بأن تعطيها المكانة التي تستحقها، وضرورة مشاركتها في أي قرار تتخذه، وهو ما أجبر هيئة الأركان على التدخل في صلاحيات الحكومة المؤقتة، هذا فضلاً عن الانتقادات اللاذعة لها (تقية، 2010، ص572).

أما النقطة التي أفاضت الكأس وأدت إلى احتدام الصراع وتفجير الأزمة بين الهيئتين، هي قضية الطيار الفرنسي الذي أسره جيش التحرير الوطني بعد إسقاط طائرته خلال شهر جوان 1961، حيث أمرت الحكومة المؤقتة، بإيعاز وطلب من الحكومة التونسية، بومدين بتسليم الطيار إلى هذه الأخيرة بحجة أن الطائرة سقطت على الأراضي التونسية، ففي البداية رفض بومدين الأمر واعتبره تدخلاً في شؤون الحكومة المؤقتة من طرف الحكومة التونسية، لكنه في الأخير سلّم بومدين -تحت ضغط بن طوبال- الطيار وتوقف الحادث عند هذا المستوى (آيت حمو، 2011، ص127).

إن قرار الرفض الذي تبنته هيئة الأركان العامة تجاه طلب الحكومة التونسية في تسليمها الطيار، ينم عن رؤية الهيئة السياسية الثاقبة، فهي رسالة موجهة للحكومة التونسية لمنعها مستقبلاً من التدخل في شؤون الجزائر بعد الاستقلال، وهو ما أعطى لهيئة الأركان الصفة طلائعية على حساب الحكومة المؤقتة التي استجابت لطلب الحكومة التونسية دون أي اعتبار (تقية، 2010، ص572).

وهكذا كرّس الخلاف مع الحكومة التونسية بشأن الطيار الفرنسي الصراع بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة، فقدّمت هذه الأخيرة استقالتها إلى الحكومة المؤقتة بتاريخ 15 جويلية 1961، ولم تتوان هيئة الأركان في فضح السياسة المالية للحكومة المؤقتة وكذا سياستها تجاه الحكومة التونسية، دون أن تشير إطلاقاً إلى قضية إشرافها على ولايات الداخل، التي كانت نقطة انطلاق النزاع بينهما (حربي، 1983، ص225).

وبعد تقديم استقالتها (هيئة الأركان العامة)، سافر أعضاؤها إلى ألمانيا ملتجئين تحكيم الزعماء الخمسة المعتقلين، علماً أن هيئة الأركان بعد تقديم استقالتها، استخلفت هيأتين

مواليتين لها تتوليا مهمة الإشراف على الجيش في الحدود الشرقية والغربية، وذلك كإجراء منها لغلق الباب أمام أي تمرد، ومن ثم قطع الطريق على الحكومة المؤقتة في حالة محاولتها السيطرة على الجيش (هشماوي، ص189).

ويبدو أن إجراء قيادة الأركان العامة -المستقلة- بشأن استخلاصها هيأتين مواليتين لها على رأس الجيش كان في محله، إذ أنه عقب تشكيل الحكومة المؤقتة الثالثة في 27 أوت 1961 برئاسة بن يوسف بن خدة، سارع هذا الأخير في شهر سبتمبر 1961، وكمحاوله منه لإخضاع أعضاء هيئة الأركان لسلطة الحكومة المؤقتة، إلى تشكيل لجنة مؤقتة على رأس الأركان العامة للجيش برئاسة موسى بن أحمد، وهو أحد الأعضاء المكلفين بتسيير هيئة الأركان بالنيابة لكن العملية باءت بالفشل، إذ رفض الضباط مقترح بن خدة لأن بومدين خطط لذلك من قبل وضمن ولاء الجميع له، بل أكثر من ذلك وقّع هؤلاء الضباط وثيقة تطالب بعودة بومدين على رأس قيادة الأركان العامة للجيش، وهكذا تكون الحكومة المؤقتة قد تلقت صفعه معنوية، أما بومدين فقد استغل هذه التزكية كذريعة له للاستقلال عن الحكومة المؤقتة، بحجة أنه استلم القيادة من العسكريين وليس من سياسيي الحكومة المؤقتة، وأصبح بذلك جيش الحدود قوة مستقلة يحسب لها ألف حساب (لونيس، 2000، ص47).

4. أثر الصراع على العلاقات بين الولايات التاريخية للثورة الجزائرية:

بالعودة إلى القرارات التي اتخذت في الاجتماع الثالث للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس، والتي كان أهمها: استبدال وزارة القوات المسلحة ب"اللجنة الوزارية للحرب"، إنشاء هيئة الأركان العامة للجيش بقيادة بومدين، مضاعفة العمليات العسكرية على الحدود، نجد أن هذه القرارات كان من المفروض أنها تعطي دفعا قويا للثورة الجزائرية من خلال التنظيمات العسكرية التي أقرتها وربطها بما يجري في الداخل، إلا أن ما حصل عكس ذلك تماماً، إذ لم يحصل توافق وانسجام بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة، فطبيعي جداً أن ينعكس الصراع مباشرة على العلاقات بين الولايات التاريخية، حيث اتجه كل منهما (الحكومة وهيئة الأركان) إلى محاولة تثبيت نفوذهما في الولايات تمهيداً للوصول إلى السلطة، وهو ما سنراه في هذه الجزئية من الدراسة.

بعد فشل الحكومة المؤقتة في التحكم والسيطرة على جيش الحدود عقب استقالة أعضاء هيئة الأركان، حيث حاولت إعادة تنظيم الجيش بتفكيك القيادة العامة للأركان إلى قيادتين واحدة بالمغرب والثانية بتونس، لكنها فشلت بسبب البرقيات والعرائض التي كانت ترد

إلى الحكومة من الحدود الشرقية والغربية ضاغطة ومطالبة بعودة هيئة الأركان إلى مهامها، في هذه الأثناء ولّت الحكومة المؤقتة شطرها نحو الداخل، فقامت في أواخر شهر سبتمبر 1961 بإعطاء الأوامر إلى قادة الولايات في الداخل بأن يوقفوا جميع الاتصالات والارتباطات مع هيئة الأركان العامة (بن خدة، 2007، ص107)، ومن هنا انتقلت عدوى الصراع بين الحكومة والقيادة العامة إلى ولايات الداخل، وباتت الخلافات والصراعات بين قادة الولايات أمراً وارداً. وفي نفس الاتجاه أيضاً عمدت الحكومة المؤقتة، برئاسة بن خدة، إلى ترقية كل من محند والحاج والطاهر الزبيري إلى عقداً بعدما كانوا مجرد قادة ولايات مؤقتين، وذلك كمحاولة منها من أجل استمالة قادة ولايات الداخل إلى جانبها والاستفراد بهم وضمهم إلى صفوفها وتحريضهم ضد هيئة الأركان العامة، وبهذا التصرف كانت الحكومة المؤقتة قد أشعلت فتيل الصراع بين ولايات الداخل وجيش الحدود (لونيس، 2000، ص47).

وكرد فعل القيادة العامة للأركان، أنها جعلت من نفسها سلطة موازية للحكومة المؤقتة، فلم يعد عملها (القيادة العامة) مقتصرًا على الجانب العسكري فحسب، بل راحت تنافس الحكومة في مهامها الدبلوماسية والمقصود هنا موقفها من أزمة كوبا، حيث تبنت موقف وزارة خارجيتها المدافع عن الاعتراف بحكومة فيدال كاسترو، وهو ما كانت تخشاه الحكومة المؤقتة مراعاة للموقف الأمريكي (حربي، 1983، ص239)، كما اختلفت المواقف الدبلوماسية بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة في قضية المفاوضات بين فرنسا، وخاصة مفاوضات إيفيان الثانية (7-18 مارس 1962)، التي عارضتها هيئة الأركان بشدة إلى درجة أنها وصفتها بالإهانة الكبيرة (تقية، 2010، ص575)، في حين اعتبرتها الحكومة المؤقتة نصر كبير (بن خدة، 2011، ص131).

بتتويج مفاوضات إيفيان الثانية بالتوقيع على وقف إطلاق النار بداية من 19 مارس 1962 وإطلاق سراح الزعماء الخمس، استأنف الصراع بين الحكومة وهيئة الأركان من جديد مع بداية التحضير لعقد اجتماع المجلس الوطني للثورة ماي 1962، حيث أبرز هذا الاجتماع انشقاقاً واضحاً في موقف الولايات من الصراع، وقد جاء انشقاق الولايات نتيجة النفوذ الذي يتمتع به كل من الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان في الولايات (بوعريوة، 2020، ص174).

وفي إطار التحضيرات لمؤتمر طرابلس والتي انطلقت مع مطلع شهر أبريل 1962، تم إرسال الدعوات إلى قادة الولايات في الداخل وأعضاء مجالسهم من أجل الحضور للمؤتمر المزمع عقده بطرابلس الغرب (ليبيا) من أجل مناقشة ودراسة جدول الأعمال المتضمن:

المصادقة على اتفاقيات إيفيان، المناقشة والمصادقة على برنامج طرابلس، تشكيل المكتب السياسي الذي يعنى بالإشراف على المرحلة الانتقالية حتى غاية تنظيم مؤتمر تقييبي.

ومن الأحداث الخطيرة التي يرونها علي كافي أنه عشية انعقاد مؤتمر طرابلس، وفي خضم التحضيرات لهذا المؤتمر كان علي منجلي يطوف على وحدات جيش الحدود صائحاً فيهم بأعلى صوته ".. أن جيش الولايات لا يمثل شيئاً وأنتم المستقبل.."، والأخطر من هذا كله هو أن هيئة الأركان العامة قامت بإرسال بعض ضباطها (تحفظ على كافي عن ذكر أسمائهم) للسيطرة على الولاية الثانية، فردّ عليهم صالح بوبنيدر: "أين كنتم عندما كنا في أمس الحاجة إليكم؟" عندئذ أدركت قيادة الولاية الثانية أن الصراع القائم بين الحكومة وهيئة الأركان يستهدف ولايات الداخل، ومحاولة كل منهما بسط سيطرته ونفوذه على الولايات (كافي، 2011، ص356). وهكذا توسع نطاق الصراع بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة ليشمل ولايات الداخل، والتي أصبحت مقسومة إلى قسمين، قسم مع هيئة الأركان العامة، وقسم مع الحكومة المؤقتة (دحلب، 2007، ص177).

وحتى الحكومة المؤقتة اتخذت خطوة جريئة نحو نقل الصراع إلى الداخل، تمثل في إرسالها قرار إلى ولايات الداخل تطلعهم من خلاله على أنه "تم تجريد هيئة الأركان العامة المستقيلة من كل مهامها بقرار من الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية"، وهذا يعني أن طرفي الصراع (الحكومة وهيئة الأركان) كلاهما قاما بإرسال مبعوثيها إلى ولايات الداخل وإلى المهجر ليسردوا - كل على طريقته - حقيقة ما جرى من خلافات وصراع في الخارج (هارون، 2003، ص70).

وجاء رد فعل الولايات، سريع جداً، على هذا الخطر الداهم، إذ أنه وقبل التوجه لمؤتمر طرابلس، تم عقد اجتماعين متتاليين، الأول خاص دعا إليه قائد الولاية الأولى وضم إداراتها، والثاني أيضاً دعا إليه قائد الولاية الأولى وضم قادة الولايات الثلاثة (الأولى، والوليتين المجاورتين لها الثانية والثالثة)، فبالنسبة للاجتماع الأول تم الاتفاق فيه على ضرورة المصادقة على اتفاقيات إيفيان، وكذا الإبقاء والإحتفاظ بمؤسسات الثورة (مجلسها الوطني وحكومتها المؤقتة) إلى ما بعد الاستقلال (كافي، 2011، ص357).

أما بالنسبة للاجتماع الثاني، وفي إطار التنسيق بين الوليتين المجاورتين وتحديد المواقف وتوحيدها، اتصل قائد الولاية الثانية بقائدي الوليتين الأولى والثانية لعقد اجتماع

تنسيقي تعاوني، وقد بُرمج الاجتماع في ضواحي مدينة سطيف، شارك فيه العقيد الطاهر الزبيري قائد الولاية الأولى، وحسن محيوز مندوباً عن محند ولد الحاج قائد الولاية الثالثة، وخلال الاجتماع أطلع صالح رفيقيه عن قرارات وموقف الولاية الثانية، مندداً في نفس الوقت بهيئة الأركان العامة التي حملها مسؤولية الصراع القائم بينها وبين الحكومة المؤقتة، ومتهماً إياها بأنها هي المحرّضة ليجش التحرير على الحدود الشرقية والغربية، وهي المتسبب في إثارة الفوضى بالخارج، وفي الأخير اتفق الثلاثة، مبدئياً فقط، على النديد وإدانة هيئة الأركان العامة (كافي، 2011، ص358).

وفي طريقه إلى تونس لحضور المؤتمر تقابل صالح بوبنيدر مع العقيد حسن الخطيب في بومرداس، وأطلعته بنتائج اجتماع قادة الولايات الأولى والثانية والثالثة، ثم بعد ذلك سأله عما إذا كان سيحضر للاجتماع فكان جوابه بالنفي، وحاول صالح جاهداً إقناعه بضرورة الحضور لكن دون جدوى، وفي الأخير حمّله مسؤولية قراره، قبل وصوله إلى تونس فوجئ صالح بعدول الطاهر الزبيري عن موقفه وانحيازه لصالح هيئة الأركان العامة وكشف عن ثقته التامة حيالها (كافي، 2011، ص359)، وهو ما ينذر بحدوث انشقاق وانقسام داخل المؤتمر.

انعقد مؤتمر طرابلس في الفترة ما بين 27 ماي و07 جوان 1962، وبالرغم من أن هذا المؤتمر توقّرت فيه لأول مرة شروط حضور جميع القيادة الثورية (قيادة الخارج، قيادة الداخل، الزعماء الخمس بعد إطلاق سراحهم)، وبالرغم من أهمية المرحلة التي انعقد فيها، إلا أنه للأسف أظهر وكشف انشقاقاً خطيراً بين الولايات التاريخية، فانبثقت عنه جماعتان (صايكي، 2003، ص287):

- جماعة هيئة الأركان العامة المؤيّدة من قبل بن بلة ومحمد خيضر وضمت:

- الولاية الأولى بقيادة الطاهر الزبيري.

- الولاية الخامسة بقيادة عثمان، كانت متواجدة بالمغرب.

- الولاية السادسة بقيادة محمد شعباني.

- جماعة الحكومة المؤقتة وضمت:

- الولاية الثانية بقيادة صالح بوبنيدر تابعة لابن طوبال.

- الولاية الثالثة بقيادة محند ولد الحاج تابعة لكريم بلقاسم.

- الولاية الرابعة

- الولاية السابعة (فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا).

وكمبادرة منها ومن أجل إسماع صوتها، قامت بعض الولايات في الداخل بعقد اجتماعاً لها في زمورة بالولاية الثالثة خلال يومي 24 و 25 جوان 1962، حضره ممثلو الولايات: الثانية والثالثة والرابعة والعاصمة واتحاديّتي فرنسا وتونس، وأمضوا لائحة يسجلون فيها أن "الصراع بين الحكومة وهيئة الأركان العامة حطّم مبادئ السلطة وأحدث فراغاً رهيباً"، كما قرروا إنشاء "لجنة تنسيق بين الولايات" لتتبع الحالة وتهدئة الوضع والحيلولة دون تفاقمه، وإدماج جيش الحدود مع جيش التحرير في الداخل، لكن تلك المحاولات باءت بالفشل (بن حمودة، 2012، ص600).

وأهم نتيجة خرج بها مجتمعو زمورة، هي إرسالهم في اليوم الموالي للاجتماع (26 جوان) وفد إلى تونس ضم كل من الرائد سي الطيب صديق، والرائد سي حميمي (فضال) بصفتهم ممثلان عن الولاية الثالثة، أما الولاية الرابعة مثلها النقيب أرزقي حموش، ومثّل منطقة الجزائر المستقلة الرائد عز الدين (زراري)، ومثّل فيدرالية فرنسا مسؤولها عمر بوداود، وقد استقبل هذا الوفد أربعة أعضاء من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهم: بن خدة، بن بله، محمد خيضر، كريم بلقاسم، وأبلغهم الوفد بقرارات زمورة، وكانت القطيعة بين القيادة الثورية، وتفجرت الخلافات بتوالي الاستقالات من الحكومة المؤقتة، حيث كان أول المستقلين محمد خيضر ليتبعه بعد ذلك بن بله، وهكذا سجّل 26 جوان 1962 نهاية الحكومة المؤقتة التي أصبحت بعد هذا التاريخ مجردّ واجهة تحتمي خلفها استراتيجيات متنافسة (حربي، 1983، ص288)، وفقدت الحكومة قيمتها وبريقها النضاليين بفقدانها بعض أعضائها، بعدما ظلت أربع سنوات كاملة، رغم تناقضاتها الداخلية، صامدة كرمز وحيد لكفاح الجزائريين من أجل استقلالهم (هارون، 2003، ص75).

ثم تطورت الأزمة وتفاقم الصراع إلى نقطة اللاعودة بلجوء الحكومة المؤقتة، تحت ضغط كريم بلقاسم ومحمد بوضياف، إلى إقالة أعضاء هيئة الأركان العامة في 30 جوان 1962، وقرّرت ما يأتي (هارون، 2003، ص81):

- شجب جميع الأعمال الإجرامية للأعضاء الثلاث لهيئة الأركان العامة.
- تجريد أعضاء هيئة الأركان (العقيد هوارى بومدين، والرائدين منجلي وسليمان) من رتبهم.
- رفض جميع القرارات والأوامر الصادرة عن هؤلاء الضباط الثلاث ومن ينتهي إلى صفهم.

وفي بيان صادر عن هيئة الأركان بتاريخ 2 جويلية 1962 أكدت فيه أن القرارات الصادرة عن الحكومة المؤقتة لاغية، وأكدت أن قرار العزل لهيئة الأركان غير قانوني لأنه صادر عن هيئة ليس من اختصاصها، وأن المؤهل الوحيد القانوني هو المجلس الوطني للثورة، وفي نفس البيان أصدرت هيئة الأركان أمراً لكل الضباط وصف الجنود بأن يتمركزوا في مواقعهم، ولا يطيعوا إلا أوامر قادتهم العسكريين، وأن يتأهبوا للدخول إلى الجزائر وفق وحدات إلى المناطق التي تحددها هيئة الأركان العامة (هارون، 2003، ص83).

يوم الأحد 01 جويلية 1962 انتخب الجزائريون بأغلبية ساحقة واختاروا الاستقلال كما كان متوقعا. وفي اليوم الموالي نشرت نتائج الاستفتاء، ليعلن بعدها الرئيس الفرنسي عن الاستقلال الرسمي للجزائر، لكن - للأسف - إذا كانت الجماهير قد احتفلت في جو الفرح العام بالاستقلال، فإن الإطارات وبعد اطلاعهم على كارثة طرابلس شاركوا - على مضض - جماهيرهم فرحتهم، وكان الملاحظون في الصحافة الدولية وادين بذلك، حيث علّق مراسل صحيفة "نيورك تايمز" على هذه الحالة قائلاً: "بوسع المؤرخين الآن أن يكتبوا كلمة الخاتمة في فصل مأساوي رهيب، لكن إذا كان هذا الفصل قد انتهى، فإن آخر قد بدأ، وقمة المأساة أن تكون الحرب الأهلية هي أول ثمرة الاستقلال" (هارون، 2003، ص85).

وفي نفس الاتجاه علّقت جريدة ألمانية على هذه الوضعية قائلة: "منذ أن أطلقت فرنسا سراح بن بلة بدأت بوادر الصراع من أجل إدارة الأعمال تلوح في الأفق، فالإختلافات في وجهات النظر حول مستقبل الجزائر المستقلة، أضيفت إليها المنافسات بين الأشخاص".

دخلت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى الجزائر يوم 03 جويلية 1962 بعد فتح الحدود، وبتسارع الأحداث وتطورها من السيئ إلى الأسوأ حدث الانقسام الفعلي داخل الوطن بين مجموعتين عُرفت بـ: "مجموعة تلمسان" وانضمت إليها الولايات الأولى والخامسة والسادسة، و"مجموعة الحكومة المؤقتة" وانضمت إليها الولاية الثالثة وقسم من الولاية الثانية (لأن قيادة الولاية الثانية لم تتوحد في اتخاذ القرار، فهناك من كان مع مجموعة تلمسان، وهناك من كان مع الحكومة المؤقتة) والولاية الرابعة الذي كان موقفها في أول الأمر يتسم بالغموض ثم بد ذلك انضمت لمجموعة الحكومة المؤقتة (آيت حمو، 2011، ص148).

وهكذا أدى بقادة الولايات بعد فشلهم في توحيد صفوفهم إلى انقسامهم بين المجموعتين المتصارعتين حول السلطة، فنتج عن هذه الوضعية الانقسامية الخطيرة حادثة الاقتتال بين ولايات الثورة، وبتاريخ 27 أوت 1962 عقد اجتماع في بوسعادة اتخذ فيه قرار

الدخول للعاصمة، أحمد بن بلة ومحمد خيضر والسعيد محمد والحاج محمد بن علا وأعضاء هيئة الأركان العامة، وممثلو الولايات الوفية لمجموعة تلمسان ، وبتاريخ 30 أوت من نفس السنة أعطيت الأوامر لوحدات الولايات الوفية (الولاية الأولى والثانية والخامسة والسادسة)، وقد تحركت تلك الوحدات على ثلاثة محاور:

- محور المسيلة وسيدي عيسى وسور الغزلان وتابلاط والأربعاء ثم الجزائر بقيادة الطاهر الزبيري.

- محور الجلفة وعين وسارة وقصر البخاري والمدينة والبليدة ثم العاصمة بقيادة محمد شعباني.

- محور تلمسان ووهران والشلف ثم العاصمة بقيادة بوحجر بن حدو.

وكانت نتيجة تحرك المحاور الثلاثة والزحف على العاصمة التصادم والافتتال بين قادة الولايات، وقد وصف مصطفى بن النوي، قائد الولاية الأولى بالنيابة خلال الفترة ما بين أبريل 1959 وأبريل 1960، هذه الأحداث قائلاً: "(...) ونتيجة لهذه الوضعية كان طبيعياً أن يقع الاقتتال بين جيوش الولايات، جيش الحدود وجيش الولاية الثانية، جيش الولاية الأولى وجيش الولاية الثانية، جيش الولاية الرابعة وجيش الولاية الخامسة، وهو ما أسفر عن هلاك الكثير من كل الولايات" (ابن النوي، 2003، ص 223).

ورغم كل هذه التصادمات والمواجهات الدامية استطاعت وحدات هيئة أركان جيش التحرير الوطني الدخول إلى العاصمة يوم 09 سبتمبر 1962 واستقر في الثكنات التي تركها الجيش الفرنسي، وفي الأخير حُسم الصراع لصالح مجموعة تلمسان وهيئة أركان جيش التحرير الوطني بدمج وحدات الولايات المتمردة (الثانية والثالثة والرابعة) في الجيش الذي سمي منذ بداية مسيرته "بالجيش الوطني الشعبي".

5. خاتمة:

وأخيراً لا آخراً، ومن خلال ما سبق عرضه ودراسته وتحليله في هذه الورقة البحثية نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن الصراعات والخلافات بين الأمم والشعوب في حياتهم العامة أمراً طبيعياً، أما في قضاياهم السياسية والعسكرية فهو أكثر من طبيعي، نظراً لما يتطلبه هذا الجانب من سرية

وكتمان، ومن حيطة وحذر شديدين، وهوما انطبق تماماً على الثورة الجزائرية التي شهدت عدة أزمات وصراعات داخلية في صفوفها.

- إن تطور الثورة الجزائرية واتساع رقعتها إلى خارج حدودها، فرض عليها تنظيم نفسها وهيكلتها، وذلك بخلق مؤسسات وهيئات تنظيمية تعنى بذلك، فجاء مؤتمرها الأول (مؤتمر الصومام 20 أوت 1956) ليسفر عن ميلاد أول هيئتين أساسيتين للثورة الجزائرية وهما المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ولجنة التنسيق والتنفيذ اللذين قاما بإعادة هيكلة الثورة وتنظيم وحداتها.

- إن مؤتمر الصومام، وبالرغم من أنه مثّل منعطفاً حاسماً في تاريخ الثورة الجزائرية، إذ أن قراراته عملت على تفعيل النشاطين السياسي والعسكري للثورة الجزائرية، إلا أن البعض من هذه القرارات لم تحظ بالإجماع وتعرضت للانتقاد خاصة قراري أولوية الداخل على الخارج والسياسي على العسكري، اللذين عملا على استفحال الصراع وتأزمه بين القيادة الثورية.

- أدى تطور الثورة وتسارعها إلى تطور مؤسساتها وهيئاتها، فبعد النجاح العسكري الذي حققته في الخارج من جراء المعارك والهجمات التي كانت تشنها على الحدود الشرقية والغربية، وهوما أكسبها شهرة وتعاطف كبيرين من طرف بعض الدول الصديقة والشقيقة، فإزاء هذه الوضعية قرّرت القيادة الثورية تأسيس هيئتين تنظيميتين، إحداها سياسية مدنية وهي "الحكومة المؤقتة" للتعريف أكثر بالقضية الجزائرية وزيادة الدعم والتأييد الدوليين، والثانية عسكرية وهي "هيئة الأركان العامة" لتفعيل وتنظيم النشاط العسكري للثورة.

- إن القرارات التي تم اتخاذها في الاجتماع الثالث للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس، والتي كان أهمها: استبدال وزارة القوات المسلحة ب"اللجنة الوزارية للحرب"، إنشاء هيئة الأركان العامة للجيش بقيادة بومدين، مضاعفة العمليات العسكرية على الحدود، نجد أن هذه القرارات كان من المفروض أنها تعطي دفعا قويا للثورة الجزائرية من خلال التنظيمات العسكرية التي أقرتها وربطها بما يجري في الداخل، إلا أن ما حصل عكس ذلك تماماً، إذ لم يحصل توافق وانسجام بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة.

- إن الصراع الحكومة المؤقتة مع هيئة الأركان العامة كان سببه انشغال الطرفين بمصالحهما الشخصية والتسابق نحو السلطة، وانحرافهما عن غايتهم ومهمتهما الأساسية

وهي ضمان الدعم المعنوي والمادي للثورة الجزائرية بالداخل، فكلتا الطرفين المتنازعين نجحا في مهامهما في الخارج، فالحكومة المؤقتة منذ نشأتها عملت على كسب وافتكاك العديد من الاعترافات الدولية بالقضية الجزائرية وذلك بفضل مهامها الدبلوماسية وتنقلاتها الدولية للعديد من الدول وجلب الأموال والسلاح، بينما نجحت هيئة الأركان العامة في تنظيم جيش التحرير على الحدود تنظيماً عسكراً محكماً، لكن هذا في الوقت الذي كانت فيه ولايات الداخل تعاني التضييق والضغط العسكري بسبب انعدام دخول الأسلحة، وهو ما أدى إلى انعدام الثقة بين الداخل والخارج.

- إن الصراع بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان اشتد واستفحل عشية الاستقلال، مما يؤكد رغبة كل الطرف في الاستحواذ على السلطة، وهذا ما نستشفه من خلال زيادة اهتمام الطرفين بالداخل، ونقل صراعهما إليه.

- إن مؤتمر طرابلس المنعقد في الفترة ما بين 27 ماي و07 جوان 1962، وبالرغم من صفته التمثيلية لجميع القيادة الثورية (قيادة الخارج، قيادة الداخل، الزعماء الخمس بعد إطلاق سراحهم)، وبالرغم من أهمية المرحلة التي انعقد فيها، إلا أنه للأسف أظهر وكشف انشقاقاً خطيراً بين الولايات التاريخية وانقسامها إلى قسمين، قسم مؤيد لهيئة الأركان العامة (الولايات: الأولى والخامسة والسادسة)، وقسم مساند للحكومة المؤقتة (الولايات الثانية والثالثة والرابعة والسابعة).

- نتج عن انقسام الولايات إلى مجموعتين متصارعتين حول السلطة حادثة الاقتتال بين ولايات الثورة في صائفة 1962 بعد بداية الزحف على العاصمة من طرف مجموعة تلمسان، فقد فيها الطرفان عدد كبير من الضحايا، ليحسم الأمر في الأخير لصالح مجموعة تلمسان وهي الكتلة الأكثر قوة، إذ أن جيش الحدود كان تعداداه ما يقارب 35 ألف جندي، وهو جيش مجهز تجهيزاً عسكراً وأكثر استعداداً مقارنة بجيش الداخل الذي أنهكته المعارك والحروب.

6. قائمة المراجع:

- آيت حمو، الطاهر، (2011م)، رجال صنعوا التاريخ سلسلة من اللقاءات المسجلة مع مناضلي الحركة الوطنية ومجاهدي ثورة التحرير الكبرى لقاء مع الرئيس بن يوسف بن خدة، الجزائر: دار الخلدونية.

- بوعريوة، عبدالمالك، (2020)، التنسيق والتعاون بين مناطق وولايات الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، سطيف: الماهر للطباعة والنشر.
- تقيّة، محمد، (2010)، الثورة الجزائرية المصدر الرمز المأل، ترجمة عبد السلام عزيزي، الجزائر: دار القصبة للنشر.
- حربي، محمد، (1983م). الجزائر 1954-1962 جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، بيروت: دار الكلمة للنشر.
- بن حمودة، بوعلام، (2012م). الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها الأساسية، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر.
- بن خدة، بن يوسف، (2007). شهادات ومواقف، ط1، الجزائر: دار الأمة.
- دحلب، سعد، (2007). المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، الجزائر: منشورات دحلب.
- زروال، محمد، (2010). إشكالية القيادة في الثورة التحريرية (الولاية الأولى نموذجاً)، الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.
- لحسين، مبروك، (2004)، المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر-القاهرة) 1954-1956، ترجمة الصادق عماري، الجزائر: دار القصبة للنشر.
- لونيبي، رايح، (2000). الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، الجزائر: دار المعرفة.
- مرادة، مصطفى(ابن النوي)، (2003)، مذكرات الرائد مصطفى مرادة "ابن النوي" (القائد بالنيابة للولاية الأولى التاريخية "أوراس النمامشة" من أفريل 1959 إلى أفريل 1960)، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، إعداد وتحرير مسعود فلوسي، الجزائر: دار الهدى.
- مقلاتي، عبدالله، (2012م). المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1954-1962، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- معمري، خالفه، (2007). عبان رمضان، تعريب زينب زخروف، الجزائر: منشورات ثالة.
- صايكي، محمد، (2003)، مذكرات النقيب محمد صايكي، شهادة تائر من قلب الجزائر، تحرير محفوظ اليزيدي، ط2، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

- عثمانى، مسعود، (2012م). الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- عباس، محمد، (2012). دروب الاستقلال فصول من .. ملحمة التحرير، الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.
- قداش، محفوظ، (2011م). وتحررت الجزائر، ترجمة العربي بوينون، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- هارون، علي، (2003). خيبة الانطلاق فتنة صيف الجزائر 1962، ترجمة الصادق عماري وأمال فلاح، مراجعة مصطفى ماضي، الجزائر: دار القصبة للنشر.
- هشماوي، مصطفى، جذور أول نوفمبر في الجزائر، الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

البعد المغربي للثورة الجزائرية: دراسة حول إسهامات مؤتمر طنجة 1958

الداعم للثورة الجزائرية ومشروع الوحدة المغربية

The Maghreb dimension of the Algerian revolution:

A study on the contributions of the Tangier conference of 1958

in support of the Algerian revolution and the Maghreb unity project

د. رملي مخلوف

جامعة خميس مليانة، 4makhlouf@gmail.com

1. مقدمة

خلال الحقبة الاستعمارية التي عاشتها دول المغرب العربي، تمخضت فيها فكرة الوحدة المغربية التي تعود إرهاباتها الأولى حسب عددهم المفكرين إلى أواخر القرن 19. إذ منذ خضوع الأقطار المغربية للهيمنة الاستعمارية أخذ سكانها يشعرون بضرورة التضامن والنضال المشترك ضد الاستعمار ومخططاته الرامية إلى القضاء على لذاتية العربية والإسلامية لشعوب المغرب العربي وتجزئته إلى جماعات متنافرة، وهذا ما جعلهم يعقدون العزم على تحقيق وحدتهم لمقاومة العدو المشترك وإفشال برامجه ومخططاته وإحباط نواياه، ويتجلى ذلك من خلال محاولات توحيد جبهة المقاومة لمكافحة العدو المشترك، فهي وحدة تنبعث من أعماق كفاح الشعوب المغربية في سبيل التحرر والاستقلال.

وقد عرفت المرحلة السابقة لتأسيس اتحاد المغرب العربي سنة 1989 محاولات للعمل المغربي المشترك سواء تعلق الأمر بالفترة السابقة لاستقلال أقطاره حيث تضافرت جهود الكثير من الوطنيين المغاربة لتوحيد المعركة ضد المستعمر أو الفترة اللاحقة أين انتقلت الوحدة من مجرد فكرة إلى فعل جسدهته اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي. حيث ظلت هذه فكرة الاتحاد عالقة في الذاكرة المغربية قبل أن تتفق في لقاء طنجة التاريخي المنعقد بتاريخ 27/30 أبريل 1958، الذي ذهب طروحاته الثورية إلى تصور اتحاد فدرالي للمغرب العربي يتوقف تجسيده على استعادة الجزائر المستعمرة آنذاك لسيادتها مباشرة، ليعرف العمل الوحدوي بعد ذلك أشكال أخرى مثل اللجنة الاستشارية الدائمة عام 1964، ثم الانتقال بعدها إلى صيغ أخرى أخذت شكل مشاريع اندماج اقتصادي في الفترة الواقعة ما بين عام 1967 و1970، ليشهد العمل المغربي في الفترة اللاحقة بروز ركودا فيوتيرته.

بتاريخ 10 جوان 1989 انعقدت قمة زرالدة التاريخية بإعلان قيام الاتحاد المغربي بمدينة مراكش، بحضور قادة البلدان الخمسة للمنطقة: ليبيا، موريتانيا، تونس، الجزائر والمغرب، متفقين على أرضية عمل مشترك موحد.

إن هدف هذه الورقة البحثية، هو إبراز الدور الذي لعبته الحركة الوطنية الجزائرية إلى جانب باقي الحركات الوطنية المغربية في تفعيل الوحدة المغربية التي باتت الفكرة المحورية في مرجعيات تلك الحركات الوطنية، حيث لعبت دوراً في ترسيخ مظاهر التضامن والتعاون بين دول المغرب العربي من خلال مواجهة الاستعمار الفرنسي ومحاولة دعم قضية الاستقلال والتحرر من العدو المشترك. فإلى أي مدى استطاعت الحركات التحررية في بلاد المغرب العربي من تحقيق الوحدة المغربية، وما الدور الذي لعبه مؤتمر طنجة لعام 1958 في تفعيل تلك الوحدة؟

بناء على ما سبق ذكره، يمكن الإجابة على هذه الإشكالية من خلال إتباع المحاور التالية:

- دور الحركات التحررية المغربية في تحقيق الوحدة المغربية
- إسهامات مؤتمر طنجة للثورة الجزائرية ومشروع الوحدة المغربية

2. دور الحركات التحررية المغربية في تحقيق الوحدة المغربية

مع بداية الحركة الاستعمارية في بلاد المغرب العربي، شهدت الأقطار المغربية الثلاثة (تونس، الجزائر والمغرب) درجات متفاوتة في مسألة ظهور مفهوم العمل الوطني وطبيعة القوى الحاملة له، كما أن المضاعفات التي نتجت عن الوجود الاستعماري لم تكن على قدر واحد من العمق والتأثير في المجتمع المغربي، لكن ما هو متفق عليه أن هذه الأقطار الثلاثة قد عرفت تماثلاً فيما يتعلق بالمواقع الاجتماعية للنخب السياسية التي تحملت مسؤولية العمل الوطني وهذا منذ العشرينيات وحتى أواخر الخمسينيات. (المالكي، 1993، ص 247)

كما شهد المغرب العربي ميلاد نخب سياسية قادت العمل السياسي الوطني وصاغت مطالبه وشعاراته، والملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا أن التأكيد الإيديولوجي على مصطلح المغرب العربي قد طبع النشاط السياسي والثقافي والديني والطلابي والنقابي والجمعوي الذي قامت به هذه النخب كما أن هذا النشاط المتعدد الأوجه قد تجاوز الحدود الوطنية ليشمل رقعة المغرب العربي كله.

1.2 تطور العمل الوحدوي قبل الحرب العالمية الثانية

بدأت بوادر العمل الوحدوي تظهر للوجود مع مطلع القرن العشرين، غير أنه وبالرجوع قليلاً إلى الوراء وبالضبط إلى فترة مقاومة "الأمير عبد القادر" نجد أن نشاط هذه الأخيرة قد أخذ بعداً مغاربياً وإن كان ضمناً، حيث دامت هذه المقاومة سبعة عشر سنة استقبلت بالكثير من الحماس الشعبي في دول المغرب العربي حتى وإن لم تلق دعماً عسكرياً أو اسناداً من طرفها.

مع مطلع سنة 1910 انبعثت فكرة وحدة المغرب العربي لدى مجموعة من الشبان التونسيين، وعلى رأسهم الأخوين محمد وعلي باش حمبة حيث اعتبر هذا الأخير أول زعيم فكر في ضرورة توحيد المغرب العربي في ميدان الكفاح والذي لم يبخل لمد المقاومين الجزائريين يد المساعدة واتصاله برجال الحركة في المغرب. (بخوش، 2011، ص 118)

لعل المرة الأولى التي ظهرت فيها كلمة "المغرب" تعبيراً عن مدلول سياسي كان في أعقاب الحرب العالمية الأولى وذلك بصدور مجلة الدفاع عن حقوق شعوب المغرب العربي باسم "المغرب" التي كانت تصدرها اللجنة التونسية- الجزائرية بسويسرا بزعامة "علي باش حامبة"، ومن أهم ما قامت به هذه اللجنة تقديمها لعريضة في مؤتمر الصلح سنة 1918 تطالب فيها بحقوق الشعوب المغربية المتمثلة في حق تقرير المصير. (مانع، 2004، ص 15)

أثناء الحرب العالمية الأولى، تضافر جهود الوطنيين بالداخل مع بعض العناصر المتواجدة بالشرق وأوروبا خاصة من نفthem السلطات الاستعمارية، فأنشئوا جمعيات ونواد، كما أسسوا لجان مغربية وأصدروا مجلة "المغرب" سنة 1916، وشاركوا في مؤتمرات دولية طالبوا فيها باستقلال دول المغرب العربي. غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى من ناحية، ومضايقة السلطات الاستعمارية لهم من ناحية أخرى أضعفت العمل الوحدوي بالداخل ودفعتهم إلى نقل نشاطهم إلى باريس، وهناك انبعثت الفكرة من جديد وسجلت في برامج العديد من الجمعيات خاصة نجم شمال إفريقيا وجمعية طلبة شمال إفريقيا. (بخوش، ص 115)

بلور نجم شمال إفريقيا الذي تأسس سنة 1923 فكرة الوحدة بين الأقطار المغربية ونشرها في أوساط المهاجرين، وعزم على إقناع جميع المغاربة بهامن خلال صحافته ومؤسساته ونداءاته. حيث مثل واقع الهجرة لحظة ملائمة للجاليات الجزائرية والتونسية والمغربية في الاحتكاك والوحدة، فانعقد في أواخر 1924 اجتماع في باريس لتدارس أوضاع الأقطار المغربية،

خلص المؤتمرون فيه بالتنديد بالاستعمار والدعوة إلى التنسيق والتضامن، (سعد الله، 1998، ص 489) كما رعا حزب "نجم شمال إفريقيا" المتواجد في فرنسا "جمعية الطلبة المسلمين" بشمال إفريقيا منذ عام 1927 وهي جمعية تهدف إلى تعزيز جسور الصداقة والتضامن بين الطلاب المغاربة ورعاية مختلف شؤونهم بالمهجر، و بفضل نشاط هذه الجمعية السياسي الثقافي تعارف طلاب الشمال الإفريقي وتعاهدوا على العمل المشترك في مواجهة الاستعمار وقد نقلت نشاطها إلى أقطار المغرب العربي من خلال تنظيمها لمؤتمرات سنوية تعالج مختلف قضايا المغرب العربي وكان لها دور رائد في توجيهها لنضال وطني وفق منطق ومبادئ نجم شمال إفريقيا. (مقلاتي، 2008، ص 29)

وإذا كان الفضل يعود إلى نجم شمال إفريقيا في بلورة الفكرة الوجدية والافراد بمبادرة المطالبة بالاستقلال التام للدول الثلاث، فإن هناك من يرى أن الفضل الأكبر يعود إلى جمعية طلبة شمال إفريقيا، بحث لم يكن نشاط هذه الجمعيات متمركزاً بالمهجر فقط بل انتقل إلى منطقة المغرب العربي نفسها، ومثاله جمعية "شباب شمال إفريقيا" التي ظهرت بتونس سنة 1936 والتي كان من ضمن شروط الالتحاق بها الاعتراف بوحدة شمال إفريقيا و بأن شمال إفريقيا واحد لا يقبل التجزئة وأنها وطن واحد يجب على أبنائه تكوين جبهة واحدة للدفاع عنه. (بخوش، ص 120)

منذ نهاية عام 1942، أنشأ المناضلون التونسيون في برلين مكتب للمغرب العربي بالتعاون مع أمين الحسيني وقام بنشاط إعلامي ودعائي واسع هدف منه إلى "استقلال المغرب العربي ووحدة في نطاق الوحدة العربية"، حيث أشرف هذا المكتب على تجنيد الجنود المغاربة في ألمانيا وإصدار جريدة المغرب العربي وتنقل مناضليه بين العواصم الأوروبية لنشر أفكارهم واستقروا مدة في باريس لتأطير الجالية المغربية هناك وتوعيتها بأهمية الوحدة وانتهاز الدعم الألماني لتحرير المغرب العربي، وما لبث أن أنشأت بباريس فرعا لمكتب المغرب العربي غير أن انهزام ألمانيا وضع حدا لتلك الآمال العريضة. وقد اضطر الرشيد إدريس ولحبيب ثامر ورفاقهم للجوء إلى اسبانيا بين أوت 1944 وجوان 1946، هو تاريخ انتقالهم إلى القاهرة لمواصلة نضالهم من أجل مشروع تحرير ووحدة المغرب العربي. (مقلاتي، ص 44)

2.2 تطور العمل الوجدوي بعد الحرب العالمية الثانية

سمحت ظروف الحرب العالمية الثانية بتبلور توجهات ثورية ورسم خطط منسقة بين الجزائريين والتونسيين والمغربيين للثورة على فرنسا وجرت عدة اتصالات بين قادة الحركات

الوطنية في أوروبا والقاهرة، أكدت على أهمية التنسيق السياسي واستغلال جميع الفرص للضغط على فرنسا، وقد أدى تصلب الاستعمار في مواجهة الحركات الوطنية في الأقطار الثلاث إلى بروز قوة ثورية أصبح لها وزنها على حساب القيادات التقليدية، خاصة وقد أكدت مأساة الثامن ماي 1945 بالجزائر وسياسة الإصلاح والانتخابات المزورة في (تونس والمغرب) أن الاستعمار لا يمكن دحره إلا بقوة السلاح. (الميلي، 1983، ص 21)

وقد انتقل العمل الوحدوي للحركة الوطنية من مستوى الشعارات إلى مستوى أكثر جدية تجسد في إقامة هياكل بمثابة أجهزة للتنسيق المشترك بين الحركة الوطنية المغربية أنيط بها العمل والنضال الوحدوي، يمكن ذكرها كالآتي: (بخوش، ص 121)

أ. مؤتمر المغرب العربي: خرج التضامن المغربي من مرحلة التعاطف إلى مرحلة التنظيم الهيكلي بفضل مساعي التنسيق والتوحيد التي بذلها مناضلو المغرب العربي، إذ عقدوا في الفترة ما بين 15 و 22 فيفري 1947 مؤتمر المغرب العربي برعاية من الجامعة العربية وبحضور ممثلون من الأحزاب الرئيسية في الأقطار الثلاثة (حزب الشعب الجزائري، الحزب الدستوري الجديد، حزب الاستقلال المغربي)، وكان هدف المؤتمر الأساسي هو المطالبة باستقلال الأقطار الثلاثة وبحث سبل التنسيق الواجب إرسالها لتحرير أقطار المغرب العربي وتوحيده، وأقر المؤتمر إنشاء "مكتب المغرب العربي. وأوصى في مرحلة تالية تشكيل لجنة تحرير عملية، وقرر بخصوص قضية الاستعمار ومسألة التنسيق المشترك مايلي:

1- إدانة الاستعمار وإعلان بطلان معاهدة الحماية المفروضة على تونس ومراكش وعدم الاعتراف بأي حق لفرنس في الجزائر وبالتالي المطالبة بإعلان الاستقلال ولاء القوات الأجنبية من كامل بلاد المغرب العربي ورفض الانضمام للاتحاد الفرنسي بأي شكل من الأشكال وتعزيز الكفاح لتحقيق الأهداف المرجوة.

2- إقرار صيغة دقيقة ومتقدمة للتنسيق والعمل المشترك بين الحركات الوطنية المغربية الثلاث على ضرورة الاتفاق بين الأحزاب الوطنية داخل كل قطر وإحكام الروابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة وتأكيدا على ذلك أوصى المؤتمر مايلي: (بخوش، ص

(122)

- الاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال التام والجلء.

- تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك.

- العمل على توحيد المنظمات العمالية والاجتماعية والاقتصادية في الأقطار الثلاثة وتوجيهها
توجيها قوميا.

- ضرورة وقوف الأقطار الثلاثة جبهة واحدة عند حدوث الأزمات في أي قطر منها.

وقد اجتهد مناضلو حزب الشعب المنحل في إرساء ميثاق تحالف جمع بين الأحزاب
الوطنية الثلاث حزب الشعب الجزائري، الحزب الدستوري الحر التونسي وحزب الاستقلال
المغربي، ونص على إقامة جبهة موحدة ضد الاستعمار وأخذ هذا التوافق الضمني صبغته
الرسمية بإنشاء مكتب المغرب العربي عام 1947 ولجنة تحرير المغرب العربي عام 1948.

ب. مكتب المغرب العربي: تأسس في 22 فبراير 1947 بغرض النضال لتوحيد المغرب العربي،
وجاءت فكرة إنشائه كرد فعل على الفكرة التي روجتها فرنسا آنذاك والقاضية بتكوين اتحاد
فرنسي يضم إليه مستعمرات فرنسا ومنها بلدان المغرب العربي إضافة إلى تحرير المجاهد عبد
الكريم الخطابي، ويتمحور عمل مكتب المغرب العربي حول قضية واحدة مصيرية، وهي
استقلال كل من دول المنطقة.

ج. لجنة تحرير المغرب العربي: تأسست اللجنة في 5 يناير 1948 من طرف الأحزاب الوطنية
المغربية الثلاثة، وأسندت رئاستها إلى المناضل عبد الكريم الخطابي الذي دفع بالكثير من
المناضلين للالتفاف حوله ومطالبته بإخراج فكرة توحيد المغرب العربي إلى الوجود. حيث كان
من الأهداف الرئيسية لتلك اللجنة هو خلق ائتلاف من الأحزاب الاستقلالية قصد مواصلة
الكفاح في جبهة واحدة.(بخوش، ص 123)

مع مطلع الخمسينيات، بدأ نشاط كل من المكتب واللجنة يعرف نوعاً من الفتور
والتراجع لأن النضال السياسي أخذ طابع العمل العسكري فتكونت بالتعاقب جيوش التحرير
المغربية، حيث تكون في الجزائر سنة 1954 جيش التحرير الوطني، وفي تونس تكون جيش
التحرير التونسي سنة 1955 تزامناً مع ميلاد جيش التحرير في المغرب. (مانع، ص 17) فقد
اقتصر هدف هذه الحركات التحررية على دعم ومناصرة قضيتها العادلة المتمثلة في الاستقلال
من خلال إنهاء الهيمنة الاستعمارية في أقطارها المغربية الثلاثة. قد زاد التراجع عن العمل
الوحدوي أكثر مع استقلال كل من تونس والمغرب سنة 1956.

في ظل استقلال بلدان المغرب العربي تطورت الثورة الجزائرية بصورة غير متوقعة
وصمدت في وجه السياسة الفرنسية، وأدت إلى خلق امتدادات متشعبة وانعكاسات كبرى على

أوضاع هذه البلدان الداخلية والخارجية ولاسيما في علاقتها مع فرنسا، الأمر الذي جعلها تعايش الثورة الجزائرية وتؤكد اهتمامها التضامني بالقضية الجزائرية، وبشكل أوضح للسلطات الفرنسية أنه لا يمكن الحفاظ على الجزائر مستعمرة بين شقيقتين مستقلتين. (مقلائي، ص 2)

إن الثورة الجزائرية استثمرت التضامن الشعبي والرسمي المغربي لخدمة إستراتيجية وحدة وجهة النضال بدل وحدة جبهته التي لم تعد مطروحة وهي تدخل عامها الرابع، وجندت معها مختلف الفعاليات والطاقات لتوفير الدعم السياسي والعسكري، فكان مؤتمر طنجة سانحة مهمة لجدولة مطامحها وأهدافها المغربية، وقد مثل بحق محاولة جادة لتفعيل التضامن المغربي وتثمين العلاقات المغربية، خاصة من خلال القرارات التاريخية التي تبناها في مجال دعم الثورة الجزائرية ووحدة المغرب العربي. (مقلائي، ص 503)

3. إسهامات مؤتمر طنجة للثورة الجزائرية ومشروع الوحدة المغربية

لقد وجدت المنطقة المغربية نفسها تواجه منذ عام 1958 مخاطر وتحديات كبرى، فالقوات الفرنسية ترفض الجلاء عن تونس والمغرب بعد استقلالها عام 1956 من جهة وتواصل سياستها الاضطهادية في الجزائر من جهة ثانية، وقد ذكرت هذه التحديات المغربية بضرورة وحدتهم، فبادرت أحزاب الحركات الوطنية إلى عقد مؤتمر طنجة لتنسيق سياساتها وإعلان وحدتها والتأكيد على أن الاستعمار سيواجه منذ الآن كتلة واحدة متضامنة، وهكذا وجهت قرارات طنجة العلاقات المغربية باتجاه الوحدة والتضامن ودعم الثورة الجزائرية عسكريا وسياسيا وعلى المستويين الشعبي والرسمي. (مقلائي، ص 2)

3.1 ظروف انعقاد مؤتمر طنجة

إذا كانت فكرة المغرب العربي قد سايرت الكفاح الوطني لشعوب شمال إفريقيا مع مطلع القرن 20، فإن ميلادها الرسمي لم يتم إلا في مؤتمر طنجة المنعقد في الفترة ما بين 27-30 أبريل سنة 1958، الذي ضم جبهة التحرير الوطني الجزائري وحزب الدستور الجديد التونسي وحزب الاستقلال المغربي. (مانع، ص 18)

تضاربت الآراء حول فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر يجمع كل من تونس والمغرب الأقصى وكذا جبهة التحرير الوطني، في وقت كانت فيها ظروف وأهداف هذه الأطراف متباينة مرة ومتشابهة مرة أخرى.

قبل تحليل برنامج عمل المؤتمر والتوصيات التي خرج بها، لا بد من دراسة الظروف العامة التي أحاطت بعقده. حيث أن المؤتمر ظهر في ظرف ميزته المستجدات التي ميزت الساحة الدولية عامة والعربية خاصة، نذكر منها: (بخوش، ص 128)

- اتفاقية روما المنشئة للمجموعة الأوروبية وما تحمله من إمكانية مساعدة فرنسا.
- الوحدة المصرية- السورية وانتشار المد الناصري خلق نوعاً من التخوف لدى بعض الزعماء المغاربة الذين رأوا في تلك التجربة محاولة احتواء حركة التحرر الوطني الجزائري.
- الخلاف المغربي- التونسي مع الجامعة العربية.
- تصاعد انتصارات الثورة الجزائرية بعد مؤتمر الصومام 1956
- الدعوة إلى قيام وحدة من الخليج إلى المحيط بقيادة مصر الناصرية.

بالعودة إلى الإرهاصات الأولى لهذا المؤتمر فإنها تعود إلى شهر ماي 1949، حيث سعت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (الجزائرية) لعقد لقاء ثلاثي في طنجة تغيب عنه الحزب الدستوري التونسي وحضره محمد خيضر وشرشالي الذين ناقشا قادة حزب الاستقلال وعلى رأسهم علال الفاسي جدول أعمال المؤتمر الذي تضمن قضايا حرب الاستقلال في الجزائر، وتصفية الاستعمار الغربي في المغرب العربي ووحدة المغرب العربي. (العروي، 1975، ص 12)

لقد مثل مؤتمر طنجة المنعقد في أبريل 1958 حدثاً مهماً في تاريخ الثورة الجزائرية ومحطة حاسمة في مشروع وحدة المغرب العربي، فقد أقرت خلاله الأحزاب المغربية الرئيسية خطة مشتركة للتضامن مع الجزائر ولبناء وحدة مغربية، حيث اجتمعت وفود الأحزاب المغربية الثلاث (حزب الاستقلال، الحزب الدستوري الحر، جبهة التحرير الوطني) في طنجة يوم 27 أبريل 1958، وتدارست خلال أربع أيام كاملة قضايا استكمال تحرير المغرب العربي وتوحيده. (مقلاتي، ص 387)

انطلقت أشغال المؤتمر يوم 27 أبريل 1958، واستمرت طيلة أربعة أيام "بقصر المارشان الملكي"، بمدينة طنجة المغربية تحت رئاسة علال الفاسي، وجمعت إلى جانب حزب الاستقلال المغربي وحزب الدستور الجديد التونسي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية. وقد بلغ عد أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر حوالي 19 عضواً، وقائمة الوفد الجزائري الرسمية المشاركة في المؤتمر: فرحات عباس، عبد الحفيظ بوصوف، عبد الحميد مهري، الدكتور أحمد فرنسيس، أمحمد بومنجل، ملود قايد. (العايب، 2021، ص 119)

- وعكس جدول أعمال المؤتمر محاور اهتمام القيادات المغاربية، إذحدد المؤتمر بعد
جلستين تمهيديتين في الرباط المحاور الآتية: (مقلاتي، ص 388)
- حرب الاستقلال الدائرة رحاها بالجزائر،
 - تصفية قواعد الاستعمار بالمغرب العربي،
 - وحدة المغرب العربي: شكلها وقواعدها والمرحلة الانتقالية لهذه الوحدة،
 - إنشاء منظمة دائمة لتنفيذ قرارات المؤتمر.

2.3 نتائج مؤتمر طنجة وتداعياته

شكل مؤتمر طنجة محطة هامة في تاريخ الكفاح المغاربي وتجربة تاريخية كانت لها
تداعيات ليس فقط على ظرفه الراهن بل تجاوزت ذلك وحاولت التأسيس لفكر وحدوي يهتم
بمستقبل المنطقة من خلال تقديم مقاربات ورؤى مستقبلية مشتركة تعمل على لم شمل
شعوب المنطقة، ولعل هذا ما جعل الكثير من الدارسات التاريخية العامة منها والمتخصصة
تعتبر مؤتمر طنجة تجربة ناجحة في مسار وحدة المغرب العربي واعتبرها مرجعا تاريخيا مهما
لذلك. (ودوع، 2021، ص 478)

إن جل خطابات ممثلي الوفود المشاركة في هذا المؤتمر أعطت أهمية لمطلب استكمال
وحدة المغرب العربي والتركيز على استقلال الجزائر ومحاربة الاستعمار.

أ. على مستوى الثورة الجزائرية: عقب قصف قرية ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري
1958، والذي اعتبرته السلطات التونسية بأنه ليس انتقاما من الشعب التونسي لاحتضانه
الثورة الجزائرية فقط، ولكن أيضا لضرب مساعي الوساطة بالضغط على السلطات
الفرنسية لحل القضية الجزائرية التي كان يقوم بها الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة آنذاك،
وشاركة في المهمة الملك المغربي، ولكن مساعيهم باءت بالفشل، ولهذا طرحت فكرة عقد مؤتمر
طنجة كمحاولة لتعويض ذلك الفشل.

اعتبرت الدعوة إلى عقد مؤتمر طنجة مظهر من مظاهر الوساطة لحل القضية
الجزائرية، فقد أولت المغرب اهتماما بهذا المؤتمر لأنه يعكس العلاقات الأخوية بين البلدين
المغرب والجزائر وهذا ما صرح به الملك المغربي الذي دعا إلى ضرورة إيجاد حل عاجل وسلمي
وسياسي للقضية الجزائرية كما دعا إلى العمل من أجل وحدة المغرب العربي، وذلك من خلال
إنشاء رابطة بين هذه الأقطار المغاربية. (ودوع، ص 483)

ناقش المؤتمر النقطة الأولى من جدول الأعمال والمتعلق بحرب التحرير الجزائرية، حيث قدم الوفد الجزائري عرضاً عن حالة الثورة في الجزائر ووضعيتها ممثلها على المستوى المغربي والدولي، كما اقترح الجزائريون مطالباً عملية لتنفيذها من أجل الوصول إلى تحقيق الاستقلال.

في هذا الصدد، ألقى عبد الحميد مهري في تدخله على التأكيد بأن الثورة الجزائرية هي معركة مشتركة بين جميع أقطار المغرب العربي، رغم أن مسرح أحداثها يجري قطراً واحداً منها. كما عبر أحمد بلفريج عن حزب الاستقلال المغربي في تدخله بأن كل من المغرب وتونس يسعيان إلى البحث عن حل للقضية الجزائرية يرضى بها الشعب الجزائري. (برنو، 2021، ص 198)

عالج المؤتمر أيضاً مسألة الدعم المالي والعسكري لفرنسا من طرف من بعض الدول الغربية ومن حلف شمال الأطلسي في حربها الاستعمارية في الجزائر، واعتبرت الوفود المشاركة في المؤتمر هذه المسألة بمثابة تهديد للسلام العالمي، حيث وجه المؤتمر بهذا الخصوص نداءً إلى هذه القوى كي تكف عن مساعدتها لفرنسا.

أيضاً عالج المؤتمر مسألة تصفية بقايا الاستعمار من المغرب العربي، واستنكر وجود قوات أجنبية فوق تراب الدول المغربية الأمر الذي يتنافى وسيادة هذين البلدين المستقلين، كما طالبوا بإلحاح بأن تكف فرنسا حالاً عن استعمال الأراضي التونسية والمغربية، كقاعدة للعدوان على الشعب الجزائري. (برنو، ص 194)

استمرار الحرب حتى استقلال الجزائر والمطالبة بتأسيس حكومة جزائرية، وإدانة كل إشكال الدعم الغربي للسياسة الفرنسية بالجزائر، كل ذلك كانت مكاسب مهمة بالنسبة للثورة الجزائرية، وتمكنت جهة التحرير التي كانت دعيت في آخر الأمر لحضور المؤتمر إلى طرف أساسي ومهم فيه.

ب. على المستوى الوحدة المغربية: يمثل مؤتمر طنجة مرحلة النضج لمشروع الوحدة، حيث خرج بقرارات اعتبرت أرضية لمستقبل المغربي العربي وإن تضارب مصالح الأطراف الثلاثة فيه، إذ مبدأ الفكرة للمؤتمر هو عقد مؤتمر يجمع الحزبين التونسي والمغربي، وتعززت الفكرة عند عقد مؤتمر للشبيبة برعاية هذين الحزبين، وخلال مؤتمر الشبيبة المغربية والتونسية بالرباط، طرحت القضية الجزائرية للمناقشة، وبرزت فكرة مشاركة جهة التحرير الوطني في مشروع

اتحاد شعوب المغرب العربي. ولعل إجابة الجهة كانت غير مباشرة ودون علمها بالمشروع المغربي التونسي. (برنو، ص 195)

لقد أعطى المؤتمر مضمونا واضحا لفكرة المغرب العربي، حيث لم تعد مجرد تنسيق الأعمال، بل أصبحت تعني العمل من أجل قيام وحدة فيدرالية بين الأقطار الثلاثة باعتبارها الشكل الأكثر ملائمة في الواقع لهذه الأقطار. وقد رسم فيه الزعماء المغاربة الخطوط الأساسية لهذه الوحدة المغربية، حيث قرر مؤتمر طنجة إقامة المؤسسات المشتركة الفيدرالية وهي: مجلس استشاري للمغرب العربي منبثق عن المجالس الوطنية المحلية، أمانة عامة للمغرب العربي. (مانع، ص 18)

كانت الفترة التي تلت مؤتمر طنجة، بداية للتقارب المغربي التي شهدت فيها تأسيس اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي، والتي ضمت خمس مؤسسات اقتصادية وخدماتية. وعقدت سبعة لقاءات لوزراء اقتصاد دول المغرب العربي تمخض عنها العديد من الاتفاقيات والدراسات القطاعية المهمة.

ففي 23 نوفمبر 1967، تم انعقاد ندوة بتونس من أجل ضبط مرحلة تجريبية لمدة خمس سنوات مقرونة بإعداد اتفاقية ما بين الحكومات للتعاون الاقتصادي. وفي العام 1970، تمت بالرباط تقديم مشاريع ندوة تونس التي أثرت حولها مجموعة من الاعتراضات الفنية مثل مراقبة رأسمال وهيكل الإنتاج، لذلك تقرر إعادة النظر في تلك المشاريع.

تم عرض في 21 ماي 1975، اتفاقية التعاون الاقتصادي ما بين حكومات الدول المغربية بإشراف اللجنة الاستشارية لكنها فشلت للمرة الثانية، مما أدى إلى العودة للتعاون القطاعي بعدما تعثر مسعى التعاون الاقتصادي في كامل مجالاته لعدم التوصل إلى وفاق نحو صيغة هذا التعاون.

وقد أكدت تجارب التنمية الوطنية منذ منتصف السبعينات كما في السابق، بعجزها وفشلها في تحقيق ما هو مطلوب. فقد ظلت دول المغرب العربي عدا ليبيا تعاني من أزمات اقتصادية واجتماعية حادة في بعض الأحيان، وعجزاً متواصلاً في ميزان المبادلات التجارية مع الخارج وخاصة في الأمن الغذائي. (محمد علي داهش، ص 12) دون أن ننسى ملف الصحراء الغربية الذي وضع حداً لجهود ذلك التقارب، والذي نتج عنه قيام سياسات منفردة في التنمية الوطنية وفي التعامل الخارجي مع المجموعة الاقتصادية الأوروبية.

4. خاتمة

الصورة الموجزة المقدمة عن العمل النضالي المشترك في فترة الاحتلال الفرنسي تؤكد أن مشروع التضامن والوحدة كان حلما يجمع المغاربة، وأن الحركات النضالية والسياسية اهتمت ببعدها الوحدة والتضامن. وقد حرصت الحركة الثورية الجزائرية على تجسيد وحدة الكفاح المسلح ضد العدو المشترك واعتبرت أن ذلك وحده يعزز القضية الجزائرية ويكفل التحرير الشامل، حيث أملت الثورة الجزائرية الكثير بتحويلها على مشروع مغربة الحرب كخيار استراتيجي لتحرير المغرب العربي وتوحيده وهو ما تم تحقيقه في مؤتمر طنجة التاريخي لعام 1958.

غير أن قرارات مؤتمر طنجة قد أزعج السلطات الفرنسية التي أبدت قلقها خصوصا مسألة تأسيس حكومة جزائرية، كما اعتبرت هذا المؤتمر خيارا مأسويا للعلاقات الفرنسية وشمال إفريقيا معتبرة قراراته بمثابة مؤشر حقيقي للقطيعة بين فرنسا ومنطقة المغرب العربي.

أما من ناحية السعي لتأسيس وحدة مغربية، فيمكن القول بأن بلدان المغرب العربي قد حققت في 1989 تطورا ايجابيا ملموسا على درب العمل التكاملي، بإعلانها عن إنشاء اتحاد المغرب العربي وفق معاهدة مراكش، غير أن حصيلة هذه السنوات كانت ضعيفة جد ولم تحقق طموحاته، إذ لا يمكن لأي باحث لهذه التجربة أن ينكر عليها التعثر والجمود. وعلى الرغم من ذلك فإن معظم دول الاتحاد لازالت تحت في كل مناسبة على ضرورة الدفع به قدما لما قد يعود به من فائدة على شعوب المنطقة.

وبالتالي، التكامل المغربي كان ولا يزال رهينا لتقلبات السياسية وعدم وضوح الخيارات الإستراتيجية والسياسية لهذه الدول، إضافة إلى الهاجس الأمني القطري واختلاف طبيعة الأنظمة السياسية وطبيعة العلاقات بينها.

5. قائمة المراجع

- سعد الله أبو القاسم، (1998)، التاريخ الثقافي للجزائر، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت
- مانع جمال عبد الناصر، (2004)، اتحاد المغرب العربي: دراسة قانونية سياسية، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
- صبيحة بخوش، (2011)، اتحاد المغرب العربي بين دوافع التكامل الاقتصادي والمعوقات السياسية (1989 - 2007)، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن.

- محمد الميلي، (1983)، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، الطبعة 1، دار الكلمة للنشر، بيروت.
- محمد علي داهش، (2004)، اتحاد المغرب العربي ومشكلة الأمن المغربي: الواقع ومتطلبات المستقبل، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي.
- أمحمد مالكي، (1993)، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، الطبعة الأولى، بيروت.
- عبدالله مقلاتي، (2008)، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، - أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، فسنطينة.
- توفيق برنو، (2021)، مؤتمر طنجة 27-30 أبريل 1958 والقضية الجزائرية: من وحدة المصير إلى تضارب المصالح، مجلة متون، المجلد 14، العدد 3، (ص 193-216).
- معمر العايب، قراءة في محاضر جلسات مؤتمر طنجة 27-30 أبريل 1958: واقعية الطرح الجزائري في بناء الاتحاد المغربي، مجلة المصادر، العدد 18، (ص 115-152)
- محمد ودوع، (2021)، مؤتمر طنجة 27-30 أبريل 1958: عوامل النجاح وأسباب الفشل، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 2، (ص 477-498)
- عبد الله العروي، (1975)، المغرب العربي نظرة مستقبلية، مجلة قضايا عربية، مطبعة المتوسط، العدد 10.

مقارنة بين الثورة الجزائرية وثورة الملك والشعب 1954-1956م (أوجه التشابه والاختلاف)

A comparison between the Algerian revolution and the revolution of the king
and the people 1954-1956 (similarities and differences).

بودالي محمد¹، بن جارة بن داود²

¹ جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، boudalimohmed14@yahoo.com

² جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، Bendjara82@gmail.com

1. مقدمة :

تُعد الثورة والمقاومة ضد الإستعمار طبيعة فطرية عاشتها كامل الشعوب التي خضعت لنير الإستعمار ومنها الشعبين الجزائري والمغربي على حدّ السواء، وشكلت عنصراً بارزاً وركيزة أساسية من ركائز الهوية التاريخية والوطنية للبلدين الجارين وقد حظي موضوع ثورة الملك والشعب في المغرب الأقصى وثورة التحرير الجزائرية بالإهتمام والدراسة من خلال الكتابات التاريخية المغربية والجزائرية وفي هذا الصدد سيكون موضوع مداخلتنا مقارنة بين الثورة الجزائرية وثورة الملك والشعب 1954-1956م (أوجه التشابه والإختلاف)

2. مفهوم الثورة لغةً وإصطلاحاً:

كلمة ثورة مشتقة لغوياً من الفعل ثار يثور، جمعها ثورات وفي اللغة العربية فسروها بالهيجان أو هي مؤنث الثور وغالبا ما تعني الغضب والهيجان، وتعني الثورة في اللغات الأوروبية كالفرنسية والإنجليزية العودة إلى الذات (فغور، 2017، ص. 39).

أمّا اصطلاحاً فهي تغيير جذري في ميدان من الميادين وانقطاع مباغت وعنيف في الإستمرارية وكثيراً ما تقترن لفظة ثورة بالتجديد مثل (الثورة الثقافية، الثورة الصناعية) ومن أشهر ثورات العالم الثورة الأمريكية 1776م، الثورة الفرنسية 1789م، وثورات التحرّر الوطني ضدّ المستعمر كالثورة الجزائرية (1954-1962) (فغور، 2017، ص. 40) وثورة الملك والشعب المغربية (1953-1956).

3. مفهوم ثورة الملك والشعب أو المقاومة:

أُختير لـ 20 أوت 1953 إسمًا تمثّل في ثورة الملك والشعب بتشاور مع علّال الفاسي⁽¹⁾ في أوت 1956 والتي كانت مشتركة ومنسقة حينها رفض الملك محمد الخامس التنازل عن مُلكه لا

محبةً فيه ولكن دفاعاً عن حقِّ الشعب وكانت إستجابةً لنداء علّال الفاسي من القاهرة (الدويري، 1989، ص.ص. 69-70).

أمّا المقاومة أو حركة الفداء فقد ظهرت في المغرب الأقصى بعد زيارة الملك محمد الخامس لطنجة في أفريل 1947م وما سبق هذه الزيارة من مجازر ارتكبتها سلطات الحماية الفرنسية لعرقلة هذه الزيارة، ومنذ هذا التاريخ فكر المغريون في العمل المسلح وتجسد هذا في تأسيس لجنة التزيين التي كانت تزين المدن بالرايات المغربية في الأعياد الوطنية والتي بدورها أسست خلية القانون المحروق⁽²⁾ وتلا هذه الخلية إنشاء خلية المتطوعين⁽³⁾ (المقاومة) والمنظمة السريّة والعديد من المنظمات مثل اليد السوداء⁽⁴⁾ أبطال التحرير... الهلال الأسود⁽⁵⁾ منظمة أسد التحرير (رزوق، 1997، ص. ص. 301-303).

4. أسباب إندلاع ثورة الملك والشعب المغربية والثورة الجزائرية:

1.4. أسباب ثورة الملك والشعب المغربية:

سعت إدارة الحماية إلى عزل محمد الخامس منذ عهد المقيم العام ألفونس جوان "Alphonse juin" (1947-1951) عام 1951م، لكن انحناء الملك للعاصفة بتوقيعه للظواهر (غلاب، 2000، ص. 13)، حال دون ذلك إلى أن نجح المقيم أوغستين غيوم "Augustin Guillaume" (1951-1954) إلى عزله بالتعاون مع القوى التقليدية التي على رأسها باشا مراكش التهامي الجلاوي⁽⁶⁾ وشيخ الطريقة الكتانية عبد الحي الكتاني⁽⁷⁾ بعد أحداث يطول سردها تم نفي الملك وأفراد عائلته إذ وصف المفكر الجزائري مالك بن نبي كيفية نفي الملك محمد الخامس "إنّ محمد الخامس فارق أهله وقصره وشعبه ووطنه في لباس النوم (بيجاما) ولم يستطع ستره إلا بجلابة تقليدية" (بن نبي، 1998، ص. 55) ونُقِل محمد الخامس وأفراد عائلته في طائرة بدون تدفئة متجهة إلى أجاكسيو "Ajaccio" عاصمة جزيرة كورسيكا "Corse" بالبحر المتوسط. (القباج، 2014، ص. 122).

اعتبر الكثير من قادة المقاومة 20 أوت 1953م يوماً مشؤوماً من أمثال المقاوم زين العابدين الحبيب بلعباس العلوي، لأنّ سلطات الحماية الفرنسية نفت الملك وأسرته وكان هذا بمثابة الشرارة التي أوقدت مشعل المقاومة في بعض المناطق المغربية (علوي، 2010، ص. 33)، وتجمع الكتابات الأوروبية مثل سيرج لاديسلاف "Serge Ladislav"، ستفان برنار "Stéphane Bernard"، أندري آدم "André Adam" بأنّ انطلاق وبداية العمليات الإرهابية (الثورة) تزامنت مع نفي الملك محمد الخامس (Zade, 2006, p. 137)

2.4. أهم أسباب اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954:

تطارفت مجموعة من الأسباب التي أدت إلى إندلاع الثورة التحريرية الجزائرية أهمها:

1.2.4. أسباب دولية:

- الانفراج الدولي بعد وفاة ستالين (التعايش السلمي) في مارس 1953م.
- انهزام فرنسا في معركة ديان بيان فو "Dien Bien Phu" في 07 ماي 1954م بالهند الصينية (عباس، 2009، ص. 106).

2.2.4. أسباب إقليمية:

- نجاح ثورة جويلية 1952م ضد الإنجليز بمصر ودعمها لحركات التحرر خاصة الثورة الجزائرية.

- إندلاع الثورة ضد الاستعمار الفرنسي في كل من تونس والمغرب.

3.2.4. أسباب محلية:

- مجازر 08 ماي 1945م التي أثبتت أن الحرية تُؤخذ ولا تُعطى.
- تصدع الحركة الوطنية خاصة التيار الاستقلالي المتمثل في حركة الانتصار (مقلاتي، 2012، ص.ص. 09-10).

4.2.4. السبب المباشر:

دخل حزب حركة إنتصار للحريات الديمقراطية في صراع بين مصالي الحاج الذي طالب بحصوله على السلطة المطلقة مدى الحياة من جهة واللجنة المركزية التي اعتبرت مطلبه ضرب من الخيال وغير ديموقراطي ورفضته من جهة ثانية، ما أدّى إلى ظهور تيار ثالث تجاوز أطروحة المصاليين والمركزيين على حدّ السواء وركز إهتمامه نحو العمل الثوري المسلح فأسس اللجنة الثورية للوحدة والعمل نواة جبهة التحرير الوطني (شبوط، 2013، ص. 9).

5. أوجه التشابه والإختلاف بين الثورتين:

1.5. نقاط الإختلاف:

هناك العديد من أوجه الإختلاف بين الثورتين (ثورة الملك والشعب - الثورة الجزائرية) والتي نذكر منها:

1.1.5. طبيعة الإستعمار في البلدين:

إنّ الجزائر أول الدول المغاربية التي أُستعمِرت في الثلث الأول من القرن التاسع عشر

عكس المغرب الأقصى التي استطاعت الحفاظ على إستقلالها حتى مطلع القرن العشرين ولتسقط في الأخير في يد الإستعمار وقد تباين الإستعمار في البلدين كالتالي:

تعرضت الجزائر لإستعمار مباشر حيث عملت السلطات الإستعمارية الفرنسية بعد أربعة سنوات من عقد معاهدة الاستسلام مع الداوي حسين، إلى إصدار مرسوم 22 جويلية 1834م الذي نص على إلحاق الجزائر بفرنسا واعتبارها جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي وطبقت بعدها سياسة استيطانية على حساب أراضي سكان الجزائر الأصليين الذين أصبحوا أهالي في بلاهم يمارس عليهم قانون الأنديجانا Indigénat ونصبت حاكم عام يحكم الجزائر عسكريا (بوعزيز، 2015، ص.ص. 38-40).

بينما المغرب الأقصى فقد فرضت عليه الحماية المزدوجة (الفرنسية- الإسبانية) حيث كشفت هزيمتي إيسلي⁽⁸⁾ 1844 وتطوان⁽⁹⁾ 1860م مدى الضعف الذي وصلت إليه المملكة المغربية، بالرغم من محاولة المخزن المغربي استدراك الأوضاع بالقيام بإصلاحات مع مطلع القرن العشرين تصاعدت حدة التنافس الدولي على المغرب الأقصى مما وجب عقد مؤتمر دولي الذي عقد في الجزيرة⁽¹⁰⁾ 1906م الذي نادى بالمحافظة على إستقلال المغرب، ولكن فرنسا المستعمرة للجزائر منذ القرن الماضي، استغلت الأوضاع المضطربة في المغرب وصراع الأمراء حول الحكم بالإضافة إلى الثورات، المندلعة في ربوع المغرب الراضة للأوضاع الراهنة وأقدمت على باحتلال المغرب، فارضة عليه معاهدة الحماية في 30 مارس 1912م (حركات، 1994، ص.ص. 256-260).

إنّ معاهدة فاس (الوردغي، 1992، ص. 16)، شبيهة بمعاهدة باردو معاهدة الحماية على تونس والتي حافظت على الحياة الاعتيادية للمغربيين والتونسيين، عكس ما حدث مع الجزائريين الذين جعلهم الإستعمار الفرنسي أجنب في بلدهم الأصلي، وقد حافظ نظام الحماية على الأسرة الحاكمة في المغرب مع سلب السياسة الخارجية والدبلوماسية منها والمساعدة وتقديم النصح للسلطان، عُين إلى جانب السلطان حاكم يحكم بإسم فرنسا أطلق عليه المقيم العام والذي كان أولهم ه. ليوطي (1912-1925م) "H. Lyautey" بينما خضع شمال المغرب الأقصى لحماية إسبانية التي عينت حاكما يسمى المندوبالسامي في منطقة نفوذها وبقت طنجة منطقة دولية (الكريط، 2015، ص. 28).

خضعت الجزائر والمغرب الأقصى لنفس الإستعمار ولكن الإستعمار في الجزائر كان استيطانيا همّش أصحاب البلاد والأدهى من ذلك جعلهم أهالي وأجنب في بلاهم بينما في

المغرب الأقصى فقد حافظ الإستعمار على السلطان، وإن سلبه الكثير من الإمتيازات لكنه أبقى عليه كهيئة وقد ساعد تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق (منطقة الحماية الفرنسية الحماية الاسبانية، طنجة الدولية) وخاصة بعد نفي السلطان دون إذن الإسبان؛ إلى استفادة المغريين من إختلاف مصالح الدولتين الحاميتين في خدمة قضية بلادهم أما دبلوماسيا (عبر طنجة) أو عسكريا (المقاومة المنطقة الشمالية).

2.1.5. حجم العمليات:

تعددت أشكال عمليات الثورتين وتشابهت تقريبا ما بين الاغتيالات (الخونة والمتعاونين مع الاستعمار والأوروبيين من عسكريين ورجال درك وبوليس) واستهداف مصالح الاستعمار من سكك حديدية وقطع خطوط الهاتف وثكنات وحرقت مزارع المعمرين والمتعاونين مع الاستعمار (بوعزيز، 2009، ص.ص. 121-124) ولكن حجم عمليات الثورة الجزائرية كانت أكثر بكثير من حجم عمليات المقاومة المغربية (لومة، 2013، ص. 74).

3.1.5. الشمولية:

شملت المقاومة المغربية منطقة الحماية الفرنسية دون المنطقة الشمالية (منطقة النفوذ الاسباني) قبل أن تتطور المقاومة المغربية إلى جيش التحرير في المنطقة الخليفية (الاسبانية) الذي انطلقت عملياته في شهر أكتوبر 1955م (الصافي، 2017، ص. 139) عكس الثورة الجزائرية التي شملت كامل التراب الجزائري بما فيها الصحراء بعد استحدثت ولايتها بعد مؤتمر الصومام 1956م (مقلاتي، 2014، ص. 160).

4.1.5. اللاجئين:

كانت وجهة اللاجئين الجزائريين إبان ثورة التحرير الجزائرية دولتي تونس والمغرب الأقصى فرارا من سياسة الاستعمار (الفرار من المحتشدات، سياسة التقتيل... التوقيف) (كراغل، 2017، ص. ص. 295-300) اللذين زاد عددهم بعد استقلال المغرب الأقصى وتونس عام 1956 واشتداد الثورة الجزائرية (بوقريوة، 2008، ص.ص. 224-225)، عكس المغرب الأقصى التي كان يلجأ مقاومتها إلى منطقة الحماية الاسبانية سواء في المنطقة الخليفية في شمال المغرب (برادة، 2003، ص. 43)، أو منطقة إيفني في الجنوب المغربي (إيدير، 2001، ص. 50) وقدم هؤلاء اللاجئين خدمات كبيرة للثورة والمقاومة في كلا البلدين.

5.1.5. التوجه الحزبي:

الثورة الجزائرية التي تبناها وخططت لها جبهة التحرير الوطني المنبثقة من حزب الشعب الجزائري على نقيض المقاومة المغربية التي تتعدد الآراء حول التوجيه الحزبي لها بين مؤيد ورافض (الوكوتي، 1996، ص. 558) والبحث في الموضوع يحتاج تمحيص وبحث معمق حسب ما قاله المؤرخ المغربي محمد الفلاح العلوي (العلوي، د.ت، ص. 40).

6.1.5. ارتباط الثورة المغربية بإعادة محمد الخامس:

ارتباط المقاومة المغربية بالملك الذي شكل محور أساسي للمقاومة المغربية عكس تونس الشقيقة التي انتهت مقاومتها بالاستقلال وإلغاء الملكية المتمثلة في الأسرة الحسنية بتونس 1957م، والملكية الخديوية بمصر 1953م والأسرة الهاشمية بالعراق 1958م (جلال، 2002، ص.ص. 623-635)، كذا الأمر بالنسبة للمستعمرة الفرنسية في شرق آسيا التي لعب فيها إمبراطورها دور العمالة لفرنسا ونقصد هنا الإمبراطور باوداي "Bao Dai" (جبرو، 2002، ص. 210).

7.1.5. المقاومين والاستيلاء على السلطة:

في أغلب البلدان التي قامت بالثورة قد واجه ثوارها السلطة المستبدة بالإضافة إلى الإستعمار - كالبلاشفة ضد حكام روسيا القيصرية والضباط الأحرار في مصر بعد ثورة جويلية 1952م وفي العراق بعد ثورة 14 جويلية 1958م وماونسي تونغ في الصين- ثم حكموا البلاد وهذا ما حدث في الجزائر بعد إستقلالها بحيث حكمها أعضاء حزب جبهة التحرير الوطني، بينما في المغرب الأقصى تم همش المقاومون من المشاركة في مفاوضات إيكس ليبان "Aix Les Bains" رغم دورهم في إجبار فرنسا في إرجاع الملك من منفاه (بوكبوط، 2008، ص. 95).

2.5. أوجه التشابه:

جمعت بين الثورتين العديد من نقاط التشابه والتي يمكننا تلخيصها في النقاط التالية:

1.2.5. الاحتضان الشعبي للثورة:

إلتف أغلب الشعب المغربي والجزائري حول الثورة في بلديهما بغض النظر عن وجود بعض الخونة المتعاونين مع الإستعمار الذين كانت نسبة تأثيرهم قليلة بفضل مساندة الشعبان للثوار والمقاومين ومن أمثلة المناوئين للثورة في الجزائر بلونيس وكوبيس (شبوط، 2015، ص.ص. 90-105)، والتهامي الجلوي وعبد الحي الكتاني والحزب الديمقراطي المغربي للرجال الأحرار في المغرب الأقصى (عبيد، 2010، ص. ص. 275-272).

2.2.5. المعاونة من نقص السلاح والتمويل:

نعني بالتمويل تلك الأموال التي كانت تجمع لتصرف في عدة عمليات متعلقة بالعملية التحريرية حيث تعد الأموال الركيزة الأساسية لأي عملية تحريرية فعن طريقها يتم الحصول على مختلف المؤن من أسلحة وأغذية وألبسة، كما يمكن عن طريق هذه الأموال تسخير طاقات بشرية لإنجاح العملية التحريرية (بوبكر، 2011، ص.ص 27-28) واستطاعت كلا الثورتين حل مشكل التمويل بواسطة تبرعات المتعاطفين مع الثورة بالإضافة الى اشتراكات الثوار والمقاومين بالإضافة إلى مصادر أخرى (بوبكر، 2011، ص.ص 34-36)، (رزوق، 1997، ص. 300)، كما كانت الجزائر تتحصل على تبرعات مالية من جامعة الدول العربي خاصة بعد استقلال المغرب الأقصى وتونس (سعيد، 1994، ص. 60).

عانت كلا الثورتين المغربية والجزائرية من مشكل التسليح وغطت هذا النقص بعدة طرق منها الحصول السلاح القادم من مصر إلى الجزائر بعد وصول جمال عبد الناصر للسلطة في مصر عبر الحدود الليبية التونسية إلى شرق الجزائر إلى الغرب الجزائري والمغرب الأقصى عبر المنطقة الخليفية (منطقة الحماية الإسبانية) (بوبكر، 2011، ص. 179-189) وذلك بفضل العلاقات التي ربطها المناضل الجزائري أحمد بن بلة مع جمال عبد الناصر بالإضافة إلى السلاح الذي تم الإستيلاء عليه من الجيش الفرنسي خلال المعارك (سعيد، 1994، ص.ص 42-43).

3.2.5. التصفيات في صفوف الثوار أو المقاومين:

كالصراع بين المصاليين وجهة التحرير الوطني الذ وصل إلى حدّ التصفية الجسدية (بورقعة، 2000، ص. 85) وبالإضافة الى التصفيات التي عرفها المغرب الأقصى مع بداية الانفراج وإعادة محمد الخامس (اغتيال عباس المساعدي) وتصفية الهلالين (عناصر الهلال الأسود) (وحيد، 2006، ص.ص 105، 110).

4.2.5. التزامن بين الثورتين في تنفيذ بعض العمليات:

عرفت الثورة الجزائرية والثورة المغربية تنسيقا وتعاوناً ومن أبرز مظاهر هذا التنسيق القيام بهجمات 20 أوت 1955م في الشمال القسنطيني بالجزائر التي تزامنت وهجمات وادي زم وخريبكة وبوجاد في المغرب الأقصى في الذكرى الثانية لنفي محمد الخامس وهجمات أخرى في 2 أكتوبر 1955م في غرب الجزائر (وهران) وجيش التحرير المغربي في الريف المغربي (زكي مبارك، 2005، ص.ص 159-176).

6. خاتمة:

بالرغم من إختلاف الثورتين في كثير من النقاط إلا أنَّ هناك نقاط مشتركة جمعت بينهما، أبرزها نجاحهما في طرد الإستعمار وتحقيق إستقلالهما واسترجاع سيادتهما وبفضل الثورة الجزائرية ورغبة فرنسا بالإبقاء على الجزائر فرنسية نالت معظم مستعمرات فرنسا في إفريقيا بما فيها المغرب الأقصى إستقلالها

7. الإحالات:

(1) علال الفاسي، كان أبوه عبد الوهاب الفاسي، عالما بجامعة القرويين وأمين مجلس رقابته، وقد زاول علال دراسته بالقرويين حيث قبض عليه مرتين لتزعمه لتظاهرتين ضد الظهير البربري وهو في سن 24 سنة تطوع للتدريس في القرويين ما دعى الإقامة العامة لمطاردته من جديد، هاجر إلى باريس هروبا من القمع ليعود إلى المغرب في سنة 1934م (عبيد، 2010، ص. 250).

(2) خلية القانون المحروق أول تنظيم فدائي أنشأ هذه الخلية بعض أعضاء لجنة التزيين التي كانت فرعا من حزب الإستقلال، عملها تزيين المدن بالرايات المغربية في الأعياد الوطنية كعيد العرش مثلا وقد كُلفت بتزيين مدينة سوق الأربعاء الغرب في طريق رحلة الملك إلى مدينة طنجة في أفريل 1947 ولكن بعد الأحداث التي سبقت الزيارة، فكر أعضاؤها في تأسيس أول خلية مقاومة أسموها (خلية القانون أو القسم المحروق)، منهم محمد الزرقطوني، محمد صدقي، شعيب الدين، سعيد المانوزي، محمد أجضاهم بالمدينة العتيقة بالدار البيضاء وذلك لأنهم بعد أن تعاهدوا على النية لتدشين العمل الفدائي المسلح كتبوا وثيقة تتضمن قسما بذلك ثم أحرقوها فوق وعاء مليء بالماء، قبل أن يعمدوا تباعا على شربه في ما بينهم، وقام هؤلاء بصياغة قانون وحفظوه ثم أحرقوه واتهموا رماده يوم 08 أوت 1948 (غلاب، 2000، ص. 159-160).

(3) خلية المتطوعون (المقاومة) تأسست في منزل التهامي نعمان الكائن بحي الأحباس في الدار البيضاء من طرف أربعة مقاومين (الحسين برادة، لحسن المختار العراشي، سليمان رضا العراشي، التهامي نعمان) وانضم إليهم الزرقطوني وقد أدَّى هؤلاء الخمسة اليمين والقسم على الإخلاص والتضحية من أجل الوطن وذلك يوم 7 أفريل 1951م (التهامي، 2009، ص. 77).

(4) اليد السوداء من التنظيمات الفدائية المغربية الأولى نشطت في بداية الخمسينات بعد مظاهرات ديسمبر 1952م، وبسبب نقص تجارب أعضائها اكتشفها الإستعمار في صائفة 1954م اشتهرت بمحاكمة الاستعمار الغربية لعناصرها بعد اكتشافها (الدفاليوبوشنتوف، 2006، ص.ص. 193-194).

(5) الهلال الأسود هي إحدى منظمات المقاومة المغربية، تأسست من رحم منظمة اليد السوداء، بعد نفي الملك محمد الخامس، وكانت غايتها إرجاع الملك إلى عرشه واستقلال المغرب وسبب رفضها لمعاهدة إيكس ليبان وارتباطها مع جيش التحرير وتوجهاتها المغاربية الوحودية إلى صدامها مع المنظمة السرية الذراع الأيمن لحزب الإستقلال، مما أدى إلى دخول الطرفين في صراع نجم عنه تصفية الهلاليين (بن جارة وبلوفة، 2021، ص. 184).

(6) هو باشا مراكش من 1912-1956م ساهم في نفي محمد الخامس بالتعاون مع سلطة الحماية وبعد مفاوضات إيكس ليبان في أوت 1955م وعند عودة الملك من منفاه بايعه وأعلن توبته توفي في فيفري 1956م (عبيد، 2010، ص. 273)، (بلمقدم، 2006، ص. 38).

(7) هو شيخ الزاوية الكتانية التي كانت بينها وبين العلويين عداوة تاريخية منذ عهد الحماية وساند هو الآخر التهامي الجلالي في نفي محمد الخامس توفي في فرنسا سنة 1972 (لاندو، 1980، ص.ص. 143-145).

(8) معركة إيسلي معركة بين الجيش المغربي بقيادة ولي العهد المغربي سيدي محمد وقوات الجنرال بيجو القادم من الجزائر يوم 14 أوت 1844 وهزم الجيش المغربي رغم تفوقه عدديا (Ganiage, 2001, pp. 326-327)

(9) حرب تطوان أو الحرب الإسبانية المغربية 1860 والتي انتهت بهزيمة المغرب وحصول الإسبان على منطقة أيفني ودفع المغرب غرامة مالية. (Abitbol, 1999, pp. 373-379)

(10) مؤتمر الجزيرة إنعقد بمدينة إسبانية حضره 12 أو 13 دولة سنة 1906 نصت على إستقلال المغرب ووحدة أراضيه (لاندو، 1980، ص.ص. 88-93)، (Ganiage, 2001, pp. 387-388).

8. قائمة المصادر والمراجع:

-إبراهيم حركات. (1994). المغرب عبر التاريخ (المجلد 3). الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.

-أحمد عبيد. (2010). التماثل والإختلاف في حركات التحرر المغاربية (ط1). الجزائر: دار ابن النديم.

- الحيسين برادة. (2003). مسيرة التحدي من الملك محمد الخامس إلى الملك الحسن الثاني الباني. الرباط: إفريقيا الشرق.
- الدفالي، م. م. و بوشنتوف، ل. (2006). دور الدار البيضاء في الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.
- القباج، م. ت. (2014). محمد الخامس. الرباط: منشورات ضفاف.
- الوردغي، ع. (1992). فاس في عهد الإستعمار الفرنسي 1912-1956. (ط1). الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.
- آيت سعيد إيدر. (2001). صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي (ط1). الدار البيضاء: مطبعة التيسير.
- بلمقدم، ح. (2006). حزب الإستقلال وتديير الانتقال بين الانسجام والتصدع ديجنبر 1955-يناير 1963. سلسلة دراسات وأبحاث.
- بن جارة، ب.، وبلوفة، ج. ع. (2021، ديسمبر 03). منظمة الهلال الأسود وعملية القنيطرة من التخطيط إلى التنفيذ فالنتائج. مجلة آفاق فكرية، 9(3)، 178-190.
- بن عبد الله الوكوتي. (1996). ذكريات مقاوم. مطبعة التوفيق.
- بن نبي، م. (1998). في مهب المعركة. ط3. دمشق: دار الفكر.
- بوعزيز، ي. (2009). ثورات القرن العشرين. الجزائر: دار البصائر.
- بوعزيز، ي. (2015). سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- جبرو، ع. (2002). إيكس لبيان ملفات وحقائق. إكسيل برانت.
- حفظ الله بوبكر. (2011). التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962م. الجزائر: طاكسيج كوم.
- دحوفغور. (2017). فلسفة المقاومة. الجزائر: دارالخلدونية.
- رزوق، م. (1997). جوانب من الحركة الوطنية بالدار البيضاء خلال الخمسينات مقارنة تحليلية للمقاومة المسلحة. المقاومة المغربية ضد الإستعمار الجذور والتجليات. (297-303). أكادير: الهلال العربية للطباعة والنشر.

- زكي مبارك. (2005). نشأة وتطور جيش التحرير الوطني. لجنة التنسيق بين جيش التحرير الجزائري وجيش التحرير المغربي: دواعي التأسيس والأهداف 15 جويلية 1955م (الصفحات 159-176). الجزائر: منشورات وزارة المجتهدين.
- سعاد يمينة شبوط. (سبتمبر، 2013). الثورة الجزائرية في مرحلة المخاض (1953-1954م) ظروف تأسيس جبهة التحرير اوطني (FLN) والحركة الوطنية الجزائرية (MNA) نوفمبر-ديسمبر 1954. كان التاريخية، 21، 26-09.
- سعاد يمينة شبوط. (2015). الولاية الرابعة في مواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية 1954-1962. الجزائر: دار الهدى.
- عبد الكريم غلاب. (2000). تاريخ الحركة الوطنية المغربية (ط 3، المجلد 2). الدار البيضاء: مطبعة النجاح.
- عبد الله، مقلاتي. (2014). المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عبد الله، مقلاتي. (2012). المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1954-1962م. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- علوي، ر. م. (2010). مسار كفاح مقاوم زين العابدين الحبيب بلعباس العلوي (ط1). الرباط: دار أبي رقراق.
- فلاح محمد العلوي. (د.ت). جوانب من المقاومة المسلحة بالدار البيضاء من خلال بعض المذكرات والشهادات. وقائع المهرجان الخطابي ندوة 18 يونيو يوم الوفاء لأرواح الشهداء الإستقلال والوحدة.
- لاندر، ر. (1980). تاريخ المغرب في القرن العشرين. (ط2). (نيقولا. زيادة. المترجمون) لبنان: دار الثقافة.
- لخضر بورقعة. (2000). مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة (ط 2). الجزائر: دار الحكمة.
- لكريط، ع. (2015). المخزن والحماية الفرنسية وهم السيادة المزدوجة (1912-1956). فاس: مطبعة انفوبرانت.
- لمياء بوقريوة. (2008). اللاجئين الجزائريون إلى المغرب إبان الثورة التحريرية. مجلة البحوث والدراسات، 6، 221-235.

- لومة، م. (2013). مكافح مغاربي يتذكر، أبرز المحطات النضالية للمجاهد المغربي سعيد بو النعيلات. (ط1). القنيطرة: المطبعة السريعة.
- محمد الدويري. (1989). حزب الإستقلال خلال ثلاث ذكريات.
- محمد الصافي. (2017). الحركات التحررية المغاربية أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1956-1942م). الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- محمد بوكبوط. (2008). مباحثات إيكس لبيان وانعكاساتها من خلال كتابات معاصرة. مباحثات إيكس لبيان واستقلال المغرب " قراءة قانونية وسياسية في وثيقة المطالبة بالاستقلال". مكناس: كنابرانت.
- محمد بلعباس. (2009). الوجيز في التاريخ المعاصر. الجزائر: دار المعاصرة للنشر والتوزيع.
- محمد كراغل. (سبتمبر، 2017). الهجرة القسرية إلى تونس أثناء الثورة (1955-1962) اللاجئين الجزائريون أنموذجا. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، 5(1)، 295-300.
- محمد وحيد. (2006). شهداء وجلادون (ط 1). دار البيضاء: مطبعة سوماكروم.
- نعمان التهامي. (2009). مذكرات في تاريخ الكفاح المسلح (ط 1). الرباط: دار أبي الرقراق.
- وهيبة سعيدي. (1994). الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح (1954-1962). الجزائر: دار المعرفة.
- يحي جلال. (2002). العالم العربي الحديث والمعاصر (المجلد 03). الإسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الجديد.
- Abitbol, M. (1999). Histoire du Maroc. Paris : édition Perrin.
- Ganiage, J. (s.d.). Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours. Fayard.
- Zade, m. (2006). Résistance et armée de libération au Maroc (1947-1956). Rabat : kawtar.

السياسة الدولية ليوغسلافيا تجاه القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة 1955-1962

International policy of Yugoslavia towards the Algerian issue
at the United Nations 1955-1962.

سلطان نجاح¹، شلوق فتيحة²،

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، nadjah.soltane@univ-biskra.dz

² جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، fatiha.chelloug@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

سعت الدبلوماسية الجزائرية منذ بداية مسارها النضالي ضد العدو الفرنسي لاقتناص الفرص من أجل التواجد في كل المحافل الدولية والمناسبات الإقليمية من أجل تفعيل الساحة الدولية لخدمة مطالبها، فأوضحت تضحيات الشعب الجزائري على مرأى ومسمع العالم بفضل تلك الجهود الحثيثة والمسعى الصادقة التي صنعتها دبلوماسيتنا في الخارج. فقد عملت جبهة التحرير الوطني من أجل الخروج بالملف الجزائري للرأي العام الدولي حتى لا يظل حبيس الإطار الضيق الذي رسمه له الإحتلال الفرنسي الأخير الذي أراد تمزيق الجثة بعيدا عن الأنظار.

كانت التحديات التي واجهتها الثورة الجزائرية في الخارج نتيجة المواقف الدولية المعادية التي لاقتها من دول الكتلة الغربية بشكل أخص خاصة منها الحليفة لفرنسا طبيعيا نتيجة علاقات بعضها البعض في منظومة الحلف الأطلسي، في حين كانت علاقاتها مع دول الكتلة الشرقية تختلف في جوهرها عن منظومة دول الكتلة الغربية.

فكانت يوغسلافيا أحد أهم الدول المنضوية تحت سيادة الإتحاد السوفيتي وكانت لها من المرونة السياسية في التعامل مع الخلافات والنزاعات الدولية الباع الطويل لكونها عانت الإستعمار والإمبريالية لردح طويل من الزمن لذا كان موقفها من الثورة الجزائرية مميز وهذا ما سنحاول البحث فيه من خلال هذه الورقة البحثية التي تنطلق من الإشكالية التالية:

الإشكالية: ما هو حجم التعاون اليوغسلافي مع القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة 1955-1962م؟

إجابة على هذه الإشكالية وجب الوقوف عند المحاور التالية:

- إستراتيجية جبهة التحرير الوطني في التعامل مع الكتلة الشرقية.

- موقف يوغسلافيا من طرح القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة.

2. إستراتيجية جبهة التحرير الوطني في التعامل مع الكتلة الشرقية:

صرفت جبهة التحرير الوطني أغلب مجهوداتها لتؤسس عقيدة سياسية واضحة تشمل المسائل الداخلية والخارجية حيث عملت على تنظيم مخططاتها للإستقلال وتدويل القضية الجزائرية محاولة في ذلك لربط الجزائر بحركة النضال العربي والعالمي (العقاد، 1963، صفحة 78).

إيديولوجية جبهة التحرير الوطني استُمدت إذن من الجذور التاريخية للشعب الجزائري ومكوناته الإجتماعية والثقافية فاخترت الجبهة أن تنطلق في وضع إستراتيجيتها بناءً من الخبرات والتجارب التي مرّ بها الشعب الجزائري في المقاومة، لذا تضمنت العناصر الأساسية للكفاح وبهذا كانت إيديولوجية جبهة التحرير نابعة من عمق الشعور بالمسؤولية التاريخية التي فرضتها معطيات الأحداث حتى لا يكون مصير الشعب الجزائري عرضة للمراهنات غير المسؤولة (بومالي، 1985، الصفحات 6-8).

إستطاعت بذلك الجبهة إرساء قاعدة دولية في تعاملاتها حتى لا تحيد عن أهدافها وتجعل من دستورها وثيقة وطنية يعود لها كل جزائري بصفتها نداءً موجهاً له قبل كل شيء.

أما طرح القضية الجزائرية على الصعيد الدولي لم يكن أبداً وليداً للصدف ولا توافق الظروف لكن الأمر جاء تطبيقاً للتوصيات التي تبنتها جبهة التحرير الوطني لذا كان على ممثلي الجبهة اصطيداد الفرص التي تُمكن الثورة الجزائرية من عرض وجهة نظرها في المحافل الدولية، لإبطال المزاعم الفرنسية الكاذبة، وهنا لعب إعلام الثورة دوراً كبيراً في الدعاية لفك التعقيدات التي أحاطها الإستعمار بالقضية الجزائرية فكان على جبهة التحرير التأكيد على أن الجزائريين مستقل مع إبراز الوجه الإجرامي للإستعمار الذي يتغنى بشعارات براءة "العدالة، الحرية، المساواة" ومنه توجهت الدبلوماسية الجزائرية للعالم حتى ترسخ القناعات أنها قادرة على إستلام زمام الأمور وقادرة على تسيير البلد لاحقاً (بومالي، 1985، الصفحات 150-171).

تغلغل الدبلوماسيون الجزائريون في أوساط الحكومات العالمية خدمة لقضيتهم لذا ركزت جبهة التحرير الوطني مساعيها على نجاحاتها الخارجية وهو الأمر الذي دفع بالدبلوماسيين الفرنسيين لتحذير حكومات بلادهم أنه من الخطأ الترويج للنجاحات العسكرية التي يحصدونها لأن ذلك سيميز مكانتهم الدولية ويشوه صورة فرنسا فراحوا يسوقون لفكرة أن التعذيب والتقتيل هي سلوكات فردية لبعض العسكريين فقط وليس منهجاً في السلوك (Connolly, 2012, pp. 182-183).

3. موقف يوغسلافيا من طرح القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة:

المفكر الجزائري مالك بن نبي تكلم عن مسألة إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الأمم المتحدة فقال: « ففي منطق حضارة هذا القرن حيث يُرد كل شيء إلى مقياس القوة وبالتالي إلى مقياس النصر أو الهزيمة يجب أن نقول بأنه كان نصراً للشعوب المستعمرة وهزيمة أوربية لكي نفهم مبلغ أهميته في نفسية الغرب الحالية وإنعكاساته على السياسة الإستعمارية خارج أوربا إنها نفسية حالة إحتضار» (بن نبي، 2001، صفحة 39).

هذا وقد أبدى الرئيس تيتو قلقه حينما ذكر أن القضية الجزائرية تطرح منذ ما يقارب الخمس سنوات في هيئة الأمم المتحدة لكن لم ترى أي تقدم وأن الشعب الجزائري ينتظر تقرير مصيره وحقه في الإستقلال فشجع فكرة الإستقلال تحت رقابة الأمم المتحدة وكانت الصحافة اليوغسلافية قد أخذت القضية الجزائرية بعين الإهتمام وصورت في مقالاتها الكفاح الجزائري (صغير، 2009، صفحة 385).

كان الإتحاد السوفيتي والدول التابعة له أي المكونة لدول منظومة الكتلة الشرقية هي إحدى المنافذ التي اتجهت نحوها السياسة الدولية لجهة التحرير الوطني، في محاولة منها لكسب قاعدة لدعم الثورة الجزائرية على هذه الأراضي، وخلق تمثيل دبلوماسي دائم، خاصة وأنها تشترك مع الجزائر في رؤيتها للإمبريالية والإستعمار الغربي، باعتباره عدوا لكليهما ومنه كانت القيادات الجزائرية تبحث عن دعم أكبر لثورتها من طرف الإتحاد السوفياتي والدول السائرة في فلكه.

المؤكد أن الانتماء الإيديولوجي ليوغسلافيا يضعها في خانة الدول الاشتراكية غير أن لها خصوصية ناتجة عن تطبيق نظام التسيير الذاتي، ما أدى بها لتبني نوع من الإستقلالية في التخطيط لسياستها الخارجية وتوجهاتها، ما يعني عدم الخضوع المباشر لأي من الكتلتين، خاصة بعد تأكيدها الدفاع عن حركة عدم الإنحياز، وبما أن ليوغسلافيا ماض ثوري (صغير، 2009، الصفحات 381-380) ضد الغزو الإستعماري فقد كان تعاطفها مع ثورة الشعب الجزائري واضحا وكانت كما يقول أمحمد يزيد عنها أنها: « من الدول التي ساندت الجزائريون دون شرط منذ إنطلاق الثورة » (بن فليس، 1985، الصفحات 271-272).

رغم ذلك فإننا نلاحظ أنه في الحقبة الممتدة ما بين 1948م و1956م قد شهد الحكم اليوغسلافي إنفتاحا نحو التعاون مع الغرب فالشيوعيين اليوغسلاف ورغم رفضهم الدخول في الحلف الأطلسي إلا أنهم أرادوا التموقع في أوربا وذلك لتقوية العلاقات، وإيجاد حلفاء، لذا

بدأ التعاون مع فرنسا لكن في إطار ضيق كما أنه كان هناك دبلوماسيين يوغسلاف على أعلى مستوى يتمتعون بعلاقات قوية مع نظرائهم الفرنسيين مثل: كوكا بوبوفي (KocaPopovi) وزير الشؤون الخارجية (1953م-1966م) الذي زاول دراسته في "لوزان" ثم "السربون" (Hervé Bismuth et Fritz Taubert, 2014, p. 125).

في القاهرة تمت الإتصالات بين القادة الجزائريون واليوغسلاف من خلال مكتب جبهة التحرير الوطني في القاهرة بداية 1956م وأيضا من خلال السفارة اليوغسلافية في القاهرة، وعقب أزمة السويس ظهر دور يوغسلافيا بأكثر جدية ووضوح إتجاه أطروحات الجبهة، فقد أنشأ سفير يوغسلافيا لدى مصر علاقات عمل مع مكتب جبهة التحرير رغم علم فرنسا بذلك، هذا وقد ندد الجنرال تيتو في مقال نشره في أكتوبر 1957م بالسياسة المتبعة من طرف الدول الإستعمارية خاصة الحرب الدائرة في الجزائر وقد عرف بعدها الدعم اليوغسلافي للجبهة تنوعا في أشكاله وأبعاده: دبلوماسي، طبي، إستقبال اللاجئين، نقل العتاد والسلاح (Hervé Bismuth et Fritz Taubert, 2014, p. 134) فتلقت الجزائر دعما ثابتا في عدة مرات من يوغسلافيا خاصة في مجال الدعاية للثورة حيث تم طبع مجموعة المجاهد في ثلاث أجزاء كما قامت مصلحة السينما اليوغسلافية بإنتاج أفلام وثائقية تخص النضال الجزائري ودربت مجموعة من المصورين والسينمائيين، كما كانت البواخر اليوغسلافية التي ضربها الفرنسيون وخضعت للتفتيش شاهدة على هذا الدعم مثل سفينة "سلوفينيا" التي تم إيقافها سنة 1959م (بلقاسم، جبلي، والعايب، 2007، الصفحات 331-332).

الأبعاد الدولية للقضية الجزائرية كانت إذن في إتساع مستمر وبنمط يسير وفق ما تم الإجماع عليه في موثيق الثورة، وجاء الدعم الذي حظيت به جبهة التحرير الوطني في يوغسلافيا، وبهذا القدر مؤكداً على نجاح الدبلوماسية الثورية الجزائرية في تخطي الإيديولوجيات والتمتع بمرونة في التعامل مع الأحداث الدولية لتجعلها في صالحها.

قد كان لإنشاء الحكومة المؤقتة الجزائرية دور كبير في تحديد معالم السياسة الخارجية ليوغسلافيا فقد أعلن السيد كوكا بوبوفي (KocaPopovi) لأول مرة عن حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره كما قام الجنرال تيتو في رحلاته إلى آسيا وإفريقيا من ديسمبر 1958م إلى مارس 1959م إلى حشد الرأي العام العالمي للإعتراف بالحكومة المؤقتة، والعجيب أن يوغسلافيا لم تعترف بها حينها، مما اضطر القادة الجزائريين للهجوم الدبلوماسي على الجنرال تيتو ودبلوماسيته، حيث أبلغ الدكتور محمد أمين دباغين وزير الشؤون الخارجية للحكومة

المؤقتة الدبلوماسية اليوغسلاف أن الجزائر تحتاج كل الدعم وإلا فإن الحكومة المؤقتة ستجد نفسها مضطرة للانتماء إلى أحد القطبين ولربما يعود عدم إعتراف يوغسلافيا بالحكومة المؤقتة إلى الخوف من إنتهاء العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا خاصة وأنها عاشت تجربة الإفتراق مع ألمانيا الفيدرالية بسبب علاقاتها مع ألمانيا الشرقية (Hervé Bismuth et Fritz Taubert, 2014, pp. 135-136).

عليه فالحنكة الدبلوماسية للحكومة المؤقتة وقدرتها على الضغط تظهر لنا جليا في إستعمالها ورق القطبية حيث عملت على إستغلال كل الأطراف لصالح قضيتها وكانت في كل مرة تهدد بالانتماء إلى أحد الأقطاب على حساب الآخر لذا استخدمت هذه الإستراتيجية مع يوغوسلافيا.

يبدو أن الضغط على يوغسلافيا أتى بثماره حيث أستدعى السيد " فرحات عباس" لزيارتها بصفة شبه رسمية في جوان 1959م، حيث استقبل من طرف الجنرال تيتو وقياديين بارزين الكسندر (Aleksander) وكاردلج (Kardelj) إضافة إلى كوكا بوبوفي (KocaPopovi) وإنتهى الاجتماع ببيان مشترك تضمن مبادئ السياسة الجديدة للبلدين الرامية لحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره (Hervé Bismuth et Fritz Taubert, 2014, p. 136).

عقب زيارة فرحات عباس ليوغسلافيا عرفت العلاقات بين البلدين قفزة نوعية حيث إفتتح مكتب لجهة التحرير الوطني في بلغراد في مارس 1960م وفي شهر أفريل شارك محمد لمين دباغين في مؤتمر التحالف الإشتراكي اليوغسلافي كما وظف عدد من العمال الجزائريين في شركات يوغوسلافية ووصلت السياسة اليوغسلافية الجزائر قممتها عندما إستقبل الجنرال تيتو قبل المؤتمر الأول لدول عدم الإنحياز المنعقد في بلغراد سبتمبر 1961م رئيس الحكومة المؤقتة بن يوسف بن خدة وأخبره بالدعم اللا مشروط ليوغسلافيا لصالح الجزائر وتوجت بالإعتراف الرسمي بالحكومة المؤقتة في 5 سبتمبر 1961م (Hervé Bismuth et Fritz Taubert, 2014, p. 138).

كانت هناك دوافع جوهرية حملت يوغسلافيا على دعم الكفاح الجزائري نذكر منها:

- تشابه المسميات: فالجيش اليوغسلافي كان يسمى جيش التحرير اليوغسلافي بقيادة منظمة سياسية تسمى جبهة التحرير الشعبية اليوغسلافية هذا التنظيم مشابه لما هو موجود بالجزائر.

■ التجربة اليوغسلافية مع الإستعمار: فقد تم إحتلال يوغسلافيا من طرف دول المحور " ألمانيا، إيطاليا، المجر، بلغاريا " في 1941م وقسمت بينهم، فضحت يوغسلافيا بمليون وسبعمائة ألف (1.700.000) يوغسلافي.

■ إعتقاد يوغسلافيا على أسلوب العمل المسلح والمقاومة الشعبية ما يعني تشابه الثورتين (دبش، 2003، الصفحات 184-185).

مناهضة الإستعمار تبدو جلية في السياسة الدولية ليوغسلافيا بالتالي فالتجربة الثورية التي كانت قد عاشتها يوغسلافيا قد ساهمت بشكل كبير في رسم تلك الصورة البشعة للإستعمار في أذهان اليوغسلاف، فكان دعمها مكثفا للجزائر ورؤيتها للإستعمار تتشابه في العديد من التفاصيل مع الجزائر.

موقف يوغسلافيا الداعم للثورة الجزائرية كان كثيرا ما أدى لتعرضها للعديد من التهديدات والمضايقات من طرف الحكومة الفرنسية حيث كانت في كل مرة تتعرض بواخرها للتفتيش والضرب من طرف فرنسا بشبهة الشك في حملها للسلاح والمعونات للجزائر(دبش، 2003، صفحة 189).

نشير أن مواقف يوغسلافيا كانت دائما صاحبة المواقف المشرفة والتفاعل المستمر مع كل ما يحدث في الجزائر على سبيل المثال أن النقابيون اليوغسلاف قد عبروا عن مساندتهم ومشاركتهم وجميع العمال الجزائريين في مصابهم بموت الزعيم النقابي الجزائري عيسات أيدير مؤكدين أن حركة القمع والتعذيب التي تشنها فرنسا لا يمكن أن توقف تيار الحركة النقابية ولا الحركة التحررية(المجاهد، 1959/08/10، صفحة 04).

كان لوفد جبهة التحرير الوطني حضور في أشغال المؤتمر السابع (07) للحزب الشيوعي اليوغسلافي حيث شرح الوفد في تصريحاته العديدة للصحفيين أهداف الكفاح الجزائري، وقد نشرت أغلب الصحف اليوغسلافية الخطاب الذي ألقاه الأخ بن يوسف بن خدة الذي تكلم باسم الوفد الجزائري وركزت فقراتها على إبراز الشبه بين كفاح الشعبين اليوغسلافي والجزائري وقد صرح الأخ بن يوسف بن خدة إلى صحيفة " بوربا " أنه شاهد بعينه مبلغ إطلاع الشعب اليوغسلافي على الثورة الجزائرية بقيادة جبهة التحرير الوطني(المجاهد، 7 ماي 1958، صفحة 02).

اتخذت في ذات السياق القيادة الجزائرية يوغسلافيا كنموذج وهذا ما تجلى في العديد من الزيارات التي قام بها محمد خيضر الممثلة اليوغسلافية في القاهرة للاستفادة من تجربتها

في الكفاح ضد النازية والصراع بين -49, pp. (Hervé Bismuth et Fritz Taubert, 2014, pp. 50).

4. خاتمة:

لعبت الدبلوماسية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية دوراً أساسياً، وذلك استكمالاً للكفاح المسلح، في مواجهة الدبلوماسية الفرنسية، فقامت بنشاط كبير على المستوى الدولي، من أجل جلب الدعم المعنوي والمادي لها، وهذا ما تحقق لها فعلاً بفعل صدى الرصاصة التي تعي الهدف وإرادة الكلمة التي تدرك تماماً المراد، فمارست جبهة التحرير الوطني كحزب ممثل الوحيد للشعب الجزائري دبلوماسية توازي دبلوماسية دولة قائمة بذاتها جابهت بها رجال الدولة الفرنسيين والعالم أجمع، فبرزت الحنكة والقناعة بالمطالب من خلال إدارة الملف الدبلوماسي بنجاح، فقد أدركت الجبهة ما تريد من البداية فكانت النتيجة أن أصبحت دبلوماسية الثورة الجزائرية من أكثر الدبلوماسيات تطوراً.

يوغسلافيا كانت من أكثر الدول دعماً للثورة الجزائرية وهو الأمر المؤرخ لها إذا ما تفحصنا موقفها من الثورة الجزائرية والفضل في ذلك يعود لقناعات اليوغسلاف بتشابه الكفاح الجزائري مع نظيره اليوغسلافي فكانت التجربة الثورية التي جمعت الشعبين هي الرابط الكبير الذي متن من أواصر التعاون ووثق من مراحل العلاقات الثنائية بينهما.

5. قائمة المراجع:

- أحمد بن فليس. (1985). السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958-1962. الجزائر: مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية فرع علاقات دولية. اشرف سلمان الشيخ. معهد العلوم السياسية. جامعة الجزائر.
- المجاهد. (7 ماي 1958). جبهة التحرير الوطني في يوغسلافيا. ج1. ع23.
- المجاهد. (10/08/1959). صدى اغتيال الشهيد عيسات إيدير في العالم. ج2. ع48.
- حسن بومالي. (1985). مظاهر من التنظيم جبهة التحرير الوطني في بداية الثورة 1954-1956. الجزائر: رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الإعلام. اشرف عمار بوحوش. معهد الإعلام والاتصال. جامعة الجزائر.
- سماعيل دبش. (2003). السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962. الجزائر: دار هومة.

- صلاح العقاد. (1963). الجزائر المعاصرة. د.ب: معهد الدراسات العربية للنشر.
- مالك بن نبي. (2001). فكرة لإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ. تر: عبد الصبور شاهين. ط3. دمشق: دار الفكر.
- محمد بلقاسم، الطاهر جبلي، ومعمار العايب. (2007). القواعد الخلفية للثورة الجزائرية-الجمهورية الشرقية 1954-1962. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث.
- مريم صغير. (2009). المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962. الجزائر: دار الحكمة.
- Hervé Bismuth et Fritz Taubert. (2014). La Guerre d'Algérie et le monde communiste . Dijon: edition universités de Dijon.
- Matthew Connolly. (2012). L'arme secrète du FLN comment de Gaulle a perdu la guerre d'algerie .Constantine- Algerie :édition media – plus.
- تقع الجمهورية الشعبية الفدرالية اليوغسلافية في أوروبا الجنوبية حيث تتألف من ست (06) جمهوريات شعبية، والتي بدورها تؤلفها خمسة شعوب أساسية هي: الكروات، السلوفينيين، الصرب، المقدونيين والألبان، وللإشارة فقد تعرضت الشعوب اليوغسلافية في القرن الخامس عشر (15م) لغزو الأتراك لذلك توالى الثورات حتى سنة 1918م لتتشكل مملكة (الصرب والكروات والسلوفينيين)، وأخذت سنة 1931م اسم مملكة يوغسلافيا، لتعود في عام 1941م للتعرض للغزو الألماني، لذلك شهدت صراعا طويلا مع الإستعمار بحثا عن تقرير مصيرها بزعامة جوزيف بروز تيتو.

الثورة التحريرية الجزائرية

من منظور الدين والعلوم السياسية

الثورة التحريرية الجزائرية في ميزان الإسلام
(دراسة شرعية)

The Algerian Liberation Revolution from the Perspective of Islam; an
Evaluative Study

د. محمد جبر السيد عبد الله جميل

جامعة المدينة العالمية، فرع القاهرة، muhammad.gameel22@gmail.com

- مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده، ورسوله.
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (سورة آل عمران، الآية 102).

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إنَّ الله كان عليكم رقيبا) (سورة النساء، الآية 1).

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (سورة الأحزاب، الآية 70).

أما بعد (التعليق رقم 1):

فقد احتل الفرنسيون أرض الجزائر عام 1832م. ومنذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها هذه الأقدام الدنسة أرض الإسلام، انبرى إخواننا المسلمون المجاهدون لبذل الغالي والنفيس لمقاومة هذا المحتل الغاصب وردده على أدباره مذئوما مدحورا. وتواصلت هذه المسيرة الجهادية عاما بعد عام، وحقبة بعد حقبة في عزم وإصرار وبلا كلل أو ملل لاجتثاث هذه الشجرة الخبيثة التي ما لها من قرار، وما ينبغي لها من قرار في هذه الأرض الطيبة.

وأخذت المسيرة النضالية تلهب عاما بعد آخر إلى أن استعر أوراها، واستطارت نيرانها كي تأتي على أعدائها وتستأصل خضرهم في الفاتح من نوفمبر لعام 1954م. فشن المناضلون هجماتهم على مراكز المحتل الغاصب العسكرية، والإدارية والاقتصادية، ومقرات عملائهم، واستحالت أرض الجزائر كافة إلى محرقة كبرى أكلت منهم الأخضر واليابس، ولم تنته إلا وقد كُِّل النضال والمناضلون بالنصر والفتح المبين. ولم تضع هذه الثورة المباركة أوزارها حتى انقشعت عنها

ظلمة الاحتلال، ونالت أرض الجزائر الاستقلال. ورفرفت أعلام الحرية في سماء الجزائر؛ رفرفت خفاقة عليّة في الخامس من يوليو لعام 1962م (التعليق رقم 2).

ونظرا لما تمثله هذه المسيرة النضالية من أهمية قصوى في تاريخ المسلمين، تسعى الدراسة الحالية لتسليط الضوء على فصل من أهم فصولها، وهو الذي يتعلق بالثورة التحريرية الجزائرية التي اندلعت في نوفمبر لعام 1954 وتُوجت بالاستقلال في يوليو لعام 1962، وذلك في محاولة لبيان حكمها الشرعي، وتجليّة فضلها في ضوء تعاليم الإسلام.

مشكلة الدراسة

يمكن تلخيص مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما المراد بالثورة التحريرية، وما حكم الثورة التحريرية الجزائرية، وما فضلها وفقا للشريعة الإسلامية؟

ويتفرع عن ذلك التساؤلات الفرعية الآتية:

- 1- ما المراد بالثورة التحريرية؟
- 2- ما الحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية؟
- 3- ما فضل الثورة التحريرية الجزائرية وفقا للشريعة الإسلامية؟

أهداف الدراسة

بناء على التساؤلات السابقة، يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في بيان المراد بالثورة التحريرية، وحكمها، وفضلها في ضوء الشريعة الإسلامية.

ويتفرع عن ذلك الأهداف الفرعية الآتية:

- 1- بيان المراد بالثورة التحريرية.
- 2- إبراز الحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية.
- 3- تجلية فضل الثورة التحريرية الجزائرية وفقا للشريعة الإسلامية.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في جانبين هما:

الجانب الأول: الأهمية النظرية: تتجلى الأهمية النظرية للدراسة في أنها تحاول استكمال الجهود العلمية التي انصبت على باب الجهاد في الإسلام، وذلك في محاولة لإثراء ما كتب في هذا الخصوص.

الجانب الثاني: الأهمية التطبيقية: تتجلى الأهمية التطبيقية للدراسة في أنها تسهم في تبصير الأمة أفراداً وجماعات بالحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية، وفضلها وفقاً للشريعة الإسلامية.

منهج الدراسة

تستند الدراسة إلى المنهج الوصفي. وتستند في إطار ذلك إلى الأسلوب الاستقرائي. حيث يجري بيان مفهوم الثورة التحريرية، والحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية، وفضلها وفقاً للشريعة الإسلامية وذلك في ضوء الأدبيات التي تناولت هذه المسألة بالعرض والتحليل.

خطة الدراسة

تتألف الدراسة من مقدمة، وثلاثة مطالب وخاتمة، وفهرس كالآتي:

المقدمة: تتناول مشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، ومنهج الدراسة، وخطة الدراسة.

المطلب الأول: يستعرض مفهوم الثورة التحريرية.

المطلب الثاني: يتناول الحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية.

المطلب الثالث: يتناول فضل الثورة التحريرية الجزائرية في ضوء الشريعة الإسلامية.

الخاتمة: تتناول نتائج الدراسة، وتوصياتها.

الفهرس: يتضمن قائمة بالمراجع التي استندت إليها الدراسة.

ويجري تفصيل ذلك كالآتي:

1. المطلب الأول: مفهوم الثورة التحريرية

يتطرق المطلب الحالي لبيان مفهوم الثورة التحريرية في اللغة والاصطلاح وصولاً لتحديد المراد بالثورة التحريرية الجزائرية. ويجري بيان ذلك في فرعين على النحو الآتي:

1.1 الفرع الأول: مفهوم الثورة التحريرية في اللغة

الثورة التحريرية إضافي مصطلح مركب من مفردتين هما: مفردة "الثورة"، ومفردة:

"التحريرية"، ويجري بيان مفهومها في اللغة كالآتي:

أولاً: مفهوم "الثورة" في اللغة:

الثورة لغة: الـهَيْجَانُ والغَضَبُ والوُثْبُ. يُقال: ثَارَ الشَّيْءُ ثَوْرًا وَثُورًا وَثَوْرَانًا، وَتَثَوَّرَ هَاجَ. ويقال: ثَارَ ثَائِرُهُ: إِذَا غَضِبَ وَهَاجَ غَضَبُهُ. وَثَارَ إِلَيْهِ ثَوْرٌ وَثُورًا وَثَوْرَانًا: وَثَبَ. وَالمُثَاوَرَةُ: المُوَاثَبَةُ. ويُقال:

انتظر حتى تسكن هذه الثورة؛ وهي الهيج. وثار الدخان والغبار وغيرهما يثور ثورًا وثورًا وثورًا: ظهر وسطع (التعليق رقم 3).

ثانيا: مفهوم "التحريرية" في اللغة:

التحريرية: صفة مشتقة من التحرير، والتحرير لغة: العتق؛ أي: إزالة العبودية. يُقال: حرّزته تحريرا أي: أعتقته ورفعته عنه العبودية وأزالتها. والحرّ: نقيض العبد، والجمع أحرار، وحرار. والحرّة نقيض الأمة، والجمع حرائر، والمحرّر: المعتق. والحرّ أيضا بمعنى الخالص. يُقال: هو من حرّية قومه: أي: من خالصهم. وطين حرّ: لا زمل فيه (التعليق رقم 4). وعلى ذلك يمكن القول بأن الثورة التحريرية لغة حالة من الهيجان والغضب تستهدف التخلص من الرّق، وإزالة العبودية.

2.1 الفرع الثاني: مفهوم الثورة التحريرية في الاصطلاح

أولا: المفهوم الاصطلاحي للثورة:

الثورة اصطلاحاً تُعرّف بأنها: "تغيير النظام في المجتمع على وجه يحقق إرادة الشعب أو أغلبه من غير الطريق الذي يرسمه النظام القانوني السائد في المجتمع" (عصمت سيف الدولة، 1970، ص 343).

قوله: "تغيير النظام في المجتمع"؛ أي: تغيير أبنية المجتمع كافة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وقوله: "على وجه يحقق إرادة الشعب أو أغلبه"؛ أي: أن الأهداف التي تسعى الثورة لتحقيقها تعد استجابة لتطلعات قطاعات واسعة من الشعب.

وقوله: "من غير الطريق الذي يرسمه النظام القانوني السائد في المجتمع"؛ أي: أن الثورة تعد خرقا للقانون القائم نظرا لأنها تخالف ما يقره القانون من طرق، وإجراءات لتنحية النظام السياسي القائم، واستبداله بغيره.

وفي ضوء التعريف السابق، يمكن استخلاص معيارين للثورة هما (كمال الغالي، 1965، ص 128):

-المعيار الأول: يأخذ بعين الاعتبار مصدر القوة في الحركة السياسية. فمصدر القوة في

الثورة هي الحركة الشعبية التي تعتمد على الحشد الجماهيري.

-المعيار الثاني: يأخذ بعين الاعتبار هدف هذه الحركة. فالثورة تعتبر حركة تغيير جذرية شاملة؛ أي تستهدف اقتلاع الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التقليدية السائدة، واستبدالها بأنظمة مغايرة تستهدف تحقيق تطلعات الجماهير (ثروت بدوي، 1999، ص 55).

وفي ضوء ذلك يمكن القول بأنَّ الثورة عبارة عن انتفاضة جماهيرية عارمة تقوم بها جماعات واسعة من أفراد الشعب. وهذه الحشود - الشعبية - أفرادا وجماعات- تكون على وعي بالأهداف السياسية التي ترنو لتحقيقها. وعادة ما يستند هذا الحراك الشعبي على قوة الحشد الجماهيري، كما قد يعتمد - بجانب ذلك - إلى قوة السلاح.

هذا يتفق المعنى الاصطلاحي للثورة مع معناها اللغوي. فالثورة في كل منهما تنطوي على الهياج والغضب. إلا أنَّ الثورة في المعنى الاصطلاحي لا تقتصر على مجرد الهياج كما هو الحال بالنسبة للتعريف اللغوي، وإنما تستهدف إحداث التغيير، وتوجيه مسار الأحداث نحو غاية بعينها.

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للتحرير:

المراد بالتحرير أو التحرر اصطلاحاً: التخلص من المحتل الأجنبي الذي يجثم على صدور العباد والبلاد. ويتفق هذا المعنى الاصطلاحي للتحرير مع معناه اللغوي في أن كل منهما في جوهره كَسْر لِرِيقَةِ الرِّقِّ، وتحطيم لقيود العبودية. إلا أن التعريف الاصطلاحي أخص منه مقارنة بالتعريف اللغوي. فالتحرير بالمعنى الاصطلاحي ينحصر في المعنى السياسي؛ أي: أنه إزالة للسلطة الأجنبية الحاكمة المسيطرة على مقاليد الأمور في البلاد. في حين أن التحرير في التعريف اللغوي يتسع لهذا المعنى كما يتسع لغيره.

وفي ضوء ذلك يمكن القول بأنَّ الثورة التحريرية هي: الثورة القومية التي تستهدف التحرر من الحكم الأجنبي. فهي ثورة سياسية تستهدف تغيير الفئة الحاكمة، ويتم من خلالها نقل السلطة السياسية من مجموعة حاكمة إلى أخرى. وقد تشمل هذه الثورة الشعب بكامله، وقد تقتصر على فئة طليعية تدبِّي الثورة، وتمارس عملها النضالي. وتنتهي الثورات عادة بعزل الحكام المحتلين ليحل محلهم حكاما وطنيين (كايد قرعوش، 1987، ص 580).

ويستخلص من ذلك أن المراد بالثورة التحريرية الجزائرية تلك الانتفاضة الوطنية التي قام بها الشعب الجزائري من أجل التخلص من الاحتلال الفرنسي، واسترداد الأرض والسلطة السليبة، واستعادة مقدراته، وتولي مقاليد الحكم في البلاد.

2. المطلب الثاني: الحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية

من المقرر أن الجهاد فرض من فروض الإسلام. والجهاد لغة مأخوذ من الجَهْد وهو التَّعب، وَبَدَلُ الوُسْع. يقال: جاهدَ في سبيل الله مجاهدةً، وجِهَاداً، والاجتهاد، والتجاهد: بَدَلُ الوُسْع والطاقة (التعليق رقم 5). والجهاد المبالغة في إتباع الأنفس في ذات الله تعالى (التعليق رقم 6). فكل من أتعب نفسه في ذات الله تعالى فقد جاهد في سبيله (العبدري، 1995، ج4، ص526). والجهاد في الشرع: "قتالُ مسلمٍ كافرًا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى، أو حُصُوره له (التعليق رقم 7)، أو دخوله أرضه" (محمد عlish، 1999، ج3، ص135). فوفقاً لهذا التعريف، فإنَّ الغرض من الجهاد في الإسلام هو إعلاء كلمة الإسلام في الأرض، والدُّؤد عن ديار المسلمين (التعليق رقم 8). أي: أن الجهاد في الإسلام ينقسم - من حيث الغرض منه - إلى نوعين هما:

- النوع الأول: جهاد الطلب: هو الغزو في سبيل الله تعالى نصرته لدينه حتى يكون الدين كله لله.

- النوع الثاني: جهاد الدفع: هو الدفاع عن المسلمين ورد كل من تسول له نفسه العدوان على ديارهم.

ومن منطلق أن الثورة التحريرية الجزائرية كان الغرض منها طرد المحتل الكافر من بلاد الإسلام، فإن هذه الثورة تندرج تحت النوع الثاني من نوعي الجهاد وهو جهاد الدفع. وجهاد الدفع فرض من فروض الأعيان؛ أي أنه: إذا أغار العدو الكافر على البلد المسلم، فيتوجب على كل مسلم ومسلمة لديهم القدرة والاستطاعة على التصدي لهذا العدو ومقاتلته ودحره حتى تتحرر الأرض السليبة من أدرانته. وعلى ذلك، فالثورة التحريرية على المحتل الكافر واجبة شرعاً على كل مسلم ومسلمة ممن تتوفر لديهم القدرة. وهي ثورة في الاتجاه الصحيح لأنها تحقق الغرض من جهاد الدفع، وهو تحرير الأرض المسلمة من العدو الغاصب. ويستدل على فرضية الثورة التحريرية بالعديد من الأدلة من الكتاب، والسنة، والإجماع، والمعقول كالآتي:

أولاً: الأدلة من الكتاب:

- الدليل الأول: قال الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (سورة البقرة، الآية 216). يقول القرطبي - رحمه الله -: "هذا هو فرض الجهاد، بيّن سبحانه أنَّ

هذا مما أمتحنوا به، وجُعِلَ وَصْلَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، والمراد بالقتال قتالُ الأعداء من الكفار" (القرطبي، 1964، ج3، ص38).

- الدليل الثاني: قال الله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (سورة البقرة، الآية 190). قال الطبري - رحمه الله - في معرض تفسيره لهذه الآية: "أمرهم [أي: المؤمنين] تعالى ذكره بقتال مَنْ كان منه قتال من مقاتلة أهل الكفر (التعليق رقم 9)" (الطبري، 2000، ج3، ص513).

- الدليل الثالث: قال الله تعالى: (واقتلوهم حيث ثَقِفْتُمُوهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) (سورة البقرة، جزء من الآية 191). قال الطبري - رحمه الله -: "يعني تعالى ذكره بذلك: واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مقاتلهم⁽²⁴⁾، وأمكنكم قتلهم (التعليق رقم 10) (الطبري، 2000، ج3، ص564).

- الدليل الرابع: قوله تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) (سورة البقرة، جزء من الآية 216). قال القرطبي: "هذا فرض الجهاد، بيّن سبحانه أنَّ هذا مما امتحنوا به، وجُعِلَ وَصْلَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ. والمراد بالقتال قتالُ الأعداء من الكفار، وهذا كان معلوماً لهم بقرائن الأحوال، ولم يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أُذن له في قتال من يقاتله من المشركين، فقال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) (سورة الحج، جزء من الآية 39). ثم أُذن له في قتال المشركين عامة" (القرطبي، 1964، ج3، ص38). وقال الماوردي - رحمه الله -: "ثبت بهذه الآية فرضُ الجهاد" (الماوردي، 1999، ج14، ص108). وقال ابن رشد - رحمه الله -: "وإنما صار الجمهور لكونه فرضاً لقوله تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم)" (ابن رشد، 2004، ج2، ص143).

- الدليل الخامس: قوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) (سورة البقرة، جزء من الآية 193). قال أبو بكر الجصاص: "قوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) يوجب فرض قتال الكفار... قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع بن أنس: الفتنة ها هنا الشرك. وقيل: إنما سُمِّيَ الكفر فتنةً لأنه يؤدي إلى الهلاك" (الجصاص، 1985، ج1، ص324). ومن المعلوم أن العدو الكافر الذي استحل بلاد المسلمين حريص على تجفيف ينابيع الإسلام، وتكريس الكفر. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: (ولا يزالون

يُقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (سورة البقرة، جزء من الآية 217). ولذا وجب دفعه، ومقاتلته، وإخراجه من ديار الإسلام.

- الدليل السادس: قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زَحْفًا فلا تُؤْلَوْهم الأدبارَ * وَمَنْ يُؤْلَمْ دُبْرُهُ يَوْمُنْذٍ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ المصير) (سورة الأنفال، الآيتان 15 - 16). قال الطبري - رحمه الله -: "يعني تعالى ذكَّره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إذا لقيتم الذين كفروا) في القتال (زَحْفًا)، يقول: متزاحفا بعضكم إلى بعض، والتزاحف: التداني والتقارب، (فلا تولوهم الأدبار)، يقول: فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإنَّ الله معكم عليهم. (ومن يُؤْلَمْ يومُنْذٍ دُبْرَةٍ)، يقول: ومن يُؤْلَمْ منكم ظهره (إلا متحرِّفًا لِقِتَالٍ)، يقول: إلا مُسْتَطَرِدًا لِقِتَالٍ عدوه، يطلب عَوْرَةَ له، يُمَكِّنُهُ إصابته، فيَكْرُ عليه (التعليق رقم 11)، (أو مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ) أو: إِلَّا أَنْ يُؤْلَمْ ظَهْرُهُ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ، يقول: صائرا إلى حَيْزِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفِيثُونَ بِهِ مَعَهُمْ إِلَيْهِ لِقِتَالِهِمْ (التعليق رقم 12)، وَيَرْجِعُونَ بِهِ مَعَهُمْ إِلَيْهِمْ" (الطبري، 2000، ج 13، ص 435).

- الدليل السابع: قوله تعالى: (إِلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير) (سورة التوبة، الآية 39). قال القرطبي-رحمه الله:- "وجب بمقتضاها النفير للجهاد (التعليق رقم 13)" (القرطبي، 1964، ج 8، ص 142).

- الدليل الثامن: قوله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ المصير) (سورة التوبة، الآية 73). قال القرطبي: "قوله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار)؛ الخطابُ للنبي صلى الله عليه وسلم وتدخلُ فيه أُمَّتُهُ من بعده. قيل: المرادُ جاهدُ بالمؤمنين الكفار. وقال ابنُ عباسٍ: أُمِرَ بالجهادِ مع الكفارِ بالسيف، ومع المنافقين باللسان، وشدة الزجر، والتغليظ" (القرطبي، 1964، ج 8، ص 204).

ثانيا: الأدلة من السنة:

- الدليل الأول: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قيل: للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما يَعْدِلُ الجهادَ في سبيل الله عز وجل؟ قال: "لا تستطيعونه"، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كلُّ ذلك يقول: "لا تستطيعونه"، وقال في الثالثة: "مَثَلُ المجاهدِ في سبيل الله كمَثَلِ الصائمِ القائمِ القانتِ بآيات الله (التعليق رقم 14)، لا يَفْتَرُ (التعليق رقم 15) من

صيامٍ ولا صلاةٍ، حتى يرجع المجاهدُ في سبيل الله تعالى " (التعليق رقم 16). قال القاضي عياض-رحمه الله:- " تمثيله المجاهد بالصائم القائم القانت بآيات الله الذي لا يفتر من صلاة ولا قيام حتى يرجع، تعظيم لأمر الجهاد جدا؛ لأن الجهاد والصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، فقد عدّها المجاهد وصارت جميع حالاته من فعله في تصرفاته من أكله ونومه وبيعه وشرائه لما يحتاجه وأجره في ذلك كأجر المثابر على الصوم والصلاة وتلاوة كتاب الله الذي لا يفتر " (القاضي عياض، 1998، ج 6، ص 297). قال ابن حجر- رحمه الله:- " وأستدل به على أنّ الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً " (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 5). وهذا يدل على ما للجهاد من أهمية. ولذا قال الجصاص-رحمه الله:- " وليس بعد الإيمان بالله ورسوله فرضٌ أكّد، ولا أولى بالإيجاب من الجهاد، وذلك أنه ... في ترك الجهاد غلبَةُ العدوِّ، ودروسُ الدين، وذهابُ الإسلام " (الجصاص، 1985، ج 4، ص 314).

- الدليل الثاني: ما رواه البخاري عن عُرْوَةَ بنِ الْجَعْدِ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الخَيْلُ معقود في نواصيها (التعليق رقم 17) الخَيْرُ إلى يوم القيامة " (التعليق رقم 18). قال ابن حجر-رحمه الله:- " قوله: (الخَيْلُ معقود في نواصيها الخَيْرُ إلى يوم القيامة)؛ الأجر، والغنيمة ... وفيه أن الجهادَ باقٍ ثابت إلى يوم القيامة " (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 288). فالحديث يدل على وجوب الجهاد، وأنه لا يُنسخ. (الكمال بن الهمام، د. ت.، ج 5، ص 438).

- الدليل الثالث: عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "اجتنبوا السَّبْعَ المَوْبِقَاتِ (التعليق رقم 19)، قالوا: يا رسولَ الله، وما هُنَّ؟ قال: "الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالْحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مالِ اليتيم، والتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ (التعليق رقم 20)، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ (التعليق رقم 21)، الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ (التعليق رقم 22)" (التعليق رقم 23). والشاهد من الحديث قوله - صلى الله عليه وسلم -: " والتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ " وهو "الفرار عن القتال يوم ازدحام الطائفتين" (القسطلاني، 1923، ج 5، ص 32). فالحديث يدل على أن الفرار من القتال ومواجهة العدو كبيرة من كبائر الذنوب (العيني، د. ت.، ج 14، ص 64). وفي ذلك دلالة قاطعة على فرضية الجهاد، ووجوب الأخذ على أيدي الكافرين.

ثالثاً: الدليل من الإجماع:

أجمعت الأمة على فَرَضِية الجهاد. فلا يجوز للمسلم التخلف عنه إلا لضرورة، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة (التعليق رقم 24). وقد حكى الإجماع غير واحد من العلماء. قال أبو بكر الجصاص - رحمه الله -: "قال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، ومالك، وسائر فقهاء الأمصار إنَّ الجهادَ فرضٌ إلى يوم القيامة" (الجصاص، 1985، ج 4، ص 312). ويقول ابن رشد - رحمه الله -: "فأما حكم هذه الوظيفة [أي: الجهاد] فأجمع العلماء على أنها فرض ... لقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ) (سورة البقرة، جزء من الآية 216)" (ابن رشد، 2004، ج 2، ص 143). وقال القرطبي - رحمه الله -: "والذي استمر عليه الإجماع أنَّ الجهاد على كل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فرض كفاية (التعليق رقم 25)، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقيين، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين (التعليق رقم 26)" (القرطبي، 1964، ج 3، ص 38). كما نقل الإجماع الكمال بن الهمام - رحمه الله - على ذلك بقوله: "إجماع الأمة أنَّ الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة لم ينسخ، فلا يتصور نسخه بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا قائل بقتال آخر الأمة الدجال ينتهي وجوب الجهاد" (الكمال بن الهمام، د. ت.، ج 5، ص 439). وقال القاضي عبد الوهاب - رحمه الله -: "الجهاد من فروض الكفاية، وقد يتعين في بعض الأوقات على من يفاجئه العدو (التعليق رقم 27)". (القاضي عبد الوهاب، 2004، ج 1، ص 91).

ويقول الماوردي - رحمه الله -: "فصل: فإذا ثبت أنَّ فرضَ الجهاد الآن مستقر على الكفاية دون الأعيان، فالذي يلزم من فرض الجهاد شيئان: أحدهما: كَفُّ العَدُوِّ عن بلاد الإسلام أن يتخطَّها لينتشر المسلمون فيها آمنين على نفوسهم، وأموالهم، فإنَّ أَظْلَّ العَدُوِّ عليهم وخافوه على بلادهم تعين فرض الجهاد على كل مَنْ أطاقه، وقدر عليه من البلاد التي أَظْلَمَها العَدُوُّ، وكان فرضه على غيرهم باقياً على الكفاية. والثاني: أن يطلب المسلمون بلادَ المشركين ليقاتلوهم على الدين حتى يسلموا أو يبذلوا الجزية إن لم يسلموا، لأن الله تعالى فرض الجهاد لنصرة دينه، فقال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (سورة البقرة، جزء من الآية 193). وهذا مما لا يتعين فرض الجهاد فيه، ولا يكون إلا على الكفاية، وإنَّ جازيتعين في الأول، ولا يجوز للإمام وكافة المسلمين أن يقتصروا في الجهاد على أحد هذين الأمرين حتى يجمعوا بينهما، فيبذَّبوا عن بلاد الإسلام، ويقاتلوا على بلاد الشرك،

فإن وقع الاقتصار على أحدهما؛ حَرَجَ أهلُ الجهاد لإخلاقهم بفرض الكفاية " (الماوردي، 1999، ج14، ص 112 – 113). ويقول – رحمه الله -: " فصل: فإذا تقرر ما وصفنا صار فرضُ الجهاد عاما في كل زمان ومكان " (الماوردي، 1999، ج14، ص 110). ويقول ابن حزم- رحمه الله -: " والجهاد فرض على المسلمين " (ابن حزم، د. ت.، ج5، ص340).

وقال ابن عبد البرّ – رحمه الله -: " والغرض في الجهاد ينقسم إلى قسمين: أحدهما: فرض عام متعين على كل أحد ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار، وذلك أن يَجِلَّ العدو بدار الإسلام محاربا لهم. فإذا كان ذلك، وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا، ويخرجوا إليه خِفَافًا، وثِقَالًا، وشبابًا، وشيوخًا، ولا يتخلف أحدٌ يَقْدِرُ على الخروج من مُقَاتِلٍ أو مُكْثِرٍ. وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على مَنْ قاربهم، وجاورهم أن يخرجوا قَلْبًا أو كَثْرًا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أَنَّ فيهم طاقة على القيام بهم، ومُدافعتهم. وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم، ويمكنه غِيَاثهم لزمه أيضا الخروج إليهم. فالمسلمون كلهم يَدُّ على من سواهم حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها، واحتل بها، سقط الفرض عن الآخرين. ولو قارب العدو دار الإسلام، ولم يدخلوها، لزمهم أيضا الخروج إليه. والقسم الثاني: من واجب الجهاد فرض أيضا على الإمام إعزاء طائفة إلى العدو، وكل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يُخْرِج مَنْ يثق به ليدعوهم إلى الإسلام، ويرغِّبهم، ويكف أذاهم، ويظهر دين الله عليهم، ويفاتلهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية " (ابن عبد البر، 1980، ج1، ص463).

وقال ابن قدامة – رحمة الله -: " إذا نَزَلَ الكفار ببلد، تَعَيَّنَ على أهله قتالهم ودَفْعُهم " (ابن قدامة، 1968، ج9، ص197). وقال ابن الحاجب – رحمه الله -: " الجهاد واجب ... بإجماع ... ويتعين على مَنْ نزل عليهم عدو وفيهم قوة عليه، فإن عجزوا تَعَيَّنَ مَنْ قَرُبَ منهم حتى يكتفوا " (ابن الحاجب، د. ت.، ج1، ص243). وقال القرافي – رحمه الله -: " هو [أي: الجهاد] من فروض الكفايات ... إلا أن ينزل العدو ببعض بلاد المسلمين، فيجب على الجميع إعانتهم بطاعة الإمام في النفير إليهم " (القرافي، 1994، ج3، ص385 – 386).. وقال شهاب الدين المالكي – رحمه الله -: " إذا نزل الكفار دار الإسلام تَعَيَّنَ على مَنْ أمكنه النُصرة حتى العبيد والمرأة " (شهاب الدين المالكي، د. ت.، ج1، ص50).

رابعاً: الدليل من المعقول:

مع أن الجهاد ظاهره المشقة، إلا أن العقل يوجب الامتثال لهذه الشريعة، وذلك لما يتحقق للمسلم المجاهد خيرى الدنيا والآخرة؛ فإما النصر وإما الشهادة. قال تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (سورة البقرة، الآية 216). قال القرطبي-رحمه الله-: " المعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون، وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً. وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم. قلت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد، وجبئوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟ وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله إنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبتة " (القرطبي، 1964، ج3، ص39).

مما سبق من أدلة، يتضح أن جهاد الدفع فرض عين على كل مسلم مستطيع. وعلى ذلك، كانت الثورة التحريرية الجزائرية فرض عين على كل مسلم ومسلمة داخل الجزائر وخارجها لتحرير الجزائر من الفرنسيين الكافرين المحتلين الغاصبين للأرض المسلمة. وكل من نكص عنها - مع استطاعته -، فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وخان الله ورسوله، والمؤمنين.

3. المطلب الثالث: فضل الثورة التحريرية الجزائرية وفقاً للشريعة الإسلامية

سبقت الإشارة إلى أن الثورة التحريرية الجزائرية هي في جوهرها تجسيد لجهاد الدفع في الإسلام استناداً إلى كونها استهدفت وسعت لتطهير أرض الجزائر المسلمة من الكفرة المحتلين لها الغاصبين لمقدراتها. وكان من ثمرتها وفضلها تحرير الأرض المسلمة من هؤلاء الأرجاس، وغسلها من آثارهم الدنسة. هذا فضلاً عما أعده الله تعالى من منزلة عظيمة لإخواننا المسلمين المجاهدين المخلصين الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الدفاع عن دار الإسلام.

ومن هذا المنطلق فإن فضل الثورة التحريرية الجزائرية هو فضل جهاد الدفع في الإسلام وهو الفوز بالحسنين؛ النصر والشهادة؛ النصر الذي تجسد في طرد الكفرة الفرنسيين وأذنانهم من دار الإسلام، والشهادة التي نرجوها لإخواننا المسلمين المجاهدين المخلصين الذين أزهقت أرواحهم الزكية في سبيل تحرير هذا الجزء الغالي من دار الإسلام وهو أرض الجزائر

المسلمة. ويستدل على فضل الثورة التحريرية الجزائرية - باعتبارها صورة من صور جهاد الدفع في الإسلام - بالعديد من الأدلة على النحو الآتي:

أولاً: الأدلة من الكتاب:

- **الدليل الأول:** قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقُونَ) (سورة آل عمران، الآية 169). قال القرطبي - رحمه الله -: "أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياءٌ في الجنة يُرزقون، ولا محالة أنهم ماتوا وأنَّ أجسادهم في التُّراب، وأرواحهم حيَّةٌ كأرواح سائر المؤمنين، وفُضِّلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأنَّ حياة الدنيا دائمةٌ لهم" (القرطبي، 1964، ج 4، ص 370). فإنَّ "أرواحهم في أجواف طَيْرٍ خُضِرَ" وأنهم يُرزقون في الجنة، ويأكلون، ويتنعمون. وهذا هو الصحيح" (القرطبي، 1964، ج 4، ص 370).

- **الدليل الثاني:** قال الله تعالى: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفُسِهِم أعظمُ درجةً عند الله وأولئك هم الفائزون * يُبَشِّرُهُم ربُّهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجَنَّتٍ لهم فيها نعيمٌ مُقيمٌ) (سورة التوبة، الآيتان 20 - 21). قال الشوكاني - رحمه الله -: "(الذين آمنوا إلى آخره، أي: الجامعون بين الإيمان، والهجرة، والجهاد بالأموال والأنفس أعظم درجة عند الله وأحقُّ بما لديه من الخير. وفي قوله: (عند الله) تشريف عظيم للمؤمنين، والإشارة بقوله (أولئك) إلى المتَّصِّفين بالصفات المذكورة. (هم الفائزون)؛ أي: المختصون بالفوز عند الله. ثم فسَّر الفوز بقوله: (يُبَشِّرُهُم ربُّهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجَنَّتٍ لهم فيها نعيمٌ مُقيمٌ)، والتنكير في الرحمة والرضوان والجَنَّت، المعنى أنها فوق وصف الواصفين، وتصوُّر المتصوِّرين، والنعيم المُقيم: الدائم المستمر الذي لا يفارق صاحبه، وذَكَرَ الأبَد بعد الخلود تأكيد له" (الشوكاني، 1994، ج 2، ص 394).

- **الدليل الثالث:** قال الله تعالى: (لكن الرسولُ والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفُسِهِم وأولئك لهم الخَيْرَاتُ وأولئك هم المُفلِحون * أعدَّ الله لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) (سورة التوبة، الآيتان 88 - 89). يبين الله تعالى في هذه الآية "منافع الجهاد، فقال: (وأولئك لهم الخَيْرَات)؛ وهي: جَمْعُ خَيْر، فيشمل منافع الدنيا والدين" (الشوكاني، 1994، ج 2، ص 445). وقال القرطبي - رحمه الله -: "فالمعنى لهم منافع الدارين" (القرطبي، 1964، ج 8، ص 224).

- الدليل الرابع: قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (سورة التوبة، الآية 111). قال القرطبي - رحمه الله - في معرض تفسيره لهذه الآية: "أصلُ الشراء بين الخلق أن يُعَوِّضُوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفعَ لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلافَ أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضاً عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عَوَضٌ عَظِيمٌ لا يُدَانِيهِ الْمُعَوِّضُ وَلَا يُقَاسُ بِهِ، فَأَجْلَى ذَلِكَ عَلَى مَجَازِ مَا يَتَعَارَفُونَهُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ" (القرطبي، 1964، ج 8، ص 369). والآية "عامّة في كل مجاهدٍ في سبيل الله من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى يوم القيامة" (القرطبي، 1964، ج 8، ص 369).

- الدليل الخامس: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ) (سورة الصف، الآيات 10 - 13). ففي هذه الآية الكريمة "جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار... ثم بيّن سبحانه هذه التجارة التي دَلَّ عليها، فقال: (تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) وهو خبر في معنى الأمر للإيذان بوجوب الامتثال، فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه، وقَدَّمَ ذِكْرَ الْأَمْوَالِ عَلَى الْأَنْفُسِ لَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي يُبْدَأُ بِهَا فِي الْإِنْفَاقِ وَالتَّجَهُّزِ إِلَى الْجِهَادِ ... والإشارة بقوله: (ذَلِكَ) إلى ما ذَكَرَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ (خَيْرٌ لَكُمْ)؛ أي: هذا الْفِعْلُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)؛ أي: إِنْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَعْلَمُ فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ، لَا إِذَا كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فَإِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ" (الشوكاني، 1994، ج 5، ص 365). "ولكم خَصْلَةٌ أُخْرَى وَتِجَارَةٌ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ)؛ أي: هُوَ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ ... أي: ولكم نصرٌ من الله (وفتح قريب)؛ أي: غَنِيمَةٌ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا" (القرطبي، 1964، ج 18، ص 88 - 89)؛ أي: "وَبَشِيرًا مُحَمَّدٌ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ، أَوْ بَشَرَهُمْ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالفَتْحِ، وَبِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ" (الشوكاني، 1994، ج 5، ص 365).

ثانيا: الأدلة من السنة:

- الدليل الأول: قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: سألتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -: قُلْتُ: يا رسولَ الله، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قال: "الصلاةُ على مِيقَاتِهَا"، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: "ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ"، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: "الجهادُ في سبيلِ الله" (التعليق رقم 28). قال ابن حجر - رحمه الله -: "قال الطبري: إنما خَصَّ صلى الله عليه وسلم هذه الثلاثة لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات. فَإِنَّ مَنْ ضَيَّعَ الصلاةَ المفروضة حتى يخرجَ وقتَها من غير عُدْرٍ مع حقه مُؤَنَّتِهَا عليه وعظيم فضلها، فهو لما سواها أضيّع. ومن لم يَبِرَّ والديه مع وُفور حقهما عليه كان لغيرهما أَقلَّ بَرًّا. ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين، كان لجهاد غيرهم من الفُسَّاق أَثَرُك. فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها، كان لما سواها أحفظ، ومن ضَيَّعَهَا كان لما سواها أضيّع" (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 4). وقال - رحمه الله -: "قال عِيَّاض: اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد" (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 5).

- الدليل الثاني: عن أبي سعيد الخُدْرِيّ - رضي الله عنه -، قال: قيل: يا رسولَ الله: أَيُّ الناسِ أَفْضَلُ؟ فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: "مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ في سبيلِ الله بِنَفْسِهِ وماله"، قالوا: ثُمَّ مَنْ؟ قال: "مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ من الشَّعَابِ (التعليق رقم 29) يَتَّقِي الله، وَيَدْعُ الناسَ مِن شَرِّهِ (التعليق رقم 30)" (التعليق رقم 31). قال ابن حجر - رحمه الله -: "فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي" (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 6).

- الدليل الثالث: عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: سَمِعْتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "مَثَلُ الْمُجَاهِدِ في سبيلِ الله، والله أعلمُ بمن يُجَاهِدُ في سبيله، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ في سبيله (التعليق رقم 32)، بَأَن يَتَوَقَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجنةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مع أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ" (التعليق رقم 33).. قال ابن حجر - رحمه الله - في معرض تناوله لهذا الحديث: "مَثَلُ المجاهد في سبيلِ الله كَمَثَلِ الصَّائِمِ نهاره القَائِمِ ليله، وَشَبَّهَ حالَ الصَّائِمِ بحال المجاهد في سبيلِ الله في نَيْلِ الثَّوَابِ في كل حركة وسكون لأن المراد من الصَّائِمِ الْقَائِمِ مَنْ لَا يَفْتُرُ سَاعَةً عن العبادة فأجره مستمرٌّ، وكذلك المجاهد لا تضييع ساعةٌ من ساعاته بغير ثواب". (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 7). و"قوله: (أَنْ يُدْخِلَهُ الجنةَ)؛ أي: بغير حساب ولا عذاب أو المراد أن يُدْخِلَهُ الجنةَ ساعة موته كما ورد أن أرواح الشهداء

تَسْرُحُ فِي الْجَنَّةِ" (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 8). و"قوله (مع أجر أو غنيمة)؛ أي: مع أجر خالص إن لم يَغْنَمَ شيئاً أو مع غنيمة خالصة معها أجر ... وقال الكِرْمَانِي: معنى الحديث أنَّ المجاهد إما يُسْتَشْهَد أولاً، والثاني لا يَنْفَلِكُ من أجرٍ أو غنيمة مع إمكان اجتماعهما" (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 8). فالله تعالى أَعَدَّ "للمجاهدين ثلاث كَرَامَات دُنْيَوِيَّاتٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ؛ فالدُنْيَوِيَّاتُ السَّلَامَةُ وَالْغَنِيْمَةُ، وَالْأُخْرَوِيَّةُ دُخُولُ الْجَنَّةِ. فَإِذَا رَجَعَ سَالِمًا غَانِمًا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ ثُلَاثَا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ، وَبَقِيَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الثُّلُثُ. وَإِنْ رَجَعَ بِغَيْرِ غَنِيْمَةٍ عَوَّضَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ثَوَابًا فِي مُقَابَلَةٍ مَا فَاتَهُ. وَكَأَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ يُقَالُ لِلْمُجَاهِدِ إِذَا فَاتَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا عَوَّضْتُكَ عَنْهُ ثَوَابًا. وَأَمَّا الثَّوَابُ الْمُخْتَصُّ بِالْجِهَادِ، فَهُوَ حَاصِلٌ لِلْفَرِيقَيْنِ مَعًا. وَفِي الْحَدِيثِ ... أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا تَسْتَلْزِمُ الثَّوَابَ لِأَعْيَانِهَا، وَنَمَا تَحْصُلُ بِالنِّيَّةِ الْخَالِصَةِ إجمالاً وَتَفْصِيلاً وَاللَّهُ أَعْلَمُ" (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 10).

- الدليل الرابع: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ زَوْجَةٌ (التعليق رقم 34) خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" (التعليق رقم 35). قال ابن حجر - رحمه الله -: "الحاصلُ أَنَّ الْمُرَادَ تَسْهِيلُ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَتَعْظِيمُ أَمْرِ الْجِهَادِ، وَأَنَّ مَنْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ قَدْرٌ سَوِيٌّ يَصِيرُ كَأَنَّهُ حَصَلَ لَهُ أَمْرٌ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ مَا فِي الدُّنْيَا فَكَيْفَ بِمَنْ حَصَلَ مِنْهَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ. وَالنُّكْتَةُ (التعليق رقم 36) فِي ذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ التَّأخِيرِ عَنِ الْجِهَادِ الْمَيْلُ إِلَى سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، فَنَبَّهَ هَذَا الْمُتَأَخِّرُ أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ الْيَسِيرَ مِنَ الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ مَا فِي الدُّنْيَا" (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 14). "ومعنى الحديث أَنَّ فَضْلَ الْعَدُوَّةِ وَالزَّوْجَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَثَوَابِهِمَا خَيْرٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا كُلِّهَا لَوْ مَلَكَهَا إِنْسَانٌ وَتَصَوَّرَ تَنْعَمَ بِهَا كُلِّهَا لِأَنَّهُ زَائِلٌ وَنَعِيمُ الْآخِرَةِ بَاقٍ" (النووي، 1972، ج 13، ص 36).

- الدليل الخامس: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لَمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى" (التعليق رقم 37). قال ابن حجر - رحمه الله -: "قال المُهَلَّبُ إِنَّمَا أورد حديث أنس هذا لِيبَيِّنَ الْمَعْنَى الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَتَمَنَّى الشَّهِيدُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا لِيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِكَوْنِهِ يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ بِالشَّهَادَةِ فَوْقَ مَا فِي نَفْسِهِ إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ يُعْطَاهَا مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَوْ أَطْلَتْ عَلَى الدُّنْيَا لِأَضَاءَتِ كُلِّهَا" (115). (ابن حجر، 1959، ج 6، ص 15).

- الدليل السادس: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يَكَلِّمُ (التعليق رقم 38) أَحَدٌ في سبيلِ الله، واللهُ أَعْلَمُ بمن يُكَلِّمُ في سبيله (التعليق رقم 39)، إلا جاءَ يومَ القيامةِ وجُرْحُهُ يَنْتَعِبُ (التعليق رقم 40) اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، والريحُ ريحُ مِسْكٍ" (التعليق رقم 41). قال النووي - رحمه الله -: "والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكونَ معه شاهدَ فضيلته، وبَذْلِهِ نَفْسَهُ في طاعة الله تعالى" (النووي، 1972، ج 13، ص 31).. "وهذا الفضل وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البُغاة وقُطَاع الطريق وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك والله أعلم" (النووي، 1972، ج 13، ص 32).

- الدليل السابع: عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إنَّ أرواحَ الشهداءِ في طيِّرٍ خُضِرَ تَعْلُقُ مِن ثَمَرِ الجنةِ أو شَجَرِ الجنةِ" (التعليق ص 42). "قوله (في طيِّر) جمع طائر ويطلق على الواحد (خُضِرَ) بضم فسكون جمع أخضر (تَعْلُقُ) ... أي: تَرعى من أعالي شجر الجنة" (التعليق رقم 43). وفي ذلك دليل على عِظَم فضل الجهاد.

- الدليل الثامن: عن المُقدِّم بن مَعْدِي كَرِب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "للشهيدِ عند الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ في أوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرى مَقْعَدَهُ من الجنة، ويُجَارُ من عذاب القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأكبرِ، ويُوضَعُ على رأسه تاجُ الوَقَارِ، الياقوتَةُ منها خَيْرٌ من الدنيا وما فيها، وَيُزَوَّجُ اثنتين وسبعينَ زَوْجَةً من الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ في سبعينَ من أَقاربه" (التعليق رقم 43). "قوله: (للشهيدِ عند الله سِتُّ خِصَالٍ) لا يوجد مجموعها لأحد غيره (يُغْفَرُ له) بصيغة المجهول (في أوَّلِ دَفْعَةٍ) بضم الدال المهملة وسكون الفاء هي الدَفْعَةُ من الدِّم وغيره قاله المُنْذَرِي؛ أي: تُمَحى ذُنُوبُهُ في أوَّلِ صَبَّةٍ من دمه ... قوله: (ويُجَارُ من عذاب القَبْرِ)؛ أي: يَحْفَظُ وَيُؤَمِّنُ ... (يَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأكبرِ) قال القاريء فيه إشارة إلى قوله تعالى: (لا يَحْزَنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ) (سورة الأنبياء، جزء من الآية 103). (المباركفوري، د. ت.، ج 5، ص 223)؛ قيل هو عذابُ النار، وقيل العَرَضُ عليها، وقيل هو وقتُ يُؤْمَرُ أهلُ النار بدخولها، وقيل دَبَحُ الموت فييأسُ الكفار من التخلص من النار بالموت، وقيل وقت إطباقِ النار على الكفار، وقيل النَّفْخَةُ الأخيرة ... (ويُوضَعُ على رأسه تاجُ الوَقَارِ)؛ أي: تاجٌ هو سبب العزة والعظمة ... (الياقوتَةُ منها)؛ أي: من التاج، والتأنيث باعتبار أنه علامة العِزِّ والشَّرَفِ أو باعتبار

أنه مجموع من الجواهر وغيرها، (وَيُرَوِّجُ)؛ أي: يعطى بطريق الزوجية (اثنتين وسبعين زوجة) في التقييد بالثنتين والسبعين إشارة إلى أن المراد به التحديد لا التكاثر، ويُحْمَلُ على أن هذا أقل ما يعطى ولا مانع من التفضُّل بالزيادة عليها قاله القاري، (من الحُور العين)؛ أي: نساء الجنة واحدها حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها، والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين، (وَيُشَفِّعُ) ... أي: يُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ" (المباركفوري، د. ت.، ج 5، ص 348). يقول القرافي - رحمه الله - : "فهذه الفضيلة العظيمة يرجع اختيار مالك وأصحابه في جَعْلِهِ [أي: الجهاد] في المَصَنَّفَات مع العبادات" (القرافي، 1994، ج 3، ص 383).

مما سبق يتضح أن "الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومن أفضل الأعمال التي تُقَرِّب العبد إلى الملك العَلَّام. به يُحَفِّظ الدين، ويُنَشِّر نور الإسلام في بقاع المعمورة، وبه يُعَزِّز أولياء الرحمن، ويُذِلُّ أولياء الشيطان، وبه يُدْفَع العدوان، ويُرْفَع الظلم عن المظلومين، وَيُحَكِّم شَرع الله في الأرض، فينتشر العدل، وَيَسُود الأمان، وَيَعُمُّ الرخاء، به تَسُود الأمة، وتُسَمَّع الكلمة، وتُصان الكرامة" (الشهري، 2003، ج 1، ص 6). وهكذا كانت الثورة التحريرية الجزائرية من أفضل الأعمال، ومن أفضل القُرَب إلى الله تعالى. فيها حُفِظ الدين، وبها تم إعزاز أولياء الرحمن، وإذلال أولياء الشيطان. وبها دُفِع العدوان، ورفِع الظلم عن المظلومين. وبها حررت أرض الإسلام، ودار المسلمين من براثن الكفرة الفرنسيين وأذنانهم أعداء الدين. وبها غنم إخواننا المسلمون المجاهدون ممن جرحوا وأوذوا - في سبيل الدفاع عن أرض الإسلام - منافع الدارين الدنيا والآخرة. وبها نال الشهادة إخواننا المسلمون المجاهدون ممن سالت دماؤهم دون دينهم، وأعراضهم. فعن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول: "مَنْ قُتِلَ دون ماله فهو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دون دينه فهو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دون دمه فهو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دون أهله فهو شهيدٌ" (التعليق رقم 44). فخرجوا الله تعالى لهم الشهادة، وخرجوا الله تعالى أن يبلغهم منازل الشهداء مع النبيين والصديقين والصالحين.

4. الخاتمة

استهدفت الدراسة الحالية تجلية المراد بالثورة التحريرية، وبيان الحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية، وفضلها في ضوء الشريعة الإسلامية. وأسفرت الدراسة عن العديد من النتائج أبرزها الآتي:

أولاً:- الثورة التحريرية الجزائرية صورة من صور جهاد الدفع في الإسلام. ومن المقرر - شرعا - أنَّ جهاد الدفع فرض من فروض الأعيان؛ أي أنه: إذا أغار العدو الكافر على البلد المسلم، فيتوجب على كل مسلم ومسلمة لديهم القدرة والاستطاعة التصدي لهذا العدو ومقاتلته ودحره حتى تتحرر الأرض السليبة من أدرانته. وقد جسَّدت الثورة التحريرية الجزائرية ما يوجبه الإسلام من مقاومة المحتل الكافر، واقتلاع جذوره من بلاد الإسلام. فهي ثورة في الاتجاه الصحيح لأنها حققت الغرض من جهاد الدفع في الإسلام، وهو تحرير الأرض المسلمة من العدو الغاصب، وتطهيرها من أرجاسه وأدراجه.

ثانياً: الثورة التحريرية الجزائرية من أفضل الأعمال، ومن أفضل القُرَب إلى الله تعالى. فيها حُفِظَ الدين، وبها تم إعزاز أولياء الرحمن، وإذلال أولياء الشيطان. وبها دُفِعَ العدوان، ورفع الظلم عن المظلومين. وبها حررت أرض الإسلام، ودار المسلمين من برائن الكفرة الفرنسيين وأذنانهم أعداء الدين. وبها حظي المسلمون المجاهدون المخلصون ممن جُرحوا، وعُذِّبوا وأوذوا من في سبيل الدفاع عن أرضهم المغنم الكبير والأجر العظيم في الدارين الأولى والاخرة. وبها حظي بالشهادة المسلمون المجاهدون المخلصون ممن سالت دماؤهم، وزهقت أرواحهم في سبيل الدفاع عن أموالهم، ودينهم، ودمائهم، وأعراضهم. ومن نال الشهادة، فقد فاز فوزاً عظيماً.

وفي ضوء ما أسفر عنه البحث من نتائج، توصي الدراسة بضرورة تبصير الأمة الإسلامية - أفراداً وجماعات - بالحكم الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية، وتجلية فضلها للأجيال المسلمة استناداً إلى كونها ضربت مثلاً رائعاً، وأنموذجاً مشرقاً من نماذج الجهاد في الإسلام.

التعليقات

- (1) الألباني، صحيح الترغيب، والترهيب، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، ط1، ص3.
- (2) لمزيد من التفصيل عن التاريخ النضالي للجزائر والثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، يراجع: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ط2، ج3، ص 271-288، وزهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية (1954-1962)، ط1، ص 3-113.
- (3) ابن منظور، لسان العرب، ط3، ج4، باب الراء، فصل الثاء، ص 108.
- (4) ابن منظور، لسان العرب، ط3، ج4، باب الراء، فصل الحاء المهملة، ص 181-182.
- (5) الرازي، مختار الصحاح، ط5، ج1، باب: الجيم، ص63.

(6) الجهاد هنا بمفهومه الواسع، وهو ينقسم - من حيث الوسيلة - إلى أربعة أقسام هي:

- القسم الأول: جهاد بالقلب: جهاد القلب هو أن يجاهد الشيطان، والنفس عن الشهوات المحرّمات.

- القسم الثاني: جهاد باللسان: جهاد اللسان هو أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

- القسم الثالث: جهاد باليد: جهاد اليد هو أن يزجر ذوو الأهل المتأكر عن المنكر بالأدب والضرب، ومن ذلك إقامتهم الحدود.

- القسم الرابع: جهاد بالسيف: جهاد السيف هو قتال المشركين على الدين؛ أي: لتكون كلمة الله هي العليا.

إلا أن الجهاد إذا أُطلق لا يقع إلا على مُجاهدة الكفار بالسيف. "وفي تسميته جهادا تأويلان: أحدهما: لأنه يَجْهَدُ في قَهْرِ عَدُوِّهِ. والثاني: لأنه يَبْذُلُ فيه جَهْدَ نَفْسِهِ". القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج8، ص152، والعبدري، التاج والإكليل لمختصر خليل، ط1، ج4، ص526.

(7) الحُصُور: الإحاطة والمنع من المُضَيِّ، والحَبْس. يُقال: حَصَرَهُ العَدُوُّ حَصْرًا؛ أي: أحاطوا به ومنعوه من المُضَيِّ. يُقال: حَصَرَهُ العدو في منزله؛ أي: حَبَسَهُ، وأَحَصَرَهُ المرض: مَنَعَهُ من السَّفَر. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج1، باب الحاء مع الصاد وما يثلهما، ص138.

(8) تجدر الإشارة إلى أَنَّ الجهاد إذا أُطلق - في عرف الشرع - فالمراد به دعوة الكفار إلى الإسلام، وقتالهم عند عدم الانقياد لدين الله تعالى. يقول الكمال بن الهمام - رحمه الله -: "الجهاد ... غلبَ في عرفهم على جهاد الكفار، وهو دعوتهم إلى الدين الحق، وقتالهم إن لم يقبلوا". ولذا عرّفه ابن حجر - رحمه الله - بأنه: "بذلُ الجهد في قتال الكفار". كما يُعرّف بأنه: "الدعاء إلى الدين الحق، وقتال مَنْ لم يَقْبَلْهُ". يراجع: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط..، ج6، ص3، والكمال بن الهمام، فتح القدير، د. ط..، ج5، ص435، وابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ط2، ج4، ص121.

(9) المُقَاتِلَةُ: الذين يَصْلُحُونَ لِلْقِتَالِ. والمُقَاتِلَةُ مفرد المُقَاتِلِ وهو الذي يَصْلُحُ للقتال ولم يَشْرَعْ فيه. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج2، باب القاف مع التاء وما يثلهما، ص490.

(10) الْمُقَاتِلُ مفرد المَقْتَل وهو المَوْضِع الذي إذا أُصِيب لا يكادُ صاحبه يَسْلَم. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج2، باب القاف مع التاء وما يثلاثهما، ص490.

(11) كَرَّ الفارسُ كَرًّا: إذا فَرَّ لِلجَوْلَانِ ثم عاد للقتال. ويُقال: أفناه كَرُّ الليل والنهار: أي: عَوَّذُهما مرة بعد أخرى، ومنه اشتق تكرير الشيء، وهو إعادته مرارا، والاسم التَّكْرار، والكَّرَّة: الرَّجْعَة. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج2، باب الكاف مع الراء وما يثلاثهما، ص530.

(12) يَفِيء: يَرْجِع. يُقال: فاء الرجلُ يَفِيءُ فَيْئًا؛ أي: رَجَعَ. وفاء الظِّلُّ يَفِيءُ فَيْئًا؛ أي: رَجَعَ من جانب المغرب إلى جانب المشرق. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج2، باب الفاء مع الراء وما يثلاثهما، ص486.

(13) النَّفِيرُ للجِهاد: الإسراعُ إليه. يُقال: نَفَرُوا إلى الشيء؛ أي: أَسْرَعُوا إليه. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج2، باب النون والفاء وما يثلاثهما، ص617.

(14) القائمُ القانت بآيات الله؛ أي: الْمُصَلِّي الخاشع الذي يطيل القيام بتلاوة القرآن، وبالدعاء. فالقنوت يرد بمعان متعددة كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام، وطول القيام، والسكوت. فَيُصْرَفُ في كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه. يراجع: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، د. ط..، ج4، ص111.

(15) لَا يَفْتَر: لَا تَنْكَسِرُ حَدُّهُ. يُقال: فَتَرَ عن العمل فتورا؛ أي: انكسرت حَدَّتُهُ، ولأنَّ بعد شِدَّتِهِ، ومنه فَتَرَ الحَرُّ إذا انكسر. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج2، باب الفاء مع التاء وما يثلاثهما، ص461.

(16) متفق عليه. رواه البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ لمسلم. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج4، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير، الحديث رقم (2785)، ص15، ومسلم، صحيح مسلم، د. ط..، ج3، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، الحديث رقم (1878)، ص1498.

(17) النواصي مفرد الناصية، والناصية: مُقَدِّمُ الرأس. يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج2، باب النون والفاء وما يثلاثهما، ص609.

(18) متفق عليه. رواه البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ للبخاري. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج4، كتاب: الجهاد والسير، باب: الخَيْلُ معقود في نواصيها الخيرُ إلى

- يوم القيامة، الحديث رقم (2850)، ص 28، ومسلم، صحيح مسلم، د. ط.، ج 3، كتاب: الإمامة، باب: الخَيْلُ معقود في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، الحديث رقم (1873)، ص 1493.
- (19) الموبقات: المهلكات. والموبقات جمع موبقة، وهي المهلكة. يُقال: وَبَقَ الرجلُ يَبِقُ وَيُوبِقُ إذا هَلَكَ. وَأَوْبَقَ غَيْرُهُ: أي: أهلكه. يراجع: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط 2، ج 2، ص 84.
- (20) الرَّحْف: الجماعة الذين يَزْحَفون إلى العدو؛ أي: يمشون إليهم بمشقة. يراجع: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د. ط.، ج 14، ص 62.
- (21) الْمُخَصَّنَات: العفاف. يراجع: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط 2، ج 2، ص 84.
- (22) الغافلات: أي: البريئات لأن البرئ غافل عما بُهت به من الزنا. والمراد بالغافلات: الغافلات عن الفواحش، وعما نسب إليهن من الزنا. يراجع: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط 2، ج 2، ص 84، والعيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د. ط.، ج 14، ص 62.
- (23) متفق عليه. رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، واللفظ للبخاري. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط 1، ج 4، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)، الحديث رقم (2766)، ص 10، ومسلم، صحيح مسلم، د. ط.، ج 1، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، الحديث رقم (89)، ص 92.
- (24) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، د. ط.، ج 2، ص 143، والماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، ط 1، ج 14، ص 112-113، وابن حزم، المحلى بالآثار، د. ط.، ج 5، ص 340، والسرخسي، المبسوط، د. ط.، ج 10، ص 2-3، وابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، ط 2، ج 1، ص 462-463، والنووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ط 3، ج 10، ص 208-209، وابن قدامة، المغني، د. ط.، ج 9، ص 196، والقاضي عبد الوهاب، التلقين في الفقه المالكي، ط 1، ج 1، ص 91، والكمال بن الهمام، فتح القدير، د. ط.، ج 5، ص 441، وابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ط 2، ج 4، ص 122.
- (25) معنى فرض الكفاية: الذي إن لم يَقُمْ به مَنْ يكفي، أثِمَ الناسُ كُلُّهُمْ، وإن قام به مَنْ يكفي، سقط عن سائر الناس". يراجع: ابن قدامة، المغني، د. ط.، ج 9، ص 196.

(26) فرض العين هو ما يَسْقُطُ عن أحد بفعل غيره. يراجع: ابن قدامة، المغني، د. ط..، ج9، ص 196.

(27) يتعيّن أي: يصير فرض عيّن. يراجع: ابن قدامة، المغني، د. ط..، ج9، ص 196.

(28) رواه البخاري في صحيحه. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج4، كتاب الجهاد والسيّر، باب فضل الجهاد والسير، الحديث رقم (2782)، ص14.

(29) الشَّعْبُ بالكسْرِ الطريق، وقيل: الطريقُ في الجَبَل، والجمع شَعَاب. قال ابن حجر - رحمه الله -: "قال ابن عبد البر: إنما أُورِدَت هذه الأحاديث بذِكر الشَّعْب ... لأن ذلك يكون في الأغلب خاليا من الناس، فكل موضع يبْعُد على الناس فهو داخل في هذا المعنى". يراجع: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، ج1، باب الشين والعين وما يثلاثهما، ص313، وابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط..، ج6، ص7.

(30) قال ابن حجر - رحمه الله -: "وإنما كان المؤمنُ المعتزل يتلوهُ [أي: يتلو المجاهد] في الفضيلة لأن الذي يخالط الناس لا يَسْلَمُ من ارتكاب الآثام فقد لا يفي هذا بهذا وهو مقيد بوقوع الفتّن". يراجع: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط..، ج6، ص6.

(31) متفق عليه. رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، واللفظ للبخاري. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج4، كتاب الجهاد والسيّر، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، الحديث رقم (2786)، ص15، ومسلم، صحيح مسلم، د. ط..، ج3، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، الحديث رقم (1888)، ص1503.

(32) قوله: "تَوَكَّلَ اللهُ للمجاهد في سبيله"؛ أي: "تَضَمَّنَ اللهُ لمن خرج في سبيله". يراجع: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط..، ج6، ص7.

(33) رواه البخاري في صحيحه. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج4، كتاب الجهاد والسيّر، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، الحديث رقم (2787)، ص15.

(34) قوله صلى الله عليه وسلم: "لَعْدُوَّةٌ في سبيل الله أو رَوْحَةٌ"؛ "الْعَدُوَّةُ بالْفَتْحِ المرة

(35) الواحدة من الْعُدُوِّ وهو الخروج في أي وقت كان من أوّل النهار إلى انتصافه. والرَّوْحَةُ المرة الواحدة من الرِّوَا ح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها". يراجع: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط..، ج6، ص14.

- (36) متفق عليه. رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، واللفظ للبخاري. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج4، كتاب الجهاد والسير، باب "لَعَدُوَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةً وَقَابَ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، الحديث رقم (2792)، ص16، ومسلم، صحيح مسلم، د. ط..، ج3، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، الحديث رقم (1880)، ص1499.
- (37) التُّكْتَةُ: الإشارة. يقال: نَكَتَ فِي الْعِلْمِ، بِمُوافَقَةِ فُلَانٍ، أَوْ مُخَالَفَةِ فُلَانٍ: أَشَارَ. يراجع: ابن منظور، لسان العرب، ط3، ج2، باب التاء، فصل النون، ص101.
- (38) رواه البخاري في صحيحه. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج4، كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن يحار فيها الطرف، شديدة سواد العين، شديدة بياض العين، الحديث رقم (2795)، ص17.
- (39) قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَكَلِّمُ" أَي: لَا يُجَرِّحُ. "الْكَلْمُ بفتح الكاف وإسكان اللام فهو الجُرْحُ، وَيُكَلِّمُ يَأْسِكُنَ الكاف: أَي: يُجَرِّحُ". يراجع: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، ج13، ص31.
- (40) قوله صلى الله عليه وسلم: "(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ)؛ أَي: الْمَدَارُ عَلَى الْإِخْلَاصِ الْبَاطِنِيِّ لَا عَلَى الظَّاهِرِ وَهُوَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ". يراجع: السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، د. ط..، ج2، ص183.
- (41) قوله صلى الله عليه وسلم: "وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ" معناه يجري مُتَفَجِّرًا أَي: كَثِيرًا. يراجع: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، ج13، ص32.
- (42) مسلم، صحيح مسلم، د. ط..، ج3، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد، والخروج في سبيل الله، الحديث رقم (1876)، ص1496.
- (43) رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن صحيح، يراجع: الترمذي، سنن الترمذي، ط2، ج4، كتاب أبواب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، الحديث رقم (1641)، ص176.
- (44) رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث صحيح غريب. يراجع: الترمذي، سنن
- (45) الترمذي، ط2، ج4، كتاب أبواب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، الحديث رقم (1663)، ص187.

46) رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن صحيح . يراجع: الترمذي، سنن الترمذي، ط2، ج4، كتاب أبواب الدِّيَّات، باب ما جاء فيمن قُتِل دون ماله فهو شهيد، الحديث رقم (1421)، ص30.

- مراجع الدراسة

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المتوفي سنة (606هـ)، (1399هـ - 1979م). النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، د. ط..، بيروت، المكتبة العلمية.

الألباني، محمد ناصر الدين، المتوفي سنة (1420هـ)، (1421هـ - 2000م). صحيح الترغيب والترهيب، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، ط1، الرياض، مكتبة المعارف.

إحدادن، زهير، (2007م). المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية (1954-1962)، ط1، الجزائر، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المتوفي سنة (256هـ). (1422هـ). صحيح البخاري، ط1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دمشق، دار طوق النجاة.

بدوي، ثروت، (1999). النظم السياسية، د. ط..، دار النهضة العربية، القاهرة.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضَّحَّاك، المتوفي سنة (279هـ)، (1395هـ - 1975م). سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط2، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، المتوفي سنة (370هـ). (1405هـ). أحكام القرآن، د. ط..، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن الحاجب، عثمان بن عمرو بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين الكردي المالكي، المتوفي سنة (646هـ)، (د. ت.). جامع الأمهات، د. ط..، د. م..، د. ن.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، المتوفي سنة (852هـ). (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط..، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المتوفي سنة (456هـ). (د. ت.). المحلى بالآثار، د. ط..، بيروت، دار الفكر.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، المتوفي سنة (666هـ). (1420هـ-1999م). مختار الصحاح، ط5، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي، المتوفي سنة (595هـ)، (1425هـ-2004م). بداية المجتهد ونهاية المقتصد، د. ط..، القاهرة، دار الحديث.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المتوفي سنة (483هـ). (1414هـ-1993م). المبسوط، د. ط..، بيروت، دار المعرفة.

السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن نور الدين، المتوفي سنة (1138هـ)، (د. ت.). حاشية السندي على سنن ابن ماجة، د. ط..، بيروت، دار الجبل.

سيف الدولة، عصمت، (1970). الطريق إلى الديمقراطية، ط1، دار الطليعة، بيروت.

الشهري، مرعي بن عبد الله بن مرعي الجبهي، (1423هـ-2003م). أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي، ط1، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، سوريا، دار العلوم والحكم.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليماني، المتوفي سنة (1250هـ)، (1414هـ-1994م). فتح القدير، ط1، دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، المتوفي سنة (310هـ)، (1420هـ-2000م). جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، المتوفي سنة (1252هـ). (1412هـ-1992م). رد المحتار على الدر المختار، ط2، بيروت، دار الفكر.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي، المتوفي سنة (463هـ)، (1400هـ-1980م). الكافي في فقه أهل المدينة، ط2، تحقيق: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة.

العبدري، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي الغرناطي، المتوفي سنة (897هـ)، (1416هـ-1995م). التاج والإكليل لمختصر خليل، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

القاضي عبد الوهاب، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، المتوفي سنة (422هـ)، (1425هـ - 2004م). التلقين في الفقه المالكي، تحقيق: أبي أويس محمد بن خبزة الحسني التطواني، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن عرفة، محمد بن أحمد الدسوقي المالكي، المتوفي سنة (1230هـ)، (د. ت.). حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، د. ط..، بيروت، دار الفكر.

عليش، محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله المالكي، المتوفي سنة (1299هـ)، (1409هـ - 1999م). منح الجليل شرح مختصر خليل، د. ط..، بيروت، دار الفكر.

القاضي عياض، موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل، المتوفي سنة (544هـ). (1419هـ - 1998م). إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط1، تحقيق: يحيى إسماعيل، القاهرة، دار الوفاء.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، بدر الدين، المتوفي سنة (855هـ)، (د. ت.). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د. ط..، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الغالي، كمال، (1385هـ - 1965م). مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، د. ط.. مطبعة جامعة دمشق، سوريا.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحَموي أبو العباس، المتوفي سنة (770هـ). (د. ت.). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط..، بيروت، المكتبة العلمية.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي، المتوفي سنة (620هـ). (1388هـ - 1968م). المغني، د. ط..، القاهرة، مكتبة القاهرة.

القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، المتوفي سنة (684هـ)، (1994م). الذخيرة، ط1، تحقيق: محمد بو خبزة، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، المتوفي سنة (671هـ). (1384هـ - 1964م). الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية.

قرعوش، كايد يوسف محمود، (1407هـ - 1987م). طرق انتهاء ولاية الحُكَّام في الشريعة الإسلامية، والنظم الدستورية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القُتيبي المصري، أبو العباس شهاب الدين، المتوفي سنة (923هـ)، (1323هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط7، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية.

الكمال بن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، المتوفي سنة (861هـ). (د. ت.). فتح القدير، د. ط..، بيروت، دار الفكر.

المالكي، شهاب الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، أبوزيد، المتوفي سنة (732هـ)، (د. ت.). إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ط3، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، المتوفي سنة (450هـ). (1419هـ-1999م). الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، المتوفي سنة (1353هـ)، (د. ت.). تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، د. ط..، بيروت، دار الكتب العلمية.

مسلم، أبو الحسن القيشري النيسابوري، المتوفي سنة (261هـ). (د. ت.). صحيح مسلم، د. ط..، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مُكْرَم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حنيفة، المتوفي سنة (711هـ)، (1994). لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.

الميلي، مبارك بن محمد الهلالي، (1986). ريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد ميلي، ط2، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية.

النووي، أبوزكريا محي الدين بن شرف، المتوفي سنة (676هـ). (1412هـ-1991م). روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، ط3، بيروت- دمشق - عمان، المكتب الإسلامي.

النووي، أبوزكريا محي الدين بن شرف، المتوفي سنة (676هـ). (1392هـ-1972م). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الخطابُ المسجديُّ ودورهُ في ترسيخِ الذاكرةِ الوطنيّةِ، الثَّورةُ التحريريّةُ الجزائريّةُ أنموذجًا

محمد ولد الصّافي

1. مقدمة:

إنّ مفهوم علم الخطاب (discourse)، لم يَعدْ مقتصرًا على النّصوص الأدبيّة كالمُتعاليات النّصيّة (transtextualité)، بل بات متداولًا في الكثير من المجالات والحقول المعرفيّة، كاللّسانيات، وعلم النّفس، ونظرية النّقد، وعلم الاجتماع، وغيرها من الحقول المعرفيّة الأخرى..

علم الخطاب من العلوم الّتي نالت اهتمام الباحثين والدّارسين المصطلحات الّتي شاع ذكرها، وانتشرت تداولها في شتّى الحقول المعرفيّة، سواءً عند القدماء أو المحدثين، فلفظة الخطاب تُلفها في علم الأصول، في الدّراسات اللّسانية، الفلسفيّة، التّعليميّة، وغيرها من الدّراسات..

وقد تعدّدت أنواع الخطاب، وذلك بحسب المجال المعرفيّ الذي ينتمي إليه الخطاب؛ ما يسمّى بمؤسّسة الانتماء، يأتي في ناصية ومصافّ هذه الخطابات، الخطاب الدينيّ الذي يتقاطع مع الأنواع الأخرى من الخطابات من حيث الأدوات، وكذا الاستراتيجيات والاستمالات الإقناعيّة، ويفترق معها من حيث المضمون والفحوى، يتفرّع عن الخطاب الدينيّ أنواعٌ فرعيّة أخرى من الخطاب، كالخطاب المسجديّ، أو الخطاب المنبريّ، الخطاب الدّعويّ، الخطاب الوعظيّ، ولا مُشاحة في الاصطلاحات-، كلّها مصطلحاتٌ تندرجُ ضمن حقل الخطاب الدينيّ يُعدّ الخطاب المسجديّ أحدَ أهمّ الوسائل الاتّصاليّة الّتي تحقّق العمليّة التّواصلية بين الباث والمتلقي، أو المرسل والمرسل إليه، أو الخطيب والجمهور، ممّا ينتج عنه ما يسمّى بنجاح العمليّة التّواصلية، أو دلالة التّلقي الجماليّة، كما أنّ الخطاب (المسجديّ) وجهٌ من أوجه المشهد الإيمانيّ التّعبديّ الذي يُضفي الحقيقة الإيمانيّة لأتباع هذا الدّين، فالخطاب المسجديّ تتجلّى من خلاله تمظهرات المشهد الدينيّ؛ من ذلك صلاة الجمعة الّتي هي فرض عينٍ على كلّ مسلمٍ، وأنّ من شروط من صحتّها الخطبتين، وهذه الأخيرة من أقوى النّشاطات المسجديّة الّتي يتركز عليها الخطاب المسجديّ.

تناولت هذه الورقة البحثيّة موضوعًا في غاية الأهميّة بمكانٍ: أهمّيّته تكمن أنّه مرتبطٌ بأمرين اثنين، وهما: أولاً من حيث تعلّقه بمنهج الدّعوة إلى الله، وثانيًا لارتباطه بتاريخ وطنيّ عزيزٍ على كلّ جزائريٍّ غيورٍ على وطنه.

انطلق الباحث في ورقته البحثية من خلال عنوانها الموسوم ب: "الخطاب المسجدي ودوره في ترسيخ الذاكرة الوطنية، الثورة التحريرية الجزائرية أنموذجاً"، وإذ تروم هذه المداخلة تقديم رؤية شاملة، فحواها ومضمونها ما يتعلق بتعليمية الخطاب المسجدي لدى مرتادي المؤسسة المسجدية، من حيث أثره في ترسيخ الذاكرة الوطنية، منطلقاً من بعض الإشكالات؛ هل الخطاب المسجدي عامل مهم من عوامل ترسيخ الذاكرة الوطنية؟، وهل المؤسسة المسجدية تنتج خطاباً مسجدياً فعلاً يؤدي دوره في تعزيز الذاكرة الوطنية؟، وقد هدفت هذه المداخلة إلى:

- إبراز الدور التعليمي الذي لعبه الخطاب المسجدي أثناء الثورة التحريرية المباركة.
- إبراز الدور التعليمي الذي لعبه الخطاب المسجدي من أجل تعزيز وترسيخ الذاكرة الوطنية

وتمت الاستعانة بالمنهج الوصفي المبني على الاستقراء والتتبع وكذا التحليل، وقد تمثّلنا لموضوع بحثنا خطة محكمة، نذكر محتوى محاورها فيما يأتي:

- مقدمة

- أولاً: ضبط الجهاز المفاهيمي للكلمات المفاتيح: (تحليل ودراسة مفاهيمية)

- ثانياً: الخطاب المسجدي: مفهومه، أهميته، أركانه..

- ثالثاً: الخطاب الديني ودوره في دعم ورسم مسار الثورة التحريرية الكبرى.

- رابعاً: انبثاقات من الخطاب المسجدي المعاصر في ترسيخ الذاكرة الوطنية.

- خامساً الخاتمة

2. ضبط الجهاز المفاهيمي للكلمات المفاتيح:

سبق وأن ذكرنا؛ أنّ عنوان هذه الورقة البحثية: (الخطاب المسجدي ودوره في ترسيخ الذاكرة الوطنية، الثورة التحريرية الجزائرية أنموذجاً)، فإنّه يجدر بنا أولاً وقبل كلّ شيء؛ أن نقف عند ضبط دلالات الكلمات المفاتيح، وكذا تحديد المصطلحات، تلك المصطلحات التي أتت في عنوان وثنايا البحث؛ ذلك أنّ التعرّف على هذه المصطلحات يعين القارئ لأن يفهم ما ترمي إليه الدّراسة، وأنّ الإدراك الصّحيح والدّقيق للمصطلحات يساعدنا في التّقرب أكثر من الموضوعية في الفهم والطّرح، وقد ارتأى الباحث، أنّه لا بدّ من تحديد المدلول اللّغويّ وكذا الاصطلاحيّ لهذه المصطلحات، وفي مجملها ثلاثة مصطلحات؛ وذلك لكثرة تداولها، وفي ما يلي ذكرٌ لهذه المصطلحات:

1.2 الخطاب المسجدي: الخطاب المسجدي مركّب إضافي من كلمتين اثنتين، تتوقّف معرفته على معرفة جزئيّه كلّ على حدة، وهما لفظة الخطاب، ولفظة المسجد.

2.2 المدلول اللّغوي للفظه الخطاب: ذلك لأن المدلول اللّغوي غالبًا ما يؤثّر في المصطلحات والمعاني، فلفظة الخطاب جذرها اللّغوي من الفعل خطب (خ- ط- ب)، جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ)، قوله: "والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطابًا، وهما يتخاطبان...، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابةً، واسم الكلام: الخطبة" (ابن منظور، 1414هـ، ص 361)، وفي الكلّيات للكفوي، قوله: "الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام"، وفي القاموس، قوله: "وخطب الخاطب على المنبر خطابة، بالفتح، وخطبة، بالضم، وذلك الكلام: خطبة أيضًا، أو هي الكلام المنشور المسجع ونحوه" (الفيروز آبادي، 1426هـ، ص 81)، فنستخلص من هذه التعريفات والاشتقاقات اللّغوية، أنّ معنى الخطاب ما توقّف على البيان والإفهام، أو هو الكلام الذي يُقصد به الإفهام، وأنّ الخطاب فعل الكلام.

وقد وردت لفظة الخطاب كذلك في القرآن الكريم في غير ما موضع، من ذلك قوله تعالى في (الآية 23 من سورة ص): ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ٢٣، ونحو قوله تعالى كذلك، (الآية 20 من سورة ص): ﴿وَأَتَيْنَاهَا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ٢٠، ووردت كذلك في نحو قوله تعالى (الآية 63 من سورة الفرقان): ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ٦٣، من ذلك أيضًا في قوله تعالى: (الآية 27 من سورة المؤمنون): ﴿وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ٢٧، كما جاءت كذلك في قول الله تعالى (الآية 31 من سورة الدّريّات): ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ٣١، ونحو قول الله عزّ وجلّ (الآية 37 من سورة النبأ): ﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَهُمْ خِطَابًا﴾ ٣٧.

- وأمّا المسجد في اللّغة، فهو على وزن مَفْعِل بالكسر اسمٌ لمكان السّجود، وبالفتح اسمٌ للمصدر من سجد، "والمسجد بالفتح: جهة الرّجل حيث يصيبه ندب السّجود" جاء في المحكم لابن سيده، قوله: "سجد يسجد سجودًا: وضع جبهته على الأرض، والمسجد، والمسجد: الموضع الذي يسجد فيه" (علي بن إسماعيل أبو الحسن بن سيده، 1421هـ- 2000م، ص 260564)، وفي القرآن قوله تعالى: (الآية 27 من سورة المؤمنون): ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾، وقد جاء في القانون الجزائريّ الصّادر في الجريدة الرّسميّة ما يلي: "المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلواتهم وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله ولتعليم ما ينفعهم في أمور

دينهم ودنياهم وهو مؤسسة دينية اجتماعية تؤدي خدمةً عموميةً هدفها ترقية قيم الدين الإسلامي وهو وقفٌ عامٌّ لا يؤول أمره إلا للدولة المكلفة شرعاً والمسؤولة عن حرمة وتسييره واستقلالته في أداء رسالته وتجسيد وظائفه" (الجريدة الرسمية، 14 محرم 1435هـ، الموافق ل 18 نوفمبر 2013م)، وانطلاقاً ممّا سبق ذكره، يمكن القول إنّ الخطاب المسجدي هو: "الخطاب بمعناه الواسع كلّ إنتاجٍ ذهنيٍّ منطوقٍ أو مكتوبٍ يقوله الفرد أو جماعةٌ حقيقيةٌ أو اعتباريةٌ كالمؤسسات المختلفة التي تنتج الخطاب السياسي، والقانوني والأدبي.." (محمود عكاشة، 1428هـ- 2007م، ص18)

3.2 الذاكرة الوطنية: مصطلح الذاكرة في اشتقاقه اللغوي من ذكر، ففي المعجم الوسيط "الذاكرة قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها" (المعجم الوسيط، ص313)، وتتنوع مدلولات الكلمة بحسب الحقل المعرفي المستعمل؛ لذا نجدها في علم النفس والفلسفة والإعلام الآلي والأنثروبولوجيا التاريخية..

4.2 الثورة الجزائرية: هي إحدى الثورات التحريرية الحديثة، والتي تدخل ضمن نطاق الأفعال التحريرية التي تهدف إلى نيل السيادة والاستقلال والحرية، وكانت في الفاتح من نوفمبر 1954م، من خلال تلك العمليات العسكرية والسياسية التي أطرها وقاد زمامها ثوار جيش التحرير و جبهة التحرير الوطني.

3. الخطاب المسجدي: مفهومه، أهميته، أركانه وعناصره..

ولأنّ الخطاب المسجدي كغيره من الخطابات الأخرى، تتحرّك عبر فضاءاتها الخاصة بها، فإنّ المسجد هو الفضاء العملي للخطاب المسجدي، وقد سبق الكلام، أن قلنا أنّ الخطاب المسجدي هو "الخطاب بمعناه الواسع كلّ إنتاجٍ ذهنيٍّ منطوقٍ أو مكتوبٍ يقوله الفرد أو جماعة حقيقية أو اعتبارية كالمؤسسات مثلاً.." (محمود عكاشة، 1428هـ- 2007م، ص18)، أو هو تلك التكاليف التي تصدر باسم الإسلام، هدفها توجيه الناس سواءً أكانوا مسلمين أو غير مسلمين؛ لتعريفهم بالإسلام، فالخطاب المسجدي خطابٌ فرعيٌّ يندرج ضمن الخطاب الديني؛ لأنّ هذا الأخير منه ما موجّه داخل المسجد، فهو خطابٌ مسجديٌّ، ومنه ما هو موجّه خارج الفضاء المسجدي، كمؤسسات التعليم والإعلام، من ذلك قناة القرآن الكريم، إذاعة القرآن الكريم، البرامج والحصص الدينية..)، وغيرها من دوائر التوجيه المختلفة..

وببقى الخطاب المسجدي يكتسي أهميّةً خاصّةً ليست لغيره من الخطابات الأخرى، ذلك أنّه استمدّ قدسيته من الفضاء الذي يتحرّك فيه وهو المسجد، بيتٌ من بيوت الله تبارك

وتعالى، من أظهر البقاع وأفضلها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى مصدرية الخطاب المسجدي القرآن والسنة، وتحويله من طرف الخطيب إلى جهد بشري في التنزيل والإسقاط والاجتهاد..

إنّ الخطاب المسجدي أهميته تكمن في كونه الخطاب الوحيد الذي يبيّم المسلمون وجهتهم إليه كلّ أسبوع، وتخطوا خطواتهم حثيثة إلى المسجد، وتشرّب أعناقهم إلى الخطيب في إنصاتٍ وخشوع، دون كللٍ أو ملل، جاعلين من ذلك عبادةً يتعبّدون بها الله تبارك وتعالى مقتدين في ذلك بقوله تعالى في (الآية 9 من سورة الجمعة): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^٩، وقول النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم -قال: "إذا قلت لصاحبك: أنصت، يوم الجمعة، والإمام يخطب، فقد لغوت) عليه وسلّم- قال: "إذا قلت لصاحبك: أنصت، يوم الجمعة، والإمام يخطب، فقد لغوت) (مسلم بن الحجاج، ص583).

الخطاب المسجدي كبقية الخطابات الأخرى، من حيث الأركان والبنية التي يقوم عليها هذا الخطاب، فجملة الأركان وكذا العناصر التي يقوم عليها الخطاب المسجدي، أو ما يسمّى باليات التّواصل واستراتيجيات الحجاج، فهي على النّحو الآتي:

أ- المرسل: ونعني به الخطيب أو الإمام الذي يقوم بإنتاج الخطاب، وله دورٌ كبيرٌ في تعزيز عناصر العملية التّواصلية.

ب- الرّسالة: ونقصدها بها الخطاب المنجز من طرف المرسل، وقد تكون خطبةً أو درساً أو محاضرةً أو ندوةً، أو هي كلّ ما يودّ الخطيب تمريره من أفكارٍ وأراءٍ وتصوراتٍ..

ج- المرسل إليه (المتلقّي)، ويُراد به الجمهور من المصلّين، أو ما يسمّى بالجمهور المسجدي، وهو أحد أطراف العملية التّواصلية، الذي يتلقّى الرّسائل.

د- القناة: وهي الفضاء المهيأ لإيصال الرّسالة، أو هي وسيلة الاتّصال التي تنقل مضمون الرّسالة إلى جمهور السّامعين كالمسجد والمنبر ونحوهما..

د- رجع الصّدّي (التّأثير): ونقصده به التّغذية الرّاجعة أو المرتدة، وهو عنصرٌ مهمٌّ في أطراف العملية التّواصلية؛ لحدوث الاستجابة والتّفاعل بين الخطيب والجمهور المسجدي.

إنّ انعدام هذه العناصر التّواصلية في الخطاب المسجدي أو غيره من الخطابات، يبقى الخطاب يرواح مكانه، ويبقى حدوث الفشل ممكناً في الموقف التّواصلي.

4. الخطاب الديني ودوره في دعم ورسم مسار الثورة التحريرية الكبرى

يعدّ الخطاب الديني بصفة عامة، والمسجدي منه بصفة خاصة من الخطابات التي رسمت معالم الثورة التحريرية، هذا الخطاب الذي احتضنه الفضاء المسجدي، فقد كانت المساجد في وقت الثورة المباركة تؤدي دورها المنوط بها، المتمثل في التغطية الإعلامية لمسار الثورة التحريرية، فأصبحت المساجد قنوات إعلامية يتلقى فيها المجاهدون والثوار الدعم الكافي واللوجيستيكي المتمثل في الدعاية الإعلامية، وذلك من خلال الخطاب المسجدي الذي كان ينطلق من خلال الفضاء المسجدي، وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أنّ المساجد كانت تُعقد فيها حلقات علمية في مختلف العلوم والمعارف، من ذلك حلقة الشيخ العربي التبسي في إحدى مساجد العاصمة بيجي بلكور الكبير؛ ممّا جعل من سلطات الاحتلال تضيق الخناق على الشيخ؛ خوفاً من الخطابات المسجدية التي كانت تخرج من الفضاء المسجدي، والتي التفّ حولها العديد من جمهور المصلين والمريدين، هؤلاء الذين ستتمّ تعبئتهم فيما بعد للانتظام في صفوف جيش التحرير الوطني، ونظراً لتأثير الشيخ في الوسط المجتمعي، فقد طلب المقيم العام الفرنسي روبرت لاكوس (Robert la koste) من الشيخ العربي التبسي أن يقوم بهدئة الشعب الجزائري، وقد رفض الشيخ ذلك جملةً وتفصيلاً، "إنني صادق منذ نعومة أظفاري وأنا الآن شيخٌ وتريدون أن أكذب على الشعب، كلّاً لن أتحدّث.." (نبيل أحمد بلاسي، 1990م، ص158)

كلّ ذلك يوحي بقوة المسجد، وكذا خطابه التوجيهي التعليمي، وأنّ الثورة التحريرية نجحت فعلاً بفضل المسجد والقوة الإنجازية، وكذا أدوات الإقناع والاستمالة التي يمتلكها الخطاب المسجدي..

كما تظهر قوّة الخطاب المسجدي في تلك الحلقات المسجدية لواحدٍ من رواد النهضة الإصلاحية في الجزائر؛ الشيخ عبد الحميد بن باديس، ودوره التعليمي في مساجد قسنطينة... وما يحمله خطابة الإصلاح من حمولة إصلاحية للمجتمع الجزائري في ذلك الوقت، ونفسه الأمر نجده عند باقي تلامذته، منهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، من خلاله خطبه المسجدية التي كانت عبارة عن تعبئة إيمانية للمجاهدين الصّامدين في وجه العدو..

5. انبثاقات من الخطاب المسجدي المعاصر في ترسيخ الذاكرة الوطنية.

في ظلّ نعمة الاستقلال التي أنعم الله بها على الجزائر سنة 1962م من خلال الثورة التحريرية المباركة التي قاد زمامها ثلّة من المجاهدين الأبطال، تلك التّضحيات الجسام التي

قدّمها المجاهدون كعربون وفاء؛ لتطهير أرض الجزائر من دنس المحتلّ، وقد رأينا كيف أنّ تلك الحلقات التي كانت تُعقد في المساجد وما لها من دورٍ فعّالٍ في رسم معالم الطريق نحو تحرير الجزائر، فكان تحرير العقل من الخرافة والجهل أولاً يليه تحرير الأرض من الظلم والطغيان. تسير مساجد الجزائر المستقلة اليوم والحمد لله على نفس المنهج والنسق الذي كانت عليه سلفها في وقت الثورة المباركة، فلا زالت مساجد الجمهورية قاطبة تُحيي مآثر وذكريات أمجادها التليدة، والارتباط بماضيها العريق، ونظرةً عاجلى لواقع مساجدنا اليوم نتلمّس نبذة هذا الخطاب الذي له اهتمامٌ كبيرٌ بتاريخنا وذاكرتنا الوطنية، نجد هذا الاهتمام من خلال خطب المناسبات الوطنية، من ذلك: ذكرى عيد الاستقلال واسترجاع السيادة 1962م، ذكرى أوّل نوفمبر 1954م، يوم الشهيد، مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، عيد النصر 19 مارس 1962م، وغيرها من المناسبات الأخرى، فعادةً ما تكون هناك إرسالية على شكل تعليمية من طرف الوزارة الوصية إلى جميع خطباء مساجد الجمهورية بغية تذكير جمهور المصلّين بمثل هذه المناسبات التي تخصّ التاريخ والذاكرة الوطنية.

إنّ تعزيز الذاكرة الوطنية داخل الفضاء المسجدي لا يقتصر فقط على دروس وخطب الجمعة فحسب، بل يتعدّها إلى أنشطة أخرى، من ذلك: المحاضرات والندوات، الكراسي العلميّة، فضاءات التّواصل الاجتماعيّ، المسجد الإلكترونيّ، ويدخل في ذلك حتّى اختيار المواقع والأرضيات لبناء وتشيد المساجد (من ذلك بناء مسجد الجزائر الأعظم في منطقة المحمدية بالجزائر، واختيار هذا المكان ليس عبثاً أو اعتباطاً، بقدر ما فيه من الرّمزية التاريخية، وقد بني في المكان الذي كان يحمل اسم الكاردينال الفرنسي شارل لافيغري خلال الحقبة الاستعمارية للجزائر)، له مغزاه وهدفه، وكلّ نشاطٍ تربطه وشائج القربى بذاكرة وتاريخنا الوطنيّ، ينضاف إلى هذا ما يسمّى بمراسيم زيارة وتفقد بعض المجاهدين الذين هم ما زالوا على قيد الحياة، ففي بعض المناسبات الوطنية تغتنم أسرة وموظّفي المساجد مع بعض المسؤولين المحليين، قصد زيارة إحدى هذه الشّخصيات الثّوريّة، مع تقديم بعض الهدايا كعربون وفاء لما قدّموه من تضحياتٍ جسامٍ من أجل استقلال هذا الوطن، كلّ ذلك يدخل ضمن نطاق تعزيز وترسيخ الذاكرة الوطنية.

كما أنّ تجلّيات حضور الخطاب الدينيّ في الثورة الجزائرية، نجده في المعاهد الشّرعية لتكوين خطباء المساجد، فمن ضمن المقرّرات الدّراسية لدي طلبة هذه المعهد، ما يسمّى بمادّة التاريخ الوطنيّ، حيث يتلقّى الطلبة هذه المادّة التاريخية، حتّى يتكوّن لهم زادٌ معرفيٌّ في

المستقبل، وهم يحدّثون الجمهور من المصلّين من على منابرهم عن الثّورة الجزائريّة وكذا الذاكرة الوطنيّة، كلّ ذلك يوجي بحضور الخطاب الدّينيّ ابتداء لدى من يقوم بإرسال هذا الخطاب مستقبلاً، وهم القائمون على المساجد من أئمّة ووعاظ، وصولاً إلى الجمهور من المصلّين الذين يستقبلون هذا الخطاب..

إنّ ترسيخ الذاكرة الوطنيّة بات أمراً معوّلاً عليه في حسابان الدّولة الجزائريّة الحديثة؛ لذا بدأت الدّولة تحرّكاً حثيثاً، وقد بدا ذلك جليّاً من خلال الزّيارات الميدانيّة التي يقوم بها مستشار رئيس الجمهوريّة المكلف بالأرشفة وملّف الذاكرة الوطنيّة السّيد (عبد المجيد شيخي) من أجل عقد سلسلة من الندوات الجهويّة في مختلف ولايات الوطن، وكان آخر هذه اللقاءات في ولاية أدرار بالجنوب الجزائريّ في الشّهر المنصرم من السّنة الماضية، بعنوان "الذاكرة الوطنيّة ودورها في تحقيق الوحدة الوطنيّة" محور النّدوة الثالثة لولايات الجنوب بأدرار"، هذا اللقاء الذي ضمّ جلّ ولايات الجنوب الجزائريّ، وكذا باحثين وأكاديميين من مختلف جامعات الوطن الجزائريّ، وقد كان من بين التّوصيات التي خرجت بها هذه النّدوة الجهويّة:

- الدّعوة إلى تبني منهجية موحّدة في كتابة تاريخ الجزائر من قبل باحثين ومؤرّخين جزائريّين.

- مزيد الاهتمام والعناية أكثر بتدريس مادتي اللّغة العربيّة والتّاريخ والتّربيّة المدنيّة ومنحهم المكانة اللائقة بهم في المناهج التّربويّة في الأطوار التّعليميّة الثلاثة.

- الدّعوة إلى اعتماد عناصر الذاكرة الوطنيّة في مختلف الأعمال الفنيّة السينمائيّة منها والمسرحيّة.

- إقامة مسابقات وطنيّة تشجيعيّة للنّاشئة، بغية الاهتمام بالذاكرة الوطنيّة.

- التّأكيد على التوصيات المنبثقة عن ندوات ولايات الشرق بقالة وولايات الغرب بوهران شهر أبريل الماضي 2021.

- تثمين وتدعيم مبادرة مستشار رئيس الجمهوريّة المكلف بالأرشفة والذاكرة الوطنيّة في تنظيم هذه الندوات الهادفة والهامة.

- ضرورة التّأكيد على الفهم والفصل ما بين مختلف المصطلحات المستعملة في الذاكرة مثل الذاكرة والتّاريخ الموروث الشّعبيّ الشّفهيّ

- العمل والتنسيق الجماعيّ بين ممثلي القطاعات على المستوى المحليّ والمركزيّ.

- تقريب الذاكرة الوطنية من النّاشئة والمجتمع المدني.

كلّ ذلك يوحى بأنّ الدولة الجزائريّة الحديثة، أدركت فعلاً أهميّة المسجد، وكذا خصوصية الخطاب المسجديّ، الذي بات معوّلاً عليه في كثيرٍ من القضايا الحاسمة، كونه أحد أهمّ العوامل التي تسهم في ترسيخ التاريخ الجزائريّ، والذاكرة الوطنيّة..

6. الخاتمة:

لأجل ذلك كان ولا بدّ أن يحظى التاريخ الجزائريّ، وكذا الذاكرة الوطنيّة بعناية خطباء المساجد؛ قصد إيقاظ الهمم وبعث الثّقة لذلك الماضي الذي عاشته الجزائر ردحاً من الزّمن بما فيه أجلّ أيامها وذكريات بطولاتها.

لعلّ هذا كلّ من واجب الخطاب المسجديّ في الحفاظ على مكاسب الثّورة، وكيف أنّ المساجد ساهمت بشكلٍ أو بآخر في الحفاظ على الذاكرة الوطنيّة وصيانتها، خاصّةً ما تعلّق بإنجازات الثّورة المباركة، وأنّ التّغني والإشادة بأمجاد الثّورة وبطولات المجاهدين، أصبح واجباً يتغيّاه كلّ خطابٍ بما فيه الخطاب المسجديّ.

وقد خلّص الباحث في ختام ورقة بحثه إلى بعض النّتائج والتّوصيات المهمّة التي يأمُل من خلالها أن تكون منطلقاتٍ لدراساتٍ جديدةٍ مستقبليّةٍ، وأبرزها على النّحو الآتي:

- الخطاب المسجديّ خطابٌ شاملٌ استوعب جميع مناحي الحياة.
- الخطاب المسجديّ من أكثر أنماط الخطاب حيويّةً وقابليّةً للتّنظير والتّفكير.
- الخطاب المسجديّ ذو خصوصيّةٍ معيّنةٍ من حيث البنية الخطابيّة، وكذا الأسلوب الهادف.

وأخردعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع:

-أوّلاً: القرآن الكريم برواية حفصٍ عن عاصمٍ.

-ثانيّاً: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

الجريدة الرسمية: العدد 58 الصادر بتاريخ 14 محرم 1435هـ، الموافق ل 18 نوفمبر 2013م.

علي بن إسماعيل أبو الحسن بن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: (عبد الحميد

هنداوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، 1421هـ- 2000م.

الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (محمد نعيم العرقسوسي)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م.

محمود عكاشة: خطاب السلطة الإعلامي، ط2، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة القاهرة، 1428هـ- 2007م.

مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: (محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المعجم الوسيط: مجمع القاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون..)، دار الدعوة، (د، ط، د، ت).
نبيل أحمد بلاسي: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، الهيئة العامة المصرية للكتاب، (د، ط)، 1990م.

الثورة الجزائرية من منظور نظريات العلاقات الدولية : مقارنة متعددة

The Algerian revolution from the perspective of international relations

1. مقدمة:

تتفق مختلف نظريات العلاقات الدولية على أن الدولة هي الفاعل الرئيسي في المجال الدولي نظرا لاحتكارها وسيطرتها على مصادر القوة، وفي خضم سعيها لتجسيد توجهاتها وبلوغ أهدافها، تسعى الدولة لاكتساب مزيد من القوة وربط علاقات تعاونية.

ولقد فهمت قيادة جبهة التحرير الوطني هذه المعطيات عندما أطلقت بان نوفمبر 1954 الذي سطر أهداف وأبعاد الثورة الجزائرية، وحدد آليات تحصيل القوة بشكلها المادي والمعنوي لتحقيق تلك الأهداف والحفاظ عليها، كما جسد المقاصد التعاونية والتكاملية للجزائر إقليميا ودوليا مع تفادي الوقوع في مأزق التبعية.

كما شهدت سنوات الثورة نشاطات سياسية لجبهة التحرير الوطني في ضوء مبادئ بيان نوفمبر التي مزجت بين أهم المنظورات والمقاربات النظرية للعلاقات الدولية، بحيث جمعت بين معايير السلوك وآلية تحصيل القوة لتحقيق الاستقلال والحفاظ عليه، في صورة تعكس تقاطع منظورات الواقعية والبنائية الاجتماعية والليبرالية والنيو ماركسية.

وبلغة نظرية فإن السلوك الجزائري إبان ثورة التحرير قد جسد تقاطع نظري متعدي الهدف منه تحقيق هدف الاستقلال والحفاظ عليه لاحقا؛ فسلوك جبهة التحرير الوطني وتوجهاتها الخارجية جمعت بين المصالح والمبادئ وعكست مراعاة التوفيق بين حسابات المصلحة الوطنية كهدف رئيسي من منظور واقعي عقلائي، وضرورة ملاءمة السلوك للمعايير التي جسدها بيان نوفمبر من منظور بنائي اجتماعي.

وبناء عليه، تميز بيان نوفمبر ومختلف المحطات السياسية لثورة نوفمبر بتوليفة المبادئ التي ضببطت سلوكيات جبهة التحرير الوطني وتقاطعت في ثناياها أهم منظورات نظريات العلاقات الدولية. وهو ما تبحته الإشكالية التالية: كيف تقاطعت منظورات نظريات العلاقات الدولية ضمن بيان أول نوفمبر والمسارات السياسية والعسكرية لجبهة التحرير الوطني إبان الثورة ؟

المنهجية المستعملة:

تم اعتماد منهج تحليل المضمون في محاولة إثبات تقاطع منظورات أهم نظريات العلاقات الدولية ضمن بيان نوفمبر وفعاليات ثورة التحرير.

الإطار النظري:

تم استخدام النظرية الواقعية الكلاسيكية والنظرية البنائية الاجتماعية على أساس أن الأولى تركز على القوة لتحقيق الهدف والثانية تركز على المعايير لتحقيق الهدف. كما تم التركيز على النظرية الليبرالية والوظيفية ومقاربة التبعية انطلاقاً من كون مضامين بيان نوفمبر وممارسات ممثلي جبهة التحرير الوطني ثم الحكومة المؤقتة كانت تعكس الأطر التعاونية والتكاملية للجزائر والنأي عن الانحياز والسقوط في فخ التبعية، وكلا الخياران يهدفان إلى تحقيق هدف الاستقلال والحفاظ عليه.

2. المداخل للنظرية التي استلهمت منها ثورة نوفمبر

1.2. مقارنة الاختيار العقلاني الرشيد:

ترى هذه المقاربة أن تصرفات الدول شبيهة بتصرفات الأفراد، فهم لا يقومون بفعل إلا إذا كان مرتبطاً بهدف ومصلحة وبتكاليف معقولة، مما يستدعي تحديد الاختيارات الممكنة مع حساب فوائد كل منها وتكلفتها، بمعنى أن كل تصرف هو ناتج عملية حسابية دقيقة لمختلف الاحتمالات الممكنة (جنسن، 1989، صفحة 6)، فالنتائج والانعكاسات هي ترجمة لواحدة من أهم الاعتبارات التي تمثل العقلانية ودورها في تفسير السلوك الدولاتي. (بوقارة، 2012، صفحة 140)

2.2. المقاربة الواقعية ومنظور القوة والأمن

درج الواقعيون على اعتبار الدولة هي الفاعل الرئيسي وأن الفواعل الأخرى هي مجرد أدوات في يدها ولا تستطيع المبادأة في مجال السياسة الخارجية. (سليم، 1998، صفحة 123). ويرى الواقعيون أن المصلحة هي جوهر العملية السياسية والمرجع الذي يحتكم إليه ويتوجه به صانع القرار السياسي، بحيث أن الدول تتصرف بما يزيد من مصالحها القومية في ضوء وجود موارد محدودة وتباين في القوة.

فالسلوكات الخارجية بالمنظور الواقعي هي مدفوعة بأهداف قومية تصب في اتجاه تحقيق الأمن القومي بالاعتماد على القوة التي تعتبر من المبادئ المهمة التي تحرك سلوكيات الدول في النظام الدولي (جندي، 2010، الصفحات 24-25). ومهما كانت الأهداف النهائية للدول فالقوة

هي الهدف الآني والفوري (J.Morgenthau, 1948, p. 13)، بمعنى أن المعنى الموضوعي للمصلحة الوطنية يتمثل في البحث عن القوة (جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظريات التكوينية، 2007، الصفحات 142-155). والدول باعتبارها فواعل عقلانية تسعى في المقام الأول لتحقيق مصالحها الوطنية والدفاع عنها، لهذا فهي ترى المصلحة مرادفة للأمن (Alex Macleod, 2010, p. 113). ويتعين على الدولة أن تميز بين ما تعتبره أهدافا خارجية ملحة وبين ما يمكن اعتباره أهدافا مرغوبة ولكن بغير أساس كاف من القدرات والإمكانات (مقلد، 2011، الصفحات 15-16)، ويبقى هدف البقاء شرطا مسبقا لتحقيق الأهداف الأخرى جميعا. (سميث، 2004، الصفحات 242-243)، ولهذا فالدولة عند ماتحاول زيادة مستويات القوة لديها فهي تسعى لتعزيز مصالحها. (يامامورا).

4.2. النظرية الليبرالية والتركيز على الأبعاد التعاونية:

تركز النظرية الليبرالية على تشجيع تطوير المؤسسات والعلاقات الاقتصادية والسياسية من أجل تعزيز السلم والتعاون بين الأمم. (Charles Philippe David, 2002, p. 96)، فهي تراهن على الأبعاد التعاونية وعلى التداخل في العلاقات الدولية وزيادة التشابك والتداخل في عملية الاعتماد المتبادل بين الدول الذي يمكن أن يعزز حالات السلام ويقلص احتمالات الصراع (راضي، 2012، صفحة 124) لأن التعاون من خلال المؤسساتي جلب مزيدا من الانتظام في العلاقات الدولية. (Hurrell, 2006, p. 6).

5.2. النظرية البنائية تفسير السلوك من خلال المعايير

تركز البنائية على تأثير المعايير في سلوك الدول، بمعنى أن السلوك يخضع حسبها لمنطق الملائمة في إطار توافقه مع معايير معينة (بوصبوعة، 2016، صفحة 33). وتؤكد البنائية على أن النظام الدولي هو نتاج للفكر الإنساني وللقيم والمعايير التي نظمت من طرف البشر في سياق زمكاني متصل، وبتغيير الأفكار يتغير النظام (جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظريات التكوينية، 2007، صفحة 325).

فالدولة حسب البنائية فاعل اجتماعي يتخذ قراراته وفق "منطق الملائمة" ولا يختار بديلاً ما إلا بعد أن يقيّم مدى ملائمة نتائجه لدوره الاجتماعي وهويته وعقيدة سياسته الخارجية وفق منطق "الملاءمة الاجتماعية". فالبنائية تتحدى التفسير المادي للواقعية حول المصلحة كمعطى

موضوعي مسبق، وترى أنه نتاج لمعايير متشكلة من أفكار ومبادئ تحدد لصانع القرار ماهو صحيح وما هو خاطئ ، لتصبح هذه المعايير ناظم للسلوك السياسي الخارجي.

وبما أن نسق التفاعل بالنسبة للدولة داخلي وخارجي، فإنّ معايير السياسة الخارجية تجد مصدرها في مستويين(محلي ودولي)، أمّا في المستوى المحلي فتُعرفبـ "الهوية الوطنية" التي تعكس ثقافة الأمة وقيمها وتصوراتها الخارجية والأدوار التي يُفترض أن تضطلع بها في قضايا السياسة العالمية اضطلاعاً ينسجم وهوية المجتمع الداخلي. وأمّا في المستوى الدولي، فهي تُعرفبـ "الهوية الدولية" أي مجموعة المعايير التي تتبنّاها الدولة ضمن المجتمع الدولي وتقتنع بها إلى حدّ تصبح معبرة عن هويتها الدولية وعاملاً معرفاً بأهدافها الجماعية (كمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول)، وتجعل الدول باستمرار من مثل هذه المعايير مرجعاً لسياستها الخارجية تأكيداً لهويتها الدولية التي تُعرفها بالسمعة الوطنية " .

6.2. المقاربة النيوماركسية و منظور التبعية والهيمنة:

تؤكد المقاربة النيوماركسية على أن طبيعة النظام الدولي تكتنفه علاقات القوة، وأنه في إطار ترتيبات القوة تشكل علاقات التبعية.

وقد ركز النيوماركسيون على البعد الاقتصادي لتفسير ظاهرة التبعية. حيث اعتبر "راوول بريبيتش" و "أندري غندر فرانك" أن تطور دول الشمال مبني على تخلف دول الجنوب، وشرح "أوسفالدو سينكل" المسألة بالقول أن النظام الرأسمالي كرس التبعية عبر التقسيم العالمي للعمل الذي أتاح للدول المتطورة ممارسة ضغوطها على الدول المتخلفة من خلال إمكانية توقيف استيراد مواد أولية أو تجميد صادراتها من المواد المصنعة (النظرية الماركسية في العلاقات الدولية).

3.التقاطع النظري ضمن مسار ثورة نوفمبر:

1.3 التقاطع النظري ضمن بيان نوفمبر 1954:

جاء في ديباجة بيان ثورة نوفمبر أن دافع الثورة المسلحة هو الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي، وأن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية نظرا لتوفر الظروف الثورية داخليا للقيام بعملية تحريرية، وتهيئة الأوضاع الخارجية من خلال الانفراج الدولي المناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية على غرار القضية الجزائرية التي تجد سندها الدبلوماسي خاصة من طرف العرب و المسلمين.

وبعدما وضح بيان نوفمبر في ديباجته هدف الثورة المسلحة، عاد ليستعرض الخطوط العريضة للبرنامج السياسي للجزائر من خلال هذه الثورة، مشيرا إلى أنه يتوجب على جهة التحرير الوطني العمل في الداخل و الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله بمساندة حلفاء الجزائر الطبيعيين، لأن تحقيق الاستقلال مهمة شاقة تتطلب تعبئة كل المقومات (بيان أول نوفمبر 1954) . لهذا، خصص بيان نوفمبر حيزا خاصا للبعد الدولي اشتمل على المبادئ والقيم المعتمدة بغرض المرافعة للقضية الجزائرية على المستوى الدولي لدال رأي العام العالمي الرسمي والمدني الشعبي بجمعياته وصحافته ورجاله الشرفاء من مفكرين وحقوقيين، لمساندة كفاح الشعب الجزائري.

كما دعا البيان هيئة الأمم المتحدة لتطبيق مواد ميثاقها في إشارة صريحة على اعتراف الجزائر بالعمل في إطار القانون الدولي، وحدد دوائر انتماء الجزائر المغاربية والعربية والإسلامية، حاسما بذلك في معالم الهوية الجزائرية. (لونيس، 2002، صفحة 36)

ويشير هذا الحسم في الانتماء الهوياتي إلى ترتيب الخيارات ضمن المقاربة العقلانية لجهة التحرير الوطني، والمراهنة على عنصر القيم والهوية والقرب الجغرافي لكسب التأييد.

وبناء على ما تقدم، نلاحظ أن بيان نوفمبر تضمن معالم السلوك الخارجي لجزائر الثورة الذي يجسد المنطلقات النظرية المتطرق لها، ونذكر منها مايلي:

- جاء في بيان نوفمبر أن الثورة تعتمد على مجهود داخلي ونشاط خارجي يستهدفان تحقيق مصلحة وطنية تتمثل في الاستقلال، وهذا تأكيد على أن برنامج النشاط الخارجي له خاصية هدفية ويحتاج إلى أدوات لتجسيده. فالاستقلال كهدف يتم وفق برنامج محكم التخطيط و بدائل واختيارات و آليات التنفيذ ومبادئ للاسترشاد بها، مع مراعاة محددات البيئتين الداخلية والخارجية، وهذا ما انتهت له جهة التحرير الوطني باعتمادها الثورة المسلحة كألية لتحقيق هدف الاستقلال.

و يجسد خيار الثورة مقاربة الاختيار العقلاني الرشيد، على اعتبار أنه مرتبط بهدف ومصلحة وبتكاليف معقولة، وهو تصور ناتج عن عملية حسابية دقيقة لمختلف جوانب احتمالات التصرف الممكنة. ونشير في هذا الخصوص أن خيار الثورة جاء بعد العمل السياسي الذي لم يسفر على النتيجة المرجوة.

- أكد بيان نوفمبر على مسألة الرهان على معايير الهوية المشتركة مع الفواعل الدولية (المغاربية، العربية، الإسلامية) لكسب التأييد ومن ثم الاستزادة من القوة المادية

والمعنوية اللازمة لتحقيق هدف الاستقلال، وهنا نلاحظ تقاطع الهوية مع المصلحة من خلال الجمع بين مضامين كل من المنظور البنائي والمنظور الواقعي.

• عبرت ثورة نوفمبر في سياق المقاربة الواقعية عن القوة كوسيلة لتحقيق هدف المصلحة الوطنية المعرفة بالأمن، والذي الذي يتأسس باستعادة السيادة. كما أن حرص بيان ثورة نوفمبر على تفعيل العمل الوحدوي يدخل في إطار الاستزادة من القوة لتحقيق هدف المصلحة الوطنية المعرفة بالاستقلال والأمن القومي.

• يعبر تطرق بيان ثورة نوفمبر لاحترام المؤسسات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ولميثاقها الذي يجسد القانون الدولي عن تأكيد الجزائر العمل في إطار الأمم المتحدة، وهي إشارة واضحة لما يحمله ميثاقها من مواد تعترف بالحقوق الشرعية للشعوب المضطهدة، والتي يمكن تفعيلها لتدويل القضية الجزائرية وتعزيز الموقف الجزائري وإكساب شرعية قانونية لثورة نوفمبر ومقصدها التحرري، والذي يعبر عن حق الجزائر في تقرير المصير وشرعية النضال، مما يدعم قوة الثورة معنويا عن طريق قوة الشرعية القانونية التي تعد هي الأخرى ضرورية لتحقيق هدف الاستقلال.

2.3 مؤتمر باندونغ 1955 نشاط سياسي متعدد الأبعاد:

حقق مؤتمر باندونغ انتصارا للقضية الجزائرية، حيث لم تمض ثلاثة أشهر على انعقاده حتى تقدّم 14 مندوبا من دول عربية وآسيوية بتاريخ 29 جويلية 1955 برسالة للأمين العام للأمم المتحدة، يطلبون منه إدراج "قضية الجزائر" في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1955. (في الذكرى الـ 60 لمؤتمر باندونغ 1955).

وفضلا على هذا النجاح الدبلوماسي، فقد استفادت الجزائر باستلهاها من "مبادئ باندونغ العشرة" التي تحكم العلاقات بين الدول لإثراء مبادئ بيان نوفمبر وتضمينها لاحقا في المراجع والمواثيق الرسمية.

وتتمثل المبادئ لعشرة التي خرج بها مؤتمر "باندونغ"، فيما يلي:

- احترام حقوق الإنسان الأساسية، وأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة.
- احترام سيادة جميع الدول وسلامة أراضيها.
- إقرار مبدأ المساواة بين جميع الأجناس، والمساواة بين جميع الدول.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو التعرض لها.

- احترام حق الدفاع الشرعي وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .
 - عدم استخدام أحلاف الدفاع الجماعية لتحقيق مصالح خاصة لأيّ من الدول الكبرى وعدم قيام أي دولة بممارسة ضغوط على دول أخرى .
 - الامتناع عن القيام أو التهديد بالقيام بأي عدوان، والامتناع عن استخدام القوة ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي دولة .
 - الحل السلمي لجميع الصراعات الدولية، وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .
 - تعزيز المصالح المشتركة والتعاون المتبادل .
 - احترام العدالة والالتزامات الدولية.(Khudori, p. 10) .
- وهكذا، تكون المشاركة الجزائرية في مؤتمر "باندونغ" قد كللت بتحصيل دعم دبلوماسي يدخل في نطاق الاستزادة من القوة لتحصيل هدف الاستقلال الوطني(الطرح الواقعي).
- كما راهنت الدبلوماسية الجزائرية الفتية على معايير الهوية السياسية المشتركة للمشاركين في هذا المؤتمر، لتعزيز موقفها وشرعية قضيتها(الطرح البنائي).
- 3.3. مؤتمر الصومام 1956 : ضبط آليات تجسيد التوجهات الخارجية للجزائر:
- تم خلال مؤتمر الصومام إعداد أرضية عقدية لجهة التحرير الوطني (plate-forme doctrinale)، ضبّطت الإستراتيجية الدولية، وحددت الخطوط العريضة للموقف الجزائري إزاء المنظمات الدولية.
- و يبدو أن المؤتمرون قد استشعروا قيمة النتائج المحققة من مشاركة الجزائر في مؤتمر باندونغ، لهذا ركزوا على أهمية العمل الدبلوماسي لدحض افتراءات فرنسا وتدويل القضية الجزائرية للتعجيل بتسويتها.
- ويمكن الإشارة في هذا الصدد لبعض الإجراءات التي تدخل في إطار إسناد الكفاح المسلح دبلوماسياً، حيث تم إنشاء بعثات خارجية في القاهرة ودمشق وتونس وبغداد وبيروت وجاكرتا وكراشي ونيويورك، وتعيين مناضلين من جبهة التحرير الوطني لدى المنظمات الدولية، وإطلاق دوائر دبلوماسية مثل دائرة العالم العربي، دائرة إفريقيا آسيا، دائرة أوروبا وأمريكا، دائرة البلدان الاشتراكية. وقد أصبحت هذه الدوائر بمثابة سفارات للجزائر، تعمل على إيصال صوت الجزائر وكسب تأييد للقضية الجزائرية. (وثائق مؤتمر الصومام،، 1996).

وفي سياق التوجه الإقليمي أكدت وثيقة الصومام على تطلع أبناء الجزائر المستقلة إلى التضامن الطبيعي الضروري بين بلدان المغرب العربي لأنها تشكل مجموعة كلية تؤلفها الجغرافيا والتاريخ واللغة والحضارة والمصير، مما يوجب أن يسفر هذا التضامن على تأسيس إتحاد الدول الثلاث. وأشار المؤتمر إلى أن مصلحة الدول المغاربية وشعوبها، تقتضي أن يبدأ مساهم التكاملي بتنظيم دفاع مشترك وخطة مشتركة في التجهيز والتصنيع، وسياسة نقدية مشتركة، وتنسيق في مجال التعليم .

كما حرص المؤتمر على تعزيز استقلالية الثورة استقلالا تاما والعمل على كسب مزيد من التأييد للقضية الجزائرية من الحكومات والشعوب، مع استغلال ما توفر لجهة التحرير الوطني من مكتب دائم لدى هيئة الأمم المتحدة ووفودا في ربوع العالم.

وفضلا عن الآليات السياسية الدبلوماسية، لم يغفل المؤتمر عن الوسيلة العسكرية لتجسيد هدف الاستقلال، حيث قام بتشكيل جيش نظامي في مستوى سائر الجيوش، وبتقسيم البلاد إلى ولايات ومناطق ونواحي وقسمات، وعلى رأس كل منها قيادة لتنظيم أحوالها، مع تشكيل قيادة وطنية موحدة تمثلت في المجلس الوطني للثورة، ولجنة التنسيق والتنفيذ. (زغيدي، 2009، الصفحات 144-151). وهذا دليل على استشعار قادة الثورة بأن محدد القوة يبقى في غاية الأهمية والأولوية لتحقيق الأهداف الوطنية التي تحمل أيضا أبعادا خارجية.

وهكذا ، نلاحظ أن مؤتمر الصومام شدد على أن تحافظ الثورة المسلحة والنشاط الدبلوماسي الجزائري الخارجي على الطابع الهديفي المتمثل في تحقيق الاستقلال الوطني.

كما جسد مؤتمر الصومام الطرح الواقعي فيما يخص حرصه على تحصيل القوة . ومن جهة أخرى لم يغفل عن الأطر التعاونية مع دول الجوار والدول المتعاطفة مع القضية الجزائرية، مركزا في هذا الصدد على المعايير الهوياتية القيمة التي تتقاسمها الجزائر مع جيرانها تونس والمغرب، وعلى المعايير السياسية التي تتقاسمها مع عديد الدول على غرار دول مؤتمر باندونغ. وتعود المراهنة على محدد الهوية إلى النتائج المرجوة منه لتحصيل تأييد معنوي ومساعدة مادية تدعم القوة الجزائرية لتحصيل أهدافها.

4.3. قمة حركة عدم الانحياز الأولى: التنبه لخطر التبعية

بعد مؤتمر باندونغ بستة أعوام تم تأسيس حركة دول عدم الانحياز على أساس جغرافي أكثر اتساعاً .

وكان مؤسسو حركة عدم الانحياز قد فضلوا إعلانها كحركة وليس كمنظمة، تفادياً لما تنطوي عليه الأخيرة من آثار بيروقراطية. وتوضح معايير العضوية التي جرت صياغتها أثناء المؤتمر التحضيري لقمة بلغراد (والذي عقد بالقاهرة 1961)، أن الفكرة من وراء الحركة ليس القيام بدور سلبي في السياسة الدولية، وإنما صياغة مواقفها بطريقة مستقلة بحيث تعكس مواقف الدول الأعضاء فيها .

وقد تم اتخاذ المبادئ التي عُرفت باسم "مبادئ باندونغ العشرة" كأهداف ومقاصد رئيسية لسياسة عدم الانحياز، و أصبح تحقيق تلك المبادئ هو المعيار الأساسي للعضوية في حركة عدم الانحياز وأصبحت تعرف بجوهر الحركة .وعلى هذا، ركزت الأهداف الأساسية لدول حركة عدم الانحياز على:

- تأييد حق تقرير المصير،
- الاستقلال الوطني والسيادة
- السلامة الإقليمية للدول،
- معارضة الفصل العنصري،
- عدم الانتماء للأحلاف العسكرية المتعددة الأطراف،
- ابتعاد دول حركة عدم الانحياز عن التكتلات والصراعات بين الدول الكبرى،
- الكفاح ضد الاستعمار بكافة أشكاله (الاحتلال، الاستعمار الجديد، العنصرية، السيطرة الأجنبية)،
- نزع السلاح،
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول،
- التعايش بين جميع الدول،
- رفض استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات الدولية،
- تدعيم الأمم المتحدة، وإضفاء الطابع الديمقراطي على العلاقات الدولية،
- التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وإعادة هيكلة النظام الاقتصادي العالمي،
- التعاون الدولي على قدم المساواة.

وحتى نفهم أبعاد انخراط الجزائر في حركة عدم الانحياز، لابد من تحليل الفكرة نفسها. فعدم الانحياز هي موقف سياسي يعني عدم الميل إلى أي من الكتلتين المتصارعتين في إطار الحرب الباردة، خوفاً من أن يصيبها الخطر مرة أخرى، وتداومها ويلات الحروب (مصطفى، 1969، صفحة 3). وكما نلاحظ، فإن هذا الموقف يخدم توجهات الجزائر من خلال مقاصد ثورتها.

وقد حدد أول تعريف رسمي لمفهوم سياسة عدم الانحياز في مؤتمر بلغراد عام 1961، حيث قرر هذا الأخير بأن الدولة التي تؤمن بتلك بسياسة عدم الانحياز يجب أن تتبع المبادئ التالية:

- يجب أن تنهج سياسة مستقلة قائمة على تعايش الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة، وألا تنحاز، أو تظهر اتجاهها يؤيد هذه السياسة.
- يجب أن تؤيد الدولة غير المنحازة حركات الاستقلال القومي، وأن لا تكون عضواً في حلف عسكري جماعي تم في نطاق صراع بين الدول الكبرى.
- يجب ألا تكون الدولة طرفاً في اتفاقية ثنائية مع دولة كبرى، وألا تكون قد سمحت لدولة أجنبية بإقامة قواعد عسكرية في إقليمها بمحض إرادتها.
- و يتمثل الهدف الرئيسي لحركة عدم الانحياز منذ تأسيسها في إقامة تحالف يتشكل من الدول المستقلة، وإنشاء تيار محايد وغير منحاز مع السياسة الدولية للقوى العظمى في العالم. (حركة عدم الانحياز)
- وهكذا، فإن انخراط الجزائر في حركة عدم الانحياز التي تضم عديد الدول تتقاسم معها نفس المبادئ والمعايير السياسية، يرئى بيئة دولية مواتية لها للتمسك بخياراتها لتحقيق هدف الاستقلال، من خلال تشكيل دول الحركة لتحالف يضم دولاً تتقاسم نفس الهوية، مما يدعم موقف الجزائر وسبل تحقيق هدفها.

5.3. ميثاق طرابلس 1962:

تناول " ميثاق طرابلس " موضوع تنظيم الدولة الجزائرية الجديدة في مختلف الميادين وكافة الأصعدة. (بشير، صفحة 135) ، وعالج ملف السياسة الخارجية على اعتبار أنها وسيلة رئيسية لانجاز الثورة الديمقراطية الشعبية وعامل أساسي في تدعيم الاستقلال الوطني وبلورة الشخصية الدولية للجزائر.

كما استعرض الميثاق المبادئ التي تتمحور حولها أو الهوية الدولية للجزائر، وتتمثل في: -مناهضة الاستعمار والامبريالية: لتحقيق هذا المبدأ فإن الجزائر مطالبة بالتضامن مع حركات التحرر من أجل تفكيك النظام الذي يقوم عليه الاستعمار والامبريالية، وعليه فإن واجب الثورة

الجزائرية، يحتم عليها دعم حركة عدم الانحياز، وتدعيم التحالف مع البلدان التي حققت استقلالها وتحررت من السيطرة الأجنبية . (الزيري، 1999، صفحة 189)

-مساندة حركة النضال من أجل لوحدة:توسيع نطاق محاربة الامبريالية سيغذي حيوية القوى السياسية والاجتماعية التي تعمل في نفس الاتجاه من أجل تحقيق الوحدة كخيار يندرج في إطار اختيارات عقائدية وسياسية واقتصادية تناسب مصالح الجماهير.

-دعم حركات التحرير: حيث أن حرب التحرير بكثافتها وقوتها ساهمت في تسريع وتيرة تصفية الاستعمار، ولهذا ستقدم الجزائر المستقلة مساعدة كاملة للشعوب التي تناضل فعلا لتحرير بلادها ، فالتضامن الفعال ضد الاستعمار سيمكن الجزائر من توسيع جبهة النضال ودعم حركة الوحدة. (نصوص، 2005، الصفحات 79-80)

-النضال من أجل التعاون الدولي: باعتباره أمرا ضروريا لتوظيف المصادر المادية والبشرية من أجل التقدم والسلام في العالم، يرى برنامج طرابلس أن دعم الروابط مع بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وتطوير المبادلات في كافة الميادين مع البلدان الاشتراكية، وإقامة علاقات مع كل الدول على أساس المساواة والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية، والعمل المشترك مع القوى الديمقراطية سيؤهل الجزائر للقيام بمسؤولياتها على الصعيد الدولي والإسهام بصفة ايجابية في مقاومة السباق نحو التسلح والتجارب النووية، والعمل على تصفية الأحلاف والقواعد العسكرية. (الزيري، 1999، صفحة 189).

وهكذا، فإن مؤتمر طرابلس قد أبرز بشكل موسع مبادئ السلوك الخارجي للجزائر وضبط توجهاتها وأدوات تنفيذها التي جسدت منظورات مختلف المقاربات النظرية، على غرار:

- إستراتيجية عدم الانحياز لتفادي الوقوع في التبعية التي ترهن السيادة الوطنية.
- دعم حركات الوحدة لاحتواء ومجابهة مناورات التقسيم والتفتيت، وفي هذا بعد متعدد يحمل ملامح التعاون الدولي وتعزيز الاستقلالية لتفادي التبعية والاستزادة من القوة، ومن خلال كل ذلك تبرز الأطروحات الواقعية والنيوماركسية والليبرالية. كما أن توخي الوحدة ضمن التجانس الهوياتي يكرس الطرح البنائي.
- دعم حركات التحرر والاستقلال لتعزيز وتقوية حركات الوحدة والنضال من أجل التعاون الدولي ، وفي ذلك ملمح العمل على تحصيل القوة خدمة لهدف الأمن.

4. خاتمة:

يجسد السلوك الجزائري إبان ثورة التحرير بلغة نظرية تقاطع نظري متعدي، الهدف منه تحقيق المصلحة المتمثلة في الاستقلال والحفاظ عليه لاحقا. وجمعت جهة التحرير الوطني في توجهاتها الخارجية بين المصلحة والمبادئ، وتعكس مراعاة التوفيق بين حسابات المصلحة الوطنية كهدف رئيسي من منظور واقعي عقلاني، وضرورة ملائمة السلوك للمعايير التي جسدها مبادئ نوفمبر من منظور بنائي اجتماعي، تقاطع. وقد حملت هذه المبادئ وما تشبعت به جهة التحرير الوطني من مبادئ مشابهة خلال مؤتمر باندونغ وحركة عدم الانحياز ملامح التوجهات التعاونية والوحدوية في إطار التوافق الهوياتي المغاربي والعربي والإسلامي، على نحو يثري محددات القوة المادية والمعنوية، ويعزز فرص تحقيق الهدف والحفاظ عليه. كما عبرت تلك المبادئ بوضوح عن تمسك الجزائر بقواعد القانون الدولي بتأكيدا على العمل في إطار منظمة الأمم المتحدة، و الابتعاد عن سياسة الأحلاف باعتماد سياسة عدم الانحياز، وهي توجهات تتوافق مع الطرح الليبرالي وتأخذ بالحسبان منظور التبعية، وكلها تخدم متطلبات تحقيق المصلحة.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- بوقارة، حسين (2012) ، السياسة الخارجية دراسة في عناصر التشخيص والاتجاهات النظرية للتحليل ، الجزائر ، دارهومة.
- بيليس، جون سميث، ستيف (2004) ، عولمة السياسة العالمية، الإمارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث.
- زغدي، محمد لحسن، (2009) ، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962 ، الجزائر ، دارهومة.
- جندي، عبدالناصر، (2007) ، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
- جنسن، لويد ، (1989)، تفسير السياسة الخارجية، ترجمة محمد مفتي، محمد السيد سليم ،الرياض، جامعة الملك سعود.
- سليم، محمد السيد، (1998)، تحليل السياسة الخارجية ، الطبعة الثانية، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية.

محمد حلمي، مصطفى وآخرون: (1969)، العالم الثالث ومؤتمرات السلام، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة.

الزيري، محمد العربي، (1999)، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962، ج2، منشورات اتحاد الكت بالعرب.

ناصيف، يوسف، (1985)، النظرية في العلاقات الدولية، ط1، دار الكتاب العربي. وثائق

مؤتمر الصومام، (1996)، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد

النصوص الأساسية لثورة أول نوفمبر 1954 (بيان أول نوفمبر، قرارات الصومام، برنامج

طرابلس)، (2005)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

Macleod, Alex. O'meara ,Dan, (2010), Théories Des Relations Internationales
Canada, Athéna éditons.

Charles, Philippe David, Jean Jacques Roche, (2002), Théories de La sécurité :
Définitions, Approches et concepts de la sécurité internationale, (Paris ,
Montchrestien.

J.Morgenthau, Hans,(1948), Politics Among Nations: The struggle For Power and
Peace , New York , Alfred A.Knopf.

• المقالات:

لونيس، رابح ، (2002) ، بيان أول نوفمبر وأسس الدولة الوطنية (الجدور الفكرية والمضمون)
، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول
نوفمبر 54 ، العدد 7

جسام راضي، سمير، (2012)، مفهوم التعاون الدولي في المدارس الفكرية للعلاقات الدولية،
"مجلة العلوم السياسية"، العدد 45 جامعة بغداد.

جندي، " عبد الناصر، (2010)، إشكالية تكيف المنظور الواقعي للعلاقات الدولية مع التحولات
الدولية لما بعد الحرب الباردة"، المستقبل العربي، العدد 376، بيروت، مركز دراسات
الوحدة العربية..

بوصبوعة، مصطفى (2016)، تطور مقاربات تحليل السياسة الخارجية، المجلة الجزائرية
للسياسات العامة - ، العدد 33،

Hurrell , Andrew, (2006), Hegemony, liberalism and global order: what space for would-be great power", International Affairs, The Royal Institute of International Affairs, No 82 .

● مواقع الانترنت:

بيان أول نوفمبر 1954، في: <http://www.ministerecommunication.gov.dz/ar/node/5469>
الذكرى الـ 60 لمؤتمر باندونغ 1955 - وقفة عند انطلاق الدبلوماسية الثورية الجزائرية،

في: <https://el-massa.com/dz/news/>

النظرية الماركسية في العلاقات الدولية، في: <https://www.politics-dz.com>

تاكاويوكييامورا، مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية، ترجمة: عادل زقاع، في:

<http://www.geocities.com/adeltzeggagh/secpt.html>

حركة عدم الانحياز، في: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia>

وهيبة بشرير، نظرة تقييمية ونقدية لمؤتمر طرابلس 1962م ، في:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/26755>

DarwisKhudori. BANDUNG 60 ANS APRES : QUEL BILAN ? .pdf p10, dans:

<https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-02540928/document>

الأبعاد السياسية للثورة الجزائرية على المستوى الإقليمي والدولي
The political dimensions of the Algerian revolution at the regional and
international levels

ريمة مرزوق

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية-جامعة الجزائر3 (الجزائر)،

merzouk.rima@univ-alger3.dz

1. مقدمة:

تعد الثورة الجزائرية من أعظم ثورات القرن العشرين، والتي تعتبر امتدادا للمقاومة الشعبية التي انطلقت مباشرة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، وهو ما يدل على الرغبة الحقيقية والمستمرة للشعب الجزائري في انتزاع حريته من المحتل الفرنسي وتحقيق أهداف الثورة بمختلف أبعادها، فالبعد السياسي للثورة الجزائرية داخليا تجسد في المهام الدبلوماسية "لجبهة التحرير الوطني" بمبادئها وأهدافها السياسية وعلى رأسها استرجاع السيادة الوطنية والمتمثل في استقلال الجزائر، والتي لم تكن لتحقيق هذا الهدف لولا العمليات الميدانية "لجيش التحرير الوطني"، أما على المستوى الخارجي فقد خلف قيام الثورة التحريرية ردود فعل متباينة إقليمية ودوليا، ساهم بعضها في إسماع صوت الشعب الجزائري دوليا حول سعيه المستميت في نيل حريته واستقلاله ضد أعتى قوة استعمارية في العالم. الإشكالية: ما مدى تأثير وفعالية البعد السياسي الداخلي والخارجي للثورة الجزائرية في تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية؟

2. البعد السياسي الداخلي لثورة التحرير

تضمنت الثورة الجزائرية في ثناياها مبادئ وأهداف سعت لتحقيقها بمختلف الوسائل والطرق، فتراوحت بين الآليات السياسية تمثلت في مسار الحركة الوطنية، والعمل الدبلوماسي على الساحة الإقليمية والدولية للتعريف بالقضية الجزائرية، الاجتماعية من خلال الحصول على الدعم الشعبي والآليات العسكرية المتمثلة في الكفاح المسلح.

1.2 قراءة سياسية لبيان أول نوفمبر 1954:

للوهلة الأولى عند قراءتنا لبيان أول 1954، والذي يمكننا اعتباره الأساس الذي نظم سير الثورة وطريقة العمل والنضال من خلال إيضاح وتحديد أهدافها ومبادئها، فإن أول

ما يبرز هو ترتيب الأولويات والأهداف المراد تحقيقها من الثورة، حيث بدأ البيان بلمحة عامة حول الظروف السياسية التي تشهدها الجزائر ثم الظروف الإقليمية التي تشهدها تونس والمغرب، كما تضمن الأهداف الداخلية والخارجية، وقد أشار إلى عدم نجاعة العمل السياسي منفردا مما أدى لتبني العمل العسكري أو الكفاح المسلح إلى جانبه.

لقد ورد السياق التاريخي الداخلي للثورة الجزائرية وبيان أول نوفمبر ضمن ظروف مزرية للجزائريين على كل المستويات، ومن ثم فالوضع مناسب للقيام بالثورة بالاعتماد على الشعب كطرف أساسي في هذه القضية والمراهنة عليه، لذلك بدأ البيان "أيها الشعب، أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية"، كما ذكّر البيان بالإنجاز السياسي الذي حققته الحركة الوطنية في نضالها الطويل وبلوغها الكفاح المسلح، وقد أعلم البيان الشعب أنه بعيد كل البعد عن مختلف الصراعات من أجل السلطة في الحزب، ووضع المصلحة العليا الوطن والشعب فوق كل اعتبار، وأن الكفاح المسلح موجه ضد الاستعمار لا غير والذي جاء بعد الاقتناع بضرورة نهج هذا السبيل تحت غطاء سياسي جديد اسمه "جبهة التحرير الوطني"، الذي يتيح الفرصة لكل المناضلين والمواطنين الجزائريين من كل الفئات الاجتماعية واستيعابها تحت مشروعها التحرري" ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية..." (قرفي، 2018). يُعتبر بيان أول نوفمبر حوصلة ذكية لأدبيات مختلف الأطراف المشكلة للحركة الوطنية الجزائرية واستمرارا أيديولوجيا لها والذي تجسد في الخطوط العريضة للبرنامج السياسي منبثقا عن الوثائق السياسية للحركة الوطنية، وتحديدًا في المطالبة بالاستقلال وإعادة بناء الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية، العودة بالحركة الوطنية الثورية إلى نهجها الحقيقيين خلال القضاء على جميع مخلفات الفساد وطريقة العمل التي سادت بقيادة "جبهة التحرير الوطني"، فهدف البيان هو قيادة موحدة للحركة الوطنية بدلا من تباعد التيارات السياسية المختلفة والتنافس على الزعامة، وهناك من اعتبر البيان تمهيدا لفكرة الاستقلال (الزيري، 2018). وقد أثبت بيان أول نوفمبر الرغبة الفعلية في تحقيق السلم، من خلال إبراز وحشية الاستعمار التي تجسدت في الخسائر المادية البشرية وإراقته لدماء الجزائريين، أين طالب بالاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ووحدته الترابية وفق "المرجعية التحريرية الوطنية"، ومثلما كان البيان موجها للجزائريين فقد وجه في الوقت ذاته للفرنسيين لتنبيههم بالحقوق المشروعة التي قامت من أجلها الثورة، ولأن الكفاح المسلح والنضال السياسي لن ينجح بدون الدعم

الشعبي، فقد دعا مفجروا الثورة الشعب الجزائري لمباركة هذه الوثيقة، واعتبار أن المسؤولية مشتركة بينه وبين "جبهة التحرير الوطني" وأن انتصارها هي انتصار له، مؤكداً على أن الجبهة والجيش عازمون على التضحية بالنفس والنفيس في سبيل النصر، في حدود الجزائر المستقلة كحق مشروع وطبيعي، وهذا الحق لا يتحقق إلا بالكفاح المسلح ضد العد الفرنسي (قاسمي).

2.2 جبهة التحرير الوطني ومسار التنظيم السياسي للثورة

تعتبر الثورة الجزائرية نتيجة حتمية لحركة الأفكار التي بدأت في عهد الأمير "عبد القادر"، "فالأمير خالد"، مصالي الحاج"، عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي"، فالدور الإصلاحي "لجمعية العلماء المسلمين" التي هيأت أجيال من المتعلمين والوطنيين الذين درسوا في الجزائر أو التحقوا بالقاهرة "جامع الأزهر" أو بتونس "جامع الزيتونة"، هؤلاء فعلاً هم الذين أزالوا الجهل والمعتقدات الزائفة التي حاول المستعمر الفرنسي ترسيخها في عقول الجزائريين، وتلك المبادئ والأفكار التي غرستها ونشرتها الجمعية كانت تمهيدا لتقبل الأفكار الثورية والتحررية لاحقاً (بلغيث، 2013).

فبوصول الحركة الوطنية لطريق مسدود كان إعلان الثورة هو المخرج الوحيد، خاصة وأن الظروف الداخلية، الإقليمية والدولية ساعدت على ذلك، هذا الإعلان قاده شباب ثوري، متحمس، مناضل وواعي مثلوا النواة الأولى "للمنظمة السرية"، والذين أدركوا أن طول الألفة لن يكون في صالح الشعب الجزائري، خاصة وأن النظام العالمي كان يسير بوتيرة سريعة في اتجاه تحرير الشعوب ونهضتها، وقد أظهرت الثورة الجزائرية أنها حركة منظمة وواعية وليست عملاً فوضوياً تخريبياً، وهو ما تجسد من خلال البيان الذي أصدرته وأعلنت للعالم فيه أهدافها ووسائلها الشرعية، كما عرفت بجيش التحرير وأهدافه وسبل كفاحه، وبقيادة "جبهة التحرير الوطني" تمت هيكلة الثورة لضمان استمراريتها ونجاحها، فأنجزت عمليات ومهام سياسية وعسكرية على المستويين الداخلي والخارجي في غاية التخطيط والدقة (منغور، 2006). وبعد اتخاذ القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني قرارها التاريخي الخاص بتفجير الثورة في الأول من نوفمبر 1954، قامت بتقسيم البلاد إلى ست مناطق وعينت على رأس كل واحدة منها مسؤولاً، وذلك لأن الثورة آنذاك كانت في بدايتها وبالتالي صعوبة تحكم القادة في جميع المناطق وإدارتها، خاصة مع ضعف الوسائل المادية ولذلك تم اعتماد مبدأ القيادة الجماعية، كما تم الاتفاق على عقد ندوة وطنية في حدود شهر جانفي 1955 لتقييم ما تم تحقيقه في هذه المرحلة، وأيضاً لإعداد برنامج عمل للفترة اللاحقة، ونظراً لظروف

الثورة والكفاح المسلح واستشهاد بعض القادة، إضافة لضعف التنسيق بين الداخل والخارج أدى لعدم تمكين جميع المناطق التاريخية من الأسلحة والذخائر اللازمة، وكل ذلك أحدث مشكلة الاتصال بين القادة الذين لم يلتقوا ولم يتمكنوا من تنظيم اجتماع فيما بينهم بعد مرور حوالي سنتين من قيام الثورة، وفي جانفي 1955 وبعد إطلاق سراح "عبان رمضان" مثل ذلك فرصة مناسبة لـ "كريم بلقاسم" لإعادة تنظيم الثورة من جديد، حيث استعان به للانضمام للثورة ومساعدة قادتها في التنظيم والتنسيق والإعلام والدعاية نظرا لخبرة "عبان رمضان" في "حزب الشعب" و "المنظمة الخاصة"، فقد كان الهدف في هذه المرحلة هو استحداث قيادة مركزية مشتركة بين جميع المناطق، ولذلك قام "عبان" بتوسيع "الجهة" التي أصبحت تضم المناضلين من جميع التيارات الوطنية (شبوب، 2010/2009). وتطبيقا لاستراتيجية الثورة في تأسيس هياكل وأجهزة لتنظيم مسارها وترسيخ مبدأ القيادة الجماعية، فقد نص مؤتمر الصومام على تأسيس "سلطة تشريعية" ممثلة في "المجلس الوطني للثورة" وأعطيت له السلطة العليا في الثورة، والذي كُلف برسم وتوجيه السياسة العامة الداخلية والخارجية لجهة التحرير الوطني تضمن مختلف تيارات الحركة الوطنية، كما تم ائتمان المجلس على السيادة الوطنية وله صلاحية التشريع إلى غاية استرجاع الحرية (شريط، 1998). لقد لعب تنظيم الثورة من طرف حزب وقيادة موحدة دورا هاما في نجاح مسارها- رغم الخلافات التي رافقتها حتى الاستقلال-، إلا أن التنظيم السياسي الداخلي للكفاح المسلح عبر اجتماعات قادة الثورة والولايات التاريخية، ووضع قوانين ومبادئ يستوجب اتباعها كان عاملا حاسما في استمرارية العمل الثوري بوسائل بسيطة، غلب عليها الإيمان بعدالة هذه القضية وضرورة إتمام مسار المقاومة الشعبية لكن بطرق ووسائل أخرى يغلب عليها التخطيط والتنظيم السياسي والعسكري المشترك من طرف مختلف قيادات الثورة.

3. مسار تدويل القضية الجزائرية إقليما ودوليا

إن دراسة وتحليل سعي قادة الثورة الجزائرية للتعريف بالنضال المستمر للشعب الجزائري لاسترجاع سيادته وحرية، يبرز جليا في بيان أول نوفمبر 1954، والذين أصرّوا على تحقيق الهدف الأسمى للثورة ألا وهو الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية بكل الوسائل والآليات المتاحة داخليا وخارجيا، وأي قضية تحرر في العالم لن تتمكن من تحقيق هدفها الرئيسي إلا من خلال دعم خارجي ومساندة مستمرة إقليما من جهة، ومن جهة أخرى دعم الأطراف الفاعلة في النظام الدولي والتي غالبا ما تغير بعض المعطيات السياسية وتقوم حتى

بالدعم العسكري (التدريب والأسلحة...) بسبب ميزان القوة الذي تمتلكه على الساحة الدولية.

1.3 البعد السياسي الدولي للثورة الجزائرية:

لقد أكد بيان أول نوفمبر فيما تعلق بالأبعاد السياسية الخارجية، على البعد المغاربي للثورة الجزائرية، حيث ورد في البند المتعلق بالأهداف الخارجية "تحقيق وحدة شمال إفريقيا ضمن إطارها الطبيعي العربي والإسلامي"، كما أشار البيان إلى الأحداث التي شهدتها كل من "تونس والمغرب" للحصول على الاستقلال، والتي وصفها أنها تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا، وأضاف البيان "ومما يُلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل، هذه الوحدة التي لم يُتَح لها للأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة" (Algerian Embassy).

أين تم تحديد أهداف ثورة التحرير بالإجماع من طرف القادة التاريخيين، حيث تم ربط الاستقلال الوطني بالبعد المغاربي مؤكدين على أن الاستقلال لن يخرج عن البرنامج الموحد لبلدان شمال إفريقيا في توحيد النضال والكفاح المشترك مثلما ورد في نص البيان "أيها الشعب الجزائري... نعلمكم أن هدفنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي"، وقد ذكر "عامر رخيلة" أن التيار الوطني الاستقلالي منذ ظهوره سنة 1926 أخذ طابعا مغاربيا، وظل ذلك البعد فيه رغم المتغيرات التي حدثت في المنطقة المغاربية، والذي تكرر أكثر بعد مجازر 8 ماي 1945 إلا أن أسباب عديدة حالت دون التطبيق الميداني لهذا البعد (تلمساني، 2017).

وبالإضافة إلى بيان أول نوفمبر 1954، فقد تطرق "مؤتمر الصومام" 1956 إلى عدة قضايا مغاربية في فقرات مختلفة، كالاستراتيجية الفرنسية تجاه بلدان المغرب العربي خاصة تونس والمغرب للقضاء على الثورة الجزائرية، والتي اضطرت لمنح الاستقلال للمغرب في 2 مارس وتونس في 20 مارس 1956 لتتشبث أكثر بالجزائر، حيث راهنت الحكومات الفرنسية المتعاقبة على الاحتفاظ بالجزائر مهما كلفها الأمر على مختلف الصعده، وعملها على منع قيام جبهة حقيقية بين ثوار المغرب العربي والحيولة دون تبلور الاتجاه الداعي لتوحيد الكفاح على نطاق شمال إفريقيا، ومحاولة عزل الثورة الجزائرية محليا وإقليميا، ويعد نجاح سياسة التجزئة التي تبنتها فرنسا في المنطقة عبر محرري وثيقة "الصومام" بما يلي: "وإنه لخطأ فاحش وضلال بعيد أن يعتقد أحد أن باستطاعة المغرب وتونس التمتع باستقلال حقيقي إذا ما

بقيت الجزائر تحت نير الاستعمار، كما أكدت الوثيقة أن الشعب الجزائري مخلص للوحدة والتضامن المغربي، وأقر المؤتمر بضرورة عمل الجزائر المستقلة على كسر حواجز التفرقة التي وُضعت بين الدول المغربية وتعزيز التضامن والإخاء بين شعوبها، ومن ثم تأسيس اتحاد لدول شمال إفريقيا (تلمساني، 2017).

- **الموقف الليبي:** لعبت ليبيا دورا كبيرا في الدعم العسكري، المالي والدبلوماسي، الرسمي والشعبي للثورة الجزائرية، وقد كانت ليبيا (طبرق) مقرا لاجتماع الوفد الخارجي للجهمة مع الملك "ادريس السنوسي" في 13 جوان 1956 والذي أقر أن "الجهاد في الجزائر هو جهاد إسلامي عام من واجب كل المسلمين دعمه"، كما أكد الملك الليبي للوفد الخارجي عن تأييده المطلق للثورة الجزائرية ووقوفه مع القضية العادلة للشعب الجزائري، وقد تجسد هذا الدعم بعد حادثة اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين يوم 22 أكتوبر 1956، في الموقف الشعبي أين شهدت الشوارع الليبية مظاهرات حاشدة معبرة عن غضبها من عملية القرصنة رافقها وقف جميع الأعمال والنشاطات اليومية يوم 24 أكتوبر، أما الموقف الرسمي فقد انعقد مجلس الوزراء الليبي يوم 23 أكتوبر وقدم احتجاجا للحكومة الفرنسية وطالها بالإطلاق الفوري للمحتجزين وتحميلها مسؤولية سلامتهم، كما دعمت ليبيا القضية الجزائرية في مختلف المؤتمرات العربية والدولية، وأصبحت ليبيا قبلة للقادة السياسيين الجزائريين الذين كثفوا نشاطهم الدبلوماسي في كل من طرابلس وبنغازي والتي مهدت لعقد المؤتمر الرابع بطرابلس في 27 أوت 1961 (صغير، 2004).

- **موقف تونس:** تجاوب الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية منذ 1954، رافقها الدعم الرسمي بعد الاستقلال خاصة بعد عملية اختطاف القادة الجزائريين، حيث استدعت حكومة "بورقيبة" سفيرها في باريس وطالبت بإطلاق سراح القادة دون شرط، كما قام وفد الحكومة التونسية لدى الأمم المتحدة بالتعريف بالقضية الجزائرية عبر تقديم تقارير مفصلة حول أوضاع الشعب الجزائري وما يعانيه جراء السياسة الفرنسية، وقد طالب "بورقيبة" مرارا باستقلال الجزائر وأنه حقيقة وليس ضربا من الخيال، حيث قال "إننا نريد تدعيم صفوفنا وأن نجعل المغرب العربي قوة لها وزنها بين الدول"، كما قامت الصحف التونسية بتقديم الدعم المعنوي للثورة الجزائرية ولكفاح الشعب الجزائري، وقد فتحت الحكومة التونسية المجال لنشاط قادة جبهة التحرير على أراضيها رغم الضغط الفرنسي، وكانت تونس من أول الدول التي اعترفت بالحكومة الجزائرية المؤقتة، وقد ارتكز الدعم المادي للحكومة التونسية في فتح حدودها للثورة والتي كانت أهم معابر المجاهدين ونقل الأسلحة القادمة من ليبيا ومصر (صغير، 2004).

- الموقف المغربي: لقد أرست الثورة الجزائرية إيديولوجية ثورية جذبت إليها جماهير المغرب العربي المتمسكة بالكفاح المسلح المشترك، والعلاقات الجزائرية المغربية لم تكن وليدة 1954 بل للفترة التي سبقتها والمتمثلة في التنسيق بين الحركة الوطنية المغربية محاولة بناء مسار النضال المشترك، حيث قدم الزعيم "الخطابي" دعما ماديا ومعنويا للثوار الجزائريين والذي اتفق مع "بن بلة" على تجنيد ضباط "جيش تحرير المغرب العربي، أين عبر عن موقفه الصريح من الثورة الجزائرية في ندائه الموجه إلى مجاهدي المغرب العربي عبر إذاعة "صوت العرب" "... أيها الجزائريون نحن جميعا ما كنا نود أن تصل الحالة في شمال إفريقيا إلى هذه المرحلة الدامية، ولكن رغبة المفسدين الفرنسيين في الفتنة جعلتنا جميعا ننفجر فنهضتم تدافعون هذا الدفاع المبارك المجيد..." كما تم الاتفاق بين "علال الفاسي" والوفد الخارجي للجهة في القاهرة على توحيد جبهتي المقاومة في المغرب والجزائر، وبعد استقلال المغرب أرست جهة التحرير علاقات التعاون والتنسيق مع السلطات الرسمية للاستفادة من دعمها السياسي والعسكري لتحقيق الاستقلال، وقد وضع قادة الثورة الجزائرية في الاعتبار الأهمية الاستراتيجية للمغرب كواجهة غربية لإمداد الثورة بالسلاح وتأمين النشاط العسكري، إضافة لدعم القضية الجزائرية عربيا ودوليا والمساهمة في التعريف بعدالة هذه القضية وكفاح الشعب الجزائري (مقالاتي، 2008/2007).

- كما يجب ذكر الدعم العربي للثورة الجزائرية خاصة مصر، العراق، سوريا، السعودية... الخ، فقد تميزت العلاقات الجزائرية المصرية بالترابط عبر بالتنسيق المباشر بين قادة الثورة ورجال المخابرات المصرية تحت الإشراف المباشر "لجمال عبد الناصر" نظرا لمكانة مصر القومية في الشرق الأوسط، وقد أكد "أحمد محساس" أن الوفد الخارجي أسس في القاهرة هيئة مكلفة بالاتصال مع الحكومة المصرية والتي تكفلت بتوفير الأسلحة وإرسالها للثورة الجزائرية، وهذه المساعدات تسببت لاحقا في دفع مصر للثمن من خلال مشاركة فرنسا في الهجوم الثلاثي سنة 1956، إضافة للدور الذي قامت به "إذاعة صوت العرب" في مناصرة الثورة الجزائرية والتعريف بها، وتم الإعلان عن قيام أول حكومة جزائرية مؤقتة 19 سبتمبر 1958 في كل من مصر وتونس، كما قدمت سوريا دعما معنويا للثوار عبر الأعمال الأدبية ونشرها للتعريف بالقضية الجزائرية، إضافة للمساعدات المالية من الحكومة السورية، كما ساهمت الأعمال الأدبية العراقية في إيصال معاناة الشعب الجزائري لمختلف أقطار العالم، وقد خصصت القيادة العراقية بعد ثورة تموز 1958 ميزانية خاصة للثورة الجزائرية (بلغيث، 2013).

- الصين: حيث تجسد الدور الصيني في الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة وبمساعي الدبلوماسية الجزائرية في تدويل القضية، فالزيارة التي أجراها الوفد الخارجي إلى العاصمة بكين في ديسمبر 1958 تعد من أهم الانتصارات الدبلوماسية، نظرا للتفاعل الشعبي مع هذه الزيارة في الجزائر وبالدول المساندة للقضية في كل من إفريقيا وآسيا، وقد تزامن ذلك اللقاء مع موعد مناقشة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة ومؤتمر الشعوب الإفريقية "أكرا"، والمؤتمر الاقتصادي العربي ومؤتمر القاهرة للدول الآفرو آسيوية، فهذا التفاعل في الأحداث زاد من فعالية النشاط الدبلوماسي الجزائري وخدم كثيرا القضية الجزائرية، خاصة وأن الصين قد قدمت مساندة كاملة للجزائر واعتبرتها إقليما مستقلا حتى قبل الشروع في المفاوضات الرسمية لاستعادة السيادة الوطنية (فريخ، 2021). لتتوالى بعد ذلك الزيارات من طرف الوفد الخارجي للجبهة والناطق بلسان حال الثورة إلى الصين، نظرا لوزنها السياسي ودورها الفاعل في نسق العلاقات الدولية في إطار الحرب الباردة خاصة بعد امتلاكها لحق الفيتو، كما عمقت الزيارة التي ترأسها "بن يوسف بن خدة" وزير الشؤون الاجتماعية بالحكومة المؤقتة يوم 3 ديسمبر 1958 أواصر الصداقة بين الطرفين، حيث أكد المارشال "يونج ته هواي" "أن الشعب والحكومة الصينية ترحب ترحيبا خاصا بمندوبي حكومة الجزائر... ذلك أن تجربة الجزائر تجربة الصين تجربة واحدة" (دبش، 2009).

وفي 20 ديسمبر 1958 نُشر بلاغ في العاصمة الصينية تضمن "أن الطرفين قد أيدا مبدأ إقامة علاقات دبلوماسية وثقافية بين البلدين"، أما زيارة الوفد الخارجي للصين في 19 نوفمبر 1960 فقد نتج عنها قرار للحكومة الصينية "أن الصين ترحب بأن يكون للحكومة المؤقتة الجزائرية تمثيل دبلوماسي وعلى الهيئة الجزائرية أن تختار الوقت المناسب لذلك (بجاوي، 2005).

- رد الفعل السوفييتي من الثورة الجزائرية:

شكل الاتحاد السوفييتي أحد طرفي الصراع الأيديولوجي أثناء الحرب الباردة، حيث وجه سياسته الخارجية نحو كسب تأييد دول العالم الثالث ودعم الكفاح التحرري، وفي 1 أكتوبر 1955 كان الاتحاد السوفييتي من بين 28 دولة وافقت على تسجيل القضية الجزائرية بهيئة الأمم المتحدة، ولكن ظل الموقف السوفييتي محتشما في جانب السياسة الخارجية التي حاولت الحفاظ على علاقة متوازنة مع القضية الجزائرية والطرف الفرنسي في الوقت ذاته، إلا أن السوفييت التزموا بالدعم المادي، وإدانة فرنسا بعد اختطاف الزعماء الخمسة في

أكتوبر 1956 (بلحاج، 2007). فقد صرح "خروتشوف" يوم 8 أكتوبر 1960 حول الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة بأنه "يمكن اعتبار اجتماعاتنا في نيويورك ومحادثاتنا مع ممثلي الحكومة المؤقتة على أنه اعتراف بأن هذه الحكومة قائمة في الواقع، وهو اعتراف في حد ذاته بشرعية الثورة الجزائرية وكفاح الشعب الجزائري، والذي تجسد برفض "خروتشوف" زيارة "حاسي مسعود" بدعوة من الحكومة الفرنسية التي حاولت كسب اعتراف السوفييت بسيادتها على الصحراء الجزائرية (فريج، 2021).

2.3 جهود الدبلوماسية الجزائرية لتدويل القضية الجزائرية:

يعد الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني الأداة الدبلوماسية الأولى للثورة التحريرية الكبرى، حيث أدرك قادة الثورة الجزائرية منذ الوهلة الأولى أهمية المعركة الدبلوماسية في المسار النضالي والكفاح المسلح للشعب الجزائري ضد القوة الاستعمارية الفرنسية، فقد تشكل الوفد الخارجي لحركة "الانتصار للحريات الديمقراطية" من "محمد خيضر، أحمد بن بلة وآيت أحمد" منذ أواخر سنة 1953 وبدأ الوفد عملية التحضير للثورة منذ جويلية 1954، حيث كُلف بكسب الدعم المصري وتوفير لسلح للثورة، وعشية اندلاع الثورة في 26 أكتوبر 1954 التحق "محمد بوضياف" بالوفد الخارجي، والذي أصبح ممثلاً لجهة التحرير في الخارج (العقون، 1981).

- فرض القضية الجزائرية في مؤتمر "باندونغ" 1955، حيث عملت "جهة التحرير الوطني" على إرسال وفد خارجي موحد عن أقطار الشمال الإفريقي الموحد، لرفع القضية الجزائرية إلى مصاف قضيتي تونس والمغرب، وقد عبر "مؤتمر باندونغ" في بيانه النهائي 24 أبريل 1955 عن مساندته لقضايا التحرر في شمال إفريقيا، وتأييده لحق تونس، الجزائر والمغرب في تقرير المصير والاستقلال، وهي نتيجة للتنسيق والتعاون بين الوفود المغربية، وعليه فقد جند الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني الفعاليات المغربية والأحزاب الوطنية لخدمة استراتيجيتها الثورية وحققت الدبلوماسية الجزائرية في مراحلها الأولى نتائج هامة على الصعيد السياسي (مقلاتي، 2008/2007).

- الإعلان يوم 19 سبتمبر 1958 عن تأسيس أول حكومة جزائرية مؤقتة برئاسة "فرحات عباس"، نالت اعتراف 12 دولة في الأسبوع الأول أهمها ليبيا، تونس، ليبيا، العراق، المغرب، السعودية، كوريا الشمالية، مصر، الصين، السودان، وقد شملت هذه الحكومة أربعة تيارات: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، جمعية العلماء المسلمين، المركزيين والنشطاء سياسيا

(أعضاء المنظمة الخاصة)، وقد أوكل المجلس الوطني للثورة إلى الحكومة المؤقتة أن تتولى تطبيق مبدأ حق تقرير المصير عن طريق استفتاء تنظمه الأمم المتحدة مع عدم استبعاد التفاوض الثنائي.

- لقاء طرابلس والإعلان عن تعديل الحكومة المؤقتة برئاسة بن يوسف بن خدة بين 7 و29 أوت 1961، حيث تميزت دورة طرابلس بالحنكة الدبلوماسية والمرونة السياسية لمناقشة قضيتين أساسيتين هما العلاقات بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة، والمفاوضات بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا (شبوب، 2010/2009).

- موافقة المجلس الوطني للثورة على مسودة "اتفاقيات إيفيان" ومنح تفويض للحكومة المؤقتة لاستئنافها يوم 7 مارس 1962، والتي انتهت بالتوقيع على وقف إطلاق النار يوم 18 مارس 1962 والذي أعلن عنه يوم 19 مارس من طرف رئيس الحكومة المؤقتة "بن يوسف بن خدة" والذي اعتبر انتصارا كبيرا للثورة، نتج عنه إطلاق سراح القادة الخمسة "بن بلة، آيت أحمد، بوضياف، بيطاط ومحمد خيضر".

- عقد مؤتمر "طرابلس" للمجلس الوطني للثورة من 27 ماي إلى 5 جوان 1962 بطرابلس الليبية، تضمن نقاشات لمرحلة ما بعد الاستقلال، وتقييما "لاتفاقيات إيفيان" التي مكنت الشعب الجزائري من استرجاع سيادته الكاملة ووحدته الترابية، حيث مثلت انتصارا سياسيا وضع حدا لأركان النظام الاستعماري، وقد حذر ميثاق "طرابلس" من الإبقاء عن الوضع الموروث عن الاستعمار الذي يريد الحفاظ على مصالحه في الجزائر.

- استفتاء تقرير المصير يوم 1 جويلية 1962، لقد كان نتيجة حتمية للجهود الدبلوماسية المبذولة على مستوى الهيئات الدولية، لتأكيد سعي الشعب الجزائري على إسماع صوته التحرري للمجتمع الدولي (منغور، 2006).

تم التطرق بإيجاز كبير للجهود الدبلوماسية الجزائرية لفرض القضية الجزائرية في المحافل الدولية، لأن مسارها كان طويلا وشاقا على مجموعة شباب لم يتلق تعليما في مبادئ الدبلوماسية والشؤون الخارجية بل وفاؤه لبلده وتعطشه للحرية جعل من هؤلاء الشباب يصنعون تاريخا دبلوماسيا حافلا، والعمل السياسي الخارجي كان استمرارا للعمل السياسي الداخلي الذي التزمت به "جبهة التحرير الوطني" بالتنسيق مع العمليات الميدانية لـ "جيش التحرير الوطني"، وهو ما كلل تلك الجهود بالنجاح بعد التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري ككل لاسترجاع حريته المسلوبة، فالحديث عن البعد السياسي للثورة التحريرية

حديث ذو شجون ولا يمكن تلخيصه في بضع صفحات، خاصة ما تعلق بالعمل الدبلوماسي سواء العلاقات مع الدول العربية أو الأجنبية الحليفة، أو التغلغل وسط الهيئات الدولية لتدويل القضية الجزائرية والذي لم يكن بالعمل الهين.

4. خاتمة:

منذ العمل السياسي الذي قام به "الأمير عبد القادر" من هيكلة الدولة الجزائرية "تحت الاستعمار"، والذي شهد اتفاقيات ومعاهدات داخلية ودولية بالموازاة مع تنظيم حركة الكفاح المسلح من خلال مقاومة منظمة، فقد شهدت المقاومة الشعبية لاحقا الكفاح المسلح في جانبه العسكري دون السياسي، إلى غاية مطلع القرن العشرين أين شهدت الجزائر ما عُرف "بالحركة الوطنية" والتي مثل نواتها الأولى "نجم شمال إفريقيا" وصولا إلى "جبهة التحرير الوطني"، وفي نهاية الدراسة وبعد كل ما سبق، نستنتج: 1. أن الثورة الجزائرية ما هي إلا امتداد للمقاومة الشعبية للثوار الجزائريين منذ الاحتلال الفرنسي سنة 1830 لكن بوسائل وآليات أخرى، وعلى رأس هذه الآليات "التنظيم السياسي للثورة والكفاح المسلح"، تحت راية حزب "جبهة التحرير الوطني" الذي فتح أبوابه لجميع أطياف الحركة الوطنية لتجاوز الاختلافات والانقسامات. 2. أهمية "بيان أول نوفمبر" 1954 والإعلان عن تفجير الثورة وتبني الكفاح المسلح، في غرس الثقة بين قادة الثورة والشعب الجزائري من جهة ومع الدول المغاربية والعربية الحليفة من جهة أخرى. وتأسيس "حزب جبهة التحرير الوطني" وجناحه العسكري "جيش التحرير الوطني" وتبني الكفاح المسلح، مثل انطلاقة هامة في سبيل استرجاع السيادة الوطنية. 3. أما على المستوى الدولي، فإدراك مفجري الثورة أن فرنسا "كقوة إمبريالية استعمارية" لا يمكن هزيمتها ما لم يُرافق العمل المسلح -عمل سياسي-دبلوماسي إقليميا ودوليا لافتكاك الاعتراف الدولي بعدالة القضية الجزائرية، جعلهم يبذلون جهودا دبلوماسية مضاعفة -خاصة وأننا نتحدث عن شباب في العشرينيات والثلاثينيات من العمر- مستغلين التطورات الحاصلة في النظام الدولي آنذاك لقلب الموازين لصالح الثورة الجزائرية.

إن البعد السياسي لثورة التحرير الجزائرية على المستوى الداخلي والخارجي، لا يقل أهمية عن البعد العسكري الذي حسم القضية في الميدان، فلولا التنظيم المحكم للكفاح المسلح والذي اتبع "تكتيك حرب العصابات" حيث أصبح يُدرس في الجامعات الفرنسية، الأوروبية والأمريكية وتحديدا الاستراتيجية المتبعة من بعض الثوار والقادة الميدانيين وعلى

رأسهم "عباس لغرور" الذي قاد أكثر من 50 معركة ضد المحتل بدون هزيمة في منطقة الأوراس، وبعبدا عن الاختلافات وأولوية السياسي على العسكري أو العكس، فإن نجاح ثورة التحرير الجزائرية يعود للتنسيق والتكامل للكفاح المسلح "جيش التحرير الوطني" الذي تم تأطيره من خلال التنظيم والنضال السياسي المستمر داخليا وخارجيا "لجبهة التحرير الوطني".

5. قائمة المراجع:

- المدني أحمد توفيق. (1982). *حياة كفاح "مع ركب الثورة"*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- محمد بجاوي. (2005). *الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961*. الجزائر: دار الرائد للكتاب.
- بلغيث محمد الأمين. (2013). *تاريخ الجزائر المعاصر: دراسات ووثائق*. الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.
- بلحاج الصالح. (2007). *الثورة الجزائرية والبلدان الاشتراكية مثال الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية*. مجلة المصادر، 313.
- بن العقون عبد الرحمن ابراهيم. (1981). *الكفاح القومي والسياسي*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- مقلاتي عبد الله. (2008/2007). *العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962*. قسنطينة- الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/قسم الآثار.
- شريط الأمين. (1998). *التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- دبش اسماعيل. (2009). *السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962*. الجزائر: دار هومة.
- قاسمي يوسف. (بلا تاريخ). *مواثيق الثورة الجزائرية 1954-1962*. باتنة- الجزائر: قسم التاريخ- جامعة باتنة.
- منغور أحمد. (2006, 12 25). *موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962*. رسالة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية. قسنطينة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / قسم التاريخ والآثار، قسنطينة/الجزائر: جامعة منتوري- قسنطينة.
- شبوب محمد. (2010/2009). *رسالة ماجستير، اجتماع العقدة العشر من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1956: ظروفه، أسبابه وانعكاساته على مسار الثورة*. وهران- الجزائر، جامعة وهران- الجزائر: قسم التاريخ والآثار- جامعة وهران.

صغير مريم. (2004). *المواقف الدولية من الثورة الجزائرية 1954-1962*. الجزائر: كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- قسم التاريخ.

الزيري محمد العربي. (2018). قراءة متأنية في نداء أو بيان أول نوفمبر 1954. *جريدة الحوار*.

بوجلال ليلي ، وقرفي عبد الله. (2018). مبادئ الفكر السياسي للثورة الجزائرية من خلال نص بيان الفاتح نوفمبر. *مجلة مقدمات*، 83.

ومان حورية، وتلمساني يوسف. (2017). البعد المغربي للثورة التحريرية الجزائرية من خلال مواعيدها الأساسية "بيان أول نوفمبر 1954" وميثاق مؤتمر الصومام 20 أوت 1956. *مجلة العلوم الاجتماعية*، 219.

معلم زليخة، وفريخ لخميسي. (2021). الجهود الدبلوماسية الصينية والسوفييتية في دعم القضية الجزائرية. *مجلة العلوم الانسانية*، 309-304.

قندل جمال. (2020). إذاعة بودابست وبيان أول نوفمبر 1954. *مجلة التاريخ المتوسطي*، 219.

• مواقع الانترنت:

بيان أول نوفمبر 1954. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من Algerian Embassy: <http://www.algerianembassy.no/images/aboutAlgeria/1954.pdf>

الصلابي علي. (2018, 07 12). *مواقف دول إفريقية من ثورة التحرير والاستقلال في الجزائر*. تم الاسترداد من الجزيرة : <https://www.aljazeera.net/blogs/2018/7/12>

الدعم السياسي أو الدبلوماسي للدول الإفريقية غير العربية للثورة الجزائرية
Political or diplomatic support for non-Arab African countries for the Algerian revolution

عمر بلعربي

جامعة باتنة 1 " الجزائر " ، belarbi.omar@univ-batna.dz

1. مقدمة:

تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي سنة 1830م ولم يرضخ الشعب الجزائري للهيمنة الاستعمارية الفرنسية، فنجدد يعبر عن استنكاره للاستعمار بطرق مختلفة وكان ذلك بسلسلة من المظاهرات والانتفاضات والثورات المختلفة، إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية. بعد المجازر والجرائم التي شهدتها بعض المدن الجزائرية إثر حوادث 8 ماي 1945م، تأكد الجزائريون أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، بعدها اندلعت الثورة التحريرية في 1 نوفمبر 1954م وجاء في بيانها الأول أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري.

وقد استطاعت الثورة الجزائرية ان تكسب تجاوبا عربيا وإفريقيا كبيرا وهذا منذ اندلاعها، إذ نجد أن العديد من الدول والشعوب الإفريقية ناصرت الثورة الجزائرية ودعمتها ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم نظرا لارتباط الجزائر سواء مع الدول العربية والإفريقية المسلمة ارتباطا جغرافيا ولغويا ودينيا، وكانت هذه المساندة من غير أية شروط أو مقدمات سواء على المستوى المادي أو المعنوي.

وتكمن أهمية الموضوع في ضرورة الكشف عن علاقات الثورة الجزائرية القارية إذ جعلت إفريقيا منطقة أكثر تأثرا وتأثرا بالثورة الجزائرية كما كانت لها دور فعال في إطار التضامن والتعاون.

وفي هذه الورقة البحثية أحاول الاجابة على الإشكالية التالية: على الرغم من أن فرنسا احتلت قرابة الأربعة دولة إفريقية فكيف لجئت الثورة إلى طلب الدعم والمساندة منها؟ وتندرج تحتها مجموعة من التساؤلات الفرعية منها:

-كيف استطاعت الثورة الجزائرية التأثير على الدول الإفريقية المستقلة؟

- ما هي أشكال الدعم والمساندة المقدمة من طرف الدول الإفريقية؟

- هل استجابت الدول الإفريقية لمطلب الجزائر والمتمثل في الدعم أم لا؟

2. الثورة الجزائرية وأهم مراحلها:

1-2 المرحلة الأولى: 1954-1956

ان هذه المرحلة تعد من أصعب مراحل الثورة التحريرية وتمكن الصعوبة في كيفية اقناع الشعب الجزائري والرأي العام العالمي برعية الثورة وكيفية تأمين السلاح والمال اللازمين لاستمرارها وترسيخها ونجاحها وكيفية ابتكار التنظيمات والمؤسسات الضرورية لتسييرها، كما تعد هذه المرحلة القاعدة الصلبة التي ارتكزت عليها الثورة بنجاحها تأتي مراحل أخرى وتسير الثورة نحو الهدف المنشود وبفضلها يقر مشروع الثورة.

ولهذا ارتكز " العمل خلال هذه الفترة على تثبيت الوضع العسكري وتقوية ومد الثورة بالمتطوعين والسلاح والعمل على توسيع إطارها لتشمل كافة أنحاء البلد (مزهودي وآخرون، د.ت، ص 24) وعليه فلقد أخذ الجزائريون بأسلوب حرب العصابات ونصب الكمائن وشن الغارات أما فيما يخص السلاح فلقد توصل بن بلة وبوضياف إلى اتفاق مع ممثلي المخابرات المصرية يتضمن توجيه الدعم المصري حاديا وعسكريا لممثلي جيش التحرير " ولقي هذا الاتفاق أول تجسيد له على عملية يخت الملكة دينا الذي أوصل كميات هامة من السلاح إلى شاطئ الناظور شرق المغرب في 30 مارس 1955 (عباس، 2005، ص 102).

وابتداء من منتصف 1955 قسم جيش التحرير الوطني التراب الجزائري إلى خمس مناطق وهي : المنطقة الأولى: الأوراس النمامشة، وعلى رأسها مصطفى بن بولعيد، المنطقة الثانية: الشمال القسنطيني، وعلى رأسها ديدوش مراد المنطقة الثالثة القبائل الكبرى والصغرى، وعلى رأسها كريم بلقاسم، المنطقة الرابعة: الجزائر العاصمة وعلى رأسها رابح بيطاط المنطقة الخامسة: وهران وعلى رأسها العربي بن مهيدي (كافي، 1996، ص 74) وبدأ في ضرب مصالح العدو العسكرية والاقتصادية وبدأت تأخذ شكل معارك لعل اهم معركة انتصر فيها جيش التحرير الوطني هي معركة الشمال القسنطيني 20 أوت 1955 حيث اعتبرت مرحلة حاسمة في مسيرة الثورة الجزائرية، حيث قام زيغود يوسف ينظم الهجومات في والية قسنطينة والتي استمرت من 20 أوت إلى 27 أوت وأشرك فيها أبناء الشعب والهجومات وقاموا بتخريب السجون ومراكز الشرطة ومزارع المعمرين وأعمدة الهاتف والكهرباء، ومجموع العمليات المنفذة 39 عملية على مختلف أنحاء منطقة شمال قسنطينة ضد أهداف عسكرية واقتصادية. وبهذا كان هجوم 20 أوت بمثابة انطلاقة جديدة بالنسبة للثورة أذهلت العدو يقدر ما فاجأته، وقد استعادوا الثوار بفضلها زمام المبادرة فأصبحوا يتنقلون في وضوح النهار

على متون الخيل والبغال، أما المواطنون فقد ازداد إقناعهم باناستعادة الاستقلال ممكنة بعدان كانت حلما بعيدا(عباس، 2005، ص 126)، وهذا أكدت الأحداث التفاف الجماهير بجيش التحرير الوطني كما نجحت في فك الحصار على الأوراس وتأكيد استمرارية الثورة وشموليتهما وانتشارها مواجهة بذلك استراتيجية سوستال (عباس، 2005، ص 135)، الهادفة إلى فصل الشعب عن الثوار والتضامن مع الشعب المغربي الشقيق من خلال تاريخ 20 أوت 1955 ذكرى نفي الملك محمد الخامس كما استطاعت لفت انتباه الرأي العام الدولي للقضية الجزائرية حيث أن جبهة التحرير الوطني تلفت دعوى لحضور بندوق باندونغ وبعد الاستماع لتنديدات الاستعمار بجميع أشكاله صادقت الندوة بالإجماع على لائحة مصرية تطالب بحق الجزائر في الاستقلال وتطالب فرنسا بإعطاء جواب مستعجل وفي 20 سبتمبر من نفس السنة طالبت 15 دولة من كتلة باندونغ بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم المتحدة (كافي، 1996، ص 89)، كما أدت هذه الهجومات إلى انضمام العديد من الشخصيات السياسية إلى صفوف جبهة التحرير الوطني أما فيما يخص موقف العدو الفرنسي من عدة أحداث فلقد أصيب بخيبة أمل كبيرة حيث استطاعت هذه الأحداث جبر مشروع جاك سوستال فما كان عليه إلا القيام بحملات قمع واسعة لمدنيين وملاحقة المجاهدين وكل من يساندهم أو يتعاطف معهم (مزهودي وآخرون، د.ت، ص 85) فأقدم بهمجيته المعهودة بمجازر انتقامية متسعة بالوحشية في حق السكان والقرى والمدامر مثل مجزرة سكيكدة التي لا مثيل لها إلا مجزرة 8 ماي 1945 ، كما انتشرت حملات الاعتقال والسلب والنهب وهتك الأعراض وتنفيذ حكم الإعدام في حوالي 7 آلاف مواطن ووقف الكثير منهم إحياء. باللجوء إلى الأسلحة المحظورة مثل النابالم في إطار عملية "فير ونيك" 10 يناير 1955 إعلان حالة الطوارئ وابتداء من 3 أبريل 1955 استدعاء الاحتياطي من الجنود وقد أدى ذلك إلى مضاعفة تعدد القوات النظامية الذي ارتفع في بضعة أشهر من 80 ألف جندي إلى 160 ألف في يوليو إلى 190 ألف قبيل نهاية السنة (عباس، 2005، ص 139).

كما نجد كاتب أجنبي مثل "ايف كوريا" كتب في كتابه "زمن الفهود" أنه الهجوم الأول الحقيقي لحرب الجزائر ويضيف أيضا تخلت حرب الجزائر الآن مرحلتها النشطة الأقنعة ستسقط والسياسات ستتطور من الآن فصاعدا سيكون هناك "قبل 20 أوت وما بعد 20 أوت." (كافي، 1996، ص 86) كما تقول كاتبة الفرص الضائعة انه أول هجوم جزائري موسع وشامل يكشف عن إعداد دقيق ووجود قوات نظامية هامة، (coyriere, 1970, p p 293-294)

2-2 المرحلة الثانية: 1956 - 1958

بعد أحداث 20 أوت 1955 وما نتج عنه على الصعيد الداخلي والخارجي عسكريا وسياسيا جاءت ذاكرة الأولى لتفتح أفقا جديدة للثورة التحريرية بانعقاد مؤتمر الصومام الذي يعتبر حدث تاريخي كبير فقد كانت الوضعية عبر التراب الوطني تتسم بعدم التنسيق كل مسؤولية يتخذ المبادرة التي يراها مناسبة لمنطقته والاتصالات شبه منعدمة الأسلحة المطلوبة غير متوفرة ولم تكن هناك قيادة موحدة يضاف إلى ذلك الصراعات على الزعامة الثورة بين جماعة الداخل والخارج كل هذا استدعى ضرورة اللقاء (كافي، 1996، ص 105) أمام تطور متطلبات الثورة التحريرية داخليا وخارجا وعسكريا وسياسيا فارتأت قيادة الثورة الإسراع بعقد مؤتمر لتقييم الفترة السابقة والتحضير للفترة اللاحقة قتم عقد مؤتمر الصومام بقرية "إفري" اوزلاقن "بواد الصومام بالمنطقة العسكرية الثالثة حيث خرج المؤتمر بوثيقة عدت الوثيقة الثانية بعد نداء نوفمبر ضمنها المؤتمرون آفاق الثورة التحريرية على الصعيد الداخلي والخارجي وأهم ما جاء فيها التنظيم العسكري الجديد أي هيكلة الجيش الكتيبة 110 جنديا، الفرقة 35 جنديا الفوج 11 جنديا، نصف الفوج 5 جنود، ولأول مرة أطلق اسم الولاية على المنطقة وأصبح كل قائد والية عقيدا ، أعيد التقسيم الجغرافي وأصبح 6 ولايات وتم توحيد الزي والرتب والشارات العسكرية وتكوين هيئة تشريعية "المجلس الوطني للثورة الجزائرية" وهيأة "تنفيذية لجنة التنسيق والتنفيذ" (كافي، 1996، ص 105) أما دوليا فبالرغم من المجهودات المضيفة التي كانت تقوم بها الدبلوماسية الفرنسية والدول الداعمة لها من اجل القضاء على ملف القضية الجزائرية الذي أحرز تقدما وتأيدا من الرأي العام العالمي الذي استنكره بشدة جرائم وفضائح الاستعمار في الجزائريين، أدرجت القضية الجزائرية عقب الدوريتين 11 و 12 للأمم المتحدة اللتان عقدتا في نوفمبر وديسمبر 1957 وحظيت القضية الوطنية بمكانة مرموقة في الندوة الإفروآسيوية المنعقدة بالقاهرة وكذلك شاركت في مؤتمر "أكرا" في غانا للدول الإفريقية في أبريل 1958 ، وجاء بعد ذلك الجنرال إلى الحكم كمنقذ لفرنسا خلال الاستنجد بقوات الليف الأجنبي " ديغول " والمعدات العسكرية المتطورة (صيودا، 1975، ص 37) فشهدت هذه المرحلة ارتفاع حدة الهجوم الفرنسي المضاد للثورة من اجل القضاء عليها إلى أن هذه الأخيرة ازدادت اشتعالا وعنفا بسبب تجاوب الشعب معها وأقام جيش التحرير مراكز جديدة ونشطت حركة الفدائيين في المدن ومن قمة ازدادت الخسائر في صفوف الجيش الفرنسي كما تمكن جيش التحرير من إقامة بعض السلطات

المدنية أيضا تدعمت صفوف الثورة بالشباب المتفق من الجامعات ومن معهد بن باديس بقسنطينة ومن المعاهد والجامعات العربية في تونس والمغرب ودول المشرق العربي (مزهودي وآخرون، د.ت، ص 85) وبعد 4 سنوات من الحرب والامتحان الصعب والطويل الذي عرفته مسيرة قضيتنا والتفكير العميق قررت لجنة التنسيق والتنفيذ ان تنحل وتشكل أول حكومة مؤقتة في 19 سبتمبر 1958 وهاته الأخيرة دعمت بعنصرين هما بن خدة الذي عاد بعد سنة من إقصائه من لجنة التنسيق والتنفيذ ومحمد يزيد الذي كان ممثلا لجهة التحرير في منظمة الأمم المتحدة (دحلب، 1986، ص ص 78-80) أما على الصعيد الدولي فقد اعترفت العديد من الدول بهذه الحكومة المؤقتة ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الحكومة وكان في الصدارة مثر والعراق وليبيا (المدني، 1982، ص 400) هي الممثل الشرعي والناطقة باسم الشعب والمسؤولة عن قيادة الثورة سياسيا وعسكريا وأعلنت في أول بيان لها عن موافقتها على إجراء مفاوضات مع 18 الحكومة الفرنسية شرط الاعتراف المسبق بالشخصية الوطنية الجزائرية (مزهودي وآخرون، د.ت، ص 87).

3-2 المرحلة الثالثة: 1958 - 1960

انتهت فرنسا في هذه المرحلة سياسة العصا والجزارة وفيها أصبحت المواجهة بين القوة الفرنسية وجهة التحرير الوطني تستدعي صرامة وشجاعة وقد زود الجانب الفرنسي بأحدث الآلات التدميرية التي ال تتوازن في القضاء على الثورة وكذلك استعملت السلطة الفرنسية وسائل سياسة كالتسمم الدعائي. ومن هذا المنطلق عرض ديغول مشروعه تسلم الشجعان: الذي لقي بالرفض من طرف الثوار باعتباره استسلام وليس سلم والمتمثل في إصلاحات اقتصادية مستعجلة في محاولة لفصل الثورة عن الجماهير وما هي في حقيقة الأمر إلا خدعة وعند فشل سياسة الجزارة على حد تعبير السياسيين ظهر الوجه الحقيقي للجمهورية القاضي شن هجومات على المعاقل الجبلية للثورة بقوة تتراوح ما بين يرومير Brumaire في القبائل الكبرى التاج Couronne في الونشريس والمنظار والأحجار الكريمة وغيرها (الجيش، 1970، ص ص 37-38) وفي هذه الفترة بلغ القمع البوليسي حده الأقصى في المدن والأرياف وفرضت على الأهالي معسكرات الاعتقال الجماعي في مختلف المناطق اما رد جيش التحرير الجزائري فقد كان فوض معارض عنيفة ضد الجيش الفرنسي واعتمد خطة توزيع القوات على جميع المناطق من أجل إضعاف قوات العدو المهاجمة وتخفيف الضغط على بعض الجبهات بالإضافة إلى فتح معارك من أجل إنهاكه واستنزاف قواته (مزهودي وآخرون، د.ت، ص 88)

ولعل ابرز معارك هاته الفترة معركة عنابة 24 جوان 1959 ومعركة عين زانة 14 جوان 1959 والتي استهدفت مبنى المنارة الميرادور" مبنى الكوندوس مقام الجنود الفرنسيين ومعركة جيمال في بلاد القبائل 1959(الصادق، 1999، ص ص 128-132)، وفي نوفمبر من عام 1958 شن الجيش الوطني هجومات على الخط المكهرب والمعروف بخط شال على الحدود التونسية. وعلى الصعيد السياسي طرحت قضية الجزائر في الأمم المتحدة وفي مؤتمر الشعوب الإفريقية بـ "أكرا" والقت التضامن والدعم الكلي والتأييد المطلق لها(الصادق، 1999، ص 132)وقد تابع جيش التحرير نشاطه في المنطقة الجبلية والحدودية وأمام الخسائر الفرنسية قام المجلس الوطني بعقد دورة ثالثة في طرابلس 20 ديسمبر 1959، 20 جانفي 1960 وخلص في النهاية بأن قادة الثورة مستعدون للحوار مع الحكومة الفرنسية على أساس حق الشعوب في تقرير المصير وأمام الضغط المتزايد اعترفت فرنسا بهذا الحق في سبتمبر 1960 وخولت مهمة المفاوضات للحكومة المؤقتة مع الحكومة الفرنسية هاته الأخيرة استعملت كل الحيل للتنصل وبث الشقاق في أوساط الثورة. أي أن كل المحاولات باءت بالفشل أمام تمسك وإصرار الثورة على هدفها فرفض تسلم الشجعان، وفشلت الاتصالات الأولى في مولان ما بين 25 و 29 جوان 1960 وبفضل جهود جبهة التحرير التي حظيت بتأييد الرأي العام للقضية الجزائرية في مؤتمر الشعوب الإفريقية في تونس جانفي 1960 أو مؤتمر رؤساء الدول الإفريقية أديس بابا جوان 1960 ومؤتمر وزراء الخارجية الأفارقة ، " ليدوفيل " أوت 1960 وخلال الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة صرحت 63 دولة على أطروحة الحكومة المؤقتة وقام الشعب بتدعيم هذه الأطروحة من خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في العاصمة لتدعيم التراب الوطني كله رافضة كل المخططات الاستعمارية(الجيش، 1970، ص 40).

3. الثورة الجزائرية ودعمها من الدول الإفريقية" مالي، غانا، غينيا":

3-1 مالي ودعمها للثورة:

مباشرة بعد استق المالي عملت الحكومة المؤقتة الجزائرية على التنسيق مع السلطات المالية والسعي لكسب تأييدها، وقد كانت فكرة إقامة التعاون مع السلطات المالية بهدف دعم الثورة الجزائرية وإنشاء ما يسمى بالجبهة الجنوبية موجودة منذ بدايتها عام 1959م، عندما اشتد الخناق على الحدود الشمالية وتبني فرنسا لمشروع فصل الصحراء، ولقد اعتمدت الحكومة المؤقتة على هيئة الأركان العامة بعد اجتماع المجلس الوطني للثورة في نهاية عام 1959م، حيث طلبت من ممثلها في غانا تنسيقا لاتصالات مع القادة الأفارقة منهم الرئيس " موديبو كيتا"

الرئيس المالي حيث عملت الحكومة المؤقتة في الخطوة الأولى سنة 1960م، بتشكيل بعثة استطلاعية تكونت من 8 أفراد على رأسهم فرانزفانون الذي يعبر عن أفكار الثورة التحريرية، ولقد أرسلت البعثة المتكونة من الطيب فرحات، بنسبقاق الترقى، وصدار السنوسي أبو الفتح والسي العربي، والسي علي، إلى أكرا أين يوجد فرانزفانون قصد اتخاذ كل الإجراءات السرية حيث كلف فانون لمحادثة سيكوتوري بالموضوع الذي قام بمشاورة مودي بوكيتا ومسؤولين نيجريين واستطاع في الأخير إقناعهم بضرورة تقديم المساعدة للثورة الجزائرية، ثم انطلق الوفد الجزائري من غانا إلى مالي فاستقبلهم رئيس مالي مودي بوكيتا في العاصمة باماكو الذي أبدى اهتمامه بالقضية الجزائرية واستعداده لتقديم كل الدعم لجارته الجزائر ملبيا كل طلباتهم، حيث وكل وزير الشؤون العسكرية للنظر في شؤون بعثة قيادة الأركان الجزائرية (مقلاتي، التواتي، 2009، 75-82).

وبعد أسبوع فقط باشر الوفد مهمته وذلك لاستطلاع كل من إقليم غاو، واكتشاف المناطق الحدودية الجزائرية، وكان الوفد منقسم من أبو الفتح والعربي الذين قاموا برحلة إلى كيبس وهي منطقة بالقرب من موريتانيا بهدف إقامة مركز للاتصالات اللاسلكية الذي قدم خدمات كثيرة للثورة الجزائرية في مالي، كما قام فانون وفرحات التحضير للمهمة العسكرية وذلك بعقد العديد من اللقاءات السرية مع المسؤولين الماليين، حيث يذكر المجاهد بن سبباقفي شهادته "أن أوامر الرئيس المالي ووزير داخلتيه كانت تجد صداها في كل المناطق التي زارها من باماكو إلى سيغو إلى بلدة سانومبوتي وهامبوري إلى غاو، ويرى فانون أن القضية على أتم مايرام والماليين مهتمون بأن يساعدوننا... العملية التي نحن بصدد الإعداد لها ستكون من الأهمية ... وقد وجدنا في غاو أرشيف يحتوي على معلومات حول الحدود الجزائرية تركتها الحكومة الفرنسية وفيه كل المعلومات عن الجزائريين الذين يعيشون في المنطقة وبالتالي وجدنا أساس نستطيع أن نبني عليه عملنا"، ثم انتقل الوفد إلى منطقة "اقلهوكوت سليت" وكانت الأعمال تسير في سرية معتمدين على القبائل الرحالة المالية مما مكن الوفد من الاطلاع على وضعية فرنسا في كل من تمنغاست وتينزواتين، وبعد معاينة كل الأوضاع ودراسة وموضع الاستعمال، قام الوفد بكتابة تقرير عن الأهمية الاستراتيجية لمالي (مقلاتي، التواتي، 2009، ص ص 48-50)

وبعد الانتهاء من الاستعدادات الأولية ثم إرسال بعثة تشرف على الجبهة الجنوبية برئاسة النقيب عبدالعزيز بوتفليقة، وعبد الله بالهوشييات، ومحمد شريف واحمد دراية وعيساني شويشي، والطيب بشير فانتقلت من تونس إلى غينيا جوا لتواصل طريقها إلى مالي

وتستقر في غاو مركز القيادة، وهذا قبل إعلان استقلال مالي ما يتطلبه العمل في سرية تامة ولقد قدم المسئولين الماليين كل المساعدات الممكنة لتسهيل الطريق ولتثبيت قواعدها في غاو وذلك قبل أن يحصلوا على استقلال بلادهم، ومن هناك بدأ الوفد بالانطلاق إلى الحدود الجزائرية متخذين من غاو قاعدة خلفية ومن كيدال، وتسليت، وتينزواتين قاعدة أمامية، وكما أشار محمد الشريف في شهادته المذكورة في كتابه الجهة الجنوبية أنهم كانوا يتحركون في سرية تامة وحتى الماليون لم تكن لديهم أية معلومات عنهم لأن المخابرات الفرنسية كانت منتشرة بكثرة بالأراضي المالية (مقلاتي، التواتي، 2009، ص ص 33 - 46). ولقد ساهمت السلطات المالية بقيادة موديب وكايتا لتسهيل عملية تثبيت هذه القواعد العسكرية، ولقد توزعت المسؤوليات في قوا على الشكل التالي:

-عبد العزيز بوتفليقة قائد سياسي وعسكري.

-عبد الله بالهوشات مكلف بالشؤون العسكرية

-محمد الشريف مساعديه مكلف بالشؤون السياسية.

-احمد دراية مكلف بالاتصالات والأخبار.

-عيساني شويش مكلف بالتموين.

-وبشير نور الدين مسئول مصلحة الصحة (مقلاتي، التواتي، 2009، ص 50)

لقد كان العمل في عهد عبد العزيز بوتفليقة والذي دام ثلاثة أشهر يتمحور حول إرساء العلاقات مع الشعب المالي وسلطته، وإنشاء نظام جيش وجهة التحرير الوطني بالمنطقة، وكان العمل يتسم بطبيعته السرية وتجنيد الجالية الجزائرية المتواجدة بمالي حيث كانت تتواجد بالمدن الشمالية المالية جالية جزائرية معتبرة منهم من يشتغل بالتجارة ومنهم من نفي من قبل السلطات الفرنسية عام 1958م ولقد تم التعويل عليهم بهدف إنشاء تنظيم جديد في مالي وكانت الجهة بمثابة نقل الثورة من الجزائر إلى مالي بالنسبة للجزائريين الذين نفوا من قبل السلطات الفرنسية كل من رحمانى لحبيب، وعبد القادر بلحاج، واقاسم حمادي، ومولاي عبد الله بن السي حمو، كما تم تكليف التجار منهم بمسألة التموين والتسليح وربط الاتصالات مع قيادة الولاية الخامسة عن طريق أدرار وبشار ووهران وكلف محمد وبعمامة عبدالرحمان بربط الاتصالات بمنطقة تمنغاست وكسب أعيان الطوارق لدعم هذا المشروع والاتفاق مع الحاج باي اخموك، ومولاي احمد لكحل (مقلاتي، التواتي، 2009، ص ص 75-80).

وبعد أشهر التحق بوتفليقة بقيادة هيئة الأركان بتونسو خلفه عبدالله بالهوشات تم تشكيل الفرقة الأولى بغاو والتي اختلفت الشهادات حول أفرادها، ويعود هذا إلى الطبيعة السرية للعمل ف بهذه الفترة كما تم إنشاء خلايا بمختلف المدن المتواجدة فيها الجالية الجزائرية منه، كيدال يشرف عليها حموز فزافو مرموري محمد، ومرموري عبدالقادر، أما اقلهوكف يشرف عليها احمد مايحافولمطيش أما أنفيس يشرف عليها مورصلي، الطيب، وتسيلت يشرف عليها زيغي عبدالقادر، عبدالرحمان مزرق، وتنبتو يشرف عليها عبدالرحمان مقلي، وكانت مهمة هذه الجاليات هي جمع الجزائريين وتأطيرهم (مقلاتي، مرموم، 2009، ص 74). وتدريبهم على الرمي بالأسلحة والتقنيات الحربية والاشتباكات ويتلقون تدريباً عسكرياً وسياسياً وبعدها يرسل القسم الأكبر منهم إلى الحدود لينقسموا إلى فرق جيش وكانت الاتصالات بين محطات الجبهة وجيش التحرير الوطني في مالي تقام عن طريق البعثة الخاصة بالاتصالات اللاسلكية ليسهل الاتصال بالدبلوماسية الجزائرية في كوناكري وباماكو وأكرا وبقيادة الثورة في تونس، كما تم إنشاء خطوط مواصلات بين شمال مالي وجنوب الجزائر بهدف نقل أقصى مايمكن من العتاد والأسلحة أما بالنسبة للتسليح فلم يتمكن قادة الجبهة الجنوبية بمالي جلب إلا أعداد قليلة من الأسلحة الخفيفة التي كانت بحوزة الشعب.

وفي عام 1961 استقبل سيكوتوري سفينة أسلحة هربت عن طريق رأس الرجاء الصالح ووضعت عدة شحنات تحت التصرف لنقل هذه الشحنة وقد ساهم بوتفليقة وبن سيقاق من الرئيس سيكوتوري ونقلت من غينيا إلى مالي (مقلاتي، التواتي، 2009، ص 77).

وبفضل هذه الأسلحة تم تجهيز وحدات الجيش التي جندت حوالي 2000 جندي كما تم إرسال شخصيات منها إلى الداخل بتدعيم الولاية الخامسة والسادسة وهكذا أصبحت الجبهة بعد عام من إنشائها على أتم الاستعداد بمباشرة النشاط العسكري أن هيئة الأركان ركزت على العمل السياسي الذي ارتكز على توعية السكان وتجنيدهم لمواجهة المخططات الفرنسية الهادفة إلى فصل الصحراء حيث ساندت الحكومة المالية الحكومة الجزائرية المؤقتة حيث صرح في 13 جوان 1961 قائلاً " أن الصحراء لم تكن في يوم من الأيام مستقلة وأنها ليست كيان سياسي أو جغرافي ولقد أكدنا دعمنا للحكومة الجزائرية وشعبها في ما يخص وحدة أراضيها وهنا نفكر بالصحراء الجزائرية وهنا كصحراء مغربية وأخرى مالية وثالثة جزائرية... الخ، فنحن نعارض وجود صحراء تابعة لفرنسا"، كما تم تشكيل لجان مدنية مرتبطة بالقيادة المركزية بغاو وتعمل على جمع الاشتراكات والتعريف بمبادئ الثورة الجزائرية وتوحيد السكان

وتجنيدهم وراء الثورة الجزائرية لإنشاء مراكز على طول الحدود الجنوبية الجزائرية (مقلاتي، رمروم، 2009، 75-80).

وكان مركز كيدال أول مركز فتح لمساعدة المالىين كما أخذت كل هذه الوحدات العسكرية التي يتم تجنيدها للعمل العسكري مواقع لها على الحدود الجنوبية الجزائرية، وأصبحت قوة عسكرية يحسب لها ألف حساب وخططت لقيام بعدة عمليات عسكرية، منها عملية الهجوم على المركز الحدودي الفرنسي ببرج لوبيريو الذي يسمى باسم الشهيد باجي مختار وكذا القاعدة العسكرية تينزواتين، إلا أن القيادة لم توافق على هذه العمليات وهذا ما أكدته شهادة مساعديه "كنا بانتظار الإشارة لضرب هذه القاعدة لأننا كان لدينا جميع المعلومات والمخططات الخاصة بها إلا أن القيادة لم توافق على العملية وكان لنا هدف معين لابد من انجازه بشكل من الأشكال" وهنا يمكن طرح التساؤل التالي رغم كل هذه الاستعدادات وإمكانية القضاء على المراكز العسكرية الفرنسية المذكورة وما الهدف من عدم القضاء على هذه المراكز (مقلاتي، رمروم، 2009، ص 75-88).

2-3 غانا ودعمها للثورة:

إن الثورة الجزائرية نشرت في إفريقيا قناعة العنف من أجل التحرر بدلا لنضال السياسي حتى أصبحت تعد نموذج الحركات التحرر من خلال حرصها على ضرورة إعادة النظر في موقف الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، وهذا ما أكدته فرانزفانون في العديد من تصريحاته (فرانز، 1980، ص 150-155).

حيث أولت الحكومة المؤقتة أهمية كبيرة لتضامن الإفريقي من خلال وضع قاعدة عمل مشتركة مع غانا باعتبارها في مقدمة الدول الداعية للتضامن الإفريقي كذا دعم حركات التحرر حيث كانت الثورة في أمس الحاجة للمساندة الإفريقية وقد حققت مكاسب معتبرة منذ استقلال الدول الإفريقية الفرنسية، كما وجدت أرضا سامحة للتعريف بالقضية الجزائرية والدعوة للتضامن والوحدة الإفريقية في غانا المستقلة منذ 1957م بقيادة نكروما، ولقد كلفت الحكومة المؤقتة عمر اوصديق ممثلا لها في كوناكري وبعد عام خلفه في هذا المنصب فرانزفانون للتعريف بمبادئ الثورة الجزائرية، والعمل على ترسيخ مبدأ ضرورة العمل المسلح من أجل القضاء على الهيمنة الاستعمارية في إفريقيا، فوجد الجو المناسب في هذا البلد الذي استقطب القوبا لمعارضة للاستعمار الفرنسي (مقلاتي، رمروم، 2009، ص 15-21) لذا فقد لعبت دولة

غانا المستقلة دورا هاما في مساندة القضية الجزائرية مساندة دبلوماسية بالدرجة الأولى في مختلف المجالات . باعتبارها قضية محورية حضرت في معظم مؤتمرات الشعوب والدول المستقلة، فلقد حققت الثورة الجزائرية مكاسب معتبرة منذ أول مؤتمر الذي دعى إليه كوامي ناكرومافياكرا عاصمة غانا في أبريل 1958، والذي حضره أكثر من ثلاث مائة مندوب يمثلون حكومات إفريقية والذي جمع البلاد المستقلة لأول مرة، بهدف مناقشة العديد من القضايا المهمة كقضية العنف والتحرر ولقد كان الكفاح الجزائري محور المداولات في المؤتمر.

لقد أكدت الدول الإفريقية المجتمعة في أكرا على ضرورة مناصرة الثورة الجزائرية، كما اعترف المؤتمر بحق الشعب الجزائري في تقريراً لمصير والاستقلال والاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة، مع ضرورة تحرير كل أطراف إفريقيا بكل الوسائل الممكنة تمسكا بمبادئ مؤتمر باندونغ 1955م وقراراته فقد كان مؤتمراً كرا عبارة عن امتداد للمؤتمرات الإفريقية والندوات التي قبله تؤكد وقوفها بجانب الجزائر باعتبارها في طليعة البلدان المكافحة في سبيل حريتها. وبما أن عام 1960م بالنسبة للثورة الجزائرية اعتبر عام إفريقيا فقد قرر المؤتمر جعل يوم 15 أبريل يوم للقاء الإفريقية وللتضامن الإنساني لتجسيد مبدأ الوحدة الإفريقية (المجاهد، 1960، ص 8-9).

كما عبر المؤتمر عن انزعاجه من السياسة الفرنسية في الجزائر التي باتت تهدد سلامة إفريقيا، وأوصى من جانب آخر بضرورة بذل جميع الجهود لإعانة الشعب الجزائري لاسترجاع حريته واستقلاله، وضرورة الضغط على فرنسا دوليا والتحرك على مستوى هيئة الأمم المتحدة ضده التوضيح حقيقة مايجري في الجزائر، وإعطاء صورة للتكالب الاستعماري على القارة الإفريقية عامة ومقاومة شعوبها وتعد الجزائر من الدول التي خاضت هذه المقاومة الشرسة ضد الهيمنة الاستعمارية وهذا من اجل إيجاد تسوية سياسية سلمية للقضية الجزائرية (بديد، 2009، ص 115).

ومن أهداف المؤتمر نقل الحركة الإفريقية من عواصم أوروبا وأمريكا إلى قلب القارة الإفريقية للقضاء على العنصرية والتعصب القبلي وتحقيق الوحدة الإفريقية، ولقد حظيت الثورة الجزائرية باهتمام بالغ واعتبرها الأفارقة ثورة إفريقيا، وأتيحت الفرصة لممثلي الثورة الجزائرية لعرض قضيتهم على المؤتمر التي استفاد من المؤتمر من خلال ربط الصلة بين العرب وبقية الأفارقة.

كما اعترف المؤتمر بجهة التحرير الجزائرية كممثل شرعي للجزائر في إطار تصميم دول الأعضاء على تقديم مساندتهم للقضية الجزائرية ثم إرسال ثلاث بعثات دبلوماسية إلى العديد من دول العالم للتعريف بالقضية الجزائرية، وكسب تأييدها في هيئة الأمم المتحدة الأمر الذي نتج عنه تغيير هيئة الأمم المتحدة نظرتها حول الأحداث في الجزائر وأضحت لا تعتبرها منشؤون فرنسا الداخلية، ومن نتائج المؤتمر على المستوى الدولي اعتراف المجتمع الدولي بوجود كيان إفريقي يضم الدول الإفريقية المستقلة بما فيها الجزائر التي تصارع أجل استرجاع سيادتها (فايق، د.ت، ص ص 111-115).

كما احتضنت غانا في إطار دعمها للقضية الجزائرية مؤتمر أكرّا الثاني الذي كان بمثابة مؤتمر الشعوب الإفريقية في 08 ديسمبر 1958م تحت شعار يجب أن تكون إفريقيا حرة والذي ضم معظم حركات التحرر في إفريقيا حيث أكدت هذه الشعوب على ضرورة اعتراف الشعب الجزائري بحقه في الاستقلال، معتبرا التجربة الجزائرية العظيمة في مواجهة المستعمر التي يمكن أن نستخلص منها دروس هامة لإيقاف الظلم الاستعماري وهذا بالكفاح المسلح للقضاء على كل ما هو يهدف إلى استغلال الطاقات وثروات المجتمع الإفريقي، كما وجه مؤتمر الشعوب لإفريقية نداء حارا لتدعيم الثورة الجزائرية ماديا ومعنويا وبذل كل الجهود لمناصرة هذه الثورة التي تدعو إلى ضرورة التعايش السلمي (المجاهد، 1960، ص 7-8 ص).

مهما اختلفت الوجهات السياسية والاقتصادية كما أسس المؤتمر لجنة دائمة تقوم بتنسيق أعمال المؤتمر كما أصدر لائحة تؤكد حق الشعب الجزائري لاستقلال هو تدعوا الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة.

لقت القضية الجزائرية مساندة قوية من الأفارقة في أكرّا عاصمة غانا حيث قامت العدد من المظاهرات التي تطالب بالتطوع للانخراط في صفوف الثورة الجزائرية، وقد حملت لافتات كتب عليها "نفضل الموت من أجل حرية إفريقيا"، ونفس الأمر انطبق على مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي الذي شاركت فيه غانا في مدينة كوناكري عاصمة غينيا حيث استقبل ديغول 1958م بهتافات تدعو للحرية الجزائرية والإفريقية ولافتات كتب عليها عاصمة جهة التحرير الوطني وبهذا أصبحت حركات التضامن الإفريقي والآسيوي كقوة جديدة في المعترك السياسي والتي أولتها الحكومة المؤقتة الجزائرية أهمية بالغة للتأكيد بان الكفاح الذي يقوم به الشعب لجزائري ليس من أجل تحرير الجزائر وحدها بل من أجل محو الاستعمار من القارة الإفريقية بأكملها، وعلى غرار العمل الدبلوماسي الذي قدمته غانا للثورة

الجزائرية انطلاقا من أراضيها لإيصال صوتها إلى مختلف دول إفريقيا فقد قدمت غانا دعما عسكريا معتبرا، إلا أنه لم يرق إلى مرتبة الدول التي تطرقنا إليها سابقا وهذا يعود إلى عدة أسباب منها البعد الجغرافي حيث تباعد غانا عن الجزائر بمسافات كبيرة، إضافة إلى التضاريس الصعبة بين الدولتين الأمر الذي يجعل التنقل بينهما في غاية الصعوبة (المجاهد، 1960، ص ص 8-9).

وفي سنة 1960م عندما انعقد مؤتمر الشعوب الإفريقية الثاني بتونس أيام 25 و30 جانفي الذي طرحت فيه العديد من القضايا حيث أجمعت الحكومات الإفريقية المستقلة منها غانا، أنتخصص ميزانية لفائدة الجزائريين كما ألح المؤتمر على سحب عشرات الآلاف من الجنود الأفارقة المحاربين في الجيش الفرنسي، ودعوة كافة الدول الإفريقية لسحب جنودها المحاربين في الجيش الفرنسي بالجزائر، كما طرح المؤتمر فكرة تكوين فرق من المتطوعين الأفارقة للمساهمة في حرب التحرير الجزائري، ولقد تم التصويت على الرأي بالإجماع وعليه تقرر مجلس الوزراء الحكومة المؤقتة والجمهورية الجزائرية في 11 أفريل 1960م وتنفيذا لقرارات مؤتمر تونس تم تكوين جيش منا متطوعين ولقد كانت غانا تعتبر من مراكز التدريب لهذا الجيش، ولهذا أكد مندوب غانا أن حكومته فتحت الباب أمام المتطوعين الذين يرغبون في المساهمة بحرب الجزائر، ولقد فتح مركزين للتجديد والتدريب ولقد بلغ عدد المجندين في المركزين أكثر من 500 متطوع إفريقي في 22 أفريل 1960م، إضافة إلى أربع مراكز والتي تم فتحها في القاهرة كما تم تكليف المكتب الإداري لمؤتمر الشعوب الإفريقي بتكوين جهاز تنسيقي للإرسال المتطوعين إلى الجزائر (المجاهد، 1960، ص ص 8-9).

3-3 غينيا ودعمها للثورة:

لقد عملت الدول الإفريقية على دعم القضية الجزائرية وفقا لإمكانيات المتاحة لها وعلى غرار دعم دول مصر ومالي وغانا فلقد كان لغينيا دوراها ما في دعم القضية الجزائرية مدفوعة بمبادئ رئيسها أحمد سيكوتوري المؤيد لحركات التحرر في إفريقيا حيث حاولت الحكومة المؤقتة كسب دعم الدول الإفريقية المستقلة حديثا من بينها غينيا التي استقلت عن الهيمنة الفرنسية سنة 1958م، وبهدف فوضع قاعدة عمل مشترك مع غينيا، باعتبارها في مقدمة الدول الداعية للوحدة الإفريقية والتضامن مع القضية الجزائرية، ولقد تجلت المساندة الغينية للقضية الجزائرية بداية باعتراف غينيا بالحكومة المؤقتة الجزائرية مما يؤكد أن التضامن الإفريقي ليس مجرد أقوال فهو دليل على تصميم الدول الإفريقية من بينها غينيا مشاركة

الجزائر في معركتها حتى الاستقلال لأن الحكومة المؤقتة هي الناطق الوحيد باسم الشعب الجزائري(المجاهد، 1960، ص 10).

رغم إغراءات سياسة ديغول في إفريقيا الذي أدرك مدى أهمية إفريقيا بالنسبة للثورة الجزائرية والخطر الذي تمثله الجزائر بالنسبة للمستعمرات الفرنسية في إفريقيا، إذ أعلن إجراء استفتاء مصيري في إفريقيا يوم 28 سبتمبر 1958م حول البقاء تحت السيادة الفرنسية أو الاستقلال وخلال زيارته إلى كوناكري الغينية رد عليه سيكوتوري قائلاً "نحن نفضل الفقر مع الحرية على الثراء مع العبودية" وهذا ما يوضح موقف الغينين الراضين لسياسة الفرنسية لصالح الاستقلال، وهذا الأمر الذي فضح السياسة الفرنسية وأخلط أوراق ديغول، حيث تحالفت جبهة التحرير الوطني مع سيكوتوري بهدف تحالف مع الأفارقة للتصويت لصالح الاستقلال ورفض مشروع الاتحاد الفرنسي وإرساء مبادئ تضامن الوحدة الإفريقية (المجاهد، 1958، ص 4).

ولقد كان لسيكوتوري دوراً معتبراً في ربط العلاقات مع الزعماء الأفارقة بهدف عم القضية الجزائرية حيث اعتمد عليه فرانزفانون من أجل كسب تعاون السلطات المالية والنيجيرية لفتح الجبهة الجنوبية باعتباره مخلص الفكرة الوحدة الإفريقية مقتنعاً بمبادئ الثورة الجزائرية، ومحمد حربي كونه مثقفاً ودبلوماسياً للثورة الجزائرية حيث نثق معه لربط العلاقات مع قادة الحركات التحررية في غينيا، وبفضل هذه العلاقات المهمة بات الاستعمار الفرنسي ينحصر فوق إفريقيا بفعل حركات التحرر الموحدة في أهدافها والمتفاعلة فيما بينها والمتأمل في السياسة الفرنسية نحواً قطار إفريقيا في هذه الفترة يدرك مدى أهمية الثورة الجزائرية في تعجيل استقلال الأقطار الإفريقية، وأنا لشعب الجزائري الذي قدم النفس والنفس في سبيل القارة الإفريقية أصبح له الحق في مطالبة الدول الإفريقية المستقلة حديثاً بفضل الدعم والمساندة وسحب جنودها الذين يحاربون في المعسكرات الفرنسية والاستجابة للتضامن الإفريقي ومواجهة السياسة الفرنسية في إفريقيا من أجل إضعاف الدول الواقعة تحت النفوذ الفرنسي (مقلاتي، 2013، ص ص 22-64).

لقد لقيت الثورة الجزائرية دعماً دبلوماسياً من طرف دولة غينيا من خلال مشاركتها في مؤتمرات الشعوب الإفريقية ودورها البارز في مساندة القضية الجزائرية، وهذا ما نلاحظه من خلال المؤتمر الثاني لشعوب إفريقيا المنعقد في تونس جانفي 1960م الذي حضرته معظم دول إفريقيا المستقلة بما فيها غينيا والذي خرج بمجموعة من التوصيات منها:

ضرورة الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة من طرف دول كل إفريقيا المستقلة وكذا تخصيص ميزانية للثورة الجزائرية كما أكد المؤتمر على مطلب سحب الجنود الأفارقة من الجزائر، وتأكيدا على توصيات مؤتمر اكرام 1958م جاء المؤتمر ليوصي كذلك لدول إفريقيا المستقلة حديثا لإنجاح هذا العمل، ولقد وجه المؤتمر نداء للأمم المتحدة للنظر في أحوال الشعب الجزائري وضرورة الاعتراف باستقلالهم (المجاهد، 1960، ص ص 6-7).

كما كان لجمهورية غينيا رأي في معظم الندوات والمؤتمرات الإفريقية، مثل الندوة الإفريقية التي ضمت كل من رؤساء غينيا ومالي وغانا حيث كانت كلمة سيكو توري رئيس جمهورية غينيا تعبر عن مدى اهتمامه بالقضية الجزائرية حين قال "لنهتم في أفعالنا هذه إلا بالدفاع عن الحرية الجزائرية وفضح العمل الرجعي الذي تقوم بها الأمم المتحدة في الكونغو الذي يخدم أغراض الخونة على حساب الأنظمة الوطنية الشرعية... إن ندوتنا هذ ستعمل على انسجام وتنسيق أكثر فعالية بين أعمال دولنا الثلاث ضد الاستعمار القديم والحديث"... وهذا ما يعكس صورة واضحة على الوضع في إفريقيا والذي فات بتنازعه تياران مختلفان التيار الوطني لتحريری والمتمثل في الدول المستقلة حديثا والجزائر التي تكافح من اجل استقلالها والتيار الاستعمار الغربي الذي تمثلها لمجموعة الفرنسية، وأكدت الدول الثلاث المجتمع في كوناكري عاصمة غينيا على استعدادها لبذل جميع التضحيات اللازمة لتقديم المساعدات لتحرير الشعب الجزائري (المجاهد، 1961، ص 12).

وعلى غرار الدعم الدبلوماسي الذي قدمته دولة غينيا للثورة الجزائرية، فقد قدمت دعما عسكريا من خلال تنسيق مع قيادة الثورة الجزائرية في ميدان التسليح بهدف إيصال الأسلحة إلى الجبهة الجنوبية فقد استقبل سيكوتوري سفينة من الأسلحة عبر رأس الرجاء الصالح قادمة من تشيكوسلوفاكيا وصولا إلى ميناء كوناكري ونقلتها السلطات الغينية برا عبر الشاحنات والسيارات إلى باماكو كما نقلت الأسلحة كذلك عن طريق الطائرات الغينية بهدف تزويد المنطقة الجنوبية بالسلح، ولقد كانت الأسلحة تقتنى باسم دولة غينيا ويتم استلامها من طرف قائد الجبهة الجنوبية عبد العزيز بوتفليقة وبن سباق إلى أن يتم إدخالها إلى الداخل في المنطقتين الخامسة والسادسة ومنه فلقد كانت جمهورية غينيا سندا مهما للثورة الجزائرية في المجال الدبلوماسي بهدف إيصال صوت الشعب الجزائري للعالم، والعمل قدر المستطاع لتوفير كل أشكال الدعم المادي من سلاح ومؤنه نصرة للقضية الجزائرية (مقلاتي، 2013، ص ص 65-84).

4. خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية نستنتج ما يلي:

- على الرغم من أن التوجه الإفريقي جاء متأخرا تجاه الثورة الجزائرية إلا أن هذه الأخيرة استفادت منه كثيرا من حيث أعطى إضافة لتحريك القضية الجزائرية وقد تجلى ذلك من خلال اللقاءات والمؤتمرات المختلفة التي باشرت باعتراف الحكومة المؤقتة الجزائرية على سبيل المثال " مؤتمر أكرافريل 1958م الأول، والثاني ديسمبر 1958م " وبالتالي احتضنت القضية الجزائرية في مؤتمرات الشعوب الإفريقية المستقلة.

- الدعم المادي والمساندة المعنوية من قبل الكثير من الدول للحكومة المؤقتة والدفاع عن القضية الجزائرية.

- تعاون الحكومة المؤقتة مع السلطات المالية من خلال الجبهة الجنوبية منذ نهاية 1959م وهذا بمساعدة الرئيس المالي الذي أولى اهتمامه للقضية الجزائرية " وذلك بفتح وترك الحدود لنقل الأسلحة وتجهيز وإعداد وحدات الجيش على التراب المالي وتقديم المساندة للجزائريين.

- لقد كان لدولة غينيا دور فعال والدفاع عن القضية الجزائرية من حيث إيصال صوت الثورة الجزائرية للعالم ونشر أخبارها والتعريف بها وإظهار أهدافها في إفريقيا وهذا بتوجيهه وبإيعاز من رئيسها أحمد سيكوتوري.

- لقد كسبت الثورة الجزائرية دعما ماديا ومعنويا على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي من دول غانا ومالي وغينيا " كفتح الحدود للثوار والتعريف بها والدفاع عنها والوقوف إلى جانبها وضمن استمرارها إلى غاية تحقيق ونيل الاستقلال.

5. قائمة المراجع:

المجاهد (1958)، العدد 29.

المجاهد (1961)، العدد 76.

الجيش (1970)، العدد 77.

صيودا عيسى (1975)، مراحل الثورة التحريرية، مجلة الجيش، العدد 25.

فرانز فانون (1980)، من أجل إفريقيا، ترجمة: محمد الميلي، الطبعة الثانية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

المدني أحمد توفيق (1982)، حياة كفاح، الجزء الثالث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- دحلب سعد (1986)، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب.
- كافي علي (1996)، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري " 1946-1962"، الجزائر، دار القصبة للنشر والتوزيع.
- الصادق محمد الصالح (1999)، الجزائر بلد التحدي والصمود، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- عباس محمد (2005)، الطبعة الأولى، الجزائر، دار هومة.
- مقلاتي عبد الله، التواتي دحمان (2009)، البعد الإفريقي للثورة ودور الجزائر في تحرير إفريقيا، الطبعة الأولى، الجزائر، وزارة الثقافة.
- مقلاتي عبد الله، رمروم محفوظ (2009)، الجهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي في الثورة، الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع.
- بديدة لزهر (2009)، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع.
- مقلاتي عبد الله (2013)، الثورة الجزائرية وإفريقيا، الطبعة الأولى، الجزائر، شمس الزيبان للنشر والتوزيع.
- مزهودي مسعود وآخرون (د.ت)، ثورة التحرير الوطني مبادئ وأخلاق، إشراف محمد ميموني، الجزائر، دار الهدى.
- فايق محمد (د.ت)، عبد الناصر والثورة الإفريقية، لبنان، دار الوحدة للطباعة والنشر.
- Yves couriere (1970), l'heure des coloneles, paris.

الثورة التحريرية الجزائرية

من منظور علم النفس والفلسفة

التعرض للتعذيب خلال الثورة التحريرية: أي أثر نفسي بعد 56 سنة من الاستقلال؟

Being tortured during the liberation revolution: What psychological impact
after 56 years of independence?

زواني نزيهة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة مولود معمري تيزي وزو-الجزائر-

1. مقدمة:

لا تعد مسألة التعذيب وليدة المجتمعات الحالية، بل هي قديمة لازمت التاريخ البشري على مر العصور وعانت منه جميع الشعوب، إلا أن أساليبه سواء الجسدية أو النفسية لم تصل في وحشيتها إلى الدرجة التي بلغتها في القرن العشرين، و بدايات العقد الحادي والعشرين؛ حيث أصبح تعذيب الإنسان وسيلة لتدمير شخصية وكرامة الضحية (بلال و سوامية، 2012، ص 89). وقد اكتسب التعذيب أهمية قصوى في القانون الدولي، واعتبر من أقسى صور انتهاك حقوق الإنسان واعتداء على حقه في الحياة وفي السلامة الجسدية والعقلية والنفسية (شوقي، 2019، ص 363). ولترسيخ هذه المبادئ، تم إصدار عدة قوانين دولية وإبرام اتفاقيات بعد الحرب العالمية الثانية تمنع التعذيب أو تعرض أي فردل عقوبات أو معاملات وخيمة غير إنسانية كإصدار إعلان حقوق الإنسان في ديسمبر 1948 و اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة الخاصة بأسرى الحرب وحماية المدنيين في حالة الحرب 1949 (غربي، 2019، ص 44) التي دفعت المجتمع الدولي إلى نبذ التعذيب ومناهضته واعتباره جريمة دولية من ضمن الجرائم ضد الإنسانية.

وبالرغم من سن هذه النصوص و وضع الثورة الفرنسية حدا للتعذيب رسميا توجب إصدار أول إعلان لحقوق الإنسان عام 1789، إلا أن ممارسته برزت وتطورت في الجزائر خاصة خلال الثورة التحريرية ما بين 1954-1962؛ حيث عمدت الحكومة الفرنسية من أجل القضاء على الثورة إلى انتهاج أسلوب قمعي عن طريق سنّها لقوانين رسمية مثل ما حدث في سنة 1955؛ إذ تم سن العديد منها كقانون حالة الطوارئ في 03 فيفري، قانون مبدأ المسؤولية الجماعية في 16 ماي وقانون حق المتابعة في سبتمبر. ونظرا لما صاحب هذه القوانين من زيادة كبيرة في عدد الجنود واستحداث وحدات أكثر تمرسا، ارتكب الجيش الفرنسي مجازر ومذابح في هذه

المرحلة، وتفاقت عمليات القمع والإبادة والقتل (مفنونيف و حمرة حسني، 2017، ص 193).

ضف إلى ذلك، كان هناك انتشار واسع لبناء المعتقلات ومراكز التعذيب التي وصل عددها إلى أكثر من 2500 محتشدا، كانت تأوي ما يقارب من ثلاثة ملايين جزائري (فكاير، 2018، ص 416-417) وكذا استحضار خبراء في التنكيل والاستنطاق، بهدف إبعاد المواطنين عن الإسهام الفعلي في الثورة وتسلط الإرهاب و القمع على العناصر التي تتعاطف معها قصد ضرب معنوياتهم و ضمهم إلى الجانب الفرنسي (جلامة، 2017، ص 313).

لقد كان التعذيب حسب (بوالصفصاف، 1998؛ خلاصي، 1994) نقلا عن (غربي، 2019، ص 36-37) من أبرز الأساليب الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في الجزائر لإرغام الشعب الجزائري على الاستسلام والتخلي عن المطالبة بالاستقلال، بالرغم من حرص الساسة على التعقيم عليها. في هذا الصدد، أكد الجنرال ديغول سنة 1957 طبيعة العلاقة بين النظام الاستعماري الفرنسي وممارسة التعذيب، عندما قال : إن التعذيب جزء من النظام القائم" (غربي، 2008، ص 203-205).

تحولت ممارسة التعذيب في الجزائر من شبه العشوائية إلى شكل من الأشكال المهنية وإلى مؤسسات قائمة بذاتها ضمن نظام الاحتلال ككل، لها هياكلها ومنظروها ومراكزها التكوينية في فنون وأساليب الإبادة، مثل مدرسة جاندارك في مدينة سكيكدة. وقد تفنن الفرنسيون في مختلف أنواع التعذيب سواء الجسدية أو النفسية والتي لا تمت بصلة إلى الإنسانية.

أوضحت العديد من الدراسات كدراسة (Allodi و Cowgell، 1982) ودراسات (Njoku، Bogic، Prieb، 2015؛ Herman، 1992) و (الجمعية الأمريكية للطب النفسي American Psychiatric Association، 2013) المشار إليهما في دراسة عنان (ب.ت) تأثيرات التعذيب الجسدية والنفسية طويلة المدى وأشارا إلى "متلازمة التعذيب" الموصوفة باضطرابات نفسية جسدية (آلام الرأس، كوابيس، اضطرابات النوم، دوار، ارتجاج)، مزاجية (القلق، الاكتئاب، مخاوف، فوبيا وهلع) سلوكية (الانسحاب، العنف، الاندفاعية، محاولات الانتحار). بينما تتمثل الأعراض الذهنية في عدم القدرة على التركيز، الانتباه، فقدان الذاكرة واضطراب في التوجه.

ورغم اختلاف معدلات انتشار اضطراب ما بعد الصدمة بين الدراسات، إلا أنه يعد من أكثر الاضطرابات الشائعة لدى الأفراد ضحايا التعذيب. ولقد حددت دراسة Turrini وآخرون

(2017) المشار إليها في دراسة (Kaplan، 2018، ص 3) معدلات انتشار اضطراب ما بعد الصدمة بين 0-86٪.

يضم هذا الاضطراب كوكبة من الأعراض متمثلة في الأعراض الاقتحامية (تجربة الحادث مجدداً مثل تخیلات، أفكار، أحلام متكررة عن الحادث..)، الأعراض التجنبية (جهود لعدم مواجهة أفكار، مشاعر). ضف إلى ذلك، وجود استثارة زائدة (صعوبات في النوم، نوبات غضب، صعوبات في التركيز، الانتباه المفرط، الإفراط في رد فعل النقر...).

في هذا السياق، توصلت بعض الأبحاث كدراسة (Engdahl و آخرون، 1997، Favaro و آخرون، 1999) نقلاً عن دراسة عنان (ب.ت) أن 53٪ من المقاتلين الأسرى أظهروا اضطراب ما بعد الصدمة في مرحلة معينة من حياتهم، و بعد (أكثر من 40 سنة بقيت هذه الأعراض بشكل دائم وعانى 45٪ من الناجين من اضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب.

و بالرغم من هذه النتائج، إلا أنه تم تناول التعذيب خلال الثورة التحريرية بشكل كبير من طرف الباحثين في مجالات القانون كدراسة (بو الديار، 2017) و التاريخ أكثر، و لم يتم التوصل إلا لدراسة واحدة – في حدود البحث الحالي- اهتمت بالآثار النفسية للتعذيب طويلة المدى و المتمثلة في دراسة شادر (2013) التي تناولت الصدمة النفسية لدى بعض ضحايا التعذيب و التي توصلت من خلالها إلى وجود اختلاف في كيفية معاشة الضحايا للحدث الصدمي الذي تعرضوا له وتنوع استجاباتهم؛ بحيث تمكن البعض منهم من تجاوز تلك الانعكاسات والذكريات الأليمة باللجوء إلى طرق تسوية مختلفة كإسناد الحدث الصدمي الذي تعرضوا له إلى قضاء الله وقدره، أو انها لحالة العادية للحرب، في حين بقي البعض الآخر منهم مثبتاً على الصدمة ويعاني من اجتياح الذكريات الأليمة والصور الفظيعة للتعذيب الذي تعرضوا له وكانوا شاهدين عليه، ومن أثر المواجهة الحقيقية مع الموت ولم يتمكنوا من إرصان الصدمة التي تعرضوا لها رغم مرور العشرات من السنين.

كما تبين من خلال استعراض أدبيات الموضوع بعض الإشارات إلى الآثار النفسية المترتبة عن التعرض للتعذيب مثل ما جاء عن "فانون" نقلاً عن (بهتان، 2017، ص 187) عندما طرح أهم الحالات المرضية التي خلفها هذا الجانب من الاحتلال و المتمثلة في عدم قدرة الجزائري على تحمّل اغتصاب زوجته، ذهان القل قمع الشعور بالاضطهاد الليلي، الاكتئاب و انتشار ذهان ما بعد الولادة لدى النساء. في نفس السياق، تم الإشارة إلى الانعكاسات الخطيرة للتعذيب في

مقال (فكاير، 2018، ص 435) ؛ إذ ظل الضحايا يعانون إلى ما بعد الاستقلال من فقدان الذاكرة والأمراض العصبية و النفسية التي ظلت تلازمهم طوال حياتهم.

كما سلب (زعطوط ، 2016) الضوء على بعض الجرائم التي قام بها الجيش الاستعماري مركزا على مرحلة الثورة من زاوية العلوم النفسية والطبية بناء على ما جاء في الدراسات السابقة و ليس بناء على دراسات أنجزت على الأفراد الذين عايشوا هذه الممارسات من طرف ضباط الجيش الفرنسي مما يزيد من أهمية هذا العمل.

و عليه تهدف هذه المداخلة التعرف على مدى معاناة إحدى ضحايا التعذيب خلال الثورة التحريرية من المشكلات النفسية بعد 56 سنة من تعرضه لذلك، وكذا التعرف على عوامل الحماية أو الخطر المساهمة في تفاقم أو التخفيف من حدة الصدمة.

2. الاطار النظري

1.2. تعريف التعذيب

من الناحية اللغوية، اشتق مصطلح "التعذيب" «torture» من اللاتينية tortura ("لوي" و«المعاناة»)، و من الكلمة اللاتينية tortum. و يعود المصطلح إلى نهاية القرن الثاني عشر؛ إذ كان رمزاً لروح الظلام، والشر الذي يصارع الديك الذي كان رمزاً لروح الخير (Abbaci، 2015، ص27) وقد عرف بالعديد من الأشكال، إلا أن حسب (منظمة العفو الدولية، 2001) نقلا عن (شادر، 2013) يعد تعريف اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب لعام 1984 الأكثر استخداماً ؛ حيث جاء في المادة 01 من الاتفاقية أن التعذيب هو أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد جسدي اكان أم عقليا، يلحق عمدا بشخص ثالث على معلومات أو على اعتراف أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه هو شخص ثالث، أو تخويفه أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث، أو عندما يلحق مثل هذا العذاب أو الألم لأي سبب من الأسباب يقوم على التمييز أي اكان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه، أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص آخر بصفته الرسمية.

و قد دخل هذا التعريف حيز التنفيذ في يونيو 1987، و تم المصادقة عليه من قبل 144 دولة. وعلى مدار السنوات الخمس الماضية، تحرص منظمة العفو الدولية على الإبلاغ عن حالات التعذيب التي وقعت في ثلاثة أرباع مناطق العالم (Amnesty International، 2022).

حسب (زعطوط، 2016، ص 2) يدخل في تعريف التعذيب أربعة عناصر على الأقل: تورط شخصين على الأقل: الجاني أو الجلاد والضحية، التعريض للمعاناة أو الألم الشديد لأجلال

استنطاق، نية تحطيم إرادة الضحية للحصول على أسرار أو اعترافات و كونه نشاط منظم وموجه لتحقيق هدف معين أي أنه ليس حادثا عرضيا غير مقصود
فيرأي "فانون" المشار إليه في بحث (بهتان، 2017، ص 185) لا يمكن فصل التعذيب عن التمييز العنصري، فهما شيئان متلازمان. ويصفه بالوسيلة التي يستخدمها المستعمر للحصول على عناصر جديدة في صفوفه.

2.2. أهداف التعذيب

- لخص أحمد أبو طواحينة (1999) نقلا عن (شادر، 2013، ص 65) أهداف التعذيب كالتالي:
- الحصول على المعلومات: يستخدم التعذيب بهدف الحصول على معلومات تتعلق بالأمور الجنائية أو السياسية أو العسكرية أو غيرها وهو أحد الأهداف الأساسية للتعذيب.
 - التجريم: الغرض هو إجبار المعتقل على أن يذكر أشخاص آخرين شاركوا في الأفعال التي اعتقل بسبب القيام بها.
 - التلقين: الهدف هنا هو إقناع المعتقل بالتخلي عن أفكاره واتجاهاته السابقة وتبني أفكار واتجاهات جديدة مقبولة لدى السجن، والهدف النهائي هو تغيير الولاء كما يحدث في عملية غسيل الدماغ.
 - الترهيب: و الهدف من وراء ذلك هو ترهيب الآخرين من خلال جعل أساليب التعذيب معروفة لدى الجمهور، ومن ثم منعهم من القيام بأي فعل لاتقبله السلطة الحاكمة.
 - الإرباك: والهدف منه هو خلق حالة من الفوضى والتشويش بحيث يصبح المعتقل غير قادر على معرفة حقيقة الأمور، ومن ثم ينتابه شعور غامر بالفقدان ويتم ذلك من خلال تغيير السجن المستمر والفجائي للطريقة التي يعامل بها المعتقل بحيث يصبح من الصعب عليه التوافق مع أي من هذه الأساليب المتغيرة باستمرار.

3.2. أساليب التعذيب المستعملة من طرف الاستعمار الفرنسي

تبين من خلال كتابات الباحثين الجزائريين المهتمين بهذا الجانب من تاريخ الثورة الجزائرية القائمة على شهادة المعتقلين (الجيلالي، 2012؛ برشان، 2012؛ بعلوج، 2021؛ جلالة، 2017؛ شافو، 2015؛ شوقي، 2019؛ غربي، 2019؛ فكاير، 2018؛ قاصري، 2017؛ كركب، 2015؛ مطهري، 2018) المستندة على شهادات المعتقلين الذين كانوا ضحايا التعذيب في مختلف المعتقلات و مراكز التعذيب، انتهاج المستعمر الفرنسي سياسة تعذيب واحدة قائمة على نوعين من الأساليب والمتمثلين في التعذيب الجسدي و التعذيب النفسي الذي يتضمن

التعذيب الجنسي ، مما قد يؤكد أن المشرفين على عمليات التعذيب تلقوا التعليمات نفسها. و حسب شهادات الضحايا لا يمكن إحصاء كل أساليب التعذيب ووسائل الاستنطاق؛ لأن ممارسة التعذيب كانت بالنسبة لهؤلاء فنا يدرس ويتطور تبعا لتطور المعارف البشرية . كما أكدت الشهادات أن التعذيب كان أحيانا يأخذ كل الأشكال والأساليب طوال اليوم والليلة(بعلوج، 2021، ص 180).

1.3.2. التعذيب الجسدي: تم استخدام طرقا لا يمكن تصورها حسب المعتقلين أو حصرها متمثلة في التعذيب بالزجاج (إزالة شعر الحواجب ، أهداب العينين ووضع الملح في مكان الجروح أو المشي على الزجاج)، التعذيب بالماء(كإدخال وحقن الماء في الفم، استخدام حوض الماء حيث يتم إدخال الشخص فيه عندما يكون الجو باردا)، التعذيب بالتيار الكهربائي(كغرس الأسلاك الكهربائية في الأماكن الأكثر حساسية من الجسم وهي اللسان، الأذن، الأعضاء التناسلية أو الثديين) الحرق الجزئي(حرق جزء من الجسم باستعمال السجائر وإطفائها على جسم الضحية، أو إشعال أعواد الثقاب ووضعها بين أصابع يده أو رجله بعد ربطها ليتم حرق أظافره) أو الحرق الكلي(تبليد الضحايا كليا بالبنزين بعد ربطهم، ثم إشعال النار وتركهم يحترقون حتى الموت أمام أهلهم)، التعذيب بالحبل، كالتعليق (تعليق الضحية لأيام بربط رجله وشدها على جذع شجرة والرأس إلى الأسفل بعد ربط يديه إلى الخلف، ويترك على هذه الحالة لأيام تحت الشمس عاريا دون أكل أو شرب)، - و الربط على الأرض(يوضع الضحية في شكل صليب على الأرض في مغارات وتربط الأرجل والأيدي في أوتاد مغروسة في الأرض، ويبقى المعتذب السجين في هذه الوضعية أيام عديدة في الظلام الدامس والعزلة المطلقة)، قلع الأسنان والأظافر، تسليط الكلاب على السجناء سواء بالصراع الفردي بين السجين والكلب، أو عدة كلاب مقابل سجين واحد، دق المسامير في أجساد المعتقلين، بتر الأصابع والأذان والأعضاء التناسلية.

2.3.2. التعذيب النفسي: يتمثل في بث الرعب و الخوف في نفوس المعتقلين بشتى الطرق والوسائل. ويتم هذا النوع من التعذيب بالاستعانة بالضباط البسيكولوجيين، ويستعمل منذ بداية إلقاء القبض على المشتبه به، أو داخل المركز التعذيب و المعتقلات لإجبار الموقوف على الاعتراف والتخلي عن مبادئه.

من بين الأساليب النفسية المباشرة ، التعذيب من خلال التحكم بحاجات الجسم، فمنع النظافة لأسابيع، ومنع الضحية من الذهاب إلى دورة المياه وإرغامه على ممارسة حاجاته في

ملابسه... ، التجويع ومنع الطعام مما يؤثر على نشاط الدماغ والجهاز العصبي، وبالتالي قد تؤدي هذه الوسيلة إلى تشويش ذهني وفقدان السيطرة الفعلية على السلوك .

كما اتخذ هذا النوع أساليب مختلفة، كأن يجرد الشخص المعتقل من ثيابه أمام زوجته أو أبنائه أو والديه؛ أو يمارس الجنس على محارمه على مرأى منه؛ أو يتخذ كوسادة لزوجته أثناء اغتصابها. من بين الأساليب أيضا، دفع بالرجال والنساء وهم عراة إلى ساحة المركز كوسيلة لممارسة الضغط النفسي على المعتقلين، بل يذهب الأمر أبعد من ذلك إلى ربط الرجل بالمرأة بالحبل نفسه أمام الملاء عند تعذيب النساء وهن عاريات في ساحة المركز، يرغم الرجال وبخاصة الذين تربطهم صلة قرابة بإحداهن على النظر إليهن.

و يعتبر التعذيب الجنسي من بين تقنيات التعذيب الأشد وقعا على النفس، ويتخذ أشكالا عديدة كالاعتداء على الأعضاء التناسلية والاعتصاب بالعصي والخراطيم، إجبار الأسرى على تحمل العلاقات الجنسية مع الكلاب المدربة على هذا الفعل وإرغام الشخص المعتقل على الجلوس على فوهات قارورات زجاجية.

4.2. آثار التعذيب

بينت العديد من الدراسات (Jaranson و Quiroga، 2011؛ Kaplan ، Tol و de Jong ، 2018؛ Miller و Rasmussen ، 2005؛ Porter و Haslam ، 2010) نقلا عن (Patel ، Hamid ، Williams و 2019) أن للتعذيب آثار نفسية وجسدية واجتماعية وروحية تتفاعل بطرق متنوعة.

1.4.2. على المستوى النفسي: حسب نتائج دراسات (Gurris و Fischer ، 1996؛ McFarlane ، 1995؛ Gurris و Wenk-Ansohn ، 1997) المشار إليها في (International Rehabilitation Council for Torture Victims ، 2007، ص05) عادة ما يكون التعذيب شديد الخطورة والألم بطبيعته مثيرا ردود فعل فورية من الذعر والخوف، بما في ذلك الخوف الشديد من الموت، مع مستوى عالٍ من التوتر، و الفتور العاطفي. يمكن أن يصاحب هذه المشاعر شعور بالارتباك التام، الشعور بالعجز وفقدان السيطرة ، مما قد يؤدي إلى تدمير فهم الذات، وأي نظام وجودي مهم وإمكانية التنبؤ بالعالم.

كما يعتبر التعذيب من المؤشرات القوية لأعراض اضطراب ما بعد الصدمة على وجه الخصوص (Patel ، Hamid و Williams ، 2019؛ Nilsson ، Gustavsson ، Gottvall و Saboonchi ، 2020). و أشارت نتائج دراسة (Roncovic-Grzeta ، Franciskovtc ، Moro و Kastelan ،

2001، ص 530) إلى تطور اضطراب اكتئابي كبير كتشخيص مرضي لمصاحب لاضطراب ما بعد الصدمة لدى الأشخاص المصابين به بعد تجربة الأسر والتعذيب.

و أوضحت دراسة (Allodi و Cowgell، 1982) المشار إليها في دراسة عنان (ب.ت) تأثيرات التعذيب النفسية طويلة المدى و أشارا إلى "متلازمة التعذيب" الموصوفة باضطرابات نفسية جسدية، مزاجية، سلوكية و ذهنية. تتمثل الأعراض النفسية الجسدية الأكثر انتشارا في آلام الرأس، كوابيس، اضطرابات النوم، ارتجاج، إسهال و تعرق. و تظهر الاضطرابات في المزاج عادة كالقلق، الاكتئاب ، فوبيا و هلع. أما السلوكات المصاحبة لهذه المتلازمة فتتمثل في الانسحاب، الاندفاعية، محاولات الانتحار، بينما تتمثل الأعراض الذهنية في عدم القدرة على التركيز، الانتباه ، فقدان الذاكرة و اضطراب في التوجه.

2.4.2. الآثار الجسدية للتعذيب: نقلا عن (Kaplan، 2018، ص 3) للتعذيب آثار متنوعة كتلف في الدماغ، الألم المزمن وضعف الحركة (يمكن أن يكون راجعا لمتلازمة الألم العضلي الليفي)، الأسنان المفقودة، ضعف السمع (الذي قد ينجم عن الضرب أو تعذيب كهربائي)، التهاب الشعب الهوائية (يمكن أن ينتج عن التعذيب تحت الماء)، تشويه أعضاء الجسم و الندبات والتشوهات، اضطراب الوظيفة الجنسية وأمراض النساء والإصابات الداخلية الأخرى والأمراض المنقولة جنسيا.

3.4.2. على مستوى الأسرة: حسب نتائج دراسة (Kira، 2002) المشار إليها في (International Rehabilitation Council for Torture Victims، 2007، ص 07) يمكن أن يتسبب التعذيب في حدوث صدمة كذلك لدى الأسرة، مسببا أشكال مختلفة من الخلل الوظيفي والاضطراب الأسري؛ إذ قد يعاني أفراد الأسرة الآخرون من صدمة ثانوية. كما يمكن أن تؤدي تداعيات المعاناة الجسدية والنفسية للضحية داخل الأسرة إلى زيادة مستوى التوتر والخوف والقلق والشعور بالترهيب والتهديد، فضلا عن فقدان الشعور بالأمان ، مما يؤثر على نظام الأسرة وأفراد الأسرة الآخرين مؤثرا بذلك على الأدوار وأنماط العلاقات الأسرية و تدهور القدرة على رعاية الأطفال والأقرباء و القيام بالدور الوالدي.

3. الإطار الميداني

1.3. المنهج المستخدم:

وفقا لهدف العمل تم إتباع المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة، لجمع المعطيات تم

تطبيق المقابلة العيادية. ولقد تم الاعتماد في إطار البحث الحالي على المقابلة العيادية نصف الموجهة كونها تزودنا بدليل المقابلة الذي يحتوي على مجموعة من الأسئلة المحددة الأهداف.

2.3. عرض ، تحليل و مناقشة المقابلة مع الحالة

كان السيد (ك.س) يبلغ من العمر فترة المقابلة 74 سنة، متزوج وأب لستة أولاد من الزوجة الأولى (4 ذكور و بنتين). لم يتعدى تعليمه المستوى الابتدائي و يعيش في ظروف اقتصادية متوسطة و يعيش في إحدى القرى التابعة لولاية تيزي وزو. كان الأخ الأكبر لأخين وأختين، و كان والده رئيس قسم المجاهدين إبان الثورة و هو في سن الأربعين.

تم اعتقال الحالة من قبل السلطات الفرنسية سنة 1958 و هو ابن 16 سنة. تم اعتراض طريقه و هو متجها إلى الحلاق بمدينة تيزي وزو برفقة صديق أبيه. دامت فترة اعتقاله سنة كاملة تعرض خلالها لمعاملة قاسية حسب تصريحاته و عنيفة من قبل الضباط الفرنسيين. كانت المقابلة بالنسبة للحالة مثيرا أعاد من خلالها معايشة الأحداث على المستوى الانفعالي؛ إذ سرعان ما بدت عليه ملامح الحزن و امتلأت عيناه بالدموع عندما تم الشروع في طرح سؤال عن تجربة التعذيب و كانت لديه رغبة في التهرب و تجنب الإجابة مما يدل على أن الحالة لم تتمكن من تجاوز الصدمة بعد حتى بعد العديد من السنوات و التي برزت جليا من تصريحه " من الأفضل ألا أتذكر ما مضى". بالنسبة له ، تعتبر تجربة التعذيب من أقسى التجارب التي عاشها في حياته؛ حيث لا يزال يتذكر وجه الضابط الذي قام بضربه و صفعه عدة مرات " كان الشر يبدو على وجهه".

بعد اعتقاله، بمجرد دخوله إلى مركز الشرطة بدأت رحلة التعذيب بالصفع لمرات عديدة محاولين استنطاقه عن مكان تواجد و اختباء والده، إلا أنه رفض إعطاء أية معلومة مما دفع الضباط الفرنسيين إلى زيادة شدة التعذيب؛ إذ تعرض في اليوم الموالي إلى التعذيب باستعمال الكهرباء من خلال وضع الأسلاك في أذنيه و أصابعه ليصرح " كانت الآلام لا تحتمل، لا يمكنني أن أصفها لك". كما قاموا بتعذيبه باستعمال التعليق؛ حيث علق من قدميه إلى السقف و تم تركه في تلك الوضعية لمدة ثمانية أيام، كان يتم إنزاله لإعطائه بعض الأكل ثم يتم إرجاعه إلى نفس الوضعية.

لم تسلك الحالة كذلك من أسلوب التعذيب بالماء؛ إذ تم إدخال رأسه داخل حوض الماء و إخراجة و ذلك لعدة مرات حيث صرح قائلاً: " تلك اللحظات من أصعب أيام حياتي، أحسست بالاختناق الشديد وكادت رئتاي أن تنفجر".

بعد المكوث بمركز الشرطة لمدة شهرين، عاش عدة تنقلات بين السجون، في الأول حول إلى سجن مدينة تيزي وزو ليبقى فيه 06 أشهر. في هذه الفترة، كان يقوم بالأعمال الشاقة مع بقية المسجونين كأعمال البناء لصالح المستعمرين الذين كانوا يحرضون الكلاب عليهم حتى لا يتوقفوا عن العمل حيث صرح " لم نعامل كبشر و إنما كالحيوانات". كانت هذه الفترة من أصعب فترات الاعتقال إذ تلقى خلالها خبر وفاة والده المجاهد و حزن عليه حزناً شديداً حيث صرح " بكيت عليه بزاف، تمنيت لأن أرى وجهه قبل أن يدفن". و ما لوحظ في تلك اللحظات هي الدموع التي كانت تملأ عيناه مما يشير مرة أخرى إلى المعاناة النفسية المعاشة من طرف الحالة.

كان سجن تقزيرت الوجهة الثانية و الأخيرة خلال فترة اعتقاله. خلال هذه الفترة، كان التعذيب على المستوى النفسي أكثر منه جسدياً؛ حيث خلال تواجده في ذاك السجن كان الضباط يأتون بالكثير من الرجال و النساء وحتى الشيوخ ليقوموا بتعذيبهم و كان يسمع أصواتهم و هم تحت وطأة التعذيب مما يشعره بالذعر و الرعب و الخوف من تعذيبه مرة أخرى. قبل خروجه من السجن، حاول الضباط الفرنسيون تجنيده للعمل لصالحهم. و لتحقيق ذلك، تم إغرائه بالمال و بإعطائه السلاح شريطة أن يأتهم بالمعلومات الخاصة بتحركات المجاهدين في المنطقة التي يسكن فيها، إلا أنه رفض ذلك ليتم إطلاق سراحه بعد ذلك.

صرحت الحالة أنه بعد خروجها من السجن، عانت من مجموعة من المشكلات النفسية متمثلة في الشعور بالخوف، العزلة، اضطراب في النوم، عدم القدرة على الإحساس بالمشاعر الإيجابية؛ فبالنسبة له كل شيء مظلماً. كما كان يعاني من كوابيس ليلية. و أمام حالته النفسية هذه، قام خاله بأخذه إلى فرنسا عندما بلغ 18 سنة، لإبعاده عن المنطقة و مساعدته على التخفيف من معاناته و نسيان ما حدث له. بقي بالمهجر إلى غاية الاستقلال، ليعود إلى الجزائر و يعمل في أحد المصانع بالجزائر العاصمة، و نظراً لبعده المسافة عن منزله، اضطر للبقاء في بيت أحد الأصدقاء ليعود بصفة نهائية لتيزي وزو بعدما وجد عملاً فيها في إحدى المصانع و بقي فيه إلى غاية التقاعد. لقد كان الدعم المتلق من طرف عائلته

عاملا في مساعدته على المضي قدما بالرغم معاناته وهو ما يتماشى مع ما خلصت إليه دراسة (Jurkovic، Isakson، 2013) نقلا عن (Kira و آخرون، 2013، ص 477)؛ إذ بينت أن الدعم الاجتماعي، على الرغم من استمرار الأعراض النفسية والجسدية، يمكن الناجين من التعذيب من المضي قدماً.

بعد بضع سنوات من تقاعده توفيت زوجته مما دفعته للعزلة والشعور بحزن شديد من جديد؛ إذ صرحت الحالة أنها لم تكن نخرج من البيت كثيرا ولا يتحدث مع أولاده إلا في فترات قصيرة؛ إذ كانت تفضل البقاء في عزلة بالغرفة. فحسب الحالة، وفاة الزوجة أحييت فيه التجربة الصدمية التي عاشها من قبل.

حتى فترة المقابلة، صرحت الحالة أنها لا تزال تعاني من بعض الأعراض كالكوابيس؛ حيث يعيد في بعض الأحيان إعادة رؤية وجوه الضباط ليستيقظ مذعورا و مما سبب له اضطراب في النوم؛ إذ يشعر بالتوتر في لأغلب الأحيان. كما تعتمد الحالة تجنب المواقف التي تذكره بالحدث الصدمي كعدم الخروج في الأعياد والمناسبات الوطنية (01 نوفمبر و 05 جويلية) للاحتفال مع باقي المجاهدين و أبناءهم؛ فهو كثير التجنب لكل ما يمكن أن يذكره بالثورة و يفضل البقاء منعزلا. و ما زاد من حدة الأعراض لديه هو عدم اعتراف السلطات بأنه ابن مجاهد و ضحية تعذيب أثناء الثورة و لم يمنح له أي اعتبار رغم الأدلة المقدمة. أزمّت هذه الوضعية حالته ودفعته لاستشارة الطبيب الذي وصف له أدوية نفسية ساعدت على خفض حدة الأعراض التي يعاني منها.

يتسق ما عاشته الحالة مع ما أكدت عليه دراسات (Carlsson و آخرون، 2006؛ 1992؛ Genefke و Vesti، 1998؛ Gurr و Quiroga، 2001؛ Jacobs، 2000) المشار إليها في ((International Rehabilitation Council for Torture Victims (IRCT)، 2007، ص 05) التي أوضحت أنه غالباً ما تستغرق العواقب النفسية وقتاً أطول للشفاء وتثير مشاكل أكثر من الإعاقات الجسدية. يمكن أن يستمر الضحايا في المعاناة من العواقب النفسية - بشكل أو بآخر - للتعذيب لعدة أشهر أو عدة سنوات بعد الحدث، وأحياناً مدى الحياة.

رغم التعذيب الذي تعرض له إلا أنه كان يتمتع بصحة جيدة ولا يعاني إلا من بعض الآلام على مستوى المثانة ولكن ما فتئت تحسنت حالته بفضل المتابعة الطبية.

بالنسبة لحياته العائلية، تم التوصل من خلال المقابلة أن المناخ الأسري يتميز بشكل عام بالاستقرار والترابط بين أفراد الأسرة؛ إذ وصفت العلاقات الأسرية بالجيدة وكذا العلاقة

الزوجية؛ حيث صرح أنه يقدر زوجته الثانية ويكن لها كل الاحترام لمساندتها له ومساعدته في تجاوز حالة العزلة التي عاشها بعد وفاة زوجته الأولى و تحفيزه على استشارة الطبيب للتقليل من الأعراض التي يعاني منها حيث صرح " لو لم تقف إلى جانبي وساعدتي لا ادري ما كان حدث لي". كما صرح أن علاقاتها مع أولاده تتميز بالتفاهم و المودة و الاحترام و تساندهم بكل طاقاتها ليكونوا سعداء و ناجحين في حياتهم الشخصية و المهنية، الأمر الذي يجعله يشعر بارتياح أكثر في حياته الأسرية. و بالرغم ما مر به في فترة الاستعمار في مرحلة عمرية حرجة و كذا فقدانه لوالده، فهو يرى أن ما عاشه لا يقارن بما تعرض له أشخاص آخرون من تعذيب، فرغم صعوبة الأحداث الضاغطة المعاشة، إلا أن معتقداته الدينية كانت من بين عوامل الحماية التي ساهمت في التخفيف من معاناته و بناء مشاريع حياتية سواء له أو لأسرته.

4. الخاتمة

رغم مرور عشرات السنين عن الحادث الصدمي الذي تعرض له المبحوث إلا أنه لم يتمكن من استرجاع توازنه النفسي والتخلص من جملة الأعراض النفسية الصدمية التي تندرج ضمن اللائحة العيادية للتناذر النفسي الصدمي المتمثلة في الشعور بالاكئاب، الرغبة في العزلة، ونوبات البكاء، تجنب لكل ما يتعلق بالتعذيب، من أفلام، أماكن و حتى المناسبات الوطنية ولا يحب الحديث بتاتا عن التعذيب.

الاستشارة الفيزيولوجية عند التفكير أو الحديث عن التعذيب أو مشاهدة أي شيء يذكره بالتعذيب والتي تظهر على شكل تعرق شديد، اختناق، سرعة خفقان القلب والإحساس بالدوار والرغبة في الهروب و كذا الكوابيس المزعجة التي تتضمن مختلف صور التعذيب.

يمكن الاستنتاج كذلك أنه كانت هناك عوامل ساعدت الحالة على التعامل مع الآثار المترتبة عن التعذيب مما جعله يتميز بمرونة نفسية نسبيا كالدعم الاجتماعي و بالخصوص العائلي، إلا أن بوجود عامل خطر المتمثل في عدم الاعتراف كونه إحدى ضحايا التعذيب لم يساعد على تجاوز الأحداث الصادمة. و بناء على ما سبق، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- تكوين فرقة بحث من مختلف جامعات الوطن لدراسة الآثار النفسية بعيدة المدى لدى ضحايا التعذيب الذين لا يزالون على قيد الحياة و باستطاعتهم التجاوب لتوفير سبل الرفاهية النفسية لشيخوخة ناجحة.

- تكثيف الدراسات حول كيفية انتقال صدمة التعذيب عبر الأجيال.

- القيام بدراسات للتعرف على تأثير المعاناة النفسية للضحايا على التوظيف العائلي و المشكلات المترتبة عنها.

- القيام بدراسات نفسية للتعرف المشكلات النفسية و العقلية لدى أبناء ضحايا التعذيب.

5. قائمة المراجع:

- الجيلالي، شقرون. (2012). السجون والتعذيب ولاية سيدي بلعباس :سجن بلدية بوشبكة (بوخنفيس) أنموذجا. الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية. المجلد 03، العدد 01 (عدد خاص). 185-190
- برشان، محمد. (2012). أساليب التعذيب بالمركز العسكري "دريزة" بمنطقة عين الصفراء '1958-1962. الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية. عدد خاص. 69-88.
- بعلوج، سليم. (2021) التعذيب في فلسفة الاستعمار الفرنسي بالجزائر 1954-1962- المبدأ والممارسة- مجلة الدراسات التاريخية العسكرية. المجلد 03 / العدد 03 خاص. ص 172-185.
- بلال، ريم وسوالمية، نورية. (2012). رؤية نفسية للتعذيب الفرنسي في الجزائر. الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية. عدد خاص. ص 89-112.
- بهتان، عبد القادر. (2017). ميكانيزمات التعذيب النفسية الاستعمارية. قراءة في تصورات فانون. مجلة أبحاث نفسية وتربوية. العدد 10. 177-198.
- بوالديار، حسني. (2017). التعذيب كظاهرة استعمارية. مجلة الحقوق و العلوم السياسية. العدد 8 ج 2. 805-827.
- جلامة، عبد الوحيد. (2017). الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962. مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية. المجلد 03، العدد 01. 313-344.
- زعطوط، رمضان. (2016). سيكولوجية التعذيب خلال الثورة الجزائرية. المجلة العربية للعلوم النفسية نفسانيات. المجلد 11. العدد 50-51. ص 1-10.

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocZaatoutPsyTorture.pdf>

- شادر، نوال. (2013). الصدمة النفسية وطبيعة السير النفسي عند الجزائريين الذين تعرضوا للتعذيب إبان حرب التحرير 1954-1962 – دراسة عيادية لعشر حالات- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الصدمي. قسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر2.
- شافو، رضوان. (2015). شهادات حية لمظاهر وأساليب التعذيب بمنطقة ورقلة خلال الثورة التحريرية. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية. المجلد 01، العدد 03. 11- 18.
- شوقي، سمير. (2019). التعذيب كأسلوب ممنهج أثناء الاحتلال الفرنسي. حوليات الجزائر 1، العدد 33، الجزء الثاني. 362- 378.
- عنان سرور(ب.ت). تأثير التعذيب على الصحة النفسية الأسرى الفلسطينيين المحررين.المركز الفلسطيني للإرشاد-https://www.pcc-jer.org/sites/default/files/articles_files/dcb21d0948322dbbaf11ffd03beefb4c.pdf
- غربي، الغالي. (2008). التعذيب خلال الثورة التحريرية. دراسة في الممارسات والمؤسسات. مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية. المجلد 1، العدد 1. 203- 233.
- غربي، أسامة. (2019). التعذيب بين الممارسة الفرنسية في الجزائر وحظر القانون الدولي. مجلة العلوم القانونية والسياسية. المجلد 10، العدد 02. 36 – 59.
- فكاير، عبد القادر. (2018). الجزائريون في السجون و المعتقلات و المحتشدات و مراكز التعذيب أثناء الثورة التحريرية. مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية. مجلد 9، عدد 1. 415- 438.
- قاصري، محمد السعيد. (2017). مدرسة "جان دارك" Jeanne d'Arc " بسكيكدة و فنون التعذيب الاستعماري في الجزائر (1958-1962). مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية. المجلد 11، العدد 02. 209- 232.
- كركب، عبد الحق. (2015). الإجرام الفرنسي ضد الإنسانية خلال ثورة التحرير في منطقة سيدي بلعباس مركز التعذيب ببوشبكة_بوخنفيس " _نموذجا. " المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية. المجلد 7، العدد 1. 113- 120.
- مطهري، فطيمة. (2018). سياسة إقامة المحتشدات و مراكز التعذيب في منطقة الرمثي ما بين (1955-1962). المجلة التاريخية الجزائرية. المجلد 02، العدد 02. 243- 260.

- مقنوني، شعيب و حمرة حسني. (2017). التعذيب في مذكرات وشهادات الجلادين الفرنسيين بول أوسايس أنموذجا. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية. المجلد 5، العدد 1. 193-208.
- Abbaci, M. (2015). «Larbatache», le sergent chef Morvaion: la torture et la mort. 'OUSSOUR Al Jadida – N°16-17. 21-42.
- Amnesty International: Torture. <https://www.amnesty.org/en/what-we-do/torture/> (2022). Accessed 11 /02/ 2022.
- Hamid A, Patel N, Williams, ACdC (2019). Psychological, social, and welfare interventions fortorture survivors: A systematic review and meta-analysisof randomised controlled trials. PLoS Med16(9): e1002919. <https://doi.org/10.1371/journal.pmed.1002919>
- International Rehabilitation Council for Torture Victims (IRCT), (2007). L'évaluation psychologique des allégations de torture. Guide pratique du Protocole d'Istanbul – à l'intention des psychologues Protocole d'Istanbul : Manuel pour enquêter efficacement sur la torture et autres peines ou traitements cruels, inhumains ou dégradants. https://irct.org/assets/uploads/pdf_20161120165601.pdf
- Kira, I A, Ashby, J S, Odenat, L & Lewandowsky, L. (2013). The Mental Health Effects of Torture Trauma and Its Severity: A Replication and Extension. *Psychology*. Vol.4, No.5, 472-482. <http://dx.doi.org/10.4236/psych.2013.45067>
- Nilsson, H, Gustavsson, C, Gottvall, M & Saboonchi, F. (2021). Physical activity, post-traumatic stress disorder, and exposure to torture among asylum seekers in Sweden: a cross-sectional study. BMC Psychiatry, 21:452 <https://doi.org/10.1186/s12888-021-03461-2>
- Roncevic-Grzeta, I, Franciskovtc, T, Moro, L & Kastelan, A. (2001). Depression and Torture. *Military Medicine*, Vol 166, N° 6. 530- 533.

قراءة للثورة التحريرية من المنظور النفسي الاجتماعي -هوارى بومدين نموذجاً-

Read the editorial revolution from a psychosocial perspective

Houari Boumedien Model

كريمة بحرة

جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر (الجزائر)، karima.bahra@univ-mascara.dz

1. مقدمة:

من المؤكد أن تاريخ البشرية حافل بالشخصيات القيادية، التي استطاع أصحابها أن يصبغوا بطابعهم تاريخ شعوبهم، فكانوا بمثابة شواهد حية، أنارت الطريق أمام من جاؤوا بعدهم. ويظهر القادة عادة وقت الأزمات والكوارث والصراعات الحضارية، التي يمر بها المجتمع، وقد كان ذلك في المجتمع الجزائري أثناء تعرضه للغزو الفرنسي عام 1830 اذ ظهر قادة حملوا لواء المقاومة ومعهم الشعب، وفي الثورة الجزائرية، برز من خضم الاحداث ومن وسط الشعب، قادة مخلصين، وسنتعرض في هذه الورقة إلى واحد منهم وهو هوارى بومدين. (مطمر, ب س).

2. هوارى بومدين مولده ونشأته:

محمد ابراهيم بخروبة، نبع من أعماق الريف الجزائري، حيث كان فيه ميلاده ونشأته الاجتماعية، وكذا ما صادفه من تحديات في شبابه (مطمر, بس) ولكن نادرون هم الذين يعرفون تفاصيل عن الحياة الشخصية لهوارى بومدين بقي اسمه الحقيقي وتاريخ ميلاده مجهولين لمدة طويلة، فعموما يستند الى تاريخين للميلاد 1925 و1932 ويعد " قي بارجس الوحيد الذي ذهب إلى ذكر اليوم والشهر: 23 اوت 1932 مع الاشارة إلى ان التاريخ الاخير 1932 هو الذي تقره المصالح الرسمية. (مصالي, ب س, ص 17). فهو ابن فلاح بسيط من عائلة كبيرة العدد ومتواضعة الحال، الأب يدعى الحاج ابراهيم بخروبة وأم بربرية من منطقة القبائل تدعى تونس بوهزيلة وهو شقيق لسبعة اخوة (ثلاث ذكور- أربع بنات) وله أربعة أعمام (الطيب- علي- صالح- عمر). اسمه الحقيقي كما ذكرنا في البداية محمد بخروبة (العمامرة, 1997, ص 15).

ولد في 23 اوت 1932 في دوار بني عدي (العرعة) مقابل جبل دباغ، بلدية مجاز عمار على

بعد 15 كلم غرب مدينة قالمة وسجّل في سجلات الميلاد ببلدية عين حساينية (كلوزال سابقا). (ويكيبيديا , الموسوعة الحرة).

أما هواري بومدين فهو اسمه المستعار انتحله صاحبه لاختفاء اسمه الحقيقي عندما انفصل عن الحياة المدنية المألوفة وانضم إلى الثورة، فكانت مسألة استعارة الاسماء أمرا شائعا وضروريا لدى المقاومين الثوار، فكان اسم هواري بومدين مأخوذا من والين متصوفيين سيدي بومدين وسيدي هواري وهما قطبان من أقطاب الصوفية في الغرب الجزائري (بوصفصاف، 2008، ص 15).

3. مساره وتكوينه :

في صغره كان والده يحبه كثيرا ورغم ظروفه المادية الصعبة قرّر إكمال تعليمه ولهذا دخل (المدرسة القرآنية) في القرية التي ولد فيها، وكان عمره آنذاك 4 سنوات، وعندما بلغ سن السادسة دخل مدرسة ألباير سنة 1938 في مدينة قالمة وتحمل المدرسة اليوم اسم مدرسة محمد عبده، وكان والده يقيم في بني عديّ ولهذا أوكّل أمره إلى عائلة بني إسماعيل وذلك مقابل الفحم أو القمح أو الحطب وهي الأشياء التي كان يحتاجها سكان المدن في ذلك الوقت. وبعد سنتين قضاهما في دار ابن إسماعيل أوكله والده من جديد لعائلة بامسعود بدار سعيد بن خلوف في حي مقادور والذي كان حياً للهود في ذلك الوقت (شارع ديابي حاليا). وبعد ثماني سنوات من الدراسة بقالمة عاد إلى قريته في بني عدي، وطيلة هذه السنوات كان بومدين مشغول البال شارد الفكر لا يفعل ما يفعله الأطفال. لقد كان بومدين يدرس في المدرسة الفرنسية وفي نفس الوقت يلزم الكتاب من طلوع الفجر إلى الساعة السابعة والنصف صباحا، ثم يذهب في الساعة الثامنة إلى المدرسة الفرنسية إلى غاية الساعة الرابعة وبعدها يتوجّه إلى الكتاب مجدداً.

كان مسجلا في المدرسة الفرنسية تحت رقم 434 بالحرف اللاتيني بوكروبة محمد ومن المعلمين الفرنسيين الذين قاموا بتدريسه في القسم التحضيري الثاني، التي تعرف بالأقسام الأهلية السيد Segala ثم السيد Leroy ثم الآنسة Jaillot التي كثيرا ما كانت تقرأ عليهم ما جاء من أخبار الحرب مع الحلفاء. (بن عبد الرحمن، 2015، ص 7).

في نفس الوقت لازم الكتاب. ختم القرآن الكريم وأصبح يدرّس أبناء قريته القرآن الكريم واللغة العربية. وتوجه إلى المدرسة الكتانية في مدينة قسنطينة معقل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري ورفض خدمة العلم الفرنسي حيث كانت السلطات الفرنسية تعتبر الجزائريين فرنسيين ولذلك كانت تفرض عليهم الالتحاق بالثكنات الفرنسية لدى بلوغهم السن الثامنة عشر، بعدها فرّ إلى تونس سنة 1949 والتحق في تلك الحقبة بجامع الزيتونة الذي كان يقصده العديد من الطلبة الجزائريين ، ومن تونس انتقل إلى القاهرة سنة 1950 حيث التحق بجامع الأزهر الشريف حيث درس وتفوق. (هوارى بومدين، 2015).

في القاهرة أقام الطالب محمد بوخروبة الذي سيعرف بقدوم الثورة بـ "هوارى بومدين" ثلاث سنين كاملة، بعدما هاجر إليها مع بعض رفاقه الطلبة الذين تعرّف عليهم في مدرسة الكتانية بقسنطينة بعدما باعوا متاعهم القليل، الرجوع إلى الجزائر بدا في تلك الأيام المصيرية حلما خياليا لرفاقه القاطنين في أروقة الجامع الأزهر بعد ظهور محمد نجيب ورفاقه فجأة على المسرح السياسي المصري على إثر السقوط المدوي للملك فاروق.

الطالب هوارى بومدين كان في المقابل يعلم أنه عائد بعد شهور أو سنتين على الأكثر، لن يبقى بين جدران جامع الأزهر، ولن يبعثر حياته في هذه الزاوية من الأرض، الحياة هناك في الجزائر تنتظر رجوعه كي يقبض عليها!..... أثناء وجوده في القاهرة التي وصلها في شتاء 52 من القرن الماضي دون وثائق ولاجواز سفر، مرّ هوارى بومدين على محطات كثيرة وخطيرة أهمها أنه استطاع التسجيل في جامعة الأزهر الشريف، في الفترة ذاتها تابع دراسته في الثانوية الخديوية بقلب القاهرة، كان عليه أن يضحي بالدراسة في الأزهر من أجل دخول الكلية، ولكن لكي تبقى المنحة المتواضعة جدا التي استفاد منها من الأزهر سارية، كان يقدم للمشرف على المنادة في جامعة الأزهر مبلغ 50 قرشا حتى لا يسجل غيابه عن الدروس، لكن هذه الدراسة ما لبثت أن انقطعت عقب التقائه في العام الموالي بشخصية مبتسمة وبشوشة وغير ملتزمة كثيراً بالبروتوكولات. (اخبار الوطن، 2020)

وبعد اندلاع الثورة جاءت الفرصة من جديد للطفل الطموح المشبع بالأفكار التحريرية والوطنية للعودة إلى الوطن فاتصل بأحمد بن بله الذي كان يشغل مسؤولا على مكتب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الذي تحول إلى جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة وطلب منه الالتحاق بالثورة ولم يتردد بن بله في الموافقة على طلبه والتحق بإحدى المدارس الحربية بالقاهرة لتلقي التدريبات العسكرية الضرورية لمدة قصيرة..

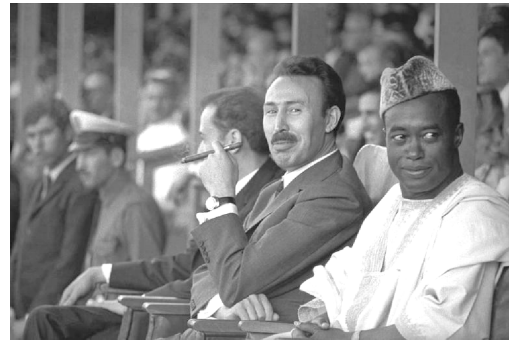
الطفل الصغير هواري بومدين لم يكن طفلاً عادياً فلقد اتقد ذهنه واستوعب فكره الظروف التي عانى منها الشعب الجزائري ابان الحقبة الاستعمارية كما أنه كان يفكر دائماً مشغول البال، محاولاً إيجاد حل لآخوته ابناء شعبه وانقاذهم من هذا المستعمر الغاشم الذي سلب هويتهم وأملهم، وأحسن مثال على ذلك هو مشاركته في مظاهرات 08 ماي 1945، لا سيما وأن قائمة كانت إحدى أهم نقاط تلك المظاهرات، وأهلها كانوا من أكبر ضحايا أحداث هذا التاريخ، بل أكثر من ذلك نجد أن الطفل بوخروبة محمد يصاب بجروح في كتفه اليسرى أثناء تلك المظاهرات، ما جعله يعيش قهر الاحتلال وممارساته القمعية وهو طفل صغير.(مسرحي،2018).

4. شخصية هواري بومدين:

"الموسطاش" هواري بومدين الراحل الحي في ذاكرة الجزائريين رجل لا يكرره التاريخ: يلقبه الجزائريون بـ"الموسطاش" أو "صاحب الشوارب" بالعربية"، والشوارب لها دلالات عميقة في الموروث الشعبي الجزائري عن الرجولة والشهامة والأصالة. واطلق عليه أيضاً اسم "الزعيم"، أو "الرئيس الذي لم يتكرر"، بالإضافة إلى ألقاب أخرى، من بينها "أسد الجزائر"، "رئيس مكة الشوار"، "الزعيم"، "سيد الرجال"، "أبو الفقراء والمساكين" وغيرها من الألقاب. عاشت البلاد فترة حكمه "عصرها الذهبي دبلوماسياً واقتصادياً" في عهده، تغير كل شيء في الجزائر، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودبلوماسياً، انتقلت معه الجزائر من دولة حديثة الاستقلال تصارع من أجل البقاء إلى دولة فاعلة إقليمياً ودولياً.

الصورة رقم (1): صورة للرئيس الراحل هواري

بومدين في احد المحافل الدولية شخصيته سحرت وألهمت الجزائريين بكاريزما ثورية وسياسية وقومية صارمة ولا مكان معها لخيانة الوطن أو للفساد، استبقت أفعاله أقواله التي



ظلت خالدة، بعد أن كان أول رئيس جزائري يرسخ مبدأ أن "الدولة لا تزول بزوال الرجال". وفي 2010، كشفت وثيقة مسربة حقيقة المثل الذي قاله بومدين عاماً قبل رحيله "عاش ما كسب مات ما خلا" (لم يكسب المال والجاه في حياته ولم يترك شيئاً بعد مماته)

الوثيقة وضحت قيمة المدخرات المالية التي تركها هواري بومدين بعد رحيله، وبلغت قيمتها 690 دينارا جزائرياً أي ما يعادل 5.22 دولار أمريكي، ويعتبر أول رئيس فقير. (بورنان، 2020).

الجالس معه يحس بالراحة لبساطته سماحته وطيبته رغم حزمه وقوته الظاهران للعيان يحس بالآخر وكأنه في مكانه، هذا الشخص سيصبح بعد الاستقلال رئيساً للجزائر.

كان أول زعيم عربي وإسلامي يفتتح خطابه في الأمم المتحدة بـ"البسملة"، وأعطى اللغة العربية مكانتها الحقيقية في بلاده، وحققت الجزائر في عهده نجاحات دبلوماسية بقيت راسخة، ودفع بالجيش الجزائري للمشاركة بقوة في الحربين العربية الإسرائيلية، وكان من أشد المدافعين عن القضية الفلسطينية.

الصورة رقم (2): صورة للرئيس الراحل هواري بومدين رفقة الرئيس الفلسطيني لقد لخص أحد المفكرين المعاصرين هذه الشخصية بقوله "يعتبر الرئيس الراحل هواري بومدين، إحدى الشخصيات المهمة في تاريخ الجزائر، فهو مثل القائد ماسينيا والامير عبد القادر، شخصية مؤسسة ورمزية".



ومن كلمات الرئيس الراحل هواري بومدين المفضلة حين يصدر قراراً لفظ: "لا رجعة فيه" استدعاه التاريخ لوضع أسس دولة جديدة، فأظهر الفاعلية والقدرة على تنفيذ استراتيجية شاملة لتنمية البلاد تمثلت في: الثورة الزراعية، الثقافية، الصناعية. وفي عهده استكملت الدولة الجزائرية استقلالها وتحررت، وبدأت تتصرف في مقدراتها وخياراتها وتمكنت بفضل سياسته الحكيمة من تحقيق التنمية الشاملة في جميع الميادين. (مطمر، ب س)

4. خاتمة:

الراحل هواري بومدين نموذج لا يتكرر في الدراسات النفسية والاجتماعية لابطال الثورة التحريرية، شخصية تستحق الدراسة في جميع جوانبها القيادية والتسييرية، تمتع بخصائص نفسية واجتماعية متفردة: كالصبر والمثابرة والاصرار والحزم، واستطاع ان يخرج من ذلك الطفل البسيط من مدينة قالمه رجالا لا يكرره التاريخ، احترمه العالم واحبه الجزائريون حتى يومنا هذا من عايشه ومن لم يعايشه.

5. المراجع:

العمامرة، سعد بن البشير(1997)، هواري بومدين الرئيس القائد 1932-1978، ط1 الجزائر، قصر الكتاب.

بوصفصاف، عبد الكريم وآخرون، (2008)، القيم الفكرية والانسانية في الثورة التحريرية الجزائرية(1954-1978)، مشروع المجتمع في تصورات النخبة السياسية الجزائرية المعاصرة، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة قسنطينة.

بن عبد الرحمن، فاطمة الزهراء (2015)، هواري بومدين ودوره السياسي والعسكري في الثورة الجزائرية، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.

مطمر العيد، محمد(ب س).الرئيس هواري بومدين، رجل القيادة الجماعية -1932-1978. مصالي، رشيد(ب س)، هواري بومدين الرجل اللغز، الجزائر، دار الهدى للطباعة النشر والتوزيع . ويكيبيديا الموسوعة الحرة،(2022) هواري بومدين تم استرجاعه بتاريخ 12 فيفري من الموقع: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86

هواري بومدين (3 يناير 2015)، تم استرجاعه بتاريخ فيفري 2022 من الموقع: [/https://www.facebook.com/1571615946408668/posts/15744781794557782022](https://www.facebook.com/1571615946408668/posts/15744781794557782022) "الموسطاش" هواري بومدين الراحل الحي في ذاكرة الجزائريين (2020-12-27)، تم استرجاعه في فيفري 2022: <https://al-ain.com/article/houari-boumediene-president-of-algeria-memory>

هواري بومدين من قسنطينة إلى القاهرة..... قراءة في مسارك قائد ثوري (28 ديسمبر 2020)، تم استرجاعه في مارس 2022 من الموقع:

<https://akhbarelwatane.net/%D9%87%D9%80%D9%80%D9%80%D9%88%D8%A2%D9%88%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86> سعودي , صالح (2018-12-15)، هكذا واجه بومدين الباءات الثلاث وعارض ايفيان , الباحث جمال مسرحي في حوار للشروق تم استرجاعه بتاريخ مارس 2022 من الموقع: <https://www.echoroukonline.com/%D9%87%D9%83%D8%B0%D8%A7-%6>

دراسة مقارنة بين أساليب الحرب النفسية لدى المستعمر الفرنسي والمقاومة الجزائرية
إبان الحرب التحريرية (1954-1962)

A comparative study between the psychological warfare methods of the French
colonizer and the resistance of Algeria during the liberation war (1954-1962)

رومان خيرة دليلة¹، لبيد مختارية²

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)

¹ roumane.khairadalila@univmascara.dz

² lebid.mokhtaria@univ-mascara.dz

1. مقدمة:

قديمة هي قدم البشرية، الحرب النفسية كانت ولا تزال الأقوى فتكا والأكثر ضررا بالشعوب المستضعفة، فقد أدرك قواد المعارك ومنذ أقدم العصور، أهمية نشر الشائعات لإضعاف الروح المعنوية للخصم، وخلق الارتباك. كما استعملوا كافة الأساليب لإثارة الفتن وتفريق المجتمعات، وحرسوا على الظهور بمظهر القوة لإرهاب الآخرين وزرع الخوف في نفوسهم.

فرنسا هي الأخرى أدركت أنّ الحرب النفسية تختلف كل الاختلاف عن الحرب التقليدية، خاصة بعد تجربتها في حربها في الهند الصينية، فالحسائر التي تكبدتها أعطتها درساً مهماً في هذا المجال. وقد أكدت النتائج التي توصلت إليها التحليلات العسكرية، أنّ نجاح الحرب الثورية يعتمد في أساسه على التلاحم مع القاعدة الشعبية، وعليه، إذا أرادت فرنسا الاحتفاظ بالجزائر والقضاء على الثورة يجب عليها السيطرة الكاملة على الشعب الجزائري بمختلف صفاته وفصله عن الثورة، حتى تصل في الأخير إلى القضاء عليها بسهولة. (سهام، 2017، صفحة 94)

معنويات نفسية عالية وإيمان قويّ بعقيدة التحرير، ثبات، صبر، وقوة بأس، ذلك ما مكّن الجزائريين من الصمود في وجه العدو. كيف لا؟ والمناضلون يعلمون يقينا أنّهم يدافعون عن أرض الوطن، إمّا الاستقلال بشرف أو الاستشهاد وجنات الخلد المستقر.

2. مفهوم الحرب النفسية:

"تنضوي الحرب النفسية ضمن تخصص علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العسكري، على حد سواء، وهي تعني استخدام الدعاية والشائعة والأساليب السيكلوجية الأخرى بغرض التأثير على نفسية ومعنويات العدو وأحداث مشاعر معينة بين الجماهير بغرض زعزعة ثقتها بنفسها وبقاداتها ومعتقداتها، وحتى بتاريخها وهويتها وكذا تفتيت عزيمتها وإضعاف إرادتها وإيجاد انشقاقات بينها مما يشغلها عن قضيتها الأساسية ويسهل بالتالي الانقضاض عليها وإخضاعها لإرادته دون مقاومة" (قندل، 2018، صفحة 225)

هي "نوع من القتال النفسي، لا يتجه إلا للعدو، ولا يسعى إلا لتحطيم النواحي المعنوية له بجميع الوسائل، للقضاء على أي صورة من صور الثقة بالنفس، التي قد تولد فيه المقاومة، أو عدم الإذعان والاستسلام" (سمسيم، 2004، صفحة 10)

هي: "أخطر أنواع الحروب، فهي حرب تغيير السلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، ولهذا فإن هذه الحرب تستخدم علم النفس بصفة عامة، وعلم النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر. وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة، لأنها تقوم بالدور الفاعل في قتل إرادة الخصم وتحطيم معنوياته، والحصول على استسلامه" (حمدي، 2005، صفحة 67)

من خلال التعاريف السابقة يمكن القول أن الحرب النفسية أخطر بكثير من الحرب العسكرية فهي تستهدف الهوية الجماعية وتسعى إلى تجريد الخصم من أفكاره ومعتقداته وزعزعة الثقة بالنفس، إضافة إلى الشعور بالنقص ومن ثم عدم القدرة على المقاومة والاستسلام والانقياد. ويمكن أن تمتد انعكاسات الحرب النفسية إلى الأمد البعيد.

3. مفهوم الصلابة النفسية:

يعرفها عماد مخيمر بأنها نمط من التعاقد النفسي يلتزم به الفرد تجاه نفسه وأهدافه وقيمه والآخرين من حوله، واعتقاد الفرد بأنه بإمكانه أن يكون له تحكم فيما يلقاه من أحداث ويتحمل مسؤولية ما يتعرض له من أحداث، وأن ما يطرأ على جوانب حياته من تغيير هو أمر مثير وضروري للنمو أكثر من كونه تهديدا وإعاقة له. (قويدري، عاجب، 2021: 819)

تعد الصلابة النفسية مصدرا من مصادر الشخصية الذاتية لمقاومة الآثار السلبية لضغوط الحياة والتخفيف من آثارها على الصحة النفسية والجسمية، حيث ينظر الفرد للتغيرات والضغوط التي يتعرض لها على أنها نوع من التحدي وليس تهديدات. (الرئيسي، دس: دص)

4. خصائص ذوي الصلابة النفسية:

إن الصلابة النفسية من مركبات الشخصية التي تحمي الإنسان من آثار الضغوط الحياتية وتجعل الفرد أكثر مرونة وتفاؤلاً وقابل للتغلب على مشاكله، وتعتبر عامل للوقاية من الأمراض الجسدية والاضطرابات النفسية. (بن العربي، عمومن، 2021: 317)

ويتمتع الأشخاص ذوي الصلابة النفسية المرتفعة بمجموعة من الخصائص نلخصها فيما يلي:

- وجود نظام قيمي ديني لديهم يقيهم من الوقوع في الانحراف أو الأمراض أو الإدمان
- وجود أهداف في حياتهم ومعاني يتمسكون ويرتبطون بها
- الالتزام والمساندة للآخرين عند الحاجة
- المثابرة وبذل الجهد على التحمل والعمل تحت الضغط
- الميل للقيادة
- القدرة على الانجاز والإبداع
- القدرة على الصمود والمقاومة
- الهدوء والقدرة على التنظيم الانفعالي والتحكم في الانفعالات
- التفاؤل والتوجه الايجابي نحو الحياة
- القدرة على تحقيق الذات
- الواقعية والموضوعية في تقييم الذات والأحداث ووضع الأهداف المستقبلية
- الاستفادة من خبرات الفشل في تطوير الذات
- الاهتمام بالبيئة، والمشاركة الفعالة في الحفاظ عليها
- توقع المشكلات والاستعداد لها
- القدرة على التجديد والارتقاء
- الشعور بالرضا عن الذات
- اعتبار أن الحياة الضاغطة أمر طبيعي وليس تهديدا لهم
- تزداد الصلابة النفسية مع التقدم في العمر في حالة نمو مستمر. (حراث، جخراب،

(2018 : 217)

5. أبعاد الصلابة النفسية:

1.5 الالتزام: " هو من مكونات الصلابة النفسية ويرتبط ارتباطا وثيقا بالدور الوقائي لمقاومة المشقة، حيث يعرف على أنه اعتقاد الفرد بقيمة ذاته وتكمن هذه القيمة في الولاء للمبادئ والقيم وفي اعتقاده ان لحياته هدف يعيش من أجله".

" كما أن هذا الالتزام هو نشاط عقلي معقد يتضمن النشاط العقلي والحركي والانفعالي والاجتماعي الذي يقوم به الشخص، من اجل التكيف النفسي مع البيئة وإيجاد الحلول لمشكلاته، حيث أن الشخص الملتزم يتميز بالثقة في النفس، الاندفاعية نحو تحقيق الهدف في الحياة، العلاقة التفاعلية مع البيئة، عدم الإحساس بالاغتراب، الايجابية والابتعاد عن العزلة، وضع الأهداف الصحيحة، والقدرة على مواجهة التحديات". (اياد ابو بكر، دس: 99)

أشكال الالتزامات:

الالتزام نحو الذات: وهو اتجاه الفرد نحو تقييم ذاته وتحديد أهدافه والاستجابة لها في المواقف الداخلية والخارجية. (اياد ابو بكر، دس: 99)

الالتزام الديني: وهو عبارة عن مجموعة من المبادئ والقيم والمعتقدات التي تؤمن بها امة من الأمم ولها تأثير مباشر على جوانب حياته التربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. (اياد ابو بكر، دس: 100)

الالتزام الأخلاقي: وهو التزام الفرد بمواجهة المواقف الضاغطة مع الحفاظ على علاقة ثابتة مع المجتمع

الالتزام تجاه العمل: وهو مدى إيمان الفرد بقيمة العمل الذي يقوم به، ومدى قدرته على بذل أقصى طاقاته لتحقيق أهداف ومهام العمل ومدى استعدادة للتضحية والتفاني فيه بصدق وإخلاص. (اياد ابو بكر، دس: 100)

2.5 التحدي: " وهو أحد أسس الصلابة النفسية وهو ميل الفرد للاعتقاد أن التغيير أمر طبيعي وانه أفضل من الاستقرار والثبات، حيث أن التغيير يمثل حافز لاكتشاف البيئة ومعرفة المصادر النفسية والاجتماعية التي تساعد على مواجهة الضغوط"

" و التحدي هو القدرة على مواجهة الضغوط بالتغيير في إدراكه لهذه الأحداث وعدم الشعور بالتهديد والخوف، وقدرة الشخص على التكيف ومواجهة الضغوط بطريقة ايجابية". (اياد ابو بكر، دس: 100.101)

3.5 التحكم: "وهي قدرة الفرد في التحكم فيما يتلقاه وتحمل المسؤولية والقدرة على اتخاذ القرارات والقدرة على تطوير الخيارات الملائمة لمواجهة الأحداث الضاغطة والقدرة على توقع المواقف الصعبة بناء على استقرائه ووضع الخطط المناسبة لمواجهتها". (أياد أبوبكر، دس: 100.101)

أشكال التحكم

- القدرة على اتخاذ القرارات والاختيار بين البدائل المتعددة: "وهي طريقة التعامل مع المواقف سواء بانتهائها أو تجنبها أو التعايش معها"
- التحكم المعرفي المعلوماتي: "وذلك باستخدام العمليات الفكرية بكفاءة، كالتفكير في الحدث الضاغط وإدراكه والتعامل معه بمنطقية وإيجابية"
- التحكم السلوكي: "وهي القدرة على التعامل مع المشكلة ببعض السلوكيات المخطط لها بطريقة فعالة"
- التحكم الاسترجاعي: "وهي قدرة الفرد على توقع حدوث المواقف الصعبة وهي مرتبطة بالخلفية ومعتقدات الفرد السابقة عن طبيعة الموقف واعتباره قابل للسيطرة". (أياد أبو بكر، دس: 102)

6. عقيدة المستعمر الفرنسي: ومن أهم الأفكار التي آمنت بها فرنسا وسعت إلى

تجسيدها مايلي:

- فرنسا هي التي جلبت الحضارة إلى الجزائر
- التحقير والتقليل من شأن الجزائريين
- الجزائر فرنسية، وستكون دائما فرنسية
- سكان الجزائر الأصليين هم مسلمون جزائريون فرنسيون
- اعتبار الثوار إرهابيين مما يستدعي الحرب حتى القضاء التام عليهم
- العمل على اصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين الفرنسيين، بهدف عزل الإرهاب عنهم

- الجيش الفرنسي قادر على القضاء على الفلاحة واسترجاع الأمن والاستقرار
- محاولة تهدئة الأوضاع في بداية الثورة، لاسترجاع الأمن والاستقرار
- نداء دوغول 1960 والمسعى بسلام الشجعان الذي وجه لأفراد جيش التحرير

- محاولة تسويق صورة للمساواة بين الفرنسيين والجزائريين في الحقوق والواجبات
- الجزائر الجزائرية في إطار مشروع تقرير المصير سنة 1961
- حق تقرير المصير حسب مشروع دوغول 1961 والذي باء بالفشل
(بوسنة، 2015، 338)

لقد حافظ الشعب الجزائري على ثبات أفكاره ومعتقداته خلال الثورة، على الرغم من الخسائر الجسيمة، فيما حاول المستعمر الفرنسي التكيف مع التغيرات الداخلية والخارجية التي رافقت مرحلة الثورة التحريرية، وهذا ما دفعه الى تغيير توجهاته، بغية تبرير سياسته الاستعمارية والاحتفاظ بالجزائر.

7. أساليب الحرب النفسية:

وقد سعى المستعمر الفرنسي إلى طمس الهوية الجزائرية من خلال مجموعة من الطرق والتي تمس الدين واللغة والمعتقدات ومن بينها:

- سياسة الفرنسة: " وتعني احلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الإسلامية وصبغ البلاد بصبغة فرنسية وبذلك تصبح أكثر انقياد وقابلة للاندماج واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية لا يجوز تعليمها". (لبيد، دس: 3، 4)
 - سياسة التنصير: " أدرك المستعمر أن الدين الإسلامي له تأثير كبير لذا اتجه إلى الإبادة الروحية، وعمل على تشجيع عمليات التبشير والتنصير والغزو الفكري والعقائدي وقد قام المستعمر ببناء المؤسسات المسيحية وهدم الزوايا والمساجد وإلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية، حيث سعى "لأفيجري" إلى تفكيك المجتمع الجزائري، بما انه يمس جوهر الفرد ويغير نمط اعتقاده وتفكيره وقناعاته وثوابته فيصبح بذلك المتنصر الجزائري أكثر دفاعا من المستوطن". (لبيد، دس: 5، 6)
 - التجهيل والمغايرة الثقافية: " عمل المستعمر الفرنسي على تكريس تجهيل الأهالي والتخلف بهدم المدارس، ونهب المكتبات الجزائرية ومحاربة اللغة العربية من خلال القضاء على المراكز الثقافية". (لبيد، دس: 8)
- استنادا إلى تصريح العقيد الحاج لخضر فإنّ العدوّ استعمل وسائل كثيرة للتأثير على الثورة، كالإغراءات المادية والتي تمثلت أساسا في:
- فتح المدارس بالقرى والأرياف

- تقديم الأدوات المدرسية والألبسة.
- تنظيم رحلات داخلية وخارجية.
- تنشيط الحركة الرياضية
- تكوين فرق موسيقية
- توزيع الأموال على الحركي (قندل، 2018، 228)

وسنحاول تبين أساليب الحرب النفسية الفرنسية من خلال مؤسستين هامتين تأسستا سنة 1956، وجمعتهما هدف موحّد، وهو مهمّة الحرب النفسية، واختلفتا في التسمية وبعض الوسائل. "المكتب الخامس" و"الفصائل الإدارية المتخصصة".

أولاً: المكتب الخامس:

تأسس المكتب الخامس بموجب القرار الوزاري المؤرخ في الفاتح مارس من سنة 1955، وعرف باسم المكتب الجهوي للعمل النفسي. حدث هذا بعد أربعة أشهر من اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر، وهو بحسب المؤرخين والمحلّين فاصل زمني قصير، وردّ فعل سريع، يعكس رغبة المستعمر وتمسكه بفكرة الاستمرار في الاحتلال والحفاظ على الجزائر الفرنسية.

وقد شرع في العمل في شهر جويلية 1955، وكانت لديه مهمة دقيقة للغاية، تمثلت في:

- التكوين والإعلام
- دعم وحدات الحفاظ على النظام العام
- العمل السيكولوجي لإنشاء شعب منحاز وموال لإدارة الاحتلال

ثانياً: الفصائل الإدارية المتخصصة (SAS – section administrative spécialisée)

الفصائل الإدارية هي "هياكل إدارية مدنية وعسكرية في آن واحد، يقوم على إدارتها ضابط يشرف مباشرة على التنظيم والتوجيه والمتابعة المستمرة، فضلاً على أنّ كلّ صاص –SAS- تضم حوالي ثلاثين حركياً يضطلعون بمهمة ضمان الأمن في حدود النطاق الإقليمي للفصائل الإدارية المتخصصة". (قندل، 2018، 227)

ارتبط التعداد المدني والعسكري للفصيلة بالامتداد الإقليمي الذي تغطيه، والذي كان يضم ما بين 2000 إلى 20.000 ساكن، يتوزعون على القرى والتجمعات السكانية التي وضع فيها المدنيون جبراً تحت الحراسة المشددة.

فبالإضافة إلى الضابط الذي يشرف على الصاص، يوجد صف ضابط لإعانتته في أداء مهامه، الى جانب ملحقين مدنيين في مختلف الاختصاصات: محاسب، ممرضة، مدرب رياضي، طبيب منتدب وغيرهم

وكان بعض رؤساء الفصائل يتكلمون اللغة العربية ومختلف اللهجات الجزائرية، فقد حرصوا على تعلمها للتقرب المباشر من الشعب، دونما حاجة الى مترجم أو وسيط. فالمهمة الملقاة على عاتقهم صعبة، إذ أنّهم يمثلون الإدارة المركزية، وتمثلت مهامهم في:

- التنسيق وتوجيه النشاطات الإدارية المختلفة (الزراعة والصحة)

- مدّ الجسور وشق وتعبيد الطرق

- الإشراف على البريد

- دعم وتقديم الاستشارة للقضاة المحليين

وتجدر الإشارة أنّ المهمة الأساسية لرئيس الصاص تمثلت في تعزيز المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على انجاز الأشغال ذات المنفعة العامة، فالشعب يمكنه أن يلاحظ ويعاين بنفسه نتائج أداء المشرفين على الفصائل. وبالتالي يمكن تغليب الرأي العام، واغواء الجزائريين بالإنجازات الفرنسية.

8. عقيدة الثورة التحريرية الجزائرية:

- أمن الثوار والمناضلون بالمضي نحو نهايتين لا محال، النصر أو الاستشهاد، وهذا الإيمان القوي والصلابة النفسية لم يكن وليد الصدفة، فبحكم أن الشعب الجزائري كان مسلما، فهو على يقين تام أنّ الجهاد هو أنبل ما في الوجود، والاستشهاد في سبيل الدفاع عن الوطن هو ضمان الفوز بالجنة.

- اقتنع قواد الثورة بأنّ المستعمر لن يترك أرض الوطن إلا إذا تكبد خسائر فادحة في الأرواح
- الثورة تغلغت في أوساط الشعب برمته، فالكبير والصغير كان يشعر بالمسؤولية والكل ساهم ولو بالقليل، حتى النسوة كان لهن دور كبير في ثورة الجزائر، إنّها ثورة شعب بأكمله.
- قامت الثورة على أسس سليمة، فهي لم تستهدف الشعب الفرنسي ولم يكن خصمها، بل كان هدفها المستعمر الفرنسي

- جبهة التحرير الوطني كانت الممثل الوحيد للشعب

- تمسك الثوار بالهوية الجزائرية المبنية على الإسلام والعروبة (بوسنة، 2015، 338)

9. خاتمة:

نستخلص مما سبق أن الشعب الجزائري إبان الثورة التحريرية كان يتمتع بخصائص صلابة نفسية مرتفعة، كالقدرة على مواجهة الأحداث الضاغطة وحل المشكلات والميل للقيادة والمثابرة، كذلك تميّز المناضلون الجزائريون بالقدرة على التحكم والالتزام، والتحدي لجميع المخططات الفرنسية التي حاولت قمع وإخماد الثورة التحريرية بكل الطرق والأساليب. منها العسكرية كالتعذيب وإقامة المحتشدات العسكرية، ومنها السيكلوجية، باستخدام الحرب النفسية من خلال سياسة الفرنسة وسياسة التنصير والتجهيل والمغايرة الثقافية وهذا من خلال مؤسستين هما المكتب الخامس والفصائل الإدارية المتخصصة. كما سعى المستعمر الفرنسي إلى نشر عقيدته لمحاولة طمس الهوية الجزائرية وإخماد المقاومة وذلك بمحاولة تسويق صورة المساواة بين الفرنسيين والجزائريين، غير أنّ الشعب الجزائري تمسك بعقيدته وحرته التي آمن بها وسعى قدما الى تحقيق النصر.

ويمكن تلخيص أهم التوصيات لهذه الدراسة التاريخية، والمرتبطة أساسا بهوية وعقيدة الشعب الجزائري فيما يلي:

- دراسة سمات الشخصية للقادة الثوار والتي ساهمت في تعزيز قوة الصلابة النفسيّة
- اتخاذ الشخصيات الثورية نموذجا قياديا خاصة فيما يتعلق بمستوى الصلابة النفسيّة
- غرس القيم الصحيحة في الأجيال القادمة
- الاهتمام باللغة العربية وبكل مكونات الهوية الجزائرية
- تصحيح المفاهيم لدى الأجيال القادمة فيما يتعلق بفرنسا وجرائمها في الجزائر
- التركيز على بناء الروح الوطنيّة لدى الأجيال القادمة

10. قائمة المصادر والمراجع:

أبوبكر، إ. (بدون سنة) تعزيز الصلابة النفسية من خلال نظرية الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لدى الزوجات الأسرى،، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية 89، .119.

الرئيسي، ن. (بدون سنة) الصلابة النفسية لدى عينة من الأخصائيين النفسيين في سلطنة عمان رسالة ماجستير. المنصورة، سلطنة عمان: جامعة المنصورة.

النّجار، ح. (2005). الحرب النفسية. (Vol. 1) الرياض، السعودية: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

بن العربي، ف. (2021). الصلابة النفسية لدى عينة من طالبات الجامعة دراسة ميدانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 2، المجلد. *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة*، 6(2)، 311-334.

بن غليمة، س. (2017). *الحرب النفسية في الثورة التحريرية الجزائرية ما بين 1954-1958 بين التخطيط الاستعماري الفرنسي وردود الفعل الجزائرية*. تلمسان، الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ.

براهيمي، ن. (2019). الحرب النفسية والقمع للقضاء على الثورة التحريرية بمنطقة تبسة 1954. 1958. *مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية* 95، 10(1)، 110.

سمسيم، ح. م. (2004). *الحرب النفسية*. بغداد، العراق: الدار الثقافية للنشر.

عرفات، ح. ع. (2018). الصلابة النفسية لدى طلبة البكالوريا دراسة ميدانية بولاية الأغواط، *مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية* 224-211، 34،

قندل، ج. (2018). جانفي 19. مقاربات الاحتلال الفرنسي في التعاطي مع الثورة الجزائرية الحرب النفسية نموذجا. (1954-1962) *الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية*، pp. 223-231.

قويدري، ب. (2021). الصلابة النفسية وعلاقتها بتوهم المرض لدى عينة من أساتذة التعليم الثانوي دراسة ميدانية بولاية الأغواط، *مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية* 833-812، 6(2)،

لبيد. ع (بدون سنة). *المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الجزائرية إبان الاحتلال 1830*. 1962، *جامعة الجزائر 3*

فاعلية الأساليب النفسية الوجدانية للمستعمر الفرنسي إبان الثورة التحريرية وأثرها على
الرأي العام الجزائري والفرنسي

The effectiveness of the psychological and emotional methods of the french
occupier during the editorial revolution and their impact on Algerian and
French public opinion

عمر اوي ليندة

جامعة لوني سي علي البليدة 2. (الجزائر). البريد الإلكتروني: lynariyadh1453@gmail.com

1. مقدمة:

تنوعت الممارسات الاستعمارية للإدارة الفرنسية التي اتبعتها عبر الأراضي الجزائرية،
فإلى جانب السياسة القمعية في المحتشدات والسجون والأساليب العسكرية في الأرياف
والمدن، تركزت اهتماماتها أيضا على محاولة ضرب أفراد الشعب الجزائري بعضه ببعض
وذلك بإتباع أسلوب التفرقة بينهم، وهذه السياسة ما فتئ الفرنسيون يركزون عليها منذ أن
وطأت أقدامهم أرض الجزائر، وبعد أن فشلت فرنسا في احتواء الثورة وضربها في العمق
وخنقها في المهد والقضاء على مناضلي جبهة وجيش التحرير الوطني بالرغم من استخدامهما
للقوة العسكرية الضخمة، لجأت إلى العمل على الجانب البسيكولوجي والدخول في حرب من
نوع جديد وهي الحرب النفسية التي تقوم على محاولة الوصول إلى كسب ثقة الشعب
الجزائري بالحكومة الفرنسية من جهة وإبعاده عن الثورة من جهة أخرى، وبعد دراسات خبراء
الحرب وضباط المخابرات الفرنسية في علم النفس لسلوك الجزائريين وخصوصية المجتمع
الجزائري أدركوا بأن الثورة تعيش وسط الشعب، وأن محاولات القضاء عليها لن تأتي بثمار
جيدة، مادام الثوار يعيشون وسط هذا الشعب ويؤودهم بكل حاجياتهم، وهذا ما جعل
السلطات الفرنسية تفكر من جديد في طرق أكثر فعالية لفصل المجاهدين عن المحيط
الشعبي بالتأثير النفسي على عقول الشعب ومحاولة استمالته بطريقة غير مباشرة، فكان
اهتداؤها إلى وسيلة الحرب النفسية.

تعتبر الحرب النفسية أسلوب من الأساليب القتالية التي اتبعتها الدول الاستعمارية في
حروبها ضد المستعمرات من عموم الدول المتخلفة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، وهي توازي
وتعادل الحرب العسكرية في شدتها وقوة تأثيرها، الشيء الذي كان عاملا لتوظيفها من لدن

الكثير من الدول الاستعمارية الأوروبية خلال النصف الثاني من القرن العشرين بهدف القضاء على المقاومات المحلية والحركات التحررية التي انتشرت في البلدان الضعيفة والمستعمرة وهو ما ينطبق مع حالة الاستعمار الفرنسي للجزائر (بوسنة، 2015: ص319)، وتُعد نوعا من القتال المُوجه ضد العدو وتُمارس بعدة وسائل وهي لا تهدف إلى إقناع الطرف الآخر بقضية ما بل تعمل على تحطيم إرادته الفردية (ربيع، 1974: ص 37)، من خلال تجريد العدو من إرادته القتالية وتشتيته بإرباكه والوصول إلى إحداث خلل في توازنه النفسي وزعزعة ثقته (نوفل، 1987: ص 199) كما تُعد الحرب النفسية بأساليبها المختلفة أداة من الأدوات الهامة في التأثير لأنها كثيرا ما تنجح في تحقيق أهدافها خاصة إذا تطرقت بنجاح للمداخل النفسية والعلمية الصحيحة، وللأساليب الفنية الملائمة لكل هدف كما تُعرف بأنها وسيلة من وسائل إقناع الخصم بالهزيمة. (حريزي، 2015: ص29).

لم تكن الحرب النفسية الممارسة من طرف فرنسا في الجزائر وليدة العدم بل جاءت إثر الدرس الذي أخذته فرنسا من انهزامها في الهند الصينية والتي كانت مفاجأة مباغتة لها إذ تراجعت مكائنها وهيبتها العالمية بعد هذه الهزيمة النكراء التي لحقت بشرف مؤسستها العسكرية في معركة ديان بيان فو، وهذه التجربة كان لها الأثر البالغ في صفوف القوات الفرنسية حيث أكسبتها خبرة مفيدة فقد سبقت الثورة الجزائرية بفترة زمنية بسيطة إذ امتدت الحرب في الهند الصينية من 1947 إلى 1954 (الأيوبي وآخرون، ص744)، لهذا كان بعض المحاربين القدماء في الهند الصينية متخوفون من مواجهة حرب في الجزائر تكون مماثلة للتي واجهوها في منطقة الشرق و من تجدد الأخطاء المرتكبة في الهند الصينية (برانش، 2010: ص35)، فبدأت المؤسسات العلمية المختصة التابعة لوزارة الدفاع الفرنسي تتلقى الدراسات والتحليلات والاجتهادات ممضاة من طرف عدد من الضباط الذين عايشوا الهزيمة بهدف تقييم التجربة الفرنسية والوقوف عند أسباب الانكسار العسكري، والدروس المستخلصة لتطوير بنية الجيش الفرنسي ليتأقلم مع طبيعة الحرب الثورية، والحرب الدعائية النفسية وكانت النتيجة التي توصلت إليها تحليلات هؤلاء العسكريين، هي أن نجاح الحرب الثورية يعتمد في أساسه على التلاحم مع القاعدة الشعبية، ومن هذا المنطلق فإنه على فرنسا إن أرادت الاحتفاظ بالجزائر والقضاء على الثورة الجزائرية أن تسيطر سيطرة كاملة على الشعب الجزائري بمختلف توجهاته، وتفصله عن دعم ثورته ما يؤدي في النهاية إلى عزل هذه الأخيرة والقضاء عليها.

وتهدف هذه الدراسة التاريخية إلى تسليط الضوء على واحدة من القضايا المعقدة التي واجهت الثورة التحريرية خلال مسيرتها التحريرية ألا وهي الحرب النفسية الوجدانية التي مثلت أسلوباً خطيراً راهنت عليه السلطات الفرنسية في إدارة المعركة والفوز بالحرب في النهاية وستركز هذه الدراسة على مدى نجاعة وفعالية هذه الحرب في فصل الشعب عن الثورة والوسائل المستخدمة في ذلك وكيف كان تجاوب الرأي العام الجزائري والفرنسي مع هذه الأساليب.

2. وسائل الحرب النفسية والتأثير الوجداني الفرنسية إبان الثورة التحريرية:

كان القادة العسكريون الفرنسيون قد استخلصوا من التجربة الفيتنامية أن استخدام القوة العسكرية المدمرة أو ما اتفقوا على تسميته بـ "التهدة" أو "إعادة الأمن" عمل غير كافٍ لترجيح الكفة لصالح فرنسا، ولهذا يتطلب العمل العسكري وجوب استكمالته بعمل نفسي ودعائي يمكن من تحسين العلاقات مع الأهالي المسلمين وتحسين صورة الدولة الفرنسية لديهم، مع خلق جو من الثقة المتبادلة لتطبيق الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التي تنوي الحكومة الفرنسية تطبيقها وهذا ما جاء في التوجيهية العامة للوزير Robert Lacost الموجهة للضباط في أبريل 1956 إذ يقول فيها: "إن العمل العسكري لا مفعول له دون عمل نفسي ودعائي موجه للرأي العام، يقصد الجزائريين حتى يكونوا واعين بأهمية العمل الذي تود الحكومة الفرنسية القيام به في الجزائر... فعلى الجيش الفرنسي أن يقتنع ويشرح للأهالي المسلمين الأهداف السليمة للحكومة الفرنسية، وأن وجود هذه الأخيرة ما هو إلا لحماية الأهالي المسلمين، وعلى الجيش مهمة إعادة الاتصال ومحاربة العزلة والنفور الذي تعيشه الكتلتان المسلمة والأوروبية" (غربي، 2009: ص ص 158، 159)

2.1. الوسائل المادية:

المصالح الإدارية المختصة:

من الأساليب التي انتهجتها الإدارة الفرنسية في هذا المجال هي إنشاء مكاتب الشؤون الأهلية لصا، والتي هي عبارة عن عمل بـ سيكولوجي نفسي يسير جنباً إلى جنب مع العمل العسكري، وهي مجموعة من المصالح الإدارية والعسكرية في آن واحد أنشئت بعد انهيار المكاتب العربية، يقودها مجموعة من الضباط الفرنسيين المتكويين في المعاهد والمتخصصين في الدعاية وعلم النفس، ويتقنون اللغة العربية بل وحتى اللهجات المحلية وفي الوقت نفسه تمثل هذه الأجهزة تنظيمات شبه عسكرية تسهر على تنفيذ أوامر الإدارة الاستعمارية وتنظيم

الحالة المدنية(منشورات المتحف الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر، ص 34)، ويتمثل الدور الأساسي لهذه المصالح في الاحتكاك بالجزائريين في الريف والتقرب منهم بهدف الحصول على معلومات حول الثورة والثوار مقابل خدمات اجتماعية تقدم لهم كامتيازات مثل توفير العمل، التعليم، والغذاء وغيرها، انتشر هؤلاء الضباط بسرعة في مختلف أنحاء الجزائر من أجل كسب قلوب الجزائريين وخلق مناخ يساعد على تطبيق الإصلاحات الفرنسية وكان الضباط في هذه المصالح الإدارية المختصة يتكونون ما بين ستة أشهر إلى ثلاث سنوات قابلة للتجديد مع ضرورة التحول من ضابط عامل إلى ضابط احتياط بعد تقديم الطلب إلى القيادة العسكرية والحكومة العامة الجزائرية(قريقر ماتياس، ص 35) وقد بلغ عدد الفرق الإدارية المختصة les sections Administratives Spécialisées "SAS" خلال الثورة الجزائرية في جميع أنحاء الجزائر حوالي 700 فرقة إلى جانب عشرات الفرق الإدارية الحضرية les sections Administratives Urbaines "SAU" والتي تعمل في المدن (قريقر ماتياس، ص 7)، كما ارتفع العدد من 30 سنة 1955 إلى 490 سنة 1956 ومن جانفي 1957 إلى جويلية 1958 وصل عددها إلى 590 مصلحة(غربي، ص 176).

كان من مهام الفرق الإدارية المختصة استنطاق المعتقلين والموقوفين في المحتشدات والسجون والمعتقلات وإجراء حوار معهم للتمكن من إضعاف معنوياتهم وغسل أمخاخهم (يحي بوعزيز، 2009، ص 174) وكان لها مقرات منتشرة في كل المدن والبلديات والقرى، ويشرف عليها طاقم خاص مكون من عسكريين ومدنيين (زوبير رشيد، 2013، ص 99)، وفي هذا السياق أنشئت وزارة الدفاع الفرنسية مصلحة للعمل النفسي والإعلامي Service D action psychologique et D'information في شهر مارس 1956 على مستوى قيادة الجيش الفرنسي في الجزائر وذلك في عهد Maunoury Bourges وعين العقيد Lacheroy رئيسا لهذه المصلحة وقد حُدِّت مهامها في الإشراف على التكوين والإعلام وتدعيم مختلف الوحدات القتالية للجيش الفرنسي الموجودة،(غربي، ص 160)، وفي شهر جانفي 1957 تحول اسم هذه المصلحة إلى اسم "المكتب الخامس" وهو تابع مباشرة لأوامر القائد الأعلى للجيش الفرنسي في الجزائر ويشارك الوزير المقيم في تسييره واتخاذ القرارات من خلال لجنة مضيقة مشتركة، أما عن صلاحياته فهي الإشراف على ما يتعلق بالتهدئة والقضايا الجزائرية وكل ماله علاقة بالمعنويات، وأنشئت له مصالح عدة منها مصلحة الصحافة والإعلام والتي أسندت مهمتها لديوان قيادة الأركان ومصلحة الإرشاد للمكتب الأول، مصلحة الاستعلامات النفسية للمكتب

الثاني، أما مصلحة المعنويات والمعلومات والتوثيق فقد أسندت للمكتب الثالث، في حين أدار المكتب الرابع المصلحة الاجتماعية، أما مصلحة مهام الحرب النفسية فقد اشرف عليها مكتب الدراسات والارتباط التابع لقيادة الأركان.

وحدة مكبرات الصوت والمناشير:

كان الهدف من إنشاء وحدة مكبرات الصوت والمناشير التقرب من عقلية السكان والتأثير عليهم، وقد ظهرت هذه الوحدة لأول مرة في جوان من عام 1956 وتشكل كل وحدة من ستة ضباط وتسعة عشر ضابط صف وحوالي ستون عسكري في الخدمة، يتوزع هذا العدد على أربعة فصائل هي فصيلة القيادة، الاستعلامات، التنظيم، فصيلة الإنتاج والبعث الإذاعي والسينمائي، وقد اعتمدت طريقة التنقل بين مختلف المدن والقرى الجزائرية للسيطرة على عقول الجزائريين وقلوبهم، وكانت هذه الفرق تُكثف من زيارتها لهذه الأماكن وبصيغة خاصة للقرى والمدن التي كانت تستقر بها لمدة أسبوعين إلى أربعة أسابيع حيث كانت تختار الساحات العمومية وتبدأ في مخاطبة الناس مُستخدمة الأشرطة السمعية المسجلة مسبقا وبِعبارة فائقة مظهرية فضل فرنسا على الجزائر والجزائريين، زيادة على الأشرطة السمعية كانت هذه الفرق تقوم بتوزيع المناشير على نطاق واسع وترميها في كثير من الأحيان من الجو بواسطة طائرات خاصة أُعدت لهذا الأمر، ومن الوسائل الأخرى التي تستخدمها هذه الوحدة اللوحات الإشهارية ذات الدعاية المركزة، إذ يتم اختيار أماكنها بعناية بحيث توضع في مواقع عمومية ويمكن مشاهدتها بسهولة من قبل الأهالي، وتحمل شعارات دعائية وتُثبت إما على الجدران أو على حوافي الطرقات ومداخل المدن والقرى (غربي، ص 163).

الدعاية والإعلام:

كانت السلطات الاستعمارية سواء المدنية أو العسكرية متفقة على أن الظرف الذي تعيشه الجزائر واتساع رقعة الثورة، يُحتم عليهم التفكير في أسلوب مغاير مع المشكلة الجزائرية تكون نتائجه إيجابية على الجانب الفرنسي فاهتدوا إلى اعتماد ما يسمى "بالحرب النفسية والدعائية" (غربي، ص 159)، وتستخدم الدعاية أحدث فنون الإيحاء الذاتي المبنية على اكتشافات علم النفس الفردي والاجتماعي وتعتمد على أحدث وسائل الإعلام والاتصال بالناس من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ومنشورات (الكياي وآخرون، ص 181) لهذا كانت الدعاية من الوسائل التي استخدمتها فرنسا في حربها النفسية في الجزائر حيث استخدمت فيها كل الوسائل المتاحة في تلك الفترة من إذاعة وصحف وجرائد للوصول إلى التأثير النفسي

على الجزائريين ولتثبيط همم المجاهدين وتدمير ثقتهم في قيادتهم السياسية والعسكرية اعتمدت مصالح الدعاية الفرنسية على عنصر الإشاعة المغرضة بتشويه المقاصد النبيلة للثورة الجزائرية، وترديد مقولة أن الثورة عاجزة على طرد الفرنسيين من الجزائر(غربي ، ص166)، وأن هذه الثورة أضحت تتقاذفها الصراعات والاختلافات والانقسامات التي احتدمت بين قيادتها في الداخل والخارج حسب زعمها لاعتبارات عرقية وسياسية وكان الهدف المنشود من وراء هذه الدعاية خلق نوع من القلق والارتباك والحيرة لدى المجاهدين مما يدفعهم في الأخير إلى الاستسلام وفي هذا الإطار وزعت عدة منشائر جاء فيها "فرنسا ستبقى في الجزائر"، "الثوار يمرون وفرنسا باقية"، وكانت الإشاعة والدعاية التضليلية المنتهجة من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد الثورة الجزائرية سببا في انتشار ملامح اللاتقة بين المناضلين والجنود التابعين لجيش التحرير الوطني سيما ما تعلق بالملتحقين الجدد من المثقفين كالطلبة(حربي، 1994: ص195).

ومن نماذج الدعاية الفرنسية الموجهة للرأي العام الدولي وخاصة الغربي منه، أن ما يحدث في الجزائر ما هو إلا تمرد داخلي من قبل مجموعة من الخارجين عن القانون مدفوعين بتعصب ديني من تدبير العنصرية العربية من القاهرة مُدعما بتأييد من الشيوعية العالمية وهدفهم إقامة دولة إسلامية والقضاء على العناصر الأوروبية الموجودة في الجزائر(غربي، ص167)، وقد استخدمت مصالح العمل النفسي والدعائي الفرنسية الأسطوانات المسجلة كوسيلة دعائية وإذاعتها على الجزائريين في الأسواق اشتملت إحدى هذه الأسطوانات: "أيها المسلمون إن حكومتكم خائنة، إنها تفاهمت مع الشيوعيين في الصين، تأتي بالأسلحة والطائرات من هناك، فيجب أن تقفوا مع الفرنسيين في كتلة واحدة لمقاومة الشيوعية عدو الإسلام، ويجب أن نتحد جميعا لمحاربة حكومتهم الخائنة"، إضافة إلى هذه الأساليب لجأت السلطات الاستعمارية إلى تسخير وسائل الإعلام المسموعة ومنها الإذاعة لما لها من تأثير قوي لكسب الرأي العام، ومن أجل تدعيم هذه المصالح بمختصين في أساليب الحرب النفسية والدعائية والتكيف مع مقتضيات الحرب الثورية تقرر إنشاء عدد من المدارس المختصة. وفي هذا الإطار تأسس le centre d'Instruction pacification et contre Guerrilla في مدينة أرزيو في مارس 1957 ومدرسة سكيكدة التي يديرها العقيد بيجار والتي عرفت باسم Janne D'Arc وتخرج منها حوالي 60 خبيرا سنة 1958، وكانت مهمة هذه المدارس تخريج الضباط العسكريين المدربين على الطرق والأساليب والفنون الجديدة في الحرب النفسية مزودين إضافة على ذلك

بدليل في شكل كتيب يرافقهم أينما ذهبوا تضمن القواعد والمبادئ الواجب إتباعها من طرف فرق العمل النفسي والدعائي ومنها التركيز على مكانة فرنسا ورسالتها الحضارية والتنويه بدورها في الجزائر على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والخط في نفس الوقت من الدور السياسي والنضالي لجهة التحرير الوطني مع وصف جيش التحرير بأنه أسطورة وخليط من الأعراق والأجناس المتصارعة على السلطة.

مشاريع التهدة وتشويه الثورة:

قامت الإدارة الفرنسية بعدة إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية من أجل الحفاظ على الجزائر الفرنسية (يزيد بوهناف، ص 156) وقد كانت هذه الإصلاحات والمشاريع عبارة عن مجموعة من البرامج مُسخرة للقضاء على الثورة، ومن أجل التقرب من عقلية الجزائريين والتأثير عليهم وتحسيسهم بمدى اهتمام فرنسا لأمرهم وتقديمها وعودا لهم بتحسين حالتهم الاجتماعية والاقتصادية استخدمت فرنسا المناشير ومكبرات الصوت بداية من جوان 1956، والرسوم الكاريكاتورية لتشويه صورة المجاهدين بالنسبة للسكان حيث لم يكن الجزائريون البسطاء بحاجة إلى القراءة لفهم الموضوع وحتى غير المتعلمين يمكن أن تصلهم الفكرة وأهمها مشروع جاك سوستال ومشاريع سالان Salan الذي عرفت الحرب النفسية تطورا فظيلا بعد تعيينه في نوفمبر 1956 وهو الذي وضع نصب عينيه هدفا رئيسيا تمثل في القضاء على الخلايا السياسية والإدارية لجهة التحرير الوطني التي كانت تنشط ضمن الأوساط الشعبية وفي المعتقلات والسجون والمحتشدات في المدن والأرياف وفي هذا الإطار عرف برنامج Salan ببرنامج "تخطيط وبناء" وأسندت المهمة فيه للمؤسسة العسكرية (غربي، ص 169)، إضافة إلى مشاريع التهدة التي جاء بها شارل ديغول لإصلاح المجتمع الجزائري والتي مست عدة جوانب منها الفلاحة والصناعة وحتى التعليم وتحسين ظروف الأهالي مثل مشروع قسنطينة وسلم الشجعان في أكتوبر 1958 ومشروع الاستفتاء وتقرير المصير وغيرها من المشاريع التي كانت تهدف إلى تضليل الشعب الجزائري، وضمان مولاته لفرنسا وإبعاده عن اللحاق بالثورة، اعتمدت السلطات الفرنسية أسلوب تشويه الثورة والثوار وتجريدتهم من كل الصفات الحميدة التي كانوا يتميزون بها كالشجاعة والتضحية، ووصفهم بأبشع الأوصاف كالإرهابيين والمتمردين وقطاع الطرق والخارجون عن القانون بهدف تشويه الثوار ومبادئ الثورة لإيصال فكرة خاطئة لعامة الشعب وهو عمل نفسي محض يجعل المواطن البسيط يطرح على نفسه تساؤلات حول الحقيقة وهذا العمل لم يكن يستهدف الرأي العام الجزائري

فقط بل حتى الرأي العام الفرنسي والعالمي وذلك لإقناعهم أن ما يجري في الجزائر ليس ثورة ذات مبادئ وأن قادتها كلهم لديهم سوابق وهم لا يمثلون الشعب الجزائري.

ومن النماذج التي يمكن الاستدلال بها لتوضيح طبيعة الأساليب المستخدمة لتثبيط الهمم وعزل الثورة المنشور التالي الذي وزع على الجزائريين: "...غرباء جاءوكم قالوا لكم نحن نحارب من أجل الإسلام ونحمل لكم السلام والرخاء إنهم متعجرفون أبناء شياطين كذابون ومجرمون يحملون لكم الدماء والآلام والشقاء، أبعدهم عنكم بعيداً، ثقوا في فرنسا الكبيرة الفخورة السخية كان الله في عونها" (غربي، ص166)، وكان هدف السلطات الاستعمارية من وراء هذا النوع من الدعاية عزل القيادة وتشويه سمعتها عند الشعب ونزع ثقته فيها مما يؤدي إلى تفكيك الترابط الموجود بينهما، الشيء الذي يؤدي بدوره إلى انهيار معنويات أفراد الجيش والشعب ومن ثمة تخليهم عن واجبهم الوطني في غياب قيادة موجهة، يقابلها إظهار فرنسا بمثابة الملاذ والمنقذ للشعب الجزائري من وضعيته المتردية، والإيحاء له بأنه لا مفر له إلا بالتعاون مع السلطات الاستعمارية، خدمة لأمنه واستقراره ورقيه (Henri Alleug, p236)

2.2. الوسائل البشرية:

الفرق الطبية الاجتماعية:

من أجل تحقيق نتائج أفضل في الوسط الجزائري، استعانت فرنسا في حربها النفسية في الجزائر بالعنصر النسوي من الفرنسيات حيث تم تجنيدهم خصيصاً لهذه المهمة وعينوا في ما عرف بالفرق الطبية الاجتماعية الجواله" ورغم أنهم كانوا يعيشون بين الجنود إلا أنهم كانوا يخضعون للنظام المدني، وقد تم تكوين هذه الفرق في نهاية 1957 وهي تتكون من طبيب وممرضة أو مساعدة مسيحية ومساعدتين مسلمتين والمهمة التي كلفت بها هذه الفرق الكشف عن توجهات النساء الجزائريات وإعلام السلطات الاستعمارية بها، وقد وصل عدد النساء المجندات ضمن هذه الفرق إلى 315 امرأة، منها 141 امرأة من المسلمات الفرنسيات و80 امرأة أوروبية من المستعمرات و94 امرأة من أوربيات الجزائر موزعين على 171 فريق عبر كامل الناحية العسكرية العاشرة، ويمكن تفسير الاهتمام الفرنسي بالعنصر النسوي الجزائري إلى تفتن السلطات الاستعمارية إلى المكانة الكبيرة التي تحتلها المرأة في المجتمع الجزائري وتأكدت لهم هذه المكانة من خلال الأدوار المتعددة التي تحملتها أثناء الثورة وبصفة خاصة المرأة الريفية، ولهذا سارعت مصالح المكتب الخامس ومنذ السنوات الأولى للثورة ومن خلال

تنسيق الجهود مع الإدارة المدنية الفرنسية إلى صياغة أرضية عمل لسياسة تقارب مع المرأة الجزائرية بدعوى تحريرها ومحاولة إدماجها في المجتمع الفرنسي(غربي، ص ص 162، 161).

وكانت سياسة المكتب الخامس تهدف من وراء سياسة التقارب هذه إلى تحقيق هدفين رئيسين هما: إدماج المرأة الجزائرية المسلمة في المجتمع الفرنسي، وحرمان جبهة وجيش التحرير الوطني من الخدمات الجليلة التي تقدمها المرأة للثورة في ميدان المعلومات، الاتصال، التمويل، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل سعت مصالح هذا المكتب في محاولة لاستقطاب المرأة والتأثير عليها إلى تغيير الوضعية القانونية للمرأة الجزائرية المستمدة من الشريعة الإسلامية بالقوانين الفرنسية المدنية الوضعية(غربي ص 160)، وكانت الغاية من استهداف التأثير النفسي على المرأة الجزائرية هي الاستحواذ عليها وتسخيرها لخدمة مخططات الاستعمار في ضرب الثورة والاستحواذ على شريحة عريضة تمثل نصف المجتمع الجزائري، كما كانت الوحدات الطبية الاجتماعية الأنفة الذكر من القنوات الرئيسية التي بواسطتها راحت مصالح المكتب الخامس تبث أفكارها في الوسط النسائي الجزائري، والمهمة الرئيسية التي كلفتهم بها هذه المصالح هي تحرير النساء الجزائريات بوعدهن بتحسين ظروف حياتهن وبتطوير وضعهن القانوني، وفي الأخير إقناعهن بفكرة الجزائر الفرنسية، وبذلك تتحول النساء الجزائريات إلى أدوات فعالة لإنجاح التهدة كما ذهب في ذلك العسكريين الفرنسيين، وعلى نفس النهج راح المكتب الخامس يشجع تأسيس جمعيات نسائية منها على سبيل المثال جمعية التضامن النسائي التي أسستها كل من السيدة Salan والسيدة Massu سنة 1958، والتي عملت على تقارب الرؤى بين نساء المجموعتين المسلمة والفرنسية و تعليم المرأة الجزائرية في إطار الجزائر الفرنسية(غربي، ص 162).

وحدة الضباط المتجولون:

أنشئت وحدة الضباط المتجولون لشرح أهداف ومبادئ الحرب النفسية وكان أغلب هؤلاء الضباط قد وقعوا أسرى في أيدي الفيتناميين فهم يملكون خبرة واسعة في ميدان العمل النفسي، وكانت المهمة التي حددت لهم ذات طابع بيداغوجي لتوجيه قادة الوحدات والمناطق وضباط المصالح الخاصة والضباط المشرفين على القضايا العسكرية الإسلامية والمسؤولون الإداريون الذين لهم علاقة مباشرة بالسكان زيادة على قيامهم بدور المستشارين التقنيين عند قيادة الوحدات العسكرية التي عينوا فيها، وكانت هذه المصالح الأنفة الذكر زيادة على المكتب الثاني والخامس مدعمة بمجموعة من الضباط المختصين في ميادين علم النفس

وعلم الاجتماع والعلوم الإنسانية العامة، تقوم بالإشراف على تدريب ضباط وحدات الجيش الفرنسي على طرق وتقنيات تنشيط حصص الدعاية الموجهة للسكان، وتوصي إحدى التعليمات التابعة لمصلحة المكتب الخامس بخلق علاقات حميمة بين الجيش الفرنسي والسكان بواسطة خلق نوادي رياضية مختلطة، وإقامة مقابلات تجمع الطرفين في هذا السياق تم إنشاء 25 نادي رياضي في قطاع قسنطينة ضم 1000 شاب رياضي، زيادة على عقد اجتماعات دورية للسكان للترغيب والترهيب واستغلال المناسبات والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها الفرد الجزائري وذلك بزرع الشكوك والأخبار المزيفة والإشاعات التضليلية التي من شأنها النيل من قيمة الثورة وتحطيم معنويات الشعب ليتخلى عن دعم المجاهدين (غربي، ص ص 164، 165).

كان التكوين في هذه المصالح يتم على نوعين الأول مطول ويعني به الضباط الراغبين في العمل مطولا في الشؤون الجزائرية يدوم سنة دراسية كاملة يتلقى خلاله الضباط تكوينا إداريا مختصا يكتسبون معارف في اللغة العربية والقبائلية وعلم الاجتماع الإسلامي، أما النوع الثاني فيدوم شهر فقط وكانوا يتعلمون أيضا أساليب التعامل مع السكان (قريقرماتياس، ص ص 48، 49)، بكل فئاتهم بما في ذلك النساء والأطفال فقد احتوت مصالح SAS على عدد من المجندات الفرنسيات المرشدات مهمتهن التقرب من الجزائريات وإدماجهن في الحياة الأوروبية، كما عمل الضباط على التركيز على تعليم الأطفال بهدف استمالتهم نحو الدولة الفرنسية وتكوين أجيال مستقبلية تدافع عن فرنسا وأفكارها وتواجهها في الجزائر، وهنا كان هؤلاء الضباط يلعبون دورا مهما وأساسيا في العمل السيكولوجي على الشعب بداية من الأطفال وكسب البراءة إلى جانب فرنسا بالاعتناء بهم وتعليمهم وتلقينهم ما تريده منهم فرنسا مستقبلا، وهذا ما يؤكد أن الحرب النفسية الفرنسية في الجزائر قد استهدفت كل فئات المجتمع ومن الجنسين (Mohammed Teguia, p 285)

الحركي:

منذ الدخول الفرنسي للجزائر كانت وحدات الجيش الفرنسي تحتاج إلى مُوجّه ومُترجم في الجزائر لتسهيل عملية التوغل في الجزائر فوظّف أشخاص في هذا المجال تُعرّف عناصر الجيش الفرنسي بالجزائري وأهلها، ليكونوا همزة وصل بين هؤلاء والسكان الجزائريين، والحركي اسم كان يطلق على كل جزائري خائن باع ذاته بغرض من الأغراض والتحق بصفوف قوات الاحتلال الفرنسي (مرتاض، 2010: ص 83)، ولم يكن اختيار هذه الفرق من الحركي من فراغ

بل كان نتيجة سياسة وأهداف عسكرية فرنسية (Tom Charbit:2006,p119)، لقد مورست الحرب النفسية على الحركة في الجزائر وأصبحوا من ألياتها الفعالة، (François Géré , 1997 , p76) وكان الجنرالات الفرنسيين يتوقعون أن يشكل هؤلاء الجزائريون الحركة المجندون إلى جانب الفرنسيين النواة التي قد تستقطب العناصر المحلية المعارضة لقادة الثورة (خالد نزار، 2004: ص29) فقد استخدمت هذه الفرق كإحدى أهم الوسائل لاختراق صفوف الثوار، خاصة عند التدخل لتعزيز الخلاف بين المصاليين وجمعة التحرير الوطني حيث ذكر جاك سوستال الحاكم العام للجزائر قائلاً: "إن مصالي هو الورقة الأخيرة لنا" (Mohammed Tegui, p137)، ثم ترجم ذلك التدخل في ذلك الخلاف سنة 1957 بالاتصال بالجنرال بلونيس الذي اعتبرته السلطات الفرنسية المتحدث باسم الشعب الجزائري (نجاح، 2003: ص215)، والذي كان جيشه يشكل خطراً على جبهة التحرير الوطني أكثر من السلطات الفرنسية والجيش الفرنسي، فقد انتهز الغموض الذي شاب الثورة عند انطلاقها وعمل على إنشاء حركة مسلحة بمنطقة القبائل، خاصة وأن الجبهة لم تصدر أي قرار يمكن عناصرها من مواجهة المصاليين عسكرياً إلا في أكتوبر 1955 (بن حرز الله، ص106)، وكان الهدف من تدعيم بلونيس هو زرع الفتنة وتهريب الجزائريين والتشويش على أفكارهم ببث الرعب فيهم والأفكار المعادية للثورة للقضاء عليها في إطار الحرب النفسية التي أرادوا تطبيقها بعدما أدركوا مدى أهمية الحركة خاصة على الجانب البسيكولوجي (شريط وآخرون، 2007: ص320).

3. تأثير الحرب النفسية الفرنسية في الجزائر على الرأي العام الجزائري والفرنسي :

1.3 . على الرأي العام الجزائري:

تشير جل الدراسات والأبحاث التاريخية إلى أن توظيف السلطات الاستعمارية الفرنسية لأساليب الحرب النفسية ضد الثورة التحريرية قد أفرز العديد من النتائج على الرأي العام الجزائري والفرنسي والتي كانت لها الأثر البالغ على مسار الثورة، حتى أن الكثير منهم قد اعتبر أن هذه الوسائل النفسية أشد خطورة وأكثر فتكاً من الوسائل العسكرية فقد نجحت إلى حد كبير في إحداث شقاق وخلاف بين قادة الثورة التحريرية تأثراً منهم بالدعاية والإشاعة التضليلية التي خلفتها المصالح الإستخباراتية للاستعمار الفرنسي، من أجل اختراق الثورة وكسر شوكتها من الداخل، ومنذ بداية الثورة الجزائرية اعتمدت فرنسا الأساليب المختلفة لتضليل الرأي العام الفرنسي والجزائري على حد سواء فقد واجهت في البداية

الثورة بوسائل مختلفة بالصحافة بالدرجة الأولى، محاولة تقزيم الحدث وتصغيره لكي لا يُعطى أهمية من طرف الفرنسيين (Ageron, 2000, p577)، وأدركت جيدا أن إتباع أسلوب القوة لم يكن كفيلا بالقضاء على الثورة، وعليه انتهجت طرق وأساليب جديدة منها سياسة الإصلاح والإدماج وغيرها من السياسات التي كان مصيرها في الأخير هو الفشل (بوفنش، 2012: 2013: ص14)، ولم تلق النجاح الذي كانت تأمله السلطات الفرنسية، ففشلت جميع هذه المشاريع في تحقيق أهدافها الرامية إلى قطع الصلة بين السكان وجيش التحرير الوطني (بن غليمة سهام، 2016: ص166).

ف فشل البرنامج الإصلاحي لجاك سوستال رغم ضخامة الميزانية المخصصة له ونُسفت كل مشاريع ديغول الإغرائية وأجبر على الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني التي ظلت الممثل الشرعي والوحيد للشعب والثورة الجزائرية، وبالرغم من أن النتيجة النهائية لكل المشاريع الإصلاحية والأساليب النفسية الإغرائية التي طبقتها الإدارة الفرنسية في الجزائر كان مصيرها الفشل في النهاية وعدم الوصول إلى زعزعة ثقة الشعب الجزائري أو تغيير قناعاته في الالتفاف حول ثورته وجهته الوطنية، إلا أن هذه الحرب النفسية الوجدانية كان لها تأثير خطير ومفعول سام في اختراق بعض أفراد الشعب بل وحتى صفوف الثورة.

فقد أدت هذه الحرب النفسية إلتكريس القطيعة بين قادة الداخل والخارج، من خلال الدعوة لعقد اجتماع طارئ لقادة الولايات الداخلية في ديسمبر 1958 أين وجهت فيه لقادة الثورة تقصير موجهة ضد الحكومة المؤقتة في الخارج، (سيد علي، 2017: ص211)، كما كانت سببا في حدوث انشقاقات وخلافات حول الأحكام القضائية من السلطات العليا للثورة التحريرية، والصادرة في حق العديد من الإطارات الثورية المناضلة، خاصة بالولاية التاريخية الثالثة الأمر الذي أحدث شرخا كبيرا بين القادة الثوريين بمختلف انتماءاتهم وهو الموضوع الذي كان سببا في الاتصال بالقادة السياسيين للثورة الجزائرية بالخارج، والذين كان ردهم على هذا الموضوع الخطير متأخر جدا (كافي، ص123).

2.3. على الرأي العام الفرنسي:

يعتبر اندلاع الثورة الجزائرية حدثا هاما في التاريخ الفرنسي حيث اصطلح عليه في الكثير من الأدبيات الفرنسية بـ la toussaint rouge فتصورها على أنها جرح جديد يفتح في جسد الأمة الفرنسية التي كانت بصدد تضميد جراحها الأخرى والتي تسببت فيها الظاهرة الاستعمارية خاصة قضية الهند الصينية، وقد سقطت أخبار اندلاعها كالصاعقة على الرأي

العام الفرنسي لأنها زادت من المتاعب والأعباء التي كانت تعاني منها الدولة الفرنسية في عهد الجمهورية الرابعة والتي كانت تمر بمرحلة حرجة جدا تجلت في انعدام استقرار الحكومات وسقوطها الواحدة تلو الأخرى لذلك اختلفت تفسيرات الفرنسيين لهذه الثورة، وكان المعهد الفرنسي للرأي العام هو المعهد الوحيد آنذاك، لذلك فإن أغلب الأرقام والإحصاءات المقدمة صادرة عن هذا المعهد، ومأخوذة من المجلة التي يصدرها وهي مجلة sondage (Duquesne 2003, p285)، وكان الرأي العام الفرنسي على اطلاع أكثر بما يجري في الجزائر أكثر من اطلاعه على الأحداث في الهند الصينية، وذلك عائد إلى خصوصية الجزائر باعتبارها جزءا من فرنسا، فبعد مرور عام من اندلاع الثورة وبالتحديد في ديسمبر 1955 عبر حوالي 20% من الفرنسيين أن ما يجري في الجزائر هو أهم مشكلة تعاني منها الحكومة الفرنسية (Duquesne Jacques, op, cit, p286)، ويمكن تفسير نسبة 20% القليلة أنها تعود إلى التأثير النفسي الذي كانت تمارسه السلطات الفرنسية على الشعب الفرنسي من خلال التطمينات التي قدمتها الحكومة على لسان رئيس المجلس السيد مانديس فرانس ووزيره فرانسوا ميتران الذين وصفا عمليات الثورة بالفعل الإرهابي الخارج عن القانون من تنفيذ قطاع الطرق والفلاحة، وفي موضع آخر يرجعون أسباب الثورة إلى الإسلام لأن الذين فجروا العمل المسلح في الجزائر كانوا قد استجابوا إلى نداء الجهاد، وأن أغلب قادة الثورة ذوو توجهات إسلامية (Peillard, Alger, So, p55).

لقد ازداد تأثر الرأي العام الفرنسي بالثورة الجزائرية أكثر بعد انتقال عمليات الثورة إلى التراب الفرنسي نفسه وأصبحت الثورة جزءا من يوميات وواقع الشعب الفرنسي (بزيان، 1995، ص 176)، حين أصبح الفرنسيون في حيرة كبرى يعدون موتاهم من جهة ويمثلون السجون بالمواطنين من جهة ثانية ويعبئون أنفسهم من جهة ثالثة (زغيدي، ص 78)، لذلك قامت الفدرالية جبهة التحرير الوطني بداية من سنة 1956 بعرض الأسباب الحقيقية التي دفعت الجزائريين إلى الثورة أمام الرأي العام الفرنسي وذلك من أجل إثارة اهتمامه وتعريفه بحقيقة الأحداث في الجزائر وعدالة القضية الجزائرية لأن الثورة الجزائرية خلال 1954 . 1958 كانت تبدو في نظر قسم كبير من الشعب الفرنسي حربا بين الأشقاء الجزائريين، أي أن الرأي العام الفرنسي تعاطى على الثورة الجزائرية في البداية بشكل محدود وغير واضح، لكنه أصبح أكثر وضوحا بتطور الثورة أكثر وفرضها لنفسها على الساحة العالمية.

لم تنجح أساليب الحرب النفسية والتأثير الوجداني الممارسة من طرف السلطات الفرنسية خلال الثورة التحريرية في تحقيق الأهداف التي سطرته في البداية سواء على مستوى الرأي العام الجزائري أو الفرنسي، فلا الأول تخلى عن ثورته ومشروعية كفاحه بل ظل ملتفا حول جبهة وجيش التحرير الوطنيين وصامدا أمام كل المحاولات الفرنسية لتشتيت انتباهه وتمزيق وحدته، ولا الطرف الثاني الفرنسي الذي سرعان ما اكتشف هو الآخر حقيقة الوضع في الجزائر وعلم أنها ثورة تحريرية ذات مبادئ وقيم إنسانية ثابتة ما دفعه إلى الاعتراف بعدالتها والضغط على حكومته للإسراع في إيجاد حل شامل لها.

4. خاتمة:

عاشت الثورة الجزائرية خلال مسيرتها التحريرية واحدة من القضايا المعقدة التي أعلن عنها الفرنسيون في مشروعاتهم التاريخية بتوظيفهم سلاح حربي احتياطي وهو الحرب النفسية والاعتماد على أساليب بديلة كالديعاية والتجسس والديعاية المغرضة... والسعي من أجل إختراق هذه الثورة وتقويض همم الجزائريين في مجابهة قوى الاستعمار الفرنسي للبلاد، ومن خلال هذه الدراسة يمكن استخلاص أن السلطات الفرنسية لم تتوان عن أي عمل نفسي من الممكن أن يزرع حالة من الشك والفوضى داخل الشعب الجزائري لتبعده عن الثورة باستهداف جميع شرائح المجتمع، ورغم اختلال موازين القوة لصالح الجانب الفرنسي إلا أن المعركة الشاملة التي دامت سبع سنوات ونصف قد أنصفت الجزائر في النهاية، حيث أن الفارق الكبير في الإمكانيات المادية والتنظيمية لصالح المحتل لم يصمد أمام الفارق الكبير في المعنويات النفسية والإيمان بعقيدة التحرير لصالح المستعمر.

وتتمثل أهم الاستنتاجات المتوصل إليها من خلال ما تمّ التطرق إليه في هذه الدراسة

فيما يلي:

- أن الحرب النفسية تعتبر واحدة من أهم المسائل والقضايا الحساسة التي عاشتها التجربة الرائدة للثورة الجزائرية وذلك طيلة مسيرتها التحريرية والكفاحية التي دامت سبع سنوات ونصف.

- إن اندلاع الثورة وانتشارها في كامل التراب الوطني وتغلغلها في الأوساط الشعبية قد جعل فرنسا تعيد التفكير في أسلوبها في التعامل معها فلجأت إلى سياسة التهدة القائمة على العمل النفسي باعتباره سلاح لا يقل خطورة عن العمل العسكري من أجل عزل الشعب عن الثورة .

- أن فرنسا أدركت أن كسب القاعدة الشعبية يمثل رهانا رئيسيا لتحقيق النصر فلجأت إلى عدة إجراءات وأساليب بهدف إقناع السكان برفض المشروع الثوري، ومن ثم شكلت المقاربة النفسية بعدا رئيسيا من أبعاد الاستراتيجية الفرنسية التي اعتمدتها في مواجهة الثورة الجزائرية من خلال تركيزها على الشعب الجزائري باعتباره محور العملية الثورية ومن هذا المنطلق فإن نجاح أو فشل الحرب النفسية ينطلق من مدى تأثير الشعب بها.

- أن الحرب النفسية التي مورست على الشعب الجزائري قد مورست بشكل منظم ومخطط له من إطارات متخصصة في هذا النوع من العمليات، وكل هذه الممارسات كانت تتم بشكل مدروس، وسُخِّرَتْ لها إمكانيات مالية وبشرية ومادية كبيرة من أجل إبقاء الجزائر فرنسية.

- أن الثورة استطاعت تجاوز المشاكل التي تقع في طريقها وأن الشعب ساهم كثيرا في الدعم المعنوي للثورة والثوار من خلال الالتفاف حول جبهة التحرير الوطني وجيشها، وأن السلطات الفرنسية فشلت في فصل الشعب عن الثورة بالرغم من كل المغريات التي قدمتها والتي حاولت من خلالها جذب الشعب لنواحيها والابتعاد عن جيش وجبهة التحرير الوطني.

. أن الثورة أبرزت قدرة فائقة في التصدي للهجمة الاستعمارية الشرسة من خلال حسن التدبير والتسيير والسرعة في إيجاد الحلول المناسبة لكل عقبة تضعها فرنسا في طريقها سواء في الجانب السياسي أو العسكري أو حتى البسيكولوجي.

. إن صمود الشعب ج ونضاله المستميت وفعالية الاستراتيجيات التي طبقتها الثورة في الرد على الحرب النفسية الفرنسية جعلتها تنسف كل جهود الفرنسية في الحفاظ على خرافة الجزائر الفرنسية وتفشل جميع أساليب وسياسات فرنسا التي أجبرتها انتصارات الثورة في الداخل والخارج على الرضوخ للمفوضات التي انتهت بالإعلان عن استقلال الجزائر في جويلية 1962، ما جعل ثورة أول نوفمبر 1954 نقطة تحول تاريخي بالنسبة للشعب الجزائري الذي ظل رافضا للاستعمار الفرنسي و متمسكا بمقوماته الشخصية والوطنية من لغة ودين وثقافة واستطاعت جبهة التحرير الوطني التخلص من جميع أشكال التسلط الاستعماري رغم الإمكانيات البسيطة التي كانت في حوزتها لمواجهة قوة استعمارية تفوقها قوة وعتادا .

الاقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث :ضرورة تخصيص ملتقى دولي في كل سنة بجامعة الوطن حول الثورة التحريرية، وتعميم مقياس الثورة الجزائرية في كل الجامعات والكليات والتخصصات باعتبار أن الثورة لم تكن مقتصرة على الجانب العسكري والسياسي فحسب، بل شملت العديد من التخصصات كعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية

وغيرها، وضرورة تأسيس فرق بحث أكاديمية لنقل أرشيف الثورة المتواجد بفرنسا ولو باستعمال التكنولوجيات الحديثة كالتصوير...

5. قائمة المصادر والمراجع:

- حربي محمد، (1994)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد، صالحمثلوثي، الجزائر، دار موفم للنشر
- كافي علي، مذكرات علي كافي من المناضل إلى القائد العسكري 1946 . 1962، الجزائر، دار القصبة. نزار خالد، (2004)، يوميات الحرب 1954 . 1962، الجزائر، وزارة المجاهدين.
- زغبيدي محمد لحسن، (1989)، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 . 1962، د ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- برانش رفايلا، (2010)، التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية، ترجمة أحمد بن محمد بكلي الجزائر، طبعة خاصة، الجزائر، دار أمد وكال للنشر.
- بن ابراهيم حريزي موسى، (2015)، الحرب النفسية ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء، د ط، الجزائر، العالمية للطباعة والخدمات.
- بوعزيزيحي، (2009)، الثورة في الولاية الثالثة، الجزائر، عالم المعرفة للنشر.
- ربيع حامد، (1974)، الحرب النفسية في المنطقة العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- شريط لخضر وآخرون، (2007)، إستراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحث والدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 .
- غربي الغالي، (2009)، فرنسا والثورة الجزائرية 1954 . 1958 دراسة في السياسات والممارسات، الجزائر، غرناطة للنشر والتوزيع.
- ماتياس قريقور، (2013)، الفرق الإدارية المتخصصة في الجزائر بين المثالية والواقع (1955 . 1962)، ترجمة م. جعفري، ط1، الجزائر، منشورات السائي.
- مرتاض عبد المالك، (2010)، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة التحريرية 1954 . 1962، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

- نجاح عبد الحميد،(2003)، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، ورقلة، الآمال للطباعة.
- نوفل أحمد،(1987)، الحرب النفسية من منظور إسلامي، د ط، الرغبة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- بن حرز الله شارف، دور منطقة الأغواط في الثورة الجزائرية 1954-1962، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.
- بن غليمة سهام،(2016 . 2017)، الحرب النفسية في الثورة التحريرية الجزائرية ما بين 1954 . 1958 بين التخطيط الاستعماري الفرنسي وردود الفعل الجزائرية، أطروحة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
- بوفنش شمس الدين،(2012. 2013)، سياسة الوزير المقيم روبير لأكوست تجاه الثورة الجزائرية 1956 . 1958، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.
- بوهنا فيزيد،(2014)، مشاريع التهدة الفرنسية إبان الثورة التحريرية وانعكاساتها على المسلمين الجزائريين 1954-1962، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.
- زوبير رشيد،(2012. 2013)، جرائم الاستعمار الفرنسي خلال الثورة التحريرية وموقف المثقفين الفرنسيين منها، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.
- بزيان سعدي،(1995)، صفحات عن دور العمال الجزائريين في الهجرة في ثورة نوفمبر 1954، مجلة الذاكرة المتحف الوطني للمجاهد، العدد 3، الصفحات: 176.
- بوسنة محمود،(2015)، دور الحرب النفسية في نجاح الثورة الجزائرية وإفشال سياسة الاستعمار الفرنسي الاستيطانية، مجلة أفكار وآفاق، المجلد 4، العدد 6، الجزائر، الصفحات: 319.
- سيد علي أحمد مسعود،(2017)، اجتماع عقداؤ الداخل 06 . 12 ديسمبر 1958 خلال الثورة الجزائرية الخلفيات والتداعيات، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 3، جامعة محمد بوضياف المسيل، الصفحات: 211.

- ضباط الشؤون الإدارية وتصدي الثورة لهم، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
- الأيوبي الهيثم وآخرون، الموسوعة العسكرية، ج1، د ط ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، (1990)، موسوعة السياسة، ج2، ط3، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- Ageron Charles Robert, (2000), Genèse de l'Algérie Algérienne, Paris, édition Bouchen.
- Alleug Henri, (1981), la Guerre D'Algérie, Temp Actuels.
- Charbit Tom, (2006), les Harkis, Paris, E'd la découverte.
- Duquesne Jacques, (2001, et 2003), pour comprendre la guerre d'Algerie, édition perri.
- Géré François, (1997), la guerre psychologique, Paris, éd Economica.
- Peillard Jean, la pacification de l'Algerie et la conscience, Alger, éditions Baconnier.
- Tegui Mohammed, (2002), L'Armée de libération Nationale en Wilaya 4 Alger, édition Casbah.

الفلسفة الوجودية وسؤال العدالة للثورة الجزائرية قراءة تحليلية في موقف "جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار"

Existential philosophy and the question of justice for the Algerian revolution
an analytical reading in the position of "Jean-Paul Sartre" and "Simon de
Beauvoir"

وفاء برتومة

جامعة باتنة 1 (الجزائر) philowafa25@gmail.com

1. مقدمة:

تعد الثورة الجزائرية أحد أهم محطات النضال الإنساني في التاريخ الحديث والمعاصر والتي سعت إلى استرداد سيادة الوطن وكرامة العيش ضد بطش المستعمر الفرنسي عبر مختلف حملاته ومراحله وسياسته المنتهجة لتغيير خريطة الجزائر لمصالحه الجيوستراتيجية وطمس هوية الجزائر وتغريبها، فقد كان شعار الاستعمار الفرنسي الجزائر أرض فرنسية، غير أن ثورة التحرير المجيدة صنعت بإرادة شعبها مصير غير الذي أراده وخطط له الاستعمار الفرنسي وذلك في الفاتح نوفمبر 1954، وأصبحت الثورة الجزائرية ومطالبها في الفضاء الإقليمي والعالمي حديث المواقف الرسمية بين المعارضة والتأييد على المستويين الداخلي والخارجي وبين مختلف أطراف الطبقات السياسية والنخبوية ومن بين المواقف المناهضة للاستعمار الفرنسي والتي انشقت من التربة الفرنسية ضد سياسة حكوماتها منددة بأفعالها البربرية والإجرامية إزاء الشعب الجزائري واستقراره، موقف الفيلسوف الوجودي "جان بول سارتر" والفيلسوفة الوجودية "سيمون دي بوفوار" المساند لاستقلال الجزائر وشرعية مطالبها في تقرير مصير شعبها وعدالته والمحافظة على وحدة أرضها، ففي ما تمثل موقف كل من "سارتر" و"سيمون" النقدي للسياسة الاستعمارية و الداعم للثورة الجزائرية وما هي انعكاسات الفلسفة الوجودية في قيمة مواقفهم إزاء عدالة الثورة الجزائرية وقيم الحريات؟ طبيعة الموضوع فرضت علينا المنهج التحليلي الملائم لشرح المعطيات التاريخية وتعليلها، وتتأتى أهمية الموضوع كونه يعالج موضوع ماضي متجدد في الذاكرة الجماعية للشعوب يعزز من مكانة الثورة الجزائرية في مسار الكفاح من أجل الحريات ويعتز بالمواقف العالمية التي شكلت خطابات دعم ثوري بحس وجودي إنساني وقيمي.

2. سؤال الثورة الجزائرية وفلسفتها الإنسانية:

الحديث عن تاريخ الثورة الجزائرية هو الحديث عن شرف ركن مقدس إنه الوطن وشجاعة شعب يرفض الدخلاء وثورة الفاتح من نوفمبر 1954؛ تصف "أنيسة بركات" الثورة التحريرية بأنها: «ثورة منظمة وليست تمرد فوضى إنها معركة وطنية تسعى لهدم النظام الفوضوي الذي ينتهجه الاستعمار وليست حرباً دينية، إنها مسيرة إلى الأمام في الاتجاه التاريخي للإنسانية وليست دعوة إلى الإقطاع وهي أخيراً معركة لإحياء دولة جزائرية تحت شكل جمهورية ديمقراطية واجتماعية، وليست نظام ملكي أو تيوقراطي مندثر» (بركات درار، 1985، ص 81)، وهذا دليل على شرعية الثورة الجزائرية ومنطق إنسانيتها العادلة من أجل قيم الحرية والاستقلال.

فإذا كان التاريخ في كليته يفيد معنى: «جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، وتصدق على الفرد والمجتمع كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية وعند "هيجل" التاريخ جزءاً من الفلسفة، لأنه ليس مجرد دراسة وصفية، بل هو أقرب إلى التحليل وبيان الأسباب» (مذكور، 1983، ص 36)؛ بمعنى أن التعاقب الدوري لتاريخ تستلزمه مقدمات عقلية تحضر فيها الفلسفة ضمنياً أو تصريحاً في كل أبعادها المنطقية والقيمية انطلاقاً من استقراءات جزئية وصولاً لدلالات شمولية خاضعة لمبادئ العقل كمبدأ الهوية والسببية والغائية، إذا التخطيط للاستقلال هو مشروع يقظة وتبصروصيرورة شك بناء، وتساؤل غير منقطع الأمل في منافذ الحرية؛ وهذا انعكاس للوعي الثوري في أذهان الجزائريين ونقدتهم الرافض لمختلف أشكال التواجد الفرنسي في الأراضي الغير مبرر منطقياً ولا تشريعياً ولا شرعياً فكان العمل الثوري تساؤلاً مستمر ومعمق في إمكانيات وطرق وحدود القدرات المادية والمعنوية لمجابهة عدو غير متكافئ مع الشعب البريء من نواحي جمّة؛ لاسيما على مستوى الاستعداد اللوجستيكي للثوار الجزائريين أمام ترسانة الدعم المادي العسكري الموفر للعسكريين الفرنسيين، وعليه عمل العقل الثوري الجزائري على تقويض التاريخ المشوه الذي عمل على بثه العدو الفرنسي بسياسة طمس الهوية وتفريغ الجزائريين من وطنيتهم بتوسيع ثقافة العنصرية والتفوق العرقي وتمكين سموم الأيديولوجية في أوساط المثقفين وأشباه المثقفين؛ لأجل تغيير صورة الواقع التعسفي إلى ما يجب أن يكون عليه الواقع الجزائري من تجانس وانتظام، ولأجل التعايش والعيش بسلام كان لابد من ممارسة نوع من التفكير الفلسفي التحليلي والنقدي للأوضاع للاهتداء لسبل التحرر والحرية وقيمها الأخلاقية وفي ظل

الأحداث والوقائع التاريخية تصنع الفلسفة لتاريخ نظرية التحرر في أبعادها الشمولية يقول "بوخاري حمّانة": «أن ما نقصده بالنظرية الثورية ليس المراهقة الثورية أو أحلام اليقظة الثورية فحسب كما قد يعتقد البعض، بل تلك النظرة النقدية والأصلية للواقع الاستعماري وما تحمله من رفض كلي له، ومن قطيعة شاملة معه ومع كل مشاريعه، ومن مشروع عملي كذلك لاستبداله تلك النظرة ليست شيئاً آخر، وكما سبق أن أشرنا سوى ما نطلق عليه الفلسفة» (حمّانة، 2012، ص21)؛ لأن التاريخ يحتوي الفكر والسياسة والأيديولوجيا ومختلف النظم والفلسفة مسيرة لنشأة الحضارة وأشكالها الثقافية الإيجابية والسلبية لتمحيص سماكة الحقائق من هشاشتها خاصة في قضايا العدالة الإنسانية.

غالبا ما يتفق الشعب وممثليه على جملة سلوكيات أخلاقية يتعهدون على المحافظة عليها والعمل على تجسيدها وهذا ما أقروه لأجل الظفر بالاستقلال والحرية وطرد المستعمر من أرضهم المقدسة من هذه المبادئ: {التفأؤل، الوضوح، العمل، الديمقراطية، التكامل} (حمّانة، 2012، ص213)؛ تبدو هذه المبادئ تجمع بين المستقبل والحاضر في ديناميكية الفعل والإجراء، مما يضفي عليها مصداقية ونجاح جسده فلسفة الكفاح والتصدي حيث: «ضمنت هذه الفلسفة لثورتها عملا متوازنا ومتكاملا حال دونها ودون التطرف الذي لا تزال تصطدم به الكثير من الثورات» (حمّانة، 2012، ص236)؛ لأسباب عدة منها الأيديولوجية ومنها العرقية... الخ

3. شذرات هوية من حياة "سارتر" و"سيمون دي بوفوار"

"سارتر جون بول" (1980/1905) فيلسوف وكاتب فرنسي، متخرج من الايكول نورمال العليا ومجاز بالفلسفة، تلقى مبادئ الكاثوليكية من أمه بعد وفاة والد، في عام 1926 تعرف على سيمون دي بوفوار، انضم إلى حركة المقاومة -الجهة القومية-، كما أسس التجمع الديمقراطي وساند الحزب الشيوعي، كان له مواقف سياسية خارجة عن حدود فرنسا فاحتج على الحروب في الجزائر والهند الصينية وغيرها، من أهم مؤلفاته: موتى بلا قبور، الوجودية إنسانية، عارنا في الجزائر، الغثيان (ألفا، 1992، ص531-532).

ولدت "سيمون دي بوفوار" حسب ما هو مؤرخ في مذكراتها على: «الساعة الرابعة من فجر اليوم التاسع من شهر كانون الثاني عام 1908» (دي بوفوار، 1959، ص1)، فهي تخلص المحطات المهمة في حياتها: «ولدت في بولفارر اسباي تقول في تشرين الأول 1913 قرروا أن يدخلوني مدرسة لها اسم جذاب مدرسة (ددزير) (مدرسة الرعية) في تشرين الأول 1917 التقت

بزا، تشرين الأول 1925 تدرس الآداب في نوبي على جاريك تدرس الرياضيات العامة في المعهد الكاثوليكي، أكتوبر 1926 تنظم إلى الفرقة الاجتماعية التي يرأسها جاريك تدرس الفلسفة في السوربون، تشرين الأول 1927 السوربون (آخر شهادات الآداب والفلسفة، تشرين الثاني 1928 السوربون والإكول نورمال (تحضير دبلوم الدراسات العليا و الأريجاسيون في الفلسفة»(دي بوفوار، 1959، ص1).

تلقت "سيمون" الدراسة في السوربون وبعد تخرجها امتنت تدريس الفلسفة مدة اثنتي عشر سنة إلى أن غدت سنة 1943 كاتبة محترفة، ومنذ ذلك الحين ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بجان بول سارتر وبمجلته الأزمة الحديثة Les Temps Modernes (كراتستون، دس، ص654)، وهذا ما انعكس في وجوديتها المؤمنة التي طبعت الكثير من قضايا العصر والإنسان في أبعادها الثلاثية -ماضي، حاضر، مستقبل- من أهم مؤلفاتها نوجز الآتي: الجنس الآخر الجزء 1، 2(1949)، رسائل إلى سارتر(1990)، حب عبر الأطلسي -رسائل إلى نلسون ألغرين 1947/1964- (1997)، عندما يتفوق الروحي(1979)، وكتاب شهادة جميلة بوباشا (1962) بالتعاون مع جيزيل حليمي (دي بوفوار، 2015، ص523-524)، كانت "سيمون" تجابه مشاكلها وقلقها الداخلي بالحديث إلى الله أو الكتابة في الأدب تقول "سيمون" «في عام 1939 أمسك بي التاريخ فلم يتركني قط بعد ذلك، وفي الوقت نفسه كنت أخوض غمار الأدب بعمق وإلى الأبد» (جانسون، دس، ص348)؛ فهي فصلت في نزعتة بميلها إلى الأدب ككاتبة وحبها للفلسفة كناقدة لكل الطابوهات الجامدة والتي تلغي الآخر ولا تعترف به إلا بالإشارة إلى -ثانوي، هامش- فهي ضد كل أنواع الاختزال الغير مبرر عقلياً وأخلاقياً.

4. الرابط الوجودي بين "سيمون دي بوفوار" و"سارتر" وخصوصيته:

يجزم النقاد والدارسين للفلسفة الوجودية الفرنسية بأن الثنائي الوجودي "سارتر وسيمون" يشكلان مخيال متكامل في القيم الوجودية والمواقف الإنسانية المساندة للسلام والتسامح والتعايش، وهذا ما تعكسه أعمالهما المتنوعة: في نهاية الحرب العالمية الثانية تبوأ سارتر وبوفوار على نحو سريع مكانة عالية بوصفهما مفكرين حريين وملتزمين، كتبوا في جميع الأنواع الأدبية: المسرحيات والروايات والدراسات الفلسفية وقصص الرحلات، السيرة الذاتية والمذكرات وأدب السيرة والصحافة (رولي، 2017، ص21)

رغم علاقاتها العديدة العاطفية والاجتماعية إلا أن "سيمون" اكتفت بحالة الاستثناء في حياتها وشبقها الأبدي "سارتر" وعن الحب تقول "سيمون" «كنت أرفض أن يبحث الجسم عن

الارتواء خارج الحب، وإذا أحببت فسأحب إلى الأبد وسأنخرط بكليتي، بجسمي وقلبي وفكر وماضي، فلم أكن أجد أي سبب يحملني على أن أقر لصاحبي من الحقوق مالا أقره لنفسه، إن حبنا لن يكون ضروريا وكليا إلا إذا احتفظ بنفسه لي كما احتفظ بنفسه له، ثم أنه يجب أن تكون الحياة الجنسية في جوهرها بالذات ولجميع الناس قضية رصينة، هذا ماجسده في تجربتها الوجودية الخاصة مع عشيقها الفيلسوف الوجودي "سارتر" معبرة عن هذه الحالة قائلة: «كان قد أتيح لي أن أوهب حظاً عظيماً وفجأة لم أعد وحيدة حتى ذلك الحين كان الرجال الذين تعلقت بهم "جاك" و"هريو" إلى حد أقل من فصيلة أخرى غيري: «كانوا يتصفون بالسهولة والخفة في الحركة والكلام، أميل إلى التفلت والشرود، يجنحون إلى قليل من تفكك التماسك والهذر، يتميزون بنوع من الرشاقة المشؤومة، كان من المستحيل التواصل معهم دون تحفظ، أما سارتر فقد كان يلبي بالضبط أمنية الخامسة عشر من عمري، كان هو الكائن المزدوج بي الذي وجدت فيه كل ضروب جنوني محتدمة إلى حد التوهج المضطرب، كنت سوف أستطيع أن أتقاسم كل شيء، دائما معه، عندما تركته في أوائل أبريل، كنت أعرف أكثر من أي وقت مضى أنه لن يخرج أبدا من حياتي» (جانسون، دس، ص 203-204)، حسها الوجودي وإيمانها بالحياة لم يمنع هواجسها إزاء الفقد والموت، وعبرت عن هذا القلق الوجودي نحو المجهول والعدم تصف تخيلها لتجربة نفسية مريرة جداً تخشى حدوثها: «كان في حياتي نجاح مؤكد علاقتي مع "سارتر" في خلال أكثر من ثلاثين سنة لم ننم ليلة واحدة غير متحدثين، وهذه التوأمية لم توهن الاهتمام والتشويق الذي كنا نجده في محادثاتنا، إن الشيء الوحيد الجديد والهام معاً الذي يمكن أن يحدث لي هو الشقاء، حيث أرى "سارتر" ميتاً أو أن أموت قبله، مخيف ألا يكون المرء هناك لكي يعزي الآخر عن الألم الذي يتزله به عندما يتركنا ويرحل، مخيف أنه يهجرنا وبصمت» (جانسون، دس، ص 207-208)؛ وقد عايشت "سيمون" تراجيديا رحيله بانهييار عصبي شديد "سارتر" الحب والفكر والثقة والانتماء والوطن.

1.4. وفاتهما :

"سيمون" التي جمعت بين الحس الأدبي المتدفق والحس الفلسفي النقدي المختلف، ترعرعت في مناخ فكري متراكم المذاهب، لكنها اختارت المذهب الذي يحمل قلقها ويعبر عنه كملجأ ومنجد أنه المذهب الوجودي، واخلصها لقضايا الوجودية إلى جانب زعيم الفلسفة الوجودية الفرنسي "جان بول سارتر" الذي ربطته بها علاقة جد خاصة؛ كانت شاهد كافٍ في

تاريخ الفكر العالمي أن تدفن معه في نفس القبر بعد (6) سنوات من رحيله بسبب توقف كليتيه عن النشاط لتلحق به معشوقته المدللة سيمونا التي كان يدلعها بفالكيري (Valkyrie) بمعنى الشجاعة المقاتلة بعد إصابتها بالتهاب رئوي حاد قضى على رئتيها توفيت "سيمون دي بوفوار" في 14 نيسان عام (رولي، 2017، ص44) 1986 وبعد رحيل "سارتر" بـ 6 سنوات تحديداً عن "سيمون" يوم 15 نيسان 1980 (رولي، 2017، ص439)، حيث دفن رمادها بجانب قبر "سارتر" في مقبرة مونبارناس (رولي، 2017، ص446)، حب وصداقة دامت أكثر من (35) سنة حسب الدارسين والنقاد تكللت بروايات عالمية ورؤى فلسفية ومواقف أخلاقية في المقصد الوجودي والإنساني ناجحة، وتاريخ يحوي في ذاكرته جل أعمالهما التي ترجمت إلى نحو (14) لغة عالمية تاركين من خلفهما فلسفة مليئة بالتناقضات وثورة على كل مظاهر الظلم والاستبداد والإقصاء وفي مقدمتها الحروب والاستعمار بكل أشكاله .

5. الموقف الوجودي النقدي للاستعمار الفرنسي وسؤال الحرية في الثورة الجزائرية

الإنسان محكوم بأن يكون حراً حسب "سارتر"، وهذا المبدأ الذي سارت على نهجه وغاياته "سيمون دي بوفوار" وهو مطلب وجودي وإنساني أعلنت الحرب مع معلمها الروحي "سارتر" على كل أشكال العبودية والظلم والحرب، لأن الإنسانية مشروع كامل ذلك أن: «الإنسان هو قبل كل شيء مشروع يعيشه على نحو ذاتي عوض أن يكون زبداً أو قذاراً أو قنبيطاً؛ لا شيء يوجد قبلياً بالنسبة إلى هذا المشروع، ولا شيء في سماء المعقولات، سيكون الإنسان قبل كل شيء ما أراد أن يكون عليه، وليس ما أجبر عليه ، وهذا دليل إرادة الوعي من أجل التغيير الذي نادى به "سيمون" من أجل نصرت قضاياها وفي مقدمتها قضية المساواة المطلقة بين المرأة والرجل وحق الشعوب في تقرير مصيرها وعلى رأسهم الفتنام والجزائر، وهذا ما جسده المنزع الوجودي "لسيمون" ورفيق قلبها وعقلها "سارتر" في موقفهما من الثورة الجزائرية وتجريمهم للاستعمار الفرنسي نستشهد على ذلك من -رسائل سيمونا إلى سارتر- ديسمبر 1961: «وحشي الحبيب هل ما زلت على قيد الحياة أم مت ... الطقس هنا بارد وكثير نحن نقتل الجزائريين الآن في باريس، لذا نمشي ونصبح في الشوارع السلام في الجزائر، استطعت الإفلات من عصا الشرطي بصعوبة» (دي بوفوار، 2016، ص4)؛ وذاكرة الجزائر تشيد بموقف "سيمون" من أجل عدالة المجاهدة "جميلة بوباشا" وتعذيبها في سجون فرنسا وقد رافقتها في المهمة الصحفية "جزيل حليمي" ودعمها "سارتر" في مجلته الأزمة الحديثة حتى تصبح قضية حريتها قضية العالم بأسره وليست مسألة خاصة تقول "سيمون" تصف

المجاهدة "بوباشا": «فتاة جزائرية في ربيعها العشرين عضو في جبهة التحرير الوطني، قبض عليها وأودعت غياهب السجن واعتدى رجال البوليس الفرنسي على عفافها بواسطة عنق زجاجة هل في هذا الأمر شيء من الغرابة والعجب؟ طبعاً لا إنه شيء طبيعي جداً، فنحن معشر الفرنسيين شركاء منذ عام 1954 في ارتكاب جرائم القتل البشعة من ذلك الحين قتل أكثر من مليون ضحية تحت ستار غاشم خادع اسمه: مقاومة الثورة أو التمرد» (دي بوفوار وحليمي، دس، ص 02)، الوقت نفسه يكتب "سارتر" في كتابه -عارنا في الجزائر- يقول: «إن الشيء الوحيد الذي يجب أن نقدمه للجزائريين اليوم هو أن نؤازرهم في جهادهم لتحريرهم وتحرير الفرنسيين من وصمة الاستعمار البغيض» (سارتر، دس، ص 27)، وهذا تجلى ضمن موقف النخبة الفرنسية الرافضة للاستعمار والحرب.

لقد تطور موقف "سارتر" تجاه الثورة الجزائرية في بداية الستينيات إذ دعم "فكرة الحرية" التي كان ينادي بها أثناء الحرب العالمية الثانية، «وفي فيفري 1960 قام بزيارة إلى كوبا مع "سيمون" وتقابل مع الرئيس الكوبي فيدال كاسترو (Fedel Castro) وزار جامعة هافانا حيث ناقشا مع الطلبة تطورات الثورة الكوبية وقارنها بالثورة الفرنسية والثورة الروسية، إلى جانب هذه النشاطات عقدا ندوة صحفية في التلفزة الكوبية، وفي هافانا التقى مع بعض المثقفين البرازيليين واستدعوه لكي يلقي محاضرة ويندد بالسياسة الديماغوجية الفرنسية تجاه الثورة الجزائرية» (عمراني، 2008، ص 141).

حملت "سيمون دي بوفوار" من جهة أخرى رسالتها للعالم وهي دعم حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ونيل استقلاله ضد حكومة بلاده الغاشمة إلى جانب ثلة من نخبة الفكر الفرنسي خاصتهم الفيلسوف الوجودي "سارتر" الذي أثر في شخصية "سيمونا" كونه صديقها المقرب، حيث جزم لها أنها ستكون تحت جناحه أي اهتمامه وحبه وهذا دلالة على اتفاقهما في المواقف الإنسانية المناشدة للخير والسلام في العالم وقد: «سافرت مع صديقها "سارتر" لعدة ملتقيات عالمية بشأن قضايا السلام العالمي وفي جوان 1955 حضرت مؤتمر السلام في هلسنكي حيث التقت بالوفد الجزائري الذي أطلعها على تفاصيل ما يحدث في الجزائر حيث تصرح بهذا: نعم لقد التقينا ببعض الجزائريين الذين شرحوا لنا الوضعية في الجزائر» (عمراني، 2008، ص 75)؛ عملت "دي بوفوار" على محاولة فضح جرائم التعذيب الاستعمارية وما يحدث للجزائريين وفتيات الجزائر من قتل واغتصاب وحرق وتشويه متكرر يقول "سارتر": «إن الاستعمار لم يكن محض مصادفة، ولم يكن وليد آلاف المشروعات

الفردية ، وإنما هو نظام أقيم حوالي منتصف القرن التاسع عشر، وبدأ يؤتي أكله حوالي 1880 ودخل في طور التصدع والانهيار في أعقاب الحرب العالمية الأولى وهو اليوم يرتد بالوبال على المستعمرين، هذا ما أود أن تتعرفوا عليه فيما يتعلق بالجزائر التي هي مع الأسف العميق أبلغ مثال وأبرزه للنظام الاستعماري، أريد أن أوفقكم على قسوة هذا النظام الذي لا بد أن ينتهي إلى هذه النهاية المفجعة» (سارتر، دس، ص05)، تقدم له "سيمون دي بوفوار" ملف المجاهدة "جميلة بوباشا" حتى يصبح قضية كل العالم وجريمة فرنسية تدين بشاعة الاستعمار وقبحه، "جميلة بوباشا" سجنّت أكثر من شهر وأزيد عن ثلاثة أيام وعذبت بين السجون الفرنسية في الجزائر بشتّى ألوان العذاب ، ولأجل الإفراج عنها وتحريرها من وحشية المستبد الفرنسي تم هذا كما تؤكد "سيمون" بمعية المحامية ذات الأصول التونسية والجنسية الفرنسية "جيزيل حليمي" للمرافعة الإعلامية والقضائية ومشاركة الرأي العام العالمي لقضية "جميلة بوباشا" وما تتعرض له من مأساة ففي أيلول 1958 تم القاء القبض عليها بتهمة وضع قنبلة بمقر الجامعة ومحاولة تفجيرها، لكنه تم اكتشافها قبل تفجيرها وظل البحث متواصل عن "جميلة" حتى شباط 1960 تم اعتقالها وتوقيفها من دون أدلة مادية سواء رسالتين من أحد المجاهدين (جمال/ كمال)، وهذا كان عند العساكر الفرنسية لغما كافيا لمعاقبة "جميلة" بكل ما لا يتصوره العقل من حيوانية كشفت عن دناءة وحقارة الجنس المستعمر: «لقد حطم الاستعمار الفرنسي كل شيء في الجزائر وذلك من أجل إخماد الثورة التحريرية حيث قام باغتصاب معظم فتياتنا اللواتي تتراوح عمرهن بين 19 و25 ومن بين بناتنا جميلة بوباشا 23 سنة والتي لها صلة وثيقة مع جبهة التحرير سجنّت بطريقة غير شرعية وتعذبت بأبشع طرق التعذيب حيث اجلسوها بالقوة على زجاجة وربطها بحبل من يديها ورجليها وقام بجلدها ثم مهماز كهربائي وغطسها في الماء وأخيرا حرق جسمها بسيجارة من قبل الجلادين، هذا بقيت جميلة لمدة أسبوع في مؤسسة التعذيب تناجي ربها وعند خروجها من هذا الجحيم قال لها أحد الخونة المتعاونين مع الجلادين لم تغتصب بل تلذذت» (عمراني، 2008، ص106).

الحديث عن مرارة التعذيب وصمود المرأة المجاهدة أمام قوة وسلطة المستعمر هو رمزية على التضحية بالنفس والنفيس في سبيل إنجاح الثورة ولعل ما أصاب المجاهدة "جميلة" يشخص الأمراض النفسية للاستعمار وغريزته المتعطشة لتعذيب والتلذذ بألم الآخرين وأنينهم والاستمتاع بلون الدم والعبث بالأخلاقي بكرامة الضعفاء وانتهاك عذريتهن بشكل بشع ومنحط إنسانيا لا يتماشى إلا مع أعراف نفسيات تفتقر للإيمان والقيم، يقول "سارتر": «لقد

تم الغزو بالعنف، والاستغلال المتزايد والاضطهاد يقتضيان دوام العنف أي حضور الجيش، ربما لا يكون في الأمر تناقض لو كان الرعب يعم الأرض كلها، ولكن المعمر يتمتع هناك في الوطن الأم بحقوق ديمقراطية يرفضها النظام الاستعماري بالنسبة للمستعمرين: النظام هو المتسبب في تكاثر السكان لإحباط كلفة اليد العاملة وهو نفسه الذي منع كذلك اندماج السكان المحليين: ولو كان لديهم حق التصويت لفجر تفوقهم العددي كل شيء في الحين، والاستعمار يرفض حقوق الإنسان الناس قهرهم بالعنف، ويبقيهم بالقوة رهن البؤس والجهل إذا في وضع بشرية متدنية" كما يقولها "ماركس" والعنصرية مسجلة في الأحداث ذاتها وفي المؤسسات وفي طبيعة المبادلات والإنتاج بالقوانين الأساسية» (سارتر، 2007، ص5).

إذا ينبغي التسليم بأن كل سلطة تمارس التعذيب بحكم قوتها فهي مستبدة سواء كانت ديكتاتورية أو استعمارية أو في أي هيئة كانت فهي مفككة للوجود الإنساني يقول "هنري سيمون" إن ممارسة التعذيب هي: «إحدى مخازي الإنسانية ويمكن الايضاح أنها صارت أحد عيوب المدنية الغربية التي ظلت ترضى بها باستمرار حتى نهاية القرن الثامن عشر واستعيدت في القرن العشرين تحت أشكال أكثر الاعتراف بها أو يقل» (سيمون، دس، ص14)؛ ورغم أن التعذيب يعبر عن مظاهر الدونية والوحشية والهمجية وكل ما لا يخدم النزعة الإنسانية في مرجعياتها القيمية والمقدسة إلا أن العدو في الحرب لا يعرف شرف المعركة، عدم التوازن العسكري والمادي والعلمي بين الجزائر المستعمرة وفرنسا المستعمرة سقط أمام إيمان الجزائريين بقوة الإرادة ودهاء التخطيط وحكمة التسيير وبطولة التنفيذ دون جبن ولا هوادة، إن المروءة الثورية لا تحتاج دبابة من الأسلحة لجنود جبناء بل تحتاج لدبابة من المشاعر الوطنية الحرة والباسلة تحمل على عنقها شرف القضية ومسؤولية تحرير الأراضي الجزائرية من البر إلى البحر وفق تضامن كل الجزائريين دون استثناء نوعي بين المرأة أو الرجل أو عرقي أو جغرافي فهي ثورة كل الوطن ورغم ما لحق بالفدائيين والفدائيات خاصة من فنون التعذيب المشين (وسائل الصدمة النفسية والتصفية الجسدية) هذا الأخير رغم أن عصبة الأمم وهيئة الأمم وكل منظمات الحقوقية في العالم تندد به وتمنع ممارسته ضد شرعية وشرعية العيش المشترك والسلام، إلا أن الدول القوية المستعمرة تمارسه ضد فرائسها من الدول الضعيفة خاصة شعوب العالم الثالث ومثال ذلك جرائم فرنسا ضد الجزائريين وكون التعذيب نوع من جنس لا إنساني حقير فحتمًا العنف هو عنوان العدو المستعمر وأثره يقول "فرانز فانون":

«المستعمر هو سبب العنف وهو خالقه وكل عنف من أهل البلاد ومن حركتهم الثورية مهما بلغت شدته هورد فعل على العنف الأصلي» (فانون، 2004، ص73).

هذا يفسر العلاقة الطبيعية بين التعذيب والتعنيف والتسلط والاستبداد والقهر والظلم والتظلم والاهانة والتحرش وغيرها من أساليب التعذيب المتعمدة والمعتمدة من قبل الاستعمار على مر التاريخ البشري: «لقد انتشر جيشنا في الجزائر في كل القطر، ونحن متفوقون بالعدد والمال والسلاح وليس للشوار شيء باستثناء ثقة جزء كبير من السكان ومساندتهم، ولقد حددنا غصبا عنا الخطوط العريضة لهذه الحرب الشعبية، عمليات في المدن وكماثن في الأرياف، لم تختار جبهة التحرير الوطني نشاطاتها، إنها تفعل ما تستطيع، لا غير، إذ تحتتم عليها قلة قواتها» (سارتر، 2007، ص61)

الاستعمار نذير شؤم وخراب لا يقدم الورد والعطر بل السلاسل والأغلال وروائح الجثث والحرق والكيماوي وكل صور الإبادة والدمار وما حدث في الجزائر منذ 1830 حتى اندلاع الثورة 1954 كله مراحل متفاوتة الدرجة في أكسدة التعذيب لمحو حقيقة الجزائر وامتدادها القومي والتاريخي في حضورها الهوياتي الأصيل؛ إذا العلاقة بين الاستعمار والتعذيب ضمنية بالضرورة، لأن الاستعمار حسب المقولة الشهيرة "للمارشال بيجو" هو: "الفتح البربري الكبير".

ومنه يفهم أن من وسائل تحقيق هذا المشروع بسط التعذيب وتعميمه في كل أنحاء الوطن من خلال سياسة فرنسا الإجرامية، حيث تعددت وتنوعت أساليب التعذيب من مؤسسة إلى أخرى أي مؤسسات التعذيب -سجون، معتقلات، غابات، مساكن، ففضية المثقف الفاعل "هنري علاق" مثلا كانت لها أثر مركزي في زعزعة الرأي النخبوي نحو الحريات للضغط على المركز السياسي الفرنسي المفلس بأطماعه الاستعمارية: «لم يكن علاق ولا أودان إرهابيين، والدليل على ذلك أن علاق متهم بالمساس بأمن الدولة وإعادة تأسيس رابطة محلولة، هل كان الغرض من إحراق صدره وشعر عانته لتنجية الأرواح؟ لا، بل كان الغرض انتزاع عنوان الرفيق الذي آواه، إذ كل مسلم قابلا للسؤال بدون شفقة، وأغلب المعذبين لا يقولون شيئا لأنه ليس لديهم ما يقولون، إلا إذا قبلوا، لاجتناب الآلام، أن يقدموا شهادة كاذبة أو يعترفوا مجانا بجريمة لم تقتص ويتفق أن يتحملوا مسؤوليتها، أما الذين يمكنهم الكلام فإننا نعلم أنهم لن يتكلموا، كلهم أو أغلبهم، إذ لم يتفوه بكلمة أودان ولا علاق ولا فروج، وفيما يخص هذه النقطة بالذات فإن معذبي الأبيار أعلم بها منا» (سارتر، 2007، ص68-69)، استخدم الاستعمار كل الأدوات والوسائط والتقنيات والآلات لإبادة الملامح

الوطنية ومقومات الدولة الجزائرية وحارب الفئات المجاهدة نسوة ورجال بشيطنة القمع ومثالبه الإرهابية.

لأن العمل الثوري قاسم مشترك بين المرأة والرجل في وحدة الوطنية ومقومات التاريخ تقول المجاهدة "زهرة ظريف بطاطا": «كان هاجسنا الوحيد يومئذ هو تنفيذ عمليات تلحق أكبر الأضرار بالفرنسيين وكنا واعييين تماما بأهمية الرهانات السياسية والعسكرية لمثل هذه العمليات التي كانت تنفذ في جو من التضامن القوي والأخوة الصادقة، حتى أن كل فدائي وفدائية كان يتطوع وفي ذهنه حماية الأخر أو الأخرى، عله يكون أنفع منه للثورة خلال بقية المشوار الطويل» (عباس، 2004، ص 149-150)؛ فأن استعمال العنف هو الذي غذى الحس الوطني لإشعال ثورة نوفمبر المقدسة ذلك أن: «الجزائريون الذين كانوا يسجنون لأتفه الأسباب ويغرمون وفقا لمزاج ونزوات حراس الغابات ورجال الشرطة والدرك والشواش، قد فقدوا كل أمل في أن يتأنس الاستعمار أو ينقلب الكولون من مستغلين يتصرفون في شؤون البلاد كما يشاؤون إلى مواطنين عادييين لهم نفس الحقوق التي لغيرهم وعليهم نفس الواجبات» (الزيري، 1984، ص 93).

تروي البطلة "جميلة بوباشا" تفاصيل تعذيبها وتعنيفها داخل السجون الفرنسية لمحاميتها "جزيل حليبي" قائلة: «أنهم قتلة وسفاكو دماء، إنهم وحوش ضاربة وفي سجن حسين داي كان يبصقون على وجهي بعد أن تنهكهم عمليات تعذيب المتواصلة. كنت ملقاة تحت أقدامهم القذرة وأنا مجردة تماما من الثياب مثنخة بالجروح والكدمات مضرجة بالدماء. كانوا يبصقون في وجهي الخمر التي يجرعونها أما الأسلاك الكهربائية فكانوا يلصقونها على جسي العاري هل تعرفين كيف يكون ذلك بواسطة قطع الشمع كانوا يلصقون أطراف الأسلاك على أطراف ثديي ... وعلى ..وعلى أوه» (دي بوفوار وحليبي، دس، ص 21)؛ في حين صرحت محامية "جميلة بوباشا" بأنها فكرت في وسيلة للاتصال بالكاتبة الفرنسية "سيمون دي بوفوار" وكانت تجهل الطريقة لذلك رغم أنها متأكدة من موقف "سيمون" المناهض للاستعمار والمتثبت بالسلام والحرية وقيم الإنسانية لأجل دعم قضية العدالة والحرية في حق المجاهدة "بوباشا" تقول: «وفي اليوم التالي شعرت برغبة شديدة للالتجاء للكاتبة الفرنسية الكبيرة سيمون دي بوفوار، وفي الواقع لم أكن أستطيع تحديد الوسيلة التي عزمت دي بوفوار على معاونتنا بها، ولكنني كنت متيقنة يقينا تاما أن تعضيدها لقضيتنا يكون نزيها ونظيفا 100 في المائة وغير محدود المدى» (دي بوفوار وحليبي، دس، ص 49).

6. الخاتمة:

مما سبق تحليله نخلص إلى أن الثورة الجزائرية هي امتلاك الإرادة الحرة وشعب حر في تجسيد الحريات المشروعة والوقوف ضد الاستعمار الفرنسي وخططه الاستلابية للأرض والهوية والتي كانت مصدر تضامن نخبوي عالمي يتجاوز الأعراف والأعراق والانتماءات الأيدلوجية، ويقر بالإلزام الأخلاقي تجاه الآخر في حفظ حياته وكرامته وحرية وهذا ما جسده المشروع الوجودي الفرنسي في موقف كل من "سارتر وسيمون" النقدي لجرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وأهم توصية يعنى بها المؤتمر هو: تثمين وتعزيز قيم الاعتراف بدور الآخر في دعم الثورة الجزائرية ونصرتها في مواجهة ظلام المستعمر والاحتفاء به ضمن خطابات التاريخ والسياسة والفلسفة في أبعادها الوجودية العالمية.

7. قائمة المراجع:

إبراهيم، مذكور، (1983)، معجم الفلسفة، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
أنيسة بركات درار، (1985)، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب

بوخاري، حمادة، (2012)، فلسفة الثورة الجزائرية، ط1، منشورات دار النديم، الجزائر
جون بول، سارتر، (دس)، عارنا في الجزائر، ترجمة عائدة سهيل إدريس، دط، دار الآداب، بيروت

جون بول، سارتر، (دس)، عارنا في الجزائر، سلسلة كتب ثقافية، ط1، الدار القومية
روني، ايلي ألفا، (1992)، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له، الرئيس شارل
الحلو، مراجعة جورج نخل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت
زهير، المديني، (دس)، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس

سيمون، دي بوفوار، (2015)، الجنس الثاني، ترجمة سحر سعيد، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع،
دمشق

سيمون، دي بوفوار، جيزيل، حليبي، (دس)، مأساة تعذيب جميلة بوباشا، تعريب فاطمة عبد
الله محمود، ضمن سلسلة مذاهب وشخصيات، العدد 7، الدار القومية للطبع والنشر،
القاهرة

سيمون، دي بوفوار، (1959)، مذكرات فتاة رصينة، ترجمة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت

عبد المجيد، عمراني، (2008)، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة
فرانز، فانون، (2004)، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال أتاسي، مراجعة عبد القادر
بوزيدة، دط، دار القلم، بيروت
فرانسييس جانسون، (دس)، سيمون دي بوفوار أو مشروع حياة، ترجمة إدوارد الخراط،
دب، دن
محمد العربي، الزبيري، (1984)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دن: قسنطينة
محمد، عباس، (2004)، مثقفون في ركاب الثورة في كواليس التاريخ، ج2، دط، دار هومة
للطباعة والنشر، الجزائر
سارتر، جون بول، (2007)، مواقف مناهضة للاستعمار، توطئة فاطمة بلجرد، ترجمة محمد
معراجي، مراجعة أحمد معراجي، منشورات ANep
موريس، كراتستون، (دس)، "سيمون دي بوفوار"، ترجمة ادكار سركييس -محامي-، مجلة
دراسات في الآداب الأجنبية، بغداد
هازل، رولي، (2017)، سيمون دي بوفوار وجان بول سارتر وجهها لوجه الحياة والحب، ترجمة
محمد حنانا، ط1، دار المدى، بيروت
ي، (دس)، نصوص، ترجمة ميادة خليل، مجلة كلمات، العدد 2848، السبت 26 أذار

الثورة التحريرية الجزائرية

من منظور علم الاجتماع

المدرسة الرسمية ودورها في البناء التصوري لحرب التحرير الوطني 1954-1962.

The official school and its role in the conceptual construction

of the National Liberation War 1954-1962.

د.زيدان نعيمة¹ ، د. ميموني شهرزاد²

¹ جامعة وهران 2، naimazidan5@gmail.com

² جامعة معسكر، c.mimouni@univ-mascara.dz

مقدمة:

إن كتابة التاريخ من المسائل المهمة والصعبة لكل المجتمعات، باعتبار أن البحث والتقصي في الأحداث والوقائع التاريخية والتي أصبحت من الماضي، متوقفة على النزاهة العلمية للمؤرخ، مصداقية المادة التاريخية المتوفرة من الذاكرة الشفوية، الوثائق، المراجع، الرويات، الآثار... الخ. ومدى حرية التفكير داخل المجتمع وتقبل النتائج أو الحقائق التي تستند إلى براهين ودلائل مؤكدة. وأصعب من هذا هو كيف يُعرض هذا التاريخ ويدرس في المدارس، فمن بين توصيات لجنة الوزراء المعنية بتدريس التاريخ في أوروبا في القرن الحادي وعشرين تشدد على أن تدريس التاريخ يجب أن لا يكون أداة للاستغلال الإيديولوجي، أو يستخدم لترويج التعصب والنزعة الوطنية المتطرفة، وكراهية الأجانب ومن أهم الجوانب التاريخية التي تركز عليها حكومات الدول جانب التاريخ الوطني لما يكتسيه من أهمية في ترسيخ الذاكرة الوطنية لدى الجيل الصاعد وتعزيز الانتماء وغرس الروح الوطنية من خلال إدراجه في المناهج الدراسية، خاصة مادة التاريخ، التي تدرس في المدرسة الرسمية.

باعتبار هذه الأخيرة مؤسسة مختلفة عن باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فهي جهاز تنفيذي لمنهاج وبرامج مخطط لها للوصول إلى غايات وأهداف على مستوى جميع الأصعدة الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، العلمية والسياسية... الخ. وهي الجهاز القادر على خلق التوافق بين عناصر المجتمع ومؤسساته عن طريق توحيد المنهج الدراسي. حيث تتحمل الدولة مسؤوليتها فيما يخص المنهج المناسب والمعايير التعليمية الدنيا باعتبار أن التعليم الأولي والثانوي يختلف عن التعليم العالي الذي يتمتع بدرجة أعلى من الحريات الأكاديمية. والجزائر مثل سائر الدول اعتمدت تدريس التاريخ الوطني في المدارس أو بما يسمى التاريخ الرسمي، لما يكتسيه من أهمية على مستوى الشخص والمجتمع. خاصة حرب التحرير الوطني

1954-1962، التي كانت مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر حيث توجت بنيل هذا البلد استقلاله وسيادته. فقد شُهِدَ للثورة التحريرية الجزائرية على المستوى العالمي أنها كانت من أعظم الثورات ضد الامبريالية.

واعتبر الكتاب المدرسي من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الأستاذ في تقديم مادة التاريخ، والتلميذ لتحضير الدرس والمراجعة، وقد أدى وظيفته في تمجيد الثورة وترسيخ الصورة المثالية لهذه المرحلة وصانعيها. ولكن مع الانفتاح الكبير الذي عرفه المجتمع بفعل تطور وسائل الاتصال والتكنولوجيا والإعلام، بالإضافة إلى انتشار استعمال الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وقدرة الاطلاع على المؤلفات في هذا الموضوع، فُتِحَ المجال لتعدد المعلومة وتضاربها، مما يجعل الوصول إلى الحقيقة التاريخية خاصة للجيل الصاعد الذي من سهل استدراجه لما هو أيديولوجي أو غير حقيقي لتحقيق غايات وأهداف معينة، أمر غير هين، يضع مصداقية ما تقدمه المدرسة من خلال الكتاب المدرسي قابل للنقد، بحيث وجدت المنظومة التربوية نفسها تواجه تحديات ورهانات للمحافظة على ذاكرة الوطنية الجماعية. وبناء التصور التوافقي عن التاريخ الوطني ومنه حرب التحرير للمجتمع.

المنظومة التربوية في الجزائر ومادة التاريخ:

المرحلة الأولى 1962-1976: رفعت الجزائر المستقلة سنة 1962 التحدي في جو مضطرب على مستوى كل الأصعدة بفتح أبواب المدرسة، رغم قلة الماديات وهياكل الاستقبال، قلة الإطارات، ومشكلة سيطرت اللغة الفرنسية. فقد اعتمدت على تسيير التنظيم الموروث بكل محاسنه ومساوئه حتى لا يصاب الجهاز التعليمي بالشلل، كما عملت على إعادة اللغة العربية إلى مكانتها مرحليا بالاعتماد على إطار الممرنين وعلى جلب المدرسين من الدول الصديقة والعربية، كما عملت على تعميم التعليم وإيصاله إلى المناطق النائية بالقرى والأرياف. (بوفلجة، 31، 1993) وتضمن البرنامج الدراسي مادة التاريخ، واثرة المنهج عن الاستعمار مع بعض التعديلات، بحيث تميزت هذه الفترة بعدم تحديد واضح للأهداف تدريس مادة التاريخ، إذ لم تصدر برامج تعليمية رسمية ماعدا بعض الموضوعات المختارة وتبليغها إلى بعض المعلمين في أنحاء الوطن الجزائري. (لالوش، 221ص، 233).

وكانت الروايات عن الحرب والذاكرة الجماعية الحية للشعب باعتبارهم عايشوا هذه المرحلة، الإذاعة الوطنية والاحتفالات الوطنية من أهم الأسس التي غذت الانتماء الوطني للجيل الصاعد، ومجدت حرب التحرير الوطني.

-المرحلة الثانية 1976-2002:

ظهرت المدرسة الأساسية كإصلاح للنظام التربوي السابق، تماشياً مع التطورات التي شهدتها البلاد في عدة مجالات و التي تميزت بالجزأة وتعريب التعليم، وبالتعليم القاعدي الذي يدوم 09 سنوات كفترة إلزامية للتلميذ الذي يلتحق بالمدرسة في سن السادسة. ثم يليها الطور الثانوي ومدته ثلاث سنوات.

ومن أهداف المدرسة الأساسية تربية التلميذ على حب الوطن والدفاع عن مكاسب الثورة والتجنيّد الدائم للمشاركة في مهام البناء الاجتماعي، فحددت المضامين والأهداف لمادة التاريخ في الجانب المعرفي والمهاري والوجداني وتبنت التدريس بالمقاربة بالأهداف. كما جسدت هذه المضامين في الكتب المدرسية لمادة التاريخ فأدمجتها في الطور الثاني السنة الخامسة والسادسة من التعليم الأساسي لمدة ثلاثين دقيقة أي نصف ساعة في الأسبوع أما الطور الثالث فكانت حصّة التاريخ ساعة واحدة في الأسبوع عدا السنوات التاسعة ساعة ونصف في الأسبوع وكان معامل التاريخ واحد. "وقد شرع في تعميم تطبيق أحكام هذا الأمر ابتداء من السنة الدراسية 1980م-1981. (لالوش، د.س، ص، 223)

وسنقوم بتقديم لمحة عن مكانة موضوع حرب التحرير الوطني ضمن البرنامج الدراسي القديم والجديد انطلاقاً من مقال حسن رمعون تدريس حرب التحرير 1954-1962 ضمن كتب التاريخ القديمة والجديدة في المدرسة الجزائرية.

-حرب التحرير الوطني ضمن البرنامج الدراسي للمدرسة الأساسية:

إن أول رمزية لثورة الوطنية التي انطلقت الفاتح من نوفمبر 1954 هورفع العلم الوطني و النشيد الوطني الذي يردده التلاميذ كل صباح يوم دراسي في كل المراحل الدراسية. كما قدمت مادة التاريخ انطلاقاً من السنة الخامسة أساسي والتي تناول فيها التلميذ حرب التحرير الوطنية 1954-1962، من خلال الأربعة عشر درس من بين 17 درس. تتناول المواضيع التالية:

-أول نوفمبر/- نداء أول نوفمبر/- جبهة التحرير الوطني/-أحداث 20 أوت/- مؤتمر الصومام 20 أوت 1956/- جيش التحرير الوطني/-من جرائم الاستعمار التشريد والحصار/- من جرائم الاستعمار: التعذيب والقتل/- الشعب الجزائري يتحدى الاستعمار: الإضراب العام ل 8 أيام (جانفي -فيفري 1957)/الشعب الجزائري يتحدى الاستعمار: مظاهرات ديسمبر 1960/-الشعب الجزائري ينتصر(اتفاقيات إيفيان، استفتاء حول تقرير المصير وإعلان

الاستقلال 5 جويلية 1962)/- من الحرية /- الشعب الجزائري يواصل ثورته لبناء دولة اشتراكي (رمعون، 2012، ص.04)

وترفق هذه الدروس بملحق يضم سيرة وصور 16 شهيد الثورة الجزائرية ، تعليقات ومعطيات رقمية ، واحصائيات تصاحب صورا ومخططات، وتنتهي هذه الدروس ببعض الاسئلة والتمارين وملخص من 5 إلى 15 سطرا بالأحمر (كما هو الحال لبعض التعليقات). يبرز هذا الكتاب بشكل جلي لأنه يتضمن حوالي 70 صورة ومخططاً باللونين الأسود والأبيض (صورة الغلاف على خلاف ذلك هي بالألوان وتمثل العلم الجزائري محاطا بصور ترمز إلى الحرب و السلام). اختيرت هذه الصور وفقا للمفاهيم المتعارضة مثل: مضطهد / مضطهد، قمع / مقاومة، قوة وحشية / شجاعة وإصرار، رخاء / بؤس اجتماعي، وكل جوانب الحرب إضافة إلى تناولها، في بعض الأحيان مشاهد يصعب إظهارها للأطفال مثل (التعذيب، الجثث المشوهة...). (رمعون، 2012، ص.08)

وفي السنة السادسة عادت مادة التاريخ بالتلميذ إلى بداية الاحتلال حتى اندلاع الثورة 1954.

أما كتاب السنة التاسعة أساسي فقد تناول حرب التحرير في 8 فصول أو دروس معروضة على 75 صفحة وتتضمن العناوين التالية:-اندلاع الثورة //جبهة التحرير الوطني تقود الثورة //جبهة التحرير الوطني تخوض المعارك /موقف الاستعمار من الثورة //الشعب الجزائري يجبر فرنسا على الاعتراف بالاستقلال /التفاوض /موقف العالم من الثورة الجزائرية //ثمن الحرية. هذه النصوص مرفوقة بعدة صور (باللونين الأسود والأبيض) تمثل جيش التحرير الوطني إضافة إلى مشاهد للقمع الاستعماري. (رمعون، 2012، ص.12).

- المرحلة الثالثة 2002 - 2007 :

انتقادا لنظام المدرسة الأساسية ، ظهر إصلاح 2002، والمسمى المقاربة بالكفاءات "محاولة لتحديث المنهاج وتفعيله، حيث تربط المعارف مباشرة بالممارسات الاجتماعية وبوضعية معقدة ومشكلات ومشاريع، لأنها تأخذ بعين الاعتبار القدرة على تحويل المعارف فضلا على تحصيلها، كما أنها تساعد التلميذ الأكثر عوزا في الوقت الراهن على التعلم والنجاح". (سليمان، 2011، 280)

حاملا معه تغييرات للمنهاج الدراسي، كما قسم التعليم القاعدي الذي بقي إجباريا إلى الطور الأول الابتدائي ويدوم 5 سنوات والمرحلة المتوسطة مدتها 4 سنوات، ثم إذا نجح

التلميذ في امتحان شهادة التعليم المتوسط ينتقل إلى المرحلة الثانوية التي تدوم 3 سنوات تتوج بمسابقة البكالوريا.

-حرب التحرير الوطني ضمن البرنامج الدراسية الجديدة:

تناولت كتب المرحلة الابتدائية تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962 انطلاقا من السنة الثالثة ابتدائي ، متضمنا الكتاب المخصص لهذه السنة الموضوع التالية: تاريخ تفجير الثورة التحريرية الكبرى/- مسار الثورة التحريرية الكبرى/-نتائج الثورة التحريرية الكبرى. ويتضمن الكتاب أيضا صور عن لاستعمار ، اندلاع الثورة، التضحيات ، الاستقلال.

كما تناولها كتاب السنة الخامسة الابتدائي من خلال صور تمثل المسؤولين الخمسة لجهة التحرير الوطني أثر تحويل الطائرة من طرف المصالح الفرنسية في أكتوبر 1956، المفاوضات الجزائريين بايفيان في سنة 1962، كما قدم الكتاب صورة الجنرال ديغول لما ألقى خطابه بالجزائر سنة 1958.

كما جاء موضوع حرب التحرير في كتاب السنة التاسعة أساسي ضمن سياق التاريخ العام للجزائر منذ بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر حتى ما بعد الاستقلال.

أما في المرحلة الثانوية، فقد ضم كتاب السنة الثالثة ثانوي حرب التحرير الوطني منذ اندلاع الثورة حتى الاستفتاء حول الاستقلال. (رمعون، 2012، ص.06).

بحيث نرى أن حرب التحرير الوطني نالت نصيبا وافرا ضمن مواضيع مادة التاريخ في كل الأطوار التعليمية، ولكن هل هذا يكفي لترسيخ الذاكرة الوطنية ، والاعتزاز بالتاريخ الوطني والسير على خطى الأسلاف، أما الانفتاح على العالم وماله من تأثيرات وانعكاسات؟ .

-الانفتاح على العالم وأثره على مصداقية التاريخ الرسمي المدرسي:

لقد أدى تطور الوسائل التكنولوجية والإعلام والاتصال والعولمة إلى انفتاح المجتمع الجزائري على العالم والأفكار والأيدولوجيات المختلفة ، مما قد يؤثر على الهوية الثقافية للمواطن، والتي من أهم عناصرها الدين ، اللغة، التاريخ المشترك.

-الفضائيات ومناقشة مواضيع تاريخية عن حرب التحرير: تلعب وسائل الإعلام والاتصال من جرائد وإذاعة وتلفاز أهمية كبيرة في نشر التاريخ الوطني ، ولكن مع انتشار الفضائيات المقعرة خاصة بعد 2002، بحيث أصبح المواطن يستطيع مشاهدة قنوات عديدة وبخلفيات مختلفة مما يؤثر في الرواية الرسمية للتاريخ الوطني ويخلق نوعا من الاضطراب للتلميذ خاصة .

-انتشار استعمال الانترنت وتضارب المعلومة التاريخية عن حرب التحرير:

تعتبر الانترنت من أهم التطورات التكنولوجية والتي أثرت بشكل كبير على الأفراد والمجتمعات، فقد سرعت عملية الحصول للمعلومة وتنوعها واختلافها وتنوع الآراء والأفكار عبر مواقعها مثل google, youtube، كما خُلِقَ عالم العلاقات الافتراضية عبر مواقع ويب للتواصل الاجتماعي مثل، التويتر، الانستقرام، الفايسبوك هذا الأخير الذي يمكن الولوج إليه مجاناً، وهو من أكثر المواقع استخداماً بالنسبة للجزائريين بحيث بلغ عدد المشتركين فيه أكثر من 4 ملايين و832 ألف جزائري سنة 2013 لجزائري، ليرتفع العدد الى أكثر من 6 ملايين سنة 2015 وبما أنه موقع تشاركي تفاعلي فهو يؤثر على الهوية الثقافية.(بن زايد، 2018، 270)

خاصة على الشباب والقصر مثل التلاميذ، مما يجعل مهمة المدرسة أصعب في إرساء مصداقية المعلومات التاريخية التي تقدمها للتلميذ وكيفية ترسيخ هذه المعلومة لديه.

-الكتابات الغربية عن تاريخ الجزائر:

تدعي الكثير من كتابات الغرب التي تحاول طمس التاريخ الوطني، أن الثورة التحريرية 1954-1962 لم تكن موقفاً وطنياً ضد الامبريالية والاضطهاد بل هي بايعاز من الخارج أو قامت نتيجة الظروف السوسيو-اقتصادية مثل الفقر والمجاعات والبطالة.(سعودي، 2021، 45) وإطلاع القصر أو حتى البالغين على هذه المؤلفات دون نقد أو تمحيص وتشبع بالثقافة التاريخية الوطنية يشكل خطراً على مصداقية التاريخ الوطني وذاكرة الوطنية.

وأمام هذا الخطر الداهم جراء الانفتاح على العالم، تواجه المدرسة الجزائرية بدورها عدة عراقيل تمنعها من تحقيق البناء التصوري التوافقي داخل المجتمع.

-المدرسة ومعوقات الوصول إلى أهداف مادة التاريخ، خاصة الوطني:

إن الاعتماد على الكتاب المدرسي والمدرس فقط للوصول إلى أهداف تدريس مادة التاريخ خاصة الشق المتعلق بالتاريخ الوطني ومنه حرب التحرير 1954-1962، لا يكفي في وقتنا الراهن، وأمام جيل منفتح على العالم، كما أن اقتصار تدريس المادة في الصف فقط، تجعل منها مادة مملة، معتمدة بالنسبة للتلاميذ على الحفظ فقط للنجاح في الامتحان.

ومن بين العوامل التي تهدد وصول مادة التاريخ بصفة عامة وتدريس موضوع حرب التحرير الوطني بصفة خاصة إلى الأهداف المسطرة ما يلي:

-عدم اهتمام التلميذ بمادة التاريخ:

تعتبر مادة التاريخ بالنسبة لبعض التلاميذ من المواد الغير مرغوبة، باعتبارها مادة حفظ فقط، ومسقطه في الامتحان خاصة البكالوريا ، ، كما يولي التلميذ خاصة في المرحلة المتوسطة والثانوية أهمية أكبر للمواد العلمية والرياضية لاعتبارات مهنية مستقبلية بالإضافة إلى أن معامل مادة التاريخ خاصة في التخصصات الغير أدبية أقل من معاملات المواد الأخرى. وهو ليس بالأمر الجديد، فقد هتف تلاميذ الثانويات في شتاء 1979 بعبارة التاريخ إلى المزلة ، اثر إعلان وزير التربية إدخاله في امتحان البكالوريا العلمية ، مما أدى إلى إلغاء هذا القرار، الذي نفذ لاحقا بشق الأنفس.(لالوش ، د.س، ص222)

طريقة تدريس مادة التاريخ وانعكاسها على التلميذ:

هنالك مدارس لا زالت تعتمد الطريقة التقليدية في التدريس والتي تتمحور حول ما يقدمه الأستاذ والكتاب المدرسي، رغم الإصلاحات التي جاءت بها المقاربة بالكفاءات التي أضافت طريقة المشكلة و طريقة المشروع ، بحيث تفتقر مدارس كثيرة إلى الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تساهم في وصول المعلومة التاريخية لفكر التلميذ بسلاسة ، كما لا يوجد تغيير في البرنامج مثل الخرجات التثقيفية توعوية إلى المتاحف خاصة مع جائحة كوفيد -19 ، أو أماكن شهدت أحداث مهمة وقت الثورة الوطنية ، أو استضافت مجاهدين وباحثين في التاريخ ومفكرين ، أساتذة جامعيون إلى المدارس ... الخ

-قصور الأنشطة المدرسية في إحياء الذاكرة الوطنية:

من خلال فلسفة التربية البرقماتية لجون ديوي ، اكتست الأنشطة التربوية أهمية كبيرة لما تكتسيه من دور فعال في عملية التربية يفوق أحيانا أثر التعلم في حجرات الدراسة ، لان الطالب أو التلميذ عنصرفال في اختيار لون النشاط الذي يشترك فيه وفي وضع خطة العلم وتنفيذها، مما يجعل الإقبال عليها متميزا بحماس أشد مما يتوافر لدراسة المواد الدراسية. (الفقيري، 2014، ص.14) .

ومن بين أهداف الأنشطة التربوية إحياء الذاكرة الوطنية وغرس الروح الوطنية ، ولكن ما نلاحظه في المدرسة الجزائرية ، هو قصور في مجال الأنشطة التربوية خارج المنهج أو البرنامج التدريسي ومنها:

أ-عدم تفعيل المسرح المدرسي:

يقول شكسبير: "أعطني مسرحا أعطيك شعبا عظيما " ويقول فولتير في المسرح تجتمع الأمة . إذ يلعب المسرح المدرسي دورا مهما من حيث مساعدة التلميذ أو الطالب على التعلم

ويسلط مواد الدراسة عبر مسرحية المناهج بأساس تربوي ، كما ينمي الذوق الجمالي والفني، والثقة بالنفس ويكسب الفصاحة والشجاعة الأدبية و مهارة التواصل اللغوية ، ويساهم في حل المشاكل الاجتماعية ، ويخلق شخصية اجتماعية واعية ، يعلم التلميذ الانضباط ، النظام ، التعاون ، والأهم من هذا يرسخ روح الانتماء إلى الجماعة ، ومن بين أنواع المسرحيات المدرسية مسرحيات المناسبات الوطنية ، والمسرحيات التاريخية التي تجعل التلميذ يعيش الفترة التاريخية المجسدة مسرحيا بكل جوارحه.

(كبار، 2017، ص77)

ولكن المسرح الدراسي معطل في المدرسة الجزائرية على الرغم أنها كانت تهتم به منذ إنشاء المدرسة الجزائرية المستقلة.

ب-عدم نشر قصص واقعية عن شخصيات وأحداث تبين شجاعة وذكاء وتضحيات المجاهدين والشهداء:

فقد لوحظ أن الكتاب المدرسي لم يهتم كفاية بتناول الشخصيات الوطنية (الجوزي، 2019، ص24)

بحيث عُرفَ المجاهدون وقادتهم بالحقاقة والذكاء فيما يخص التعامل مع عدو يفوقهم قوة وعدادا وخبرة حربية احترافية، كما تسخر الحرب التحرير بشخصيات شهد لها العدو نفسه والعالم بالشجاعة والذكاء، ومثل هذه الشخصيات التي لا يعطى لها حقها في مادة التاريخ أو في المواد الأخرى ، هي التي تغرس في نفوس التلاميذ حب الوطن ، والاعتزاز بالتاريخ الوطني الغني بالأمجاد و البطولات.

ج-قصور في إقامة مسابقات حول بحوث عن الثورة التحريرية ، كتابة الشعر الوطني ، والأناشيد:

يدخل نشاط المسابقات بين المدارس في إطار فلسفة التعلم الحديثة، التي غيرت من مفهوم المنهج التربوي التقليدي القائم على التحصيل الأكاديمي ، إلى مفهوم واسع وحديث يضم أنشطة غير البرنامج الدراسي الكلاسيكي . ومنه المسابقات المدرسية التي تملب دورا ايجابيا في العملية التعليمية والتربوية (المحي، 2018، ص102).

ولكن نظرا لكثافة البرامج الدراسية ، هناك قصور في إقامة مسابقات بين المدارس أو الثانويات خاصة فيما يخص الجانب التاريخي ، حيث تعزز العمل والبحث وتمجيد الذاكرة الوطنية.

-عدم تدريس مادة علم الاجتماع :

إن طريقة الإلقاء والتلقين المعتمدة في تدريس مادة التاريخ ، عززت أسلوب الحفظ لدى التلميذ ، وأدى بهم حسب دراسة الجوزي وهيبة إلى اكتساب ثقافة تميل نحو أسلوب التعميم في طرح وفهم القضايا. وأيضا أدى إلى عجزهم عن معالجة القضايا بدقة وتخصيص، لقضايا الواقع الاجتماعي المعاش. (الجوزي ،24،2019) في وقت نلاحظ فيه أن التلميذ وحتى في المرحلة الثانوية يجهل تماما تخصص اسم علم الاجتماع ، مما يجعل مفهوم المجتمع مهما لدى التلميذ، ولا يعي الطبيعة الإنسانية والمجتمعية والعلائقية ، ولا يكتسب الطريقة العلمية التي تجعله يحلل وينتقد بموضوعية وعلمية للأحداث التاريخية دون أن يتأثر انتماءه الوطني، وتمجيده لانجازات أسلافه ومنها ما قدموه في حرب التحرير من أجل تحرير الوطن.

خاتمة:

تعتبر حرب التحرير الوطني (1954-1962) من أهم الفصول التاريخية للجزائر ، والتي مكنتها من استرجاع حريتها وسيادتها ، ونظر لأهميتها القصوى في تعزيز الروح والوحدة الوطنية ، شغلت نصيبا معتبرا ضمن البرامج الدراسية خاصة مادة التاريخ لكل المراحل الدراسية الأولية والثانوية.

وبما أن المراحل العمرية للتلاميذ في الأطوار الثلاث من أخطر المراحل ، عمدت الحكومة الجزائرية لتلقين الجيل الصاعد منذ الاستقلال ، خاصة بعد إصلاح المنظومة التربوية سنة 1976 التاريخ الوطني حفاظا على الذاكرة الوطنية .

ولكن الاعتماد على الكتاب المدرسي والأستاذ فقط لا يكفي لترسيخ الذاكرة الوطنية وغرس الانتماء الوطني أمام الانفتاح على العالم وانتشار المعلومات وتضاربها في نفس الوقت، مما يلزم المدرسة بإعادة النظر نحو طريقة تدريس مادة التاريخ الوطني.

المراجع:

بوفلجة غياث،(1993)، التربية ومتطلباتها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
عبد العزيز الفقيري، (2014)، المتجدد في النشاط المدرسي، السعودية، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع.

صليحة لالوش، (د.س) ،تدريس مادة التاريخ في مرحلة التعليم المتوسطة،مجلة البحوث التربوية والتعليمية، المجلد الرابع، العدد 7 ،ص ص 217-246

حسن رمعون،(2012) تدرّيس حرب التحرير 1954-1962 ضمن كتب التاريخ القديمة
والجديدة في المدرسة الجزائرية، انسانيات ، ص ص39-40 .
صباح سليمان، (2011) ملامح إصلاح المناهج التربوية في الجزائر في ظل المقاربة بالكفاءات،
مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خضير ، بسكرة، العدد23، ص.280
بن زايد إيمان ، سي موسى عبد الله، (2018)، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية
الثقافية، مجلة دراسات ، المجلد 07، العدد02، ص 270.
سعودي أحمد،(2021) التاريخ الوطني من منظور بعض الكتابات الأجنبية ، مجلة دراسات
وأبحاث ، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مجلد 13، العدد1 ، ص46.
الجوزي وهيبه، 2019، المنهاج التربوي وعلاقته بالثقافة التاريخية، مجلة جيل العلوم
الانسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 52، ص 24.
عادل كبتار،(2017) المسرح المدرسي : أهميته، أهدافه وعوامل نجاحه، 2017/11/20، تعليم
جديد ص.77. <https://www.new-educ.com>
محمد الماحي،(2018) ، المسابقات المدرسية.. تُشعل المنافسة والإبداع والابتكار 2018/10/18
<https://www.alkhaleej.ae>

بيان أول نوفمبر 1954: قراءة سوسيولوجية

The statement of the first of November 1954 : A sociological reading

_____ د. نوار بورزق¹. أ. محمد عبيد² _____

¹ مخبر الدراسات في الرقمنة وصناعة المعلومات الالكترونية بالمكتبات، الأرشيف والتوثيق،
جامعة العربي التبسي، تبسة (الجزائر)
² جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

1. مقدمة:

منذ أن احتلت الطلائع الأولى للجيش الفرنسي الجزائر، والشعب الجزائري يقاوم هذا الاحتلال ولم يستسلم له، غير أن عدم تكافؤ القوى من جهة، وتشتت جهود المقاومة من جهة ثانية، جعل كل حركات المقاومة تبوء بالفشل. وسمح للاستعمار الفرنسي باطالة وجوده في الجزائر، ومنفذا مشروعه بكل عنجية، ومن دون انسانية.

ومنذ بداية هذا التواجد والقوات الفرنسية، تتعسف في استخدام القوة في مواجهة الجزائريين، حكمتهم بقبضة من حديد، عاش معها الشعب الجزائري مرارة الظلم والطغيان، والحقرة بكل أبعادها المادية، مثل التمييز بين الجزائريين وبين الجزائريين والمستوطنين، كما أنها كانت تحرم الجزائريين من حقوقهم وأملاكهم وتقدمها للفرنسيين. والبعد المعنوي مثل التعدي على مقومات الشعب الجزائري سواء ما تعلق بقيمه ودينه ولغته وتاريخه، بل ذهب بها الأمر إلى تزييفه.

وكل هاته السلوكيات والممارسات الاستعمارية كانت تتعمق وتزداد سوءا من عام إلى آخر، ولأن كل ضارة نافعة، فإن ذلك قد انعكس ايجابيا على ذهنية الشعب الجزائري ونخبه على مر الحقب التاريخية، وفي كل شبر من التراب الوطني، وكانت كل مرة توقظه ويزداد وعيه بأن دوام بقاء الجزائر تحت الاستعمار غير ممكن ومن المستحيلات.

فقد تنوعت المقاومة بين العسكرية والسياسية والاصلاحية، حيث قاومت بالعديد من الثورات الشعبية، وتأسست العديد الأحزاب، مثل نجم شمال افريقيا، حركة انتصار الحريات حزب الشعب، والتي كان بعضها كثيرا ما يتعرض للحل والتضييق كشكل من أشكال الظلم والحقرة، ومن الجانب الاصلاحي مثلا تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي قامت بعمل جبار، حيث حاربت سياسة التجهيل المتبعة من الاستعمار الفرنسي، وتصحيح عقائد

الشعب مما لحقها من خرافات غذتها فرنسا. هذا على المستوى الداخلي، وفي المستوى الخارجي تنامي حركات التحرر في العالم، ومساندة بعضها البعض، وآثار الحرب العالمية الثانية، كلها كانت دافعة لاعادة النظر في طريقة المقاومة، قصد تحقيق الاستقلال وقد ترجم ذلك في بيان أول نوفمبر الذي اعتبره العديد من المهتمين والباحثين بأنه جاء محدد الخطوط العريضة لمشروع الاستقلال (مشروع مجتمع).

ولأنه كذلك، وبالنظر للنتيجة التي حققها وجعلته يكون محل اشادة داخليا وخارجيا، فله قراءة سياسية وأخرى اقتصادية، وأخرى اجتماعية، وفي هذا السياق جاءت هاته المداخلات قراءته من منظور سيوسيلوجي، كيف تمكن هذا البيان من احداث تغيير اجتماعي، بفضلته تحقق الاستقلال.

- كيف يمكن قراءة بيان أول نوفمبر سيوسيلوجيا؟

2. التعريف ببيان أول نوفمبر:

وهو عبارة وثيقة سياسية صدرت في أول نوفمبر 1954 وصيغت من طرف مجموعة الستة التاريخية، وقد جاء تنويفا لجهد معتبر حيث تم عقد عدة لقاءات دورية خلال شهر أكتوبر عام 1954، كان آخرها اجتماع اليوم الثالث والعشرين منه، أين تم الفصل النهائي والموافقة على المسودة التي انتهى اليها كل من السادة محمد بوضياف، وديدوش مراد، مصطفى بن بوالعيد، وقد أعد باللغة الفرنسية، والعربي بن مهدي. بصفته مكلفين بالتحرير والصياغة. وقد حرر باللغة الفرنسية، ثم ترجم فيما بعد إلى اللغة العربية، وتم رقبته من قبل الصحفي والمناضل محمد العيشاوي كما تم نسخ 2700 نسخة منه في البداية (قاسمي، 2017، صفحة 332)،

وقد عالج هذا البيان الأهداف الداخلية والخارجية للثورة وبين هويتها وتطلعاتها، انطلاقا من النصوص الشارحة لوسائل عملها، وأساليبها المختلفة، وقد درج البيان على توضيف جميع الأرصدة الفكرية والتكتيكية لضمان تقديم سياق واضح، وذي معنى يتناسب ونموذج الدولة المستقبلية ومجتمعها الراخ تحت الاستعمار (زيتون، 2021، صفحة 40)

وعليه يعتبر بيان أول نوفمبر بمثابة برنامج سياسي

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

- احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية:

- التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.
- تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

- تدويل القضية الجزائرية
- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.
- في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية.

وسائل الكفاح: مواصلة الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا. إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين. وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقة في السلم، وتحديدنا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعدنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها.

- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.
- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة.
- وفي المقابل:
- فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية والمحصل عليها بنزاهة، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.
- جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.
- تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل (بيان أول نوفمبر)
- وعليه يبرز مستوى الوعي والنضج السياسي لأصحاب فكرة هذا البيان. وكذا طرحهم المتوازن حيث تحلوا بأخلاق عالية حتى مع خصومهم (الفرنسيين). كما أن المشروع كان واضح المعالم وهو متكامل، واستراتيجي في التعامل مع الأوضاع الداخلية والاستثمار في الأوضاع الخارجية. أن نص البيان كان ذو بعد وطني واء في تمثيل الستة، أو في احترام مكونات المجتمع الجزائري.
- 3. قراءة بيان أول نوفمبر من منظور التغيير الاجتماعي:

لكون التغيير الاجتماعي هو "أي تغيير يعتري العمليات الاجتماعية أو النظم الاجتماعية أو التكوينات الاجتماعية، وقد يكون التغيير تقدما أو تأخيرا، ثابتا أو مؤقتا، مخططا أو غير مخطط، موجها أو غير موجه، مفيدا أو ضارا" (سهيلة، 2019، الصفحات 85-86)، فإن بيان أول نوفمبر جاء قصد تغيير الأوضاع التي آل إليه وضع المجتمع الجزائري، وتفنيد للأطروحة الفرنسية القائلة، بعدم وجود دولة أو شعب أو أمة أو تاريخ جزائري، وهي الأطروحة التي تبنتها بعض النخب الجزائرية، وقد عملت الإدارة الفرنسية على تقزيم ونفي الآخر الجزائري، وطمس هويته وتاريخه (دعاس، 2020، صفحة 40)

أيضا من الناحية التنظيمية الوضع كان مترهلا، يسوده ضعفا على كل المستويات فلا تأثير للأحزاب وترابط بينها وبين الشعب، وسيادة منطق الصراع على مستواها، مما جعلها دون

روح، ولهذا جاء هذا البيان لاعلان عن ميلاد تنظيم جديد يحتوي الكل وينبذ الفرقة والتشتت، وقد جاء هذا صراحة في ديباجة البيان حيث نص على أن "حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة، نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجهها سيئ، محرومة من سند الرأي العام الضروري، قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية" (بيان أول نوفمبر). والمشروع الذي جاء به بيان أول نوفمبر يمثل أهم مضامين تعريف التغيير الاجتماعي، تغيير مقصود هدفه تحقيق الاستقلال، وهو تقدما ورفض أن يبقى الشعب الجزائري على الهامش، حيث يقيم مقارنة مع وضع دولتي تونس والمغرب وكيف عبر عن رفضهما للوضع بالتعبير قائلًا: "أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث" (بيان أول نوفمبر)

4. قراءة بيان أول نوفمبر من منظور الرابط الاجتماعي

تعتبر الجزائر منتج سياسي تشكل في لحظة تاريخية محددة، ولم يكن بالضرورة هيكلًا ثقافيًا متجانسًا، فهو يضم ثقافات متعددة، ومراحل تاريخية متباينة تتقلص وفقًا للحركة السياسية وتعاقب الدول (خواجه، 2017، صفحة 1). وهي حالة من التباين جعلت المجتمع الجزائري ذو بنية اجتماعية متباينة عبر كل مرحلة من مراحلها، حيث كان المجتمع الجزائري قبل الاستعمار كان يتكون من مجموعة من القبائل والعشائر، على رأس كل قبيلة أو عشيرة شيخ يحترمه بقية أفراد القبيلة لأنه يقوم بتنظيم شؤون القبيلة وبالسهر على تحقيق الاستقرار ولما استعمرت فرنسا الجزائر حدثت تغيرات كثيرة، على المجتمع أهمها محاولة الاستعمار محو الهوية الوطنية، وتفكيك نظام القبائل، لإضعاف علاقات القرابة، وقتل الروح الجماعية. لأن الروابط القرابية، كانت تلعب دورًا كبيرًا في قوة المجتمع الجزائري، فأدى ذلك إلى تلاشي الملكية الجماعية وانتشار الملكية الفردية، مما أدى إلى انتقال المجتمع الجزائري، من نظام عشائري إلى نظام عائلي تطغى عليه شكل الأسرة الممتدة (يسعد، 2020، صفحة 100). وتجسد ذلك من خلال إصدار الإدارة الاستعمارية الفرنسية في 23 مارس 1882 قانون الحالة المدنية أو قانون الألقاب الذي ينص على استبدال الألقاب الجزائريين الثلاثية وتعويضها بالألقاب لا ترتبط بالنسب. وسبق صدور هذا القانون محاولات متواصلة لطمس الهوية الجزائرية، أهم ملامحها اجبار الأهالي - وهو التعبير الشائع لتوصيف الجزائريين - على تسجيل المواليد الجدد وعقود الزواج لدى مصلحة الحالة المدنية الفرنسية، بعدما كانوا يقصدون

القاضي الشرعي أو شيخ الجماعة. والغاية من وراء كل هذا هو تفكيك نظام القبيلة لتسهيل الاستلاء على الأراضي، وإبراز الفرد كعنصر معزول، وتغيير أساسا المكية إلى الأساس الفردي بدلا من أساس القبيلة، وطمس الهوية الجزائرية من خلال تغيير الأسماء ذات الدلالة الدينية أو التاريخية أو الوطنية وتعويضها بهوية هجينة، وإحلال الفرد في المعاملات الادارية والوثائق مكان الجماعة، وأخيرا تطبيق النمط الفرنسي الذي يخاطب الشخص بلقبه وليس باسمه. (عياشي، 2021/2020، صفحة 05)، كل هاته الاجراءات وغيرها ساهم في تفتيت العلاقات الاجتماعية للمجتمع الجزائري، زرع الفرقة بين مختلف مكوناته الاجتماعية خاصة مع تطبيق فرنسا لسياسة فرق تسد، من خلال تأسيس فرق عسكرية من المرتزقة الخونة الجزائريين ضد قوات المقاومة الشعبية الوطنية، منها فرقة الزواف التي أنشأها الجنرال كلوزال، والتي أعطت دفعا قويا للحملة العسكرية الفرنسية بالعمل إلى جانب القوات الاستدارية، والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الواحد. وكذا فرقة الصبايحية التي أخضعت بموجب قرار فرنسي صدر في 07 ديمبر 1841، وجعلها تعمل في صفوفه، أولى طلائعها تشكلت بالعاصمة وهران وقسنطينة (عبد القادر، 2017، الصفحات 40-41). كل هاته المعطيات جعلن منظومة الروابط الاجتماعية مشتتة إلى أبعد حد وكانت عاملا أساسيا في فشل كل المقاومات الشعبية، وهي النقطة التي انتبه إليها بيان أول نوفمبر وعالجها من خلال النص التالي: "نتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر" (بيان أول نوفمبر)، وبالفعل لم تمر مدة قصيرة على الثورة التحريرية استجابة لبيان أول نوفمبر حتى جعلت هذا الشعب كتلة واحدة مترابطة، يتألم أقصاها بما يشعر به أدناها، بل وأصبح عشرة ملايين من المواطنين...أذنا واحدة وقلبا واحدا وساعدا واحدا، وكما ترى النظريات الاجتماعية، فإن الجماعة عندما تتهدد من الخارج، فإنها تتساند وتتلاحم فيما بينها (السويدي، د ت، صفحة 30)

5. قراءة بيان أول نوفمبر في ضوء نظرية الهوية الاجتماعية

تنطلق هاته النظرية من أن الهوية الاجتماعية هي جزء من مفهوم الفرد الذاتي المستمد من العضوية المتصورة في مجموعة اجتماعية ذات صلة، وقد صاغها عالم النفس الاجتماعي هنري تاجفيل وطالبه جون تيرنر، بغية تفسير السلوك بين المجموعات (ويكيبيديا، بلا تاريخ)، ولما كانت هوية المجتمع الجزائري قد تعرضت للتخريب كما سبق وأن تمت الإشارة إليه، فإن

إعادة ترميمها هو اسمنت بناء التلاحم من جديد ولن يكون ذلك إلا برد الاعتبار لكل مكوناتها، وهو عمل على تكريسها بيان أول نوفمبر نوفمبر عند انطلاقه في تأسيسه لمرحلة جديدة من تاريخ الجزائر، تحي هوية شعب عبر عنها رائد الحركة الاصلاحية في الجزائري الشيخ عبد الحميد بن باديس "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، بقوله:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَدَّ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ رَامَ الْمُحَالَ مِنْ الطَّلَبِ

وعليه جسدت مكونات الهوية، من خلال التركيز على أهمية الدين الاسلامي، لأنه كما تشير إليه الدراسات فإن الدين سمة متأصلة في النفس الانسانية، وله فيها أثر مهمما، نظرا للفترات الطويلة التي ارتبط بها ارتبط به الفكر الانساني بالدين، ومن الثابت تاريخيا فإن فكرة التدين لم تفارق البشرية، ولم تخلو منها أمة من الأمم القديمة والحديثة، لأنها نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعا (بن نكاع، 2013/2012، صفحة 98)، وهو ما جعل البيان يركز عليه في قوله "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية" (بيان أول نوفمبر)، أي أن الدين الذي ارتضاه بيان أول نوفمبر لمشروع هو الاسلام وذلك لأن المجتمع الجزائري في سواده الأعظم مسلم، وفي موضع آخر في البيان يطالب فرنسا بالاعتراف بالجنسية الجزائرية، والغاء كل ما يناقض ذلك، مبرزاً وجه الاختلاف بين الشعب الجزائري وما اجبر عليه جورا وهتانا وجعل بلده أرض فرنسية من خلال تضمينه الفقرة الآتية في البيان

"الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك جميع الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري" (بيان أول نوفمبر) بمعنى أن الشعب الجزائري ديانتته ولغته يختلفان عن الشعب الفرنسي وجغرافيا هو بعيد عنه، وأن الشعوب العربية والاسلامية هي الأقرب للشعب الجزائري، لأنه أثناء الأزمات نستعين بحلفائنا، قد نص على ذلك صراحة بالقول "إن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين" (بيان أول نوفمبر) وأردف في موقع آخر قائلا: "تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي"

6. قراءة بيان أول نوفمبر في ضوء القيم الاجتماعية

على الرغم من تعدد مداخل السوسيولوجيا في فهم وتفسير دلالة القيم الاجتماعية، إلا أنهم أنهم يتفقون على أنها أحد العناصر المكونة والمؤطرة للظواهر الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي، ولها وظائف اجتماعية فهي

- تحفظ تماسك المجتمع، فتحدد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئه الثابتة المستقرة
- تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديد الاختيارات الصحيحة
- تربط أجزاء ثقافة المجتمع ببعضها حتى تبدو متناسقة، كما أنها تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً عقلياً يُصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة.
- تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات والشهوات الطائشة. (خور شيد، 2019)
- تزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع المجتمعات الأخرى من حوله،
- بناء الذات الإنسانية القادرة على التكيف الإيجابي مع ظروف الحياة لأداء دورها الحضاري المحدد.

- إعطاء المجتمع الشكل المميز الذي يُميّزه عن المجتمعات الأخرى (اسهامات، 2021)
وعليه تتضح أهمية القيم في توجيه مشاريع التغيير الاجتماعي ونجاحها، القراءة المتأنية لنص البيان يتضح أنه مشبع بمجموعة من القيم الاجتماعية، سواء بصورة صريحة، أو مستبطنة بين سطور كلماته. ومنها
الوطنية: أن بيان أول نوفمبر في اعلانه للثورة جعلها عامة لكافة التراب الجزائري، فقد ابتدأ نصه بالعبارة التالية:

"أيها الشعب الجزائريين أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية، أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا - نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلون بصفة خاصة" (بيان أول نوفمبر)،
فالقضية لم تصبح جهوية ولا محلية والدعوة الضمني إلى انصهار مختلف المكونات في إطار الوطن، وكل هذا بغية تحقيق التماسك الاجتماعي للشعب الجزائري، وهو ما يتوافق مع ما سبق ذكره في وظائف القيم. فضلا على ابعاد افراد الشعب الجزائري عن الأنانية والانتصار للذات أو للقبيلة أو الجهة، أو للعرق معين دون غيره، أو لتوجه أيديولوجي. ويتضح ذلك من خلال الفقر التالية أيضا، "رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي

جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة، حتى الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أسقطها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين. وبهذا الصدد، فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إذا حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق جميع الاعتبارات التافهة والمغلوطات لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى" (بيان أول نوفمبر)

قيم الحرية والديمقراطية: أن كل تنظيم اجتماعي يتواجد ضمن بيئة يؤثر فيها ويتأثر بها، وفق منظور النظم، وعليه فالشعب الجزائري يعيش ضمن بيئة أصبحت لها منظومة قيم تحتكم إليها وكل من يرفضها سينبذ من طرف الجميع، أو المؤثرين على الأقل ولأجل كسب التأييد فإن تبني قيم الحرية والعدالة يستشف بداية أن معدي البيان لم يتجاوزوا الشعب، بل قدموا لهم تبراراتهم للمشروع التحرري، من خلال قولهم:

أيها الجزائري، إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو حتى تنضم لإنقاذ بلدنا والعمل على حتى نسترجع له حريته، إذا جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وفوزها هو فوزك. أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواقون من مشاعرك المناهضة للإمبريالية، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك. (بيان أول نوفمبر)

كما أن معدي البيان صرحوا بكل وضوح باحترام التعدد داخل المجتمع وتنوعه، وآملة في تحويله إلى مصدر قوة وقد نصت على ذلك بالقول: "احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.... تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري." (بيان أول نوفمبر) بهذا دعوتهم للتعاون على تحقيق المشروع حلم الأجداد وآمل المستقبل. وبهذا تتحقق بعض وظائف القيم الاجتماعية منها أجزاء ثقافة المجتمع ببعضها حتى تبدو متناسقة،

قيم الوحدة

الوحدة تجعل المجتمع قويا متماسكا في مواجهة ومقاومة رد فعل الغير، وخاصة العدو، وهو أمر صعب المنال أمام التنوع وتغذية العدو لكل عوامل الفرقة والتشتت، إلا أن معدو البيان راهنوا على نبل وسمو القضية لمواجهة هذا الخطر، يعطي لأفراد الشعب الجزائري أساساً عقلياً يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة وقد عبر البيان عن ذلك في بعض فقراته بالقول.

"نعتبر الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل.... نتيج الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية حتى تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر" (بيان أول نوفمبر)

قيم الكفاح

الكفاح قضية نضال طويل الأمد، وهو عملية مستمرة، يمكن أن يحقق في بعض محطاته التاريخية لكن المداومة يمكنها أن تأتي بنتائج، حتى توحد الجهود، فقد تم تحديد الهدف الذي سيوجه له سلاح الكفاح وهو العدو الفرنسي بالقول أنها "موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية حتى يمنح أدنى حرية. ونظن حتى هذه مسببات كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم: جبهة التحرير الوطني. وهكذا نستخلص من جميع التنازلات المحتملة"...إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب جميع القوى وتعبئة جميع الموارد الوطنية، وحقيقة إذا الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق" (بيان أول نوفمبر)

وأنة تم تحضير الشعب الجزائري لبعض الصعاب التي يمكن أن يواجهها مقترحة لحلول لذلك.

قيم الحوار

انطلاقا من أن الحوار والتفاوض يبقى قائما كأحد الحلول لأنها الثورة وتحقيق الاستقلال، لذلك نصت عليه صراحة بالقول "وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقة في السلم، وبالتدقيق للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعدنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها" (بيان أول نوفمبر).

العدالة الاجتماعية

إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية (بيان أول نوفمبر)، وهو تصور لنمط الدولة المراد إعادة احيائها أو أقامتها بعد تحقيق

الاستقلال وأنها ستكون

ذات نظام ديمقراطي

دات طبيعية اجتماعية

تضبطها المبادئ الإسلامية.

7. خاتمة:

لقد جاء بيان أول نوفمبر كإعلان تأسيس لدولة جزائرية تقوم على انقاض دولة محتلة، بعد نيلها استقلالها وطرد المستعمر، ولأن كل ثورة باعتبارها أداة للتغيير الاجتماعي، دعماً الأساسي هو الشعب، فإن هذا البيان رسم أهدافه بدقة، وحدد وسائل تحقيقها، عسكرياً وسياسياً، غير أنها كانت لها قراءة سوسيولوجية باعتباره أداة لتحقيق التغيير الاجتماعي، وإعادة النظر فيما أحدثه المستعمر من دمار على مستوى الرابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري، وارتكزت في البيان على توجهات نظرية الهوية الاجتماعية، وكذا التركيز على مجموعة من القيم الاجتماعية ساهمت في توضيح صورة المجتمع الجزائري وثورته.

8. قائمة المراجع:

- اسهامات. (10 04, 2021). *وظائف القيم في حياة الفرد والمجتمع*. تاريخ الاسترداد 01 02, 2022، من نير وأسرة: <https://nir-osra.org/>
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا. (بلا تاريخ). *نظرية الهوية الاجتماعية*. تاريخ الاسترداد 01 02, 2022، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- بيان أول نوفمبر. (بلا تاريخ).
- حماد عياشي. (2021/2020). *سوسيولوجيا المجتمع الجزائري (مطبوعة بيد/غوجية)*. باتنة، الجزائر: جامعة الحاج لخضر.
- سلماني عبد القادر. (جوان، 2017). *سياسة مبدأ فرق تسد الفرنسية في تحطيم المجتمع الجزائري حاضن المقاومة الوطنية 1832-1847*. مجلة الساور للدراسات الانسانية والاجتماعية، الصفحات 40-41.
- شرين لبيب خور شيد. (25 08, 2019). *أهمية القيم الأخلاقية ووظائفها*. تاريخ الاسترداد 30 10, 2022، من الألوكة الاجتماعية: <https://www.alukah.net/social/0/135861/>
- صالح عميور دعاس. (2020). *مواثيق الثورة الجزائرية واشكالية بناء الدولة*. مجلة العلوم الاجتماعية، مجتمعات وإنسانيات (8).
- عبد العزيز بن محمد خواجه. (2017). *قراءات في المجتمع الجزائري، مجموع قراءات سوسيو أنثروبولوجية*. ألمانيا: نور للنشر.
- كريمة زيتون. (جانفي، 2021). *الدولة والمجتمع في مشروع الثورة التحريرية الجزائرية*، من خلال بين أول نوفمبر 1954. مجلة أوراق للدراسات التاريخية والانسانية، 3(2)، صفحة 40.

لغرس سهيلة. (2019). التغيير الاجتماعي، التعريف والخصائص، النظريات. مجلة العلوم الاجتماعية، 5، صفحة 85.

ليلي محمد يسعد. (2020). محاضرات في الرابط الاجتماعي (مطبوعة بيداغوجية). البلدية، الجزائر: جامعة لونيبي علي.

محمد السويدي. (د ت). مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر. بن عكنون، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.

مولاي أحمد بن نكاع. (2013/2012). ملامح الهوية في السينما الجزائرية (أطروحة دكتوراه غير منشورة. وهران، الجزائر: كلية اللغات والادب وافنون.

يوسف قاسمي. (جانفي، 2017). بيان أول نوفمبر، ملابسات الصدور والمضمون والأبعاد. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، 16، صفحة 332.

دور العمل النقابي خلال الثورة التحريرية 1954-1962

"الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذجا"

The role of union work during the liberation revolution 1954-1962

"The General Union of Algerian Workers as a model"

د. بن باهي صارة¹ د. موساوي فاطمة²

¹ بن باهي صارة أستاذة مؤقتة بجامعة مصطفى اسطمبولي معسكر معسكر (الجزائر)،

sbenbahi@yahoo.fr

² موساوي فاطمة أستاذة مؤقتة بجامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)،

fatima.moussaoui020@gmail.com

1. مقدمة:

إن الحديث عن ثورة أول نوفمبر 1954 التي قاومت الاضطهاد والطغيان واستطاعت أن تحقق الاستقلال، دخلت التاريخ من أوسع أبوابه وأثارت اهتمام جماهير العالم بصفة عامة. هذه الثورة التي جمعت شمل الجزائريين وجعلتهم يصمدون أمام أساليب الاحتلال الفرنسي، وعلى هذا الأساس جاءت هذه المقالة لتوضح الدور الفعال الذي لعبه الاتحاد العام للعمال الجزائريين في دعم الثورة التحريرية سواء على الصعيد الداخلي بتنظيم إضرابات لإضعاف الاقتصاد الفرنسي. أو على الصعيد الخارجي بانخراطه في مختلف تنظيمات العمال لتوصيل صوت الشعب إلى أروقة الأمم المتحدة.

سنحاول الإجابة على سؤال رئيسي هو: ما هو الدور الفعال الذي لعبه الاتحاد العام للعمال الجزائريين لتدويل القضية الجزائرية؟

وسنوضح في ذلك دور الطبقة العاملة وفعاليتها في الثورة الجزائرية خاصة أثناء إضراب الثمانية (08) أيام الشهر الذي دعت إليه لجنة التنسيق والتنفيذ لمؤتمر الصومام 1956. هذا الإضراب الذي وصل صيته إلى العالم.

وسنركز في هذا الصدد على العناصر التالية:

- نشأة الحركة النقابية في الجزائر

- تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين

- النشاط النضالي والثوري للاتحاد العام للعمال الجزائريين على الصعيد الداخلي والخارجي

2. نشأة الحركة النقابية في الجزائر:

تزامن ظهور الحركة النقابية في العالم مع ظهور الثورة الصناعية في أوروبا، وما صاحبها من ظهور الحاجة إلى حماية العمال والعاملين، فقامت النقابات المهنية بتنظيم يحمي أعضائه من جهة، ويعمل على تحقيق المكاسب لهم وتحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى.

ويرجع ظهور النقابات المستقلة إلى بواذر بروز الحركة النقابية وتأسيس الجمعيات المهنية في بريطانيا على شكل اتحادات سنة 1720 م، والتي كانت تهدف إلى الدفاع عن الحقوق المادية والمعنوية لمخترطيها، ثم توسعت إلى أن شملت مختلف الدول الأوروبية ومن أهمها فرنسا التي اعترفت بالحق النقابي، وممارسة العمل النقابي كوسيلة للدفاع عن الحقوق العمالية وحمايتها، وبما أن الجزائر كانت آنذاك مستعمرة من مستعمراتها فإن ظهور الحركة النقابية بالجزائر ارتبط بالاتحادات العمالية الفرنسية، وتأخر ظهور حركة عمالية جزائرية -الأهالي- راجع لعدة أسباب ولعل أهمها: انعدام قاعدة صناعية بالمعنى الحقيقي كتلك التي كانت بفرنسا أو بريطانيا، وثانيا التشريعات القانونية المجحفة والتعسفية في حق السكان الأصليين، حيث كانت تنص على عدم السماح للعمال الجزائريين (الأهالي) بالانتماء إلى هذه النقابات أو تشكيل تنظيما نقابيا خاص بهم بموجب المرسوم الصادر في 1881" والذي ينص على توجيه عقوبات صارمة ضد النقابات التي تقبل الجزائريين في صفوفها" (حميد جاعد، 1980 : 12) إلا أن ذلك لم يقف عائقا أمام نمو الوعي النقابي لدى الجزائريين.

وقبل أن نتكلم عن نشأة الحركة النقابية في الجزائر سنقدم تعريفا شاملا للعمل النقابي عند السوسيولوجيين: حيث عرفوا النقابة العمالية "بأنها مجموعة من العمال تربطهم مهنة أو أكثر، تكلفوا بتكليف من زملائهم للدفاع عن مصالحهم ورعايتها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية سواء من حيث الأجور وتحسين ظروف العمل والتكوين والحق في الضمان الاجتماعي وتوفير متطلبات الحياة الاجتماعية للعامل" (شطبي.ح.14:2010).

ويقودنا هذا التعريف إلى التساؤل حول العوامل والظروف التي أثرت في العامل الجزائري لينخرط في التنظيم النقابي في ظل الاحتلال الفرنسي.

وبالتالي فإن تاريخ الحركة النقابية في الجزائر لم يكن وليد 24 فبراير 1954م، تاريخ إنشاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA)، بل كان نتاج الحركات النضالية العمالية داخل الكنفدرالية النقابية الفرنسية (الكنفدرالية العامل للشغل CGT) التي احتكرت بطريقة

واضحة التجربة النقابية للعمال الجزائريين لأسباب كثيرة أهمها السبب السياسي (جايي عبد الناصر، 2001: 84). مما جعل الحركة النقابية في الجزائر غير موجودة عمليا وذلك راجع إلى "انعدام تقربي لبناء تحتي صناعي، واستحالة مشروعية لتنظيم الجزائريين" (جفلول عبد القادر، 1983: 151).

إلى جانب كون العمال الجزائريين "كانوا يحتلون القاعدة العمالية الفرنسية بسبب ضعف تأهيلهم، وقلة تجربتهم المهنية والمطلبية وأصولهم الريفية التي ربحتها النقابة الفرنسية كقاعدة عمالية في صراعها مع النقابات الفرنسية الأخرى وأرباب العمل" (جايي عبد الناصر، 2001: 84).

ولهذا فالعمل النقابي في هذه الفترة غلب عليه الطابع الاستعماري من حيث المنشأ الأصلي، والذي كان لا يضم إلا عددا ضئيلا من العمال الجزائريين.

وقد يرجع حسب عبد القادر جفلول إلى عدة تحديدات أو فروقات والمتمثلة في:

1- عمال أوروبيون-عمال جزائريون:

هذا التحديد ليس وطني وإنما اجتماعي أيضا، فالأجراء الأوروبيون في مجموعهم يكونون "أرستقراطية عمالية" بينما الجزائريين من حيث أغلبيتهم يكونون "حثة البروليتاريا" (Sous Prolétariat)، فالأجراء الأوروبيون يتألفون أساسا من مستخدمين وعمال مختصين، بينما يتكون الأجراء الجزائريين في معظمهم من عمال غير ماهرين وعاطلين عن العمل، مما جعل العمال الأوروبيون يضعون مطالبهم الخاصة في المستوى الأول.

2- عمال زراعيون-عمال المدن:

تكمن إحدى المميزات الرئيسية للجزائر المستعمرة في كون التقسيم العددي الأكثر أهمية لا يوجد في المدن، وإنما في الأرياف وهذا ناتج عن ضعف نمو الصناعة من جهة، وعن حاجات الميادين الاستعمارية لليد العاملة من جهة أخرى، وذلك راجع إلى:

أ- الصعوبات الموضوعية للعمل النقابي في الريف (تشتت العمال بين المزارع، عدم ثبات اليد العاملة، وبقاء التقاليد الفلاحية.. الخ).

ب- توجيه وتنظيم اللجنة العامة للعمال التي لم تتطابق مع المطالب ومع الوضع الحقيقي للعمال المزارعين.

3- الانضمام- التشتت عند عمال المدن:

تشتت العمال داخل المؤسسات الصغيرة، وذلك نتيجة للتخلف الصناعي في الجزائر، وهذا ما جعل المطالب الجزائرية لا تتجاوب، في حين نجد مطالب العمال الأوروبيون تتطابق على الأقل جزئيا مع مطالب المجمع والدائم لبروليتارية الجزائرية(عبد القادر جفلول، 1983: 157).

ولهذا نجد أن العمل النقابي اقتصر على أقلية من البروليتاريا الأرستقراطية العمالية الأوروبية، أما الجزائرية فتميزت بضعف جسيم في عملها، وذلك راجع إلى عدم الارتباط بين النضالات المطلوبة، إضافة إلى نمو الوعي لدى العامل الأوروبي بهذه الحركة ودورها في الدفاع عن حقوقه وهذا ما لم يتبلور في ذهن الجزائري نتيجة الأوضاع والظروف التي كان يعيشها في تلك المرحلة.

فرغم هذه المشاكل التي عان منها العامل الجزائري في هذه الفترة، لكن ذلك لم يقف عائقا أمام إنشاء أول نقابة استعمارية من طرف عمال المطابع بقسنطينة سنة 1880م. وفي عام 1918م وبعد الحرب العالمية الأولى انضم العمال الجزائريين إلى الكنفدرالية العامة للشغل (CGT) بفرنسا، وبدأ العمال الجزائريين بتنظيم صفوفهم والاستقلال عن النقابات الفرنسية " فرفعوا شعار الحرية والاستقلال بدلا من شعار الاندماج والمساواة آنذاك " (سعيد توفيق عزيز البزاز، 2012: 158). أما في الجزائر لم يكن من الممكن الانخراط في النقابات بسبب منع المسلمين الجزائريين من كل اجتماع بدون رخصة، إلا هناك تطور في مشاركة العمال في النقابات وهذا ما يوضحه الجدول الموالي:

الجدول 1: يوضح تطور مشاركة العمال في النقابات

السنة	1933	1936	1937	1938	1945
عدد المنتسبين	12.000	80.000	90.000	250.000	120.000

(إدريس بولكعيبات، 2007: 151).

هذا الجدول يبين تطور مشاركة العمال في النقابات التي كانت موجودة في الجزائر، منذ الاعتراف بالحق النقابي للأهالي إلى غاية مجازر 08 ماي 1945، يظهر من خلال هذا الجدول أن هناك تطور في عدد المنتسبين بشكل مستمر نتيجة تطور العمل المأجور، حيث أن الاتحادية العامة للعمال قد أنشأت سنة 1936م " اتحادية مستقلة للعمال الفلاحين التي ضمت بين أعضائها 4000 نقابي جزائري بعدما كانت سرية في وقت سابق، وقد عقدت

الجامعة العامة المتحدة لعموم الجزائريين أول مؤتمر لها في نفس السنة، لكنها لم تتمكن من تطوير نضالها النقابي بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية" (سمغوني زكريا، 2013: 33).

ولما أنشأ اتحاد النقابات الفرنسية سنة 1936م اتخذ موقفا استعماريا عدائيا اتجاه النقابات المستعمرة، وتحول الصراع الاجتماعي من الدفاع عن الأجور وتحسين المستوى المعيشي للعمال إلى الدفاع عن الوجود خاصة مع أحداث 08 ماي 1945 وعمل على تغيير مضمون العمل النقابي وربطه بالعمل السياسي. وهذا ما ساهم في تجديد المنظمات النقابية الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية لمزاولة نشاطها، خاصة في الفترة الممتدة من 1946 إلى 1954 التي شهدت اهتماما متزايدا من طرف الجزائريين بالنشاط النقابي، عندما ارتبط النشاط النقابي بالحركة الوطنية " فتبلورت فكرة جزارة النقابة، والاستقلال عن النقابات الأوربية وهذا من خلال امتلاك هياكل خاصة تسمح بتلبية مطالب العمال الجزائريين، وكذا العناية بالقطاع الزراعي على أساس أن قوة النقابة الجزائرية مستمدة من العمال الزراعيين الذين يشكلون الأغلبية الساحقة " (زبيري حسين، 2012 : الفصل الخامس 38).

إن محاولات تأسيس نقابات مستقلة يعود إلى سنة 1947 من خلال مؤتمر حزب الشعب (P.P.A) التابع لمصالي الحاج حيث " انعقد المؤتمر الأول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D) واتخذ قرارا حاسما فيما يخص إنشاء لجنة تتولى متابعة المشاكل النقابية وقد ترأسها المناضل عيسات أيدير، أما في سنة 1948 تكونت لجان نقابية في المؤسسات الاقتصادية (التهامي الهاني، 1991: 122)، فرغم المجهودات المبذولة لتأسيس نقابات وطنية لكنها بقيت محاولات فاشلة وأجريت أول انتخابات نقابية سنة 1956م، وأسس الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وهذا بعد عدة نضالات، حيث كان هناك تضارب في الآراء والمناقشات، وفي ظل هذه الظروف طالب الاتحاد العام للعمال الجزائريين بتوقيف نشاط النقابات الفرنسية بالجزائر.

وفي تلك المرحلة تكونت نقابات عديدة مثل: الاتحاد العام للنقابات الجزائرية الذي أسسته الكنفدرالية العامة للشغل، واتحاد نقابات العمال الجزائريين، الذي كونه التيار المصالي والاتحاد العام للعمال الجزائريين سنة 1956م، الذي استقطب العديد من العمال الجزائريين بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك.

وقد نظمت النقابات في تلك الفترة "عدة إضرابات سياسية ناجعة، كان أهمها إضراب 05 جويلية 1956م، و 15 أوت 1956م، وخاصة إضراب جانفي 1957م بالتنسيق مع قيادة جبهة التحرير الوطني" (جايي عبد الناصر، 2001: 86).

فرغم العراقيل والصعوبات التي واجهها العمال الجزائريين سواء كانت إدارية من طرف السلطات الفرنسية لتسجيل الاعتماد على مستوى إدارتها أو ظهور نقابتين موازيتين كالاتحاد العام للنقابات الجزائرية (L.U.G.S.A) التي كانت مدعمة من طرف السيجيتي والاتحاد النقابي للعمال الجزائريين (U.S.T.A) الذي أنشأه المصاليون، ومن هنا نرى التعدد النقابي لا يعود إلى فترة ما بعد الاستقلال فقط وإنما تعود جذوره إلى الفترة الاستعمارية من طرف النقابات التي سبق ذكرها نتيجة تباين الأهداف والإيديولوجيات التي تسعى كل نقابة تمريرها. لكنها لم تقف كحاجز أمام الإعلان عن مولد أول نقابة جزائرية محضنة مستقلة بتوجه تحرري تأسست مع اندلاع الثورة التحريرية وهي:

4. تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA):

لقد تم الاتصال بالمناضلين النقابيين لعقد لقاء مشترك وتحضير تقرير حول " مشروع مركزية نقابية"، وذلك يوم 17 فبراير 1956 بمنزل النقابي بوعلام بورويبة بحضور كل من عيسات ايدير والذي كانت ثقتهم فيه كبيرة ويوسف بن خدة وعبان رمضان الذي كان مدركا للدور الذي تؤديه الطبقة العمالية الأكثر تنظيما في عملية التغيير، حيث تم الاتفاق على:

- تحديد اسم المنظمة بالاتحاد العام للعمال الجزائريين.
 - ضرورة وحدة الاتحاد العام للعمال الجزائريين
 - وجوب امتناع المناضلين عن كل نشاط سري (محمد أيت مدور، 2013 : 143).
- وبعد هذا الاتفاق تأسست في 24 فبراير 1956م بالجزائر العاصمة لتعلن رسميا عن تأسيسه كقوة مستقلة وهو "أول تنظيم نقابي مستقل في خضم حرب التحرير الوطني" (عبد القادر جغلول، 1983: 160)، وهو "منظمة نقابية مطلبية حرة ومستقلة عن كل وصاية حزبية أو إدارية أو من المتعاملين الاقتصاديين ويرمز لها باختصار (إ.ع.ج)، وهو منظمة ديمقراطية مفتوحة أمام جميع الموظفين" (موسى بودهان، 2012: 440).

وكانت الأمانة الوطنية الأولى تتشكل من : عيسات ايدير أميناً عاماً، عطا الله بن عيسى كأمين عام مساعد، بوعلام بورويبة أميناً وطنياً، جرمان رابح أميناً وطنياً، علي يحي عبد

المجيد أميناً وطنياً مكلف بالخزينة (محمد أيت مدور، 2013 : 147). حيث كان مناضليه أغلبيهم في نجم شمال إفريقيا وفي الكونفدرالية العامة للشغل ، كما أن نشاطهم بدأ في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

وترأسه عيسات إيدير بتوجيه من جبهة التحرير الوطني كإستراتيجية متبعة في التنظيم لمواجهة الأساليب القمعية التي كان يتبعها الاستعمار لفصل الشعب الجزائري عن الثورة، لأن الهدف من تأسيسه ليس مجرد إيجاد هيئة نقابية مطلبية تقليدية، وإنما المسألة أعمق من ذلك. لكونها نقابة ثورية "تفضل النضال من أجل الاستقلال الوطني على النضال المطلي لأن استقلال الجزائر سيخلق شروط أفضل للعمل والعمال، وهو الذي سيعيد التوازن إلى العلاقات الاجتماعية ككل إضافة إلى عدم اقتصار العضوية فيها على العمال الصناعيين، بل امتدت إلى جميع الفئات الاجتماعية (صناعية، زراعية، وتجارية وخدمية)" (بومقورة نعيم، 2008: 28)، من خلال تنامي الوعي السياسي، والفكري، والنضج الاجتماعي لدى الموظفين والعمال الجزائريين وقد حددت هذه النقابة انتمائها السياسي في العدد الأول من جريدة العامل الجزائري Algérien Ouvrier بتاريخ 06 أفريل 1956 على النحو التالي: "الاتحاد العام للعمال الجزائريين، مركزية نقابية تم إنشائها عقب مؤتمر انعقد بالعاصمة يوم 24 فيفري 1956 من طرف نقابات منطقة العاصمة، هذا الاتحاد حدد لنفسه مهمة تنظيم العمال من أجل وضع حد للاستغلال الذي يرون أنهم من ضحاياه" (محمد أيت مدور، 2013: 152).

1.4 هياكل الاتحاد العام للعمال الجزائريين: له هياكل تنظيمية تتمثل فيما يلي:

1.1.4 الهياكل الأفقية وتتمثل في

- اللجنة التنفيذية المحلية
- اللجنة التنفيذية الولائية تعمل على التنظيم والتعبئة والمراقبة وتوسيع القاعدة النقابية، وتضم:

- الاتحاد المحلي: ويضم 1541 اتحاد في بلديات القطر وحدها.

- الاتحاد الولائي: ويضم 42 اتحاد في الولايات.

وتعمل على ضمان المهام والصلاحيات النقابية (إ ع ج) على المستويات الجغرافية من

2.1.4 الهياكل العمودية وتتمثل في:

- نقابات المؤسسات

- مجلس النقابة الوطنية

- اللجنة التنفيذية للاتحادية.

وتعمل على التكفل بالمشاكل الاجتماعية للمنخرطين، تكوين العمال، ومتابعة تطبيق كافة الوثائق ذات الطابع الاقتصادي والثقافي، والاجتماعي، والتي تهتم بعالم الشغل وتضم:

- نقابة المؤسسة

- النقابة الوطنية

- الاتحادية الوطنية.

الوطن.(موسى بودهان، 2012، :442)

بناءً على ذلك فقد ارتبط نشاط هذه النقابة بالعمل السياسي (النضال من أجل الاستقلال) غير أنه مستقل تنظيماً عن جبهة التحرير الوطني وقد برهن (إ.ع.ج) على قوته بالضغط على الاستعمار من خلال : ما كانت تنشره جريدة العامل الجزائري فقد قام الاتحاد بالإضافة إلى الاحتفال بعيد العمال الموافق لأول من شهر ماي 1956 بتنظيم العديد من الإضرابات أهمها:

-إضراب 05 جويلية 1956 الذي مثل منعرجاً حاسماً في تاريخ الحركة النقابية، إضراب 15 أوت 1956، وهو إضراب احتجاجي ضد الاضطهاد الذي يتعرض إليه المناضلون النقابيون، والذي تم فيه المطالبة بإطلاق سراح النقابيين المتواجدين في السجون.

-إضراب المدارس في أكتوبر 1956 اتخذ قرار الإضراب من طرف جبهة التحرير الوطني، بعد القرار الذي اتخذته الطلبة الجزائريون يوم 19 ماي بمغادرة مدرجات الجامعة وكان أساتذة أحياء المسلمين حاضرين في مدارسهم، ومن بين الـ 20 قسماً لم يحضر إلا تلميذان أرادوا متابعة الدروس وقد كانا من أبناء الحركة (محمد أيت مدور، 2013: 160).

- الإضراب الوطني يوم 01 نوفمبر 1956 وجاء لإحياء هذه المناسبة المخدلة للذكرى الثالثة لاندلاع الثورة التحريرية والاحتفال بها، كما تم الاتفاق مع الاتحاد المغربي للعمال والاتحاد العام للعمال التونسيين، من أجل جعل هذا اليوم يوماً للوحدة والعمل المغربي.

- إضراب يومي 25 و26 ديسمبر 1956 من طرف عمال الترامينو(محمد أيت مدور، 2013: 161). وبذلك أكد الاتحاد دفاعه عن مصالح العمال ودعمه للثورة التحريرية وواصل في الاحتجاجات حيث قام بإضراب في 01 جانفي 1957 من طرف عمال السكك الحديدية احتجاجاً على العنف الذي يتعرض له الشباب الجزائري على يد الشباب الأوروبي، ثم في 02 جانفي 1957 قام الاتحاد العام للعمال الجزائريين بالدعوة إلى الإضراب في 03 جانفي 1957 من طرف عمال العاصمة والذي مس كل القطاعات للاحتجاج على الأحداث التي وقعت يوم

24 ديسمبر على اثر مقتل السيد روجر فروجر R.Froger رئيس فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر، حيث قام المعمرون بالاعتداء على الجزائريين والتنكيل بهم، وكذلك بسبب مساس السلطات الفرنسية بالحريات النقابية، أما أهم إضراب قام به (ا.ع.ج) فهو إضراب الثمانية (08 أيام) وقد جاء هذا الاحتجاج استجابة لنداء جبهة التحرير الوطني ودعوتها لكل شرائح المجتمع الجزائري للقيام بإضراب عام، وتم توزيع هذا النداء يوم الاثنين 25 جانفي 1957 على الساعة الصفر والهدف من ذلك مناقشة المسألة الجزائرية من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة (خلو في بغداد، 2015 : 60، 61).

ولهذا فقد لعبت هذه النقابة دورا إيجابيا في الفترة الاستعمارية ودعمت النظام السياسي، من خلال الإضرابات والاحتجاجات المستمرة التي تنادي بحق الشعب في تقرير مصيره، مما أدى إلى تعرضها للقمع بشدة من قبل الاستعمار الفرنسي، وذلك من خلال اعتقال بعض مناضليه ومن بينهم عيسات إيدر الذي عذب حتى الموت.

وهذا ما جعل الاتحاد العام للعمال الجزائريين يدخل في الخفاء وإدارته تتبرك من الجزائر إلى تونس، الأمر الذي اضطره إلى العمل السري فواصل نضاله مركزا على شقين "الأول سياسي يركز على الدفاع عن المبادئ الوطنية والمطالبة بالاستقلال والتحرر من أغلال الاستعمار الاستغلالي، والثاني اجتماعي وذلك بمحاولة إعطاء الوطنية مضمونا اجتماعيا (بومقورة نعيم، 2008: 28).

وحتى بعد نفي قادة النقابات أو سجنهم استمر العمل النقابي سرا، وفي المهجر إلى غاية الاستقلال، بحيث أعيد تشكيل الاتحاد العام للعمال الجزائريين كنقابة مركزية وحيدة خلال الفترة الاستعمارية كان يغلب عليه الطابع السياسي، فكان النضال النقابي في كل مستوياته موجها إلى تحقيق الاستقلال والإضرابات التي كان يقوم بها الاتحاد العام للعمال الجزائريين. وكانت مطالبه المادية تمثل جانب ثانوي مقارنة بالمطالب السياسية، وهي حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال لتحقيق الهوية الوطنية بارتباطه بحزب جبهة التحرير الوطني. 5. أهمية النشاط النضالي والثوري للاتحاد العام للعمال الجزائريين على الصعيد الداخلي والخارجي:

إن تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين جاء كرد فعل على النقابات العمالية الفرنسية التي كانت تستبعد الاستقلال الوطني وتدعو إلى سياسة الإدماج السلبي الانتهازي (رخيلة عمر، 1993: 81) هذا التنظيم العمالي الذي كان تحت قيادة عيسات إيدر كان له

دور فعال في تنظيم الطبقة العاملة في الجزائر وخدمة الثورة التحريرية، ذلك من خلال إضرابات ناجحة مثل إضراب 5 جويلية 1956 للمطالبة بالاستقلال وفضح الجرائم البشعة التي اقترفتها أجهزة الأمن الفرنسية.

وقد طالب عيسات ايدير باستبدال الاقتصاد الامبريالي الفرنسي بالاقتصاد الوطني لحل المشاكل التي كان يتخبط فيها العامل الجزائري (أندري ماندوز، 2007: 129). لإصلاح الحالة الاجتماعية واستثمار الموارد الطبيعية . وتحت توجيهات جبهة التحرير الوطني وضع الاتحاد خطة دبلوماسية سياسية لإيصال صوت الشعب الجزائري ومعاناته من الاحتلال الفرنسي. حيث حصل على الدعم من مختلف المحافل الدولية ، ولطالما تلقت نشاطات الاتحاد ردة فعل قوية من السلطات الفرنسية تمثلت في القمع والزجر واعتقال الكثير من النشطاء حيث اعتقل عيسات ايدير مع العديد من النقابيين وتعرضوا لأبشع طرق التعذيب بالتيار الكهربائي والشنق والتغطية بالماء القذر. من ثمة فقد أصرت السلطات الفرنسية على وضع حد للثورة، خاصة بعد الانتصارات التي حققتها الثورة التحريرية على الصعيد الخارجي. والمتعلقة بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم المتحدة في سبتمبر 1956 – وكذلك اللاتحة التي صادق عليها مؤتمر باندونغ في افريل 1955 التي تؤيد حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه. (Abdelmadjid aziz ;2012 : 37).

وإدراكا منهم لضرورة إشراك جميع شرائح المجتمع الجزائري في الثورة اجتمع أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ يوم 22 جانفي 1957 في العاصمة مع قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين من اجل تجسيد فكرة الإضراب باعتبارها الفرصة الوحيدة للتعبير عن أن الجزائر ليست فرنسية ولاسترجاع السيادة الوطنية. ومع ذلك قامت السلطات الفرنسية بصد الإضراب من خلال الاعتقالات الواسعة وطرد العديد من العمال من مناصبهم. لكن وبالرغم من ذلك نجح الإضراب على المستوى الداخلي مما زاد قوة وعزيمة الاتحاد على الكفاح.

أما على الصعيد الخارجي وبعدما نقل النقابيون نضالهم إلى خارج الوطن متضامنين مع النقابيين في تونس والمغرب وليبيا من اجل نضال مشترك (yacefsaadi;1997 : 36) ذلك ما جعله ينخرط في الاتحادات النقابية العالمية وحضور المؤتمرات الدولية حيث شارك النقابي عبد القادر معاشو كممثل للاتحاد في مؤتمر طنجة بالمملكة المغربية يوم 20.23 أكتوبر 1957 الذي تناول قضية تحرير شعوب المنطقة من جميع قيود الاحتلال. وبالتالي لقد تعززت

علاقات الاتحاد (ع.ع.ج) مع النقابيين في الخارج كما قام الاتحاد المغربي للشغل بمظاهرات مساندة للجزائر في كفاحها ضد الاحتلال الفرنسي. (Nasser djabi :225).

فضلا عن ذلك اجتمعت الحركات النقابية لبلدان المغرب العربي في جنيف السويسرية يومي الثامن والتاسع مارس 1958. حيث تناول النقابيين الأوضاع الراهنة وأهمها القضية الجزائرية فخرجوا بتوصيات عامة تخدم القضية الجزائرية... وغيرها من المؤتمرات التي كانت تندد برفع القيود على الأقطار المغربية والتي لا يسعنا المقام بذكرها كلها.

6. خاتمة:

وضحت هذه الورقة الدور الذي لعبه الاتحاد العام للعمال الجزائريين على المستويين الداخلي والخارجي من اجل القضية الجزائرية، حيث سجل التاريخ للنقابيين الجزائريين موقفا واضحا في إيصال صوت الشعب وفضح أساليب الاحتلال الفرنسي لدى الرأي العام. فلا يمكننا أبدا كتابة تاريخ الثورة الجزائرية دون أن نتطرق لدور العمال الجزائريين الذين نظموا صفوفهم واستطاعوا تشكيل نقابات شكلت خطرا على التواجد الفرنسي في الجزائر، خاصة عندما نقل النضال النقابي إلى العالم الخارجي بالمشاركة في مختلف المؤتمرات التي تندد على نصرة المضطهدين ونجحوا في ذلك بالرغم الاعتقالات والملاحقات الفرنسية.

7. قائمة المراجع:

التهامي الهاني (1991)، الحركة النقابية العمالية في الوطن العربي، تونس، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل.

أندري ماندوز (2007)، الثورة الجزائرية عبر النصوص، الجزائر، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار.

جاي عبد الناصر (2001)، الجزائر من الحركة العمالية إلى الحركات الاجتماعية، الجزائر، المعهد الوطني للعمل.

جفلول عبد القادر (1983)، تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سوسيولوجية)، ط3، الجزائر، درا الحداثة بالتعاون مع المطبوعات الجامعية.

حميد جاعد (1980)، الحركة النقابية العربية (دراسة تاريخية موجزة)، ط1، بغداد، مؤسسة الثقافة العمالية.

رخيلة عمر (1993)، التطور السياسي والتنظيمي لحزب جبهة التحرير الوطني، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

سمغوني زكريا، (2013)، حرية ممارسة الحق النقابي، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر.
محمد أيت مدور (2013)، الحركة النقابية المغاربية بين 1945-1962 (الجزائر وتونس
نودجا)، الجزائر، دار هومة للنشر.

موسى بودهان (2012)، قانون الوظيف العمومي، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
سعيد توفيق البزاز (2012)، تطور الحركة العمالية والنقابية في الجزائر بين 1830-1962 ،
مجلة التربية والتعليم، المجلد (19)، العدد (05).

بومقورة نعيم (2008)، الحركة النقابية في الجزائر وسياساتها المطالبية (الأجر نموذجاً)، مجلة
إضافات – تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة
العربية، العدد (01).

إدريس بولكعيبات (2007)، الحركة النقابية الجزائرية بين عصرين (إشكالية العجز المزمّن
عن فك الارتباط بالمشروع السياسي)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد (12)، بسكرة.
خلوفي بغداد (2015)، الإعلام ودوره أثناء الثورة التحريرية النقابية، مجلة الإنسان والمجال،
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير بالبيض، العدد (01).
سعيد توفيق عزيز البزاز (2012)، تطور الحركة العمالية والنقابية في الجزائر بين 1830-
1962، مجلة التربية والعلم، المجلد (19)، العدد (05).

شطبي حنان (2009-2010)، الحركة النقابية العمالية في الجامعة الجزائرية (دراسة حالة
جامعة منتوري قسنطينة)، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية.
زيري حسين (2011-2012)، النقابات المستقلة في الجزائر (قراءة في النشاط النقابي للنخب)
ة (النقابية في الجزائر، أطروحة دكتوراه قسم علم الاجتماع، الجزائر 02، الجزائر.
Abdelmadjid Azzi (2012), le mouvement syndical algérien à l'épreuve de
l'indépendance, livres Edition, Alger.

Nasser Djabi, kaidilakhdar, une histoire du syndicalisme algérien, alger,
_yacefsaadi (1997), la bataille d'alger, t2, casbah, alger.

مشاركة المرأة الجزائرية في ثورة التحرير الوطنية 1954-1962 من منظور سوسيولوجي

Participation of Algerian women in the national liberation revolution

1954-1962 from a sociological perspective

أ.د عبد الرحمن وليد ضامر¹، د. فاطمة الزهراء زاوي²

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر)، dhamerus@yahoo.com

² جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر)، zaouifatima08@gmail.com

1. مقدمة:

تعد مشاركة المرأة الثورة التحريرية من بين المحطات التاريخية والاجتماعية في تاريخ المجتمع الجزائري لاسيما لعبت هذه الأخيرة دورا أساسيا في الحفاظ والتمسك على قيم ومبادئ الثورة وحدوث أي انحرافات فكرية تؤدي الى عرقلة مسار ونجاح الثورة، إلا أن مشاركتها وتقمص دورها في المجال السياسي والعسكري، والاجتماعي راجع الى تخلص المجتمع الجزائري ببعض المعتقدات والأفكار التي تحد المرأة من مشاركة المرأة في الثورة وحتى ان وجدت بعض المعوقات الثقافية والفكرية كان ذلك يمثل تحديا اجتماعيا لها وهذا ما أكدته تاريخ الجزائر في اثبات بطولات نجاح المرأة الجزائرية في الثورة.

ولذا جاء هذا المقال لتسليط الضوء على أهم المنجزات التاريخية التي حققتها المرأة في ثورة التحرير الوطني بالرغم من العوائق الاجتماعية التي عرقلت مسار المشاركة المجتمعية للمرأة.

وبهذا يمكن القول أن المرأة لعبت دور أساسي في الثورة من خلال الحنكة التي تتميز بها، "دخلت المرأة الجزائرية الثورة من البداية وهذا ما دعا به الاستئناف في ديسمبر 1953، نساء الجزائر الأمهات والأخوات، الزوجات انتم الأساس في عملية التنشئة أنتى نصف السكان أنتى تعطى للحياة وبها تتشكل أجيالا جديدا ومستقبل البلد يعتمد عليك" (messouda, p. 30)

2. السياسة الاستعمارية الفرنسية ازاء المرأة الجزائرية

ان الدخول الاستعماري للجزائر لم يكن بطريقة عشوائية بل كان دخوله ممنهج وفق أسس علمية واستراتيجية وفق استشارة الخبراء في المجال السياسي والعسكري فكان يهدف الى محو الحضارة بما فيها الهوية الاسلامية للمجتمع الجزائري والثقافية اللذان تعتبران من أهم

الدعائم الأساسية لتكوين شخصية سليمة بعيدة عن الانحرافات الفكرية والثقافية له فإذا فقدت هذه الأنساق المكملة للفعل الاجتماعي يعنى يكون لها أثر واختلالات بالغة في المستقبل. إلا أنه تجدر الإشارة بنا الى أن المرأة تعد الأساس والأهم في تكوين شخصية الفرد من الصراعات الخفية والمعلنة التي تقع في المجتمع حيث كان للمرأة دور اساسى الثورة التحريرية من حيث تماسك المجتمع ووحدته والحفاظ على الهوية الوطنية ومحو كل السياسات الاستعمارية الفاشلة التي تحاول زعزعة الاستقرار الوطنى بداخله من حيث اللغة، الثقافة، عن طريق محو الأفكار الاستعمارية التي تحاول هدم الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري.

وهو ما عبر عنه المفكر الفرنسى لويس برتراند في مؤلفه طريق الجنوب من خلال وصف المرأة الجزائرية المسلمة التي تسعى الى المحافظة على عفتها في قوله " هن كالأشباح البيضاء تمشى تحت الجدران وتتسرب فبالأنهج المظلمة وهى السياسة التي أكدت مشروع تحامل استعمار فرنسى استهدف بخططه الجهنمية المرأة الجزائرية كعنصر أساسى له الوزن الحضارى بناء هذا المجتمع كما يساهم في الحفاظ عليه من جميع الأخطار الخارجية التي تبرص بأبنائه (محمد، 2019، صفحة 678)

"وفي ذات السياق يؤكد أبو القاسم سعد الله هذه السياسة الفرنسية القائمة على التكاليف ضد المرأة الجزائرية المسلمة في محاولة من قبل السلطات الاستعمارية لأجل انتشار هذه الأخيرة من واقعها العربى المسلم والإيقاع بها في مستنقع الرذيلة والتحرر من الثقافة الفرنسية غير المقيدة بوازع الاخلاق والدين والتي تتعارض في مبادئها مع القيم الأخلاقية والإنسانية التي تميز المرأة الجزائرية عن نظيراتها من النساء الفرنسيات أو الأوروبيات عامة، لذا لقد أخذ الحديث عن المرأة في المجتمع الجزائري حيزا كبيرا في المناقشات والكتابات الفرنسية ولقد كان الجهل بالتقاليد الاجتماعية والتعاليم الاسلامية مما أدى الى وجود تفسيرات كثيرة وعديدة لوضعها وحالتها فمنهم من تأسف على حالها ومن وصف شقائها في حين وجدنا أن معظم الكتابات قد أرجعت وضع المرأة في المجتمع الى تعاليم الإسلام." (محمد أ.، 2019، الصفحات 677-678)

3. المرأة الجزائرية وثورة التحرير

تعتبر الثورة الجزائرية احدى المحطات الكبرى في العالم وفي المجتمع الجزائري بصفة خاصة فقد كانت هذه الأخيرة كرد فعل ضد السياسة الاستعمارية التي من بين أثارها انتشار

الأمية لدى افراد المجتمع الجزائري الوقت الذي تطور المستوى الفكرى للمجتمع الفرنسى هذا العنصر البارز الذى يعتبر احدى الركائز الاساسية التينبنأى مجتمع يقاس بدرجة التقدم والتخلف هذا من جهة ومن جهة اخرى فرض الثقافة الفرنسية التى لا تتطابق اطلاقا مع مقومات الثقافة الاسلامية والهوياتية للمجتمع الجزائى وتجدر الاشارة بنا الا ان المرأة كان لها دور أساسى المساعدة على الحفاظ فى تماسك المجتمع ومنعه من انحرافات تؤدى به الى فشل الثورة.

لذا فان من أبرز الدور الاجتماعى الذى لعبته المرأة منذ بداية الثورة مند خلال بعض الشهادات التى أدلت بها بعض المجاهدات حيث تقول السيدة فاطمة علال فى بداية الثورة كانت النساء توزع الأعمال التى تتعلق بتموين جيش التحرير الوطنى وتيئ لهم الطعام وتخطط مختلف الأشياء التى يحتاجونها جنود جيش التحرير الوطنى، وعندما اشتد البطش الاستعمارى وتعرض الرجال للقتل والنفى والتشريد التحق معظمهم بصفوف جيش التحرير الوطنى حيث حلت النساء محلهم فى كل الأعمال التكانو يقومون بها فأصبحن يقمن بتموين جيش التحرير الوطنى، (محمد غ.، 2020، صفحة 17) "لذا فان الدور الاجتماعى كانت تقوم به المرأة الجزائرية كان دور المرشدة الاجتماعية فى الوسط النسائى سواء فى القرى أو فى الأرياف فكانت تستغل المناسبات الكثيرة التى تسمح بتجمع النسوة مثل أفراح الزواج والختان، الوفيات وزيارة الموتى فى المقابر حيث كانوا يعطو دروسا فى التوعية الاجتماعية تتعلق بكيفية تربية الأطفال وطريقة معالجتهم ونظافتهم وكل مايفيد العائلات فى التدابير المنزلية والحياة الصحية وممارستها لدورها ". (محمد غ.، 2020، صفحة 20)

1.3 دور المرأة فى المجال العسكرى:

"تشير الاحصائيات التى ذكرها فى مؤتمر الصومام 1956 أنه من 1010 %مجاهد تم احصاءهم فى بداية الثورة قدر عدد النساء المجاهدات 149 أى 5%ليزاد بعد ذلك عددهن طوال فترة الحرب حيث يبلغ 10.949%مجاهدة أى 16 مابين منخرطات فى جيش التحرير الوطنى والفدائيات وفى كتاب المرأة الجزائرية يشير بلحسان بالى أن المصادر التاريخية احصت عدد النساء الذين التحقن بالثورة منذ اندلاعها فى 1954 الى 1962 ب 2000 امرأة أغلبن كانت شابات تتراوح أعمارهن مابين 20-30، وتذكر انيسة بركات فى كتابها نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية أن النسبة ارتفعت الى 65 وهى أضخم نسبة طوال مرحلة الكفاح المسلح نسبة المعتقلات الى 16 ورقم الشهيديات الى 7 وكان عنصر الشباب يشكل العدد الأكثر

ارتفاعا وتأكيد على المرأة الجزائرية لن تتخلى عن وطنها وشرفها فان التاريخ قد يسجل المواقف البطولية للوفاء والاخلاص لمبادئ اول نوفمبر وتلبية نداء الثورة الذى بادرت به الطالبات الجزائريات فى 19 ماي 1956 عندما تخلين عن مقاعد الدراسة والتحقن بصفوف جيش التحرير الوطنى". (رشيد، 2021، صفحة 458)

كان لها دور الفدائية اذ تنفذ عملياتها فى وسط السكان بدون أن ترتدى الزي العسكرى، والملاحظ هنا أن المكلفات بهذه العمليات كى يتصفن بالشجاعة القائمة وطول النفس والصبر، حيث يضع القنابل فى المقاهى ومراكز تجمع العدو فى المدن وفى وضوح النهار ويلقى القبض على هذا النوع من النساء المجاهدات ويبدل المستعمر قصارى جهده لتشوية أجسادهن وانتهاك أعراضهن من أجل الحصول على معلومات منهن وبعد أن ييأسن فى ذلك يحكم على بعضهن بالاعدام والبعض الآخر بالسجن ، فى حين تقوم المرأة المسبلة بأعمال عديدة كالاتصال بين الشعب والفدائيين ومن جهة وقيادات الثورة ومن جهة ثانية تعمل على حراسة المجاهدين وتأمين ملاذهم ونقاط عبورهم. (القادر، صفحة 400)

ويظهر هذا الدور بفعالية قصوى عندما لجأت فرنسا الى خطة تجميع السكان فى المحتشدات بهدف عزل الثورة عن الشعب حيث تصدت قيادة الثورة لذلك بتجنيد النساء لهذه المهمة، فاستطاعت أن تربط الاتصال بجيش التحرير، ومنهن من تعمل فى جهاز الاتصال بين العاصمة والجبل بين المجاهدين وأهلهم أو أصحابهم فى النضال فكانت الرسائل تروح وتجي بطرق غير مشكوكة. (القادر، صفحة 400)

المرأة المسبلة:

"لقد لخصت يحيوى مسعودة دور المسبلات فى المهام التالية:

التموين: اذ تعد المسبلة بمثابة الرئة التى يتنفس بها جيش التحرير الوطنى من خلال ضمان استمرارية تموين المجاهدات المناضلات.

الإيواء: وذلك من خلال استقبال المجاهدين فى منازلهم التى تحولت الى مراكز التقاء واجتماع. الاستعلامات: تنتقل المسبلات من مكان لآخر للاستطلاع على مواقع الجيش الفرنسى وجمع المعلومات لشن كل تحركاته وتوجهاته، لتجنب أفراد الثورة من الوقوع فى الكمائن اذ وصل بعضهن الأمر الى حد الزواج من فرنسيين بهدف الحصول على معلومات من قوات الجيش الفرنسى، ولهذا تؤكد هذا الجور أنيسة بركات حين تقول كانت المسبلات تهتم بالاتصال بين الجبهة والجيش وتقوم بحراسة المجاهدين أثناء عملياتهم التدميرية متحدية بذلك يقظة العدو

وأحيانا تخفى السلاح وتحمل الوثائق السرية الى المسؤولين المكلفين بها وتشتري الأدوية واللوازم التي يحتاجونها الثوار رغم حراسة القوات الفرنسية وحملات التفتيش (مختار، صفحة 193)

2.3 دورها في المجال السياسي:

تتمثل مشاركة المرأة المجاهدة في المجال السياسي كونها شخص مكلف بمهمة عن طريق القيادة تتميز هذه المهنة في تفقد الأوضاع في الأقسام والنواحي وإحصاء كل النقائص المسجلة في تقارير مفصلة وتتبع الخونة، وقد انفردت هذه الأخيرة بتكوين المراقبات السياسات تكوينا سياسيا وعسكريا وطنيا صارما نظريا وتطبيقا في سرية تامة حيث أشرف على هذا التكوين العقيد عبد الحفيظ بوصوف في الفترة الممتدة من ديسمبر 1956 الى غاية جانفي 1957 أي مدة 45 يوما وبعد الانتهاء من هذا التكوين وجهت لهن مراقبة كل المناطق لتباشر عملها أول ماكلفتهن به المراقبة السياسية هو ايصال كل التوجيهات والتعليمات التي اوصى بها مؤتمر الصومام 20 اوت 1956 الى الجنود كإبلاغهم التقسيم الجديد للجزائر تعين الولايات مع تحديد مناطق النواحي لكل ولاية ومختلف الرتب العسكرية ومهامها التي حددها هذا المؤتمر. (جازية، صفحة 263)

3.3 دورها في المجال الصحي:

"إن المرأة الجزائرية لعبت دورا هاما في المجال الصحي خاصة في المدن والأرياف الجزائرية العميقة فقد لعبت أدوار أكثر خطورة نهضت بها المرأة الجزائرية في مهام البحث عن الدواء وجهود تحصيله وايصاله الى مستحقيه من المجاهدين الجزائريين وصول المخاطر التي تزامنت مع القيام بمثل هذه المهام من طرف النساء الجزائريات لذا تروى المجاهدة لقد كنا ندفع بالأطفال من خلال شراء نوع من الأدوية لأنه لا يمكن الفرد الواحد شراء كل هذه الكمية وبعد انتهاء عملية الجمع والشراء تقوم بإجراء اتصالات مع المجاهدين الجزائريين لتحديد أماكن محددة يكون فيها التسليم ثم نقوم بإخراج الأدوية بحذر لتسليمها لهؤلاء المجاهدين في المكان المحدد سابقا " (محمد أ.، 2019، صفحة 686)

4. المرأة بين المحافظة على الأعراف الاجتماعية وبين مشاركتها الثورة التحريرية من منظور سوسيولوجي

انطلاقا من هذا العنوان يبدو لنا جليا أن مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية من منظور سوسيولوجي كان يمتاز بنوع من العراقيل والاشكاليات لاسيما نعرف ان المجتمع

الجزائري هو مجتمع ذكوري بالدرجة الاولى وان مشاركتها العسكرية نوع ما يمتاز ببعض المعوقات الثقافية والاجتماعية التي تحد من مشاركتها وبهذا فان الأدوار هي خاصية يتميز بها الرجال عن النساء وبالتالي اقتحامها هذه الأدوار يخلق نوع من الصراع الثقافي والإيديولوجي والاجتماعي ابتداء من الاسرة التي تعد أولى المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على تحقيق الاستقرار داخل النظام الاجتماعي والمحافظة على بنائه، واذا اردنا تفسير ذلك حسب فكر وإيديولوجية الفرد الجزائري ان المرأة لها مجال محدد كترية الأطفال، وإعداد الطعام... إلخ، لذا ترسب في ذهنية المجتمع الجزائري اذ أصبحت إعادة انتاج الثقافة أن الرجل هو الوحيد باستطاعته قيادة هذه المهام، لذا فان مشاركتها كانت محصورة وخفية كإخفاء المجاهدين واعداد الطعام...، الا ان بفعل تطور درجة الوعي ومحاصرة الاحتلال الفرنسي كافة القرى وقتل عدد كبير من المجاهدين هنا المرأة لعبت دورا باقتحامها ومشاركتها الثورة التحريرية بفعل تطور درجة الوعي لدى المجتمع الجزائري بأهمية مشاركة المرأة في الثورة.

"وهنا يمكن القول أن ترتبط الدعوة الى تحرير المرأة بالدعوة الى تحرير الوطن وذلك الى جهاد المثقفين والمفكرين والمصلحين بل أنه من المفارقات أن الرواد الأوائل الذين تصدو للدفاع عن المرأة كان معظمهم من المدركين بثاقب فكرهم مدى الحاجة الى تحرير المرأة كضرورة اجتماعية وحضارية من اجل اللحاق بالمجتمعات الانسانية المتقدمة، وهكذا عند اندلاع الثورة التحريرية كان المناخ الاجتماعي الذي تعيشه المرأة متشعبا بالاستعداد للتفاعل والحركة والعطاء مثلها مثل الجماهير الجزائرية ككل لتعيش أخصب الفترات في تاريخ الجزائر الحديث ارهاصات قوية توشك على الانفجار ووجدت المتنفس لها في ثورة نوفمبر 1954". (زهرة، 2012، صفحة 225)

"بهذا المفهوم المنطقويالثوري ان واحد استقبل الرجل الجزائري مناضل ومجاهد ثورة اول نوفمبر 1954 اخته وأمه وزوجته، وابنته ملقيا عليها أعباء كثيرة من مسؤوليات الكفاح المسلح وكانت عند حسن الظن بها فقد اشتركت جنديا وومرضة ومسؤولة عن التموين والسلاح ومسؤولة الاتصالات السرية في جميع جبال الولايات الست زيادة على دورها المعروف كفدائية ومسبلة، لذا لقد برهنت المرأة أيام الثورة أنها عضو كفى لتحمل أصعب المسؤوليات وتطبيق أخطر المشاريع الفدائية والنظالية على العموم وسجل لها التاريخ ذلك بحروف لاتحى على مدى الأيام وأصبحت قدوة يقتدى بها ومثالا تحتذى به كل النساء في الشعوب

الثورة التحريرية وانعكاساتها على الأسرة والمرأة الجزائرية – قراءة سوسيولوجية-

**The editorial revolution and its repercussions on the Algerian family
and women - a sociological reading-**

_____ رزيقة عليلي¹ ، غنية فني² _____

¹ المركز الجامعي - سي الحواس - بركة (الجزائر)، razika.alili@cu-barika.dz

² المركز الجامعي - سي الحواس - بركة (الجزائر)، ghaniafenni@cu-barika.dz

1. مقدمة:

تعتبر الثورة التحريرية بداية لعهد آخر من الفترات الاستعمارية حيث ارتبط بها المجتمع الجزائري بأكمله ارتباطا ماديا ومعنويا جعله يتابع أخبارها ويتطلع من ورائها لنيل الاستقلال الوطني ليحرره من حالة الاستقرار التي عاشها طيلة قرن كامل، فضلا عن الظلم والقهر والفقر وغيرها، وكان لهذا الارتباط بالثورة أثرا عميقا على الأسرة الجزائرية التي راح كل فرد فيها يقدم ما استطاع لنيل الحرية ولهذا يذهب الكثيرون إلى القول بأن العائلة الجزائرية لم تتأثر بالسياسة الاستعمارية أكثر مما تأثرت بالحرب التحريرية سنة (1954) سواء في بنيتها ووظائفها ونمط العلاقات فيها، إذ أدت الثورة إلى إحداث نوع من النقاش داخل العائلة حول الثورة الأمر الذي لم يكن قائما من قبل ولم تكن المرأة الجزائرية بعيدة عن الحدث إذ سرعان ما أخذت مكانها ضمن الحركة الثورية فعملت مسجلة ومجاهدة وفدائية وشاركت في تنظيم أكبر المظاهرات في المدن وهكذا، فالمرأة التي لم تكن تخرج إلا بصحبة أفراد العائلة أو أحد المحارم وجدت نفسها وقد أوكلت إليها مهمات خطيرة تنتقل من شرق البلاد إلى غربها بمفردها ولأيام عديدة، بالإضافة إلى أن المرأة أصبحت مسؤولة عن تسيير شؤون العائلة في ظل غياب الرجال والتحاقهم بالجبال، وشيئا فشيئا تغيرت نظرة الرجل نحو المرأة، كما تغيرت العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء وهو تغيير نسبي لاشك في ذلك لكنه أحدث فعلا نقطة التحول في العلاقات داخل الأسرة، فالبنية الأحادية المنسجمة للأسرة الجزائرية كُسرت بفعل حرب التحرير.

يمكن القول أن الثورة التحريرية فجرت البنية العائلية الجزائرية، وأثرت على التقاليد والأعراف العريقة للمجتمع الجزائري، حيث أصبحت المرأة تلعب دورا جديدا أملت الظروف التاريخية. كان لكل هذا أثر على الأسرة بعد الاستقلال خاصة في المدن الكبرى أين بدأت العائلة الممتدة تفقد بعضا من وجودها ووظيفتها وبعض معالم بنيتها التقليدية وهذا ما

سوف يتجلى أكثر في مرحلة ما بعد الاستقلال أين ستأخذ الأسرة الجزائرية حقها من التنمية و التحديث .

ومن هذا المنطلق سنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ماهي انعكاسات الثورة التحريرية على وضع كل من الأسرة والمرأة الجزائرية ؟

- وما هو الدور الذي لعبته المرأة أثناء الثورة التحريرية ؟

الهدف الرئيسي للبحث هو الكشف عن مدى تأثير كل من عاملي الاحتلال والثورة التحريرية على الوضعيات الاجتماعية على العائلة وعلى المرأة داخل المجتمع الجزائري. بالإضافة إلى إبراز المهمات والدور الكبير الذي لعبته المرأة الجزائرية بمساهماتها الفعالة ومشاركتها في الثورة التحريرية .

بما أن هذه الدراسة ذات أهداف وصفية تفسيرية فقد تم الاعتماد على المقاربة التاريخية والمنهج الوصفي التحليلي لملاءمتهما من حيث وصف التغيرات والتحوليات التي أفرزتها الثورة التحريرية على العائلة والمرأة من خلال سرد الأحداث والوقائع والمعطيات وتحليلها وتفسيرها.

2.انعكاسات الثورة التحريرية على المرأة والأسرة والمجتمع الجزائري:

1.2 انعكاسات الثورة التحريرية على الأسرة والمجتمع الجزائري:

عرف المجتمع الجزائري جملة من التطورات والتغيرات البنيوية خلال التطور التاريخي له ، في فترات الاستعمار الفرنسي ، وأثناء الثورة الجزائرية وبعد الاستقلال ، حيث شملت هذه التغيرات وظائف الأسرة الجزائرية وحجمها ، وتوزيع الأدوار والوظائف والمكانات بين أفرادها متأثرة في ذلك بعدة أسباب وعوامل تخضع في مجملها للرغبة الملحة في العصرية والتكيف مع التغيرات الاجتماعية السياسية والاقتصادية الحاصلة في الدولة الجزائرية المستقلة.

إن أهم التغيرات التي عرفها النظام الاجتماعي في الجزائر ناتجة عن الاستعمار حيث «اتبعت فرنسا في الجزائر سياسة استعمارية خاصة ، استهدفت في جميع مراحل تفكيك البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السابقة وعمدت على تحقيق هذه الأهداف من خلال تدمير نظام الملكية وتفكيك النظام القبلي والقضاء على المؤسسات التعليمية والدينية " (زايد، 1986، ص105)، " فقد ترتب على خروج الملكية الزراعية من أيدي الجزائريين انتشار الفقر، والبطالة بينهم بحيث بلغ عدد العاطلين عن العمل قبل اندلاع الثورة عام 1954 91 %" (المرجع السابق، ص106) وفي الميدان الصناعي حارب المستعمر كل أشكال الصناعة الجزائرية إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية ، ووقعت فرنسا في أيدي الألمان سنة 1944، فاضطرت

الحكومة الفرنسية للسماح بقيام بعض الصناعات الخفيفة في الجزائر أما في المجال الاجتماعي ، فإن المجتمع آنذاك قسم إلى فئتين :

أولهما : تتكون من الأقلية الفرنسية والجاليات الأخرى التي سيطرت على أهم النشاطات في البلاد منها الإدارية ،الاقتصادية والزراعية واحتلت بذلك مركزا اجتماعيا مرموقا . ثانيهما فئات من الشعب الجزائري الذي أبعد عن كل النشاطات المهمة في البلاد خصوصا الإدارية منها قصد تذليله وقهره وتصنيفه في أدنى السلم الاجتماعي ،ومن حيث الوضع الثقافي سعت السلطات الاستعمارية إلى جانب الغزو العسكري إلى إيجاد مختلف السبل قصد إحداث غزو ثقافي فكري من خلال إبعاد اللغة عن الإدارة ومنع استعمالها في المدارس ومعاهد التعليم كما حاول المستعمر نشر الدين المسيحي من خلال تبني تربية الأطفال في الجمعيات المسيحية ، وإغلاق المساجد واستبدالها بالكنائس والدير مما أدى إلى تفشي ظاهرة الأمية بين أفراد الشعب الجزائري ، "وأما القلة التي أتيحت لها التعليم والثقافة فلم تتجاوز نسبتها 5.1% من الرجال و2.6% من النساء" (السويدي ، 1990، ص44) "وما لاشك فيه أن خطة الاستعمار في الجزائر لم تكن تهدف إلى فرض سيطرة سياسية واقتصادية فحسب وإنما كانت تهدف إلى فرض سيطرة فكرية ثقافية ضمن تراثنا الفكري والروحي" (السويدي ، المرجع السابق، ص86) ، فالثورة التي اندلعت نتيجة القمع والاستبداد الفرنسي كانت من أهم العوامل لحدوث التغيير، خصوصا بعد التحاق الرجال بالثورة مما اضطرت البنت ،الأم الزوجة التي تركت أسرته من دون معيل إلى الخروج لمواجهة الحياة العامة سواء بالعمل المأجور، أو الانضمام إلى صفوف المجاهدين ، وبما أن مشاركة المرأة الجزائرية في الكفاح ضد المستعمر جزء من المحيط العام الذي عرف تغيرات عميقة في تركيباته الاجتماعية بحيث اكتسبت المجاهدة بعض الحقوق فرضتها الظروف الاجتماعية والسياسية لتلك المرحلة فيما يتمثل الحقوق ، لم تكن حياة المجاهدات في المدينة، الجبل، السجن سهلة بل اعترضتها مشاكل عديدة سواء من جانب المجاهدين ،أو من جانب الإدارة الفرنسية ، ولقد كانت لهذه المشاركة نتائج متعددة على صعيد العلاقات بين النساء والرجال ،التي عرفت تغيرات جذرية في هذه المرحلة والتي أدت بدورها إلى تغيير في مكانة المرأة ووضعيتها داخل الأسرة ، وهذا ما يدل على أن التغيرات الاجتماعية والنفسية العميقة التي عرفت الجزائر لم تكن نتيجة للإحتلال فقط ، وإنما هي أيضا نتيجة مقاومات التي خاضها الشعب الجزائري بنسائه ورجاله ضد الاحتلال .

فتأثير السياسة الاستعمارية لم ينحصر في المدة التي وجد فيها الاحتلال ومسائل كثيرة توضح ذلك خاصة وأن الاستعمار لم يكن يهدف إلى إلغاء المؤسسات الجزائرية فقط بل كان يهدف إلى إلغاء جميع القيم المكونة للشخصية الجزائرية "ارتبط النزوح الريفي في الجزائر بفترة الاحتلال الفرنسي الذي اتخذ سياسة الاستيطان الذي يقوم على انتزاع أراضي الفلاحين الجزائريين، وبعد الاستقلال استمر النزوح الريفي "(جغلول و وآخرون، 1984، ص144) الذي أدى إلى اضطرابات أعمق من تلك التي كانت تحت الاستعمار، حيث نزح بعد الاستقلال مئات الآلاف من القرويين نحو التجمعات السكانية في المدينة ، وشغلوا السكنات التي تركها المعمرون وأدى هذا التنقل للمواطنين إلى تحولات سوسيولوجية لدرجة يهياً فيها للملاحظ أنه أمام عملية ميلاد لمجتمع جديد حسب ما يذهب إليه بعض الباحثين.

2.2 انعكاسات الثورة التحريرية على وضعية ودور المرأة داخل العائلة الجزائرية:

تعتبر الثورة التحريرية كمرحلة من المراحل الاستعمارية التي كان لها الأثر البالغ والملموس على تغيير الأوضاع الاجتماعية للأسرة الجزائرية، على حد قول مالك بن نبي "أن الثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها إذا لم يتغير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره"(بن نبي، 1988، ص75) فاندلاع الثورة كان بمثابة المحاولة الفعلية لتغيير الأوضاع، ومنه تغيير أوضاع و مكانات وأدوار أفرادها، لهذا كان على الشعب الجزائري بنسائه المشاركة في الثورة "(...) وهكذا نجد أن الثورة قد دفعت النساء إلى الأمام "(Fanon, 1968. P:93)، لكن ذلك لم يكن سهلاً نظراً للقيم السائدة آنذاك "فقرار إدخال النساء كعنصر فعال في الثورة الجزائرية لم يؤخذ الأمام" ببساطة "(Ibid P37)، بل جاء بإصرار منها وبفرض نفسها "(...) فأخذت المرأة تحتل مكانة مهمة أكثر فأكثر في الحركة الثورية بتطوير شخصيتها وباكتشافها للمجال العظيم للمسؤولية، وهكذا كانت المرأة الجزائرية قد قامت بصمود وبنجاح مظاهر الثورة"(Minces, 1980. P,118) وهذا ما أحدث ثورة غير مباشرة في البداية داخل البناء الأسري الجزائري لأن عادات وتقاليد العائلات الجزائرية نجدها عادات لا تقبل حتى اختلاط النساء بالرجال من العائلة الواحدة، لذلك فقد لقين اعتراضاً كبيراً في بداية الأمر سواء من طرف المجاهدين أنفسهم أو من طرف عائلتهن، وهذا الاعتراض كان نتاج لخوفهم من استغلال المتعمر لهذه القضية، وجرّ الأسر الجزائرية للانسلاخ عن ثقافتهم، ومنه جر المرأة الجزائرية نحو العادات والتقاليد الفرنسية كون المرأة هي حامية التقاليد واستمرارها في الأسرة، ومن خلال السيطرة على المرأة الجزائرية يمكن لها السيطرة على الأسرة، وبالتالي طمس ثقافة

المجتمع الجزائري في الثقافة الفرنسية، لهذا فإن الاعتراض على مشاركة المرأة في الثورة كان لنقل التقاليد والعادات التي بنيت عليها الهوية الوطنية الجزائرية، غير أن هذا الاعتراض لم يدم طويلا حيث التحقت المرأة بالثورة مع حلول سنة 1956م، مع العلم أنها كانت تشارك من قبل في إيواء ونقل الأسلحة بالإضافة إلى جمع الأموال لجيش التحرير وتزويدهم بالأكل والملابس وكذا إخفاء المجاهدين ونقل الرسائل ووضع القنابل في الأماكن الخاصة بالمعمرين كالمقاهي ودور السينما، لكن سنة (1956) كان الالتحاق بمعازل الثوار في الجبال أي الابتعاد عن العائلة والالتحاق بأناس غرباء عنها فعملت مسيلة ومجاهدة وفدائية وشاركت في تنظيم أكبر المظاهرات في المدن وهكذا "فالمرأة لم تكن تخرج إلا بصحبة أفراد العائلة أو أحد المحارم، وجدت نفسها وقد أكلت إليها مهمات خطيرة تنتقل من شرق البلاد إلى غربها بمفردها ولأيام عديدة" (Fanon, Op.cit., P34)، وإضافة إلى هذا فقد تم زواج العديد من المجاهدين والمجاهدات في الجبال دون خطبتهن من الأهل إذ يقوم قائد في الثورة مقام الأهل في ذلك.

أما بالنسبة للمرأة الجزائرية التي لم تلتحق بالعمل المسلح سواء كانت في الأرياف أو المدن، قد استطاعت بدورها أن تكتسب دورا جديدا في نظام تسيير الأسرة، حيث أصبحت تتكفل بالموارد الاقتصادية لأسرتها، ذلك لغياب الزوج المتواجد سواء في السجون أو في الجبال، وعليه فإن الوضعية التي أوجدتها الثورة الجزائرية أجبرتها على تحمل مسؤوليات لم تألفها من قبل فمنهن من كانت "تتصل بالسجون والمحتشدات بحثا عن الأقارب ومساعدتهم" (جغلول وآخرون، مرجع سبق ذكره ص 131) هذا ما جعلها تعاني الأمرين فبالإضافة إلى المضايقات اليومية من جراء التفتيش الذي تتعرض له من قبل المستعمر، فقد قاست من القمع، ذلك أنه "عديدات من النساء اللواتي قتلن أو عنفن وأحيانا عذبن حتى في بيوتهن بواسطة أجهزة تعذيب كهربائية محمولة" (جغلول وآخرون، مرجع سبق ذكره ص 131).

صفوة القول أن المرأة الجزائرية استطاعت من خلال مساهمتها الفعالة في الثورة التحريرية تحقيق قدر معين من الاستقلالية حيث أظهرت كفاءتها وبرهنت على قدرتها على تحمل أعباء أسرتها ومسؤوليتها المعنوية (التماسك والتضامن الأسري) والمادية، كما استطاعت الاندماج أكثر في المجتمع من خلال العلاقات الاجتماعية الجديدة التي كونتها، سواء مع المجاهدين أو مع أسرهم، وبالتالي تغيرت النظرة المهملشة للمرأة باعتبارها عنصر مساهم وفعال، لذا فقد لاقت المرأة التأييد من طرف جبهة وجيش التحرير الوطنيين، واعترف بها كعضو فعال في الثورة وقد تأكد هذا في أول مؤتمر لجبهة التحرير الوطني الذي انعقد بتاريخ

20 أوت 1956 بواد الصومام، والذي جاء في إحدى فقرات الوثيقة المنبثقة عنه ما يلي: "توجد في الحركة النسائية إمكانات واسعة تزداد وتكثر باضطراب وإننا نحیی بإعجاب وتقدير ذلك المثل البار الذي ضربته جميع أخواتنا المجاهدات اللاتي يشاركن بنشاط كبير في الكفاح المقدس من أجل تحرير الوطن" (هالي، 1987 ص:48).

ومن خلال ما ذكرناه سابقا يمكن القول أن الثورة التحريرية فجرت البنية العائلية الجزائرية، وداسست على التقاليد والأعراف العريقة للمجتمع الجزائري، حيث أصبحت المرأة تلعب دورا جديدا أملت الظروف التاريخية.

ومن جهة أخرى فقد استغل الاستعمار الوضعية الدونية للمرأة في العائلة والمجتمع ودعاها للثورة ضدها، لهذا قامت الإدارة الفرنسية بأخذ مهمة الدفاع عن وضعية المرأة الجزائرية على عاتقها لكسب تعاطف النساء معها واتخذت الإجراءات التالية:

1- على المستوى السياسي: أصدرت قانون 1958 الذي ينص على إعطاء المرأة الجزائرية حق التصويت رغم وجود قانون 1947 الذي ينص على نفس الغرض ولكنه لم يطبق.

2- على المستوى الاقتصادي: أصدرت قانون 17 مارس 1956 الذي نص على إدماج 193 امرأة في الوظائف العمومي، تتمتع بنفس الحقوق والامتيازات الاجتماعية التي تتمتع بها الأوروبيات.

3- على المستوى التعليمي: فرض إجبارية التعليم بقرار 1958/02/20 م على الفتيات من ستة (06) إلى أربعة عشر (14) سنة، كما أصدرت قانون قبل ذلك في 1955/10/27 م ينص على إيجاد مراكز اجتماعية بهدف إعطاء تربية قاعدة للجنسين وتكوينهم مهنيًا في أعمال التربية والصحة والصناعات الحرفية" (Cadi, 1978, P47) وتنوعت وسائل فرنسا، إلا أنها فشلت في ذلك المسعى، وزاد تمسك المرأة بشخصيتها الوطنية من خلال مشاركتها في الثورة التحريرية حيث وضعت أسسا جديدة لمكانتها داخل البنية العائلية، وبالتالي قد أحدثت انتقالا ملموسا في مكانتها وأدوارها داخل الأسرة.

ومنه تجاوزت المبادئ الضيقة للتقاليد والعادات دون أن تحدث تصدعا في المبادئ الأساسية للتقاليد المبنية على الشرف والعفة وبالتالي الحفاظ على بعدها الحضاري الإسلامي.

ورغم أن الكثير من المظاهر والقيم التي تراجعت وانتهت بعد الاستقلال كمبيت المرأة خارج بيت أهلها، وكثرة الاختلاط وغيرها، لكن ذلك لم يمنع تأثيرها الذي استمر بعد الاستقلال في أشكال معلنة وخفية فلا شك أن هناك تغيير نسبي فيما يتعلق بمكانة المرأة وأشكال الحوار

والنقاش أخذ القرار وتفتح الأسرة والأکید أن هذا التأثير وجد لدى سكان المدن أكثر من الأرياف الذي بقوا متمسكين إلى حد كبير بالنظام الاجتماعي التقليدي.

وهكذا فالثورة التحريرية كانت عاملا إيجابيا في تغيير بعض المفاهيم والأفكار، وساهمت في إيجاد قيم أخرى لم تكن معروفة مبنية على علاقات جديدة بين الجنسين في الأسرة، وتحسن مكانة المرأة، هذه الأخيرة التي فرضت عليها متطلبات الحياة ما بعد الاستقلال أن تلعب أدوار أخرى كمنحها لمجالات جديدة للعمل.

3. دور المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية:

1.3 مشاركة المرأة الجزائرية في المنظمات النسائية :

حاولت المرأة أيضا بالمطالبة بحقوق وطنها قبل الاستقلال ، وذلك عن طريق بعض المنظمات النسائية التي كانت موجودة قبل اندلاع الثورة وأهمها : الاتحاد الفرنكو-إسلامي لنساء الجزائر الذي شكل سنة 1944م وكان يضم في صفوفه نساء جزائريات حاملات للثقافة الفرنكوفونية ، وقد وصل مجموع النساء المنخرطات في هذه الهيئة 36 امرأة وهو تمثيل بالتناسق بين الأوروبيات والمسلمات اللواتي يعتبرن أكثر تفوقا من الناحية الفكرية ، وقد طرح التنظيم في السنوات الأولى بغض القضايا كالنظافة للحفاظ على الصحة ، وقام بنشاطات ثقافية كتنظيم محاضرات وأسواق وأعمال خيرية خلال سنوات 1944-1947م .

كذلك اتحاد النساء الجزائريات ، الذي كان يعمل تحت إشراف الحزب الشيوعي ، إلا أنه لم يلق الإقبال الكبير لأن جل عناصره من الفرنسيين والنساء الذين يؤمن بالتوجه الشيوعي ، وقد استقر هذا التنظيم نظريا إلى عام 1955 ، ثم انحل نهائيا سنة 1954م.

ومن أهم الجمعيات التي لاقت قبولا شعبيا سواء عند الرجال أو النساء هي جمعية النساء المسلمات الجزائريات ، وربما يعود ذلك لسبب البعد الحضاري للمجتمع الجزائري ، حيث أنشأ هذا التنظيم في جويلية (1947) تحت الإشراف السياسي لحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D) بعد هذا التاريخ أصبح نضال المرأة الجزائرية سواء للدفاع عن حقوقها أو قضية أمنها ينتظم ويتطور ، حيث أصبحت تحضر المؤتمرات هذا رغم الاعتراض الذي لقيته من طرف أفراد المجتمع ، حيث اقتصرت مشاركتهن على نساء الطبقة البرجوازية ، أو النسوة المنحدرات من عائلات قاطنة في المدن الكبرى وربما نساء المثقفين وأهل العلم ، إضافة إلى نساء مؤسسي الحركات الوطنية "(كويحل، 2001 ص 94).

إن مشاركة المرأة في الحركة الوطنية وكذا حضور تأسيس بل إنشاء بعض الجمعيات منحها نوع من الاستعداد لدخول مرحلة جديدة من الكفاح والنضال على جبهتين، الأولى تتمثل في حقوقها وعملية الرقي بالمرأة، والثانية تتعلق بمصير أمتها .

على هذا الأساس عملت المرأة على التحسيس جنبا إلى جنب بالقضية الجزائرية ، حيث كان الرجل يقوم بذلك خارج البيت وهي تتكفل بذلك في البيوت لتوعية النساء وإعدادهن لمرحلة قادمة قد تكون أشد قهرا واضطهادا .

2.3 مشاركة المرأة في الحرب التحريرية

كانت لمشاركة المرأة الجزائرية في الكفاح ضد الاستعمار جزء من المحيط العام الذي عرف تغيرات عميقة في تركيباته الاجتماعية بحيث اكتسبت المرأة بعض الحقوق والحرية فرضتها الظروف الاجتماعية والسياسية لتلك المرحلة ، فقد ساعد خروجها إلى كل من المدرسة والعمل بالإضافة إلى التنشئة التي تلقتها في العائلة الجزائرية التي كانت تغمرها الوطنية ، حيث ساهمت على تأثرها بما كان يجري في البلاد ومع تشبعها بمبادئ اكتسبتها من خلال نضالها في الحركة الوطنية والجمعيات التي كانت موجودة قبل الثورة ، ومنه فإن المرأة الجزائرية عند اندلاع الثورة التحريرية كان "المناخ الاجتماعي الذي تعيشه متشبع بالاستعداد للتفاعل والحركة والعطاء" (العسلي، 1986 ص30)، وهو الشيء الذي أدى إلى المشاركة في الحرب التحريرية .

وإذا كانت النساء قد شاركن في الحرب التحريرية فإن قرار إشراكهن لم يكن بالشيء السهل نظرا للعادات والتقاليد والذهنية السائدة آنذاك والتي تمنع المرأة من الخروج من البيت دون سبب، فقط بعض العائلات نجدها تسمح لبناتها من الالتحاق بالتعليم أو العمل إذا اقتضت الضرورة سواء في بيوت الاحتلال أو في المصانع والمستشفيات... نظرا للوضعية السيئة التي تعيشها .

لكن نظرا لصعوبة المعركة ، وتنقل المجاهدين في العاصمة تم في بداية الأمر الاتصال بالنساء المتزوجات المعروف أزواجهن وأهلهم بالوطنيين .

ونظرا للحماس المتزايد لدى الفتيات الجزائريات أجبر القلة السياسيين على قبولهن والاعتماد عليهن في بعض المهام " فكانت بدايتهن من خلال نقل الرسائل وإجراء الاتصالات وتقديم المساعدات للأسرة المحتاجة وخاصة أسر الشهداء، وهذه المرحلة الأولى تكون لتعزيز

الثقة ،ثقة الثورة في هذه المناضلة أو ذاتها، بعدها كانت التدريبات على حمل السلاح والقنابل وتفجيرها وأمور أخرى كثيرة "(رسالة الأسرة، 2005).

لم تكتشف الإدارة الفرنسية مشاركة المرأة في الثورة إلا في سنة (1956)، أين أُلقت القبض على ثلاث ممرضات في الجبل إثر اشتباك وقع بين الفرنسيين والمجاهدين ،فسنة 1956 كانت مرحلة التحاق الفتيات بمعازل الثوار في الجبال أي الابتعاد عن العائلة والالتحاق بجيش التحرير، سواء كان السبب هربا من العذاب الذي سوف تتعرض له بعد اكتشافها من طرف الإدارة الفرنسية ، أو انتقاما لأب أو أخ قتل أو وعيا منها لا بد أن تشارك في الكفاح المسلح لأنه واجبها ، فكلها أسباب متعددة أدت إلى التحاق المرأة بالثورة التحريرية ، رغم الاعتراض على مشاركتها في الثورة بسبب الوزن الثقيل للتقاليد العريقة للمجتمع الجزائري ،غير أن هذا الاعتراض لم يدم طويلا ، وبالتالي فإن الثورة التحريرية ، فجرت البنية العائلية الجزائرية ،حيث أصبحت المرأة تلعب دورا جديدا ولدته الظروف التاريخية و السياسية .

و من بين المجاهدات اللاتي ناضلن في صفوف جبهة التحرير الوطني "زهرة ظريف ،حسيبة بن بوعلي جميلة بوحيرد" وأخريات ، فمنهم من اعتقلت في السجون الفرنسية بعد اكتشافهن ،حيث مورس عليهن التعذيب الذي يعجز اللسان عن وصفه سواء نفسيا أو بدنيا أمثال "جميلة بوحيرد" وغيرها منهن من استشهدن.

لقد كانت مشاركة المرأة في حرب التحرير محدودة و صعبة أما عن الأدوار وأنواع النشاطات للمناضلات والعسكريات كانت طيلة سبع سنوات ونصف كالتالي: مسؤولية المأوى والتموين، مسؤولية الاتصال ، مسؤولية عن جمع العتاد والمالية والأدوية ،ممرضات ، طبخة وغسالة،فدائية ، خياطة كاتبة، محافظة سياسة ،جنديّة ...الخ .

" ومع أنه من الصعب تحديد عدد المناضلات سواء المدنيات أو العسكريات فإن مشاركتهم العددية ضعيفة ، كما أن مراتب المسؤولية كانت محدودة جدا وتعتبر مرتبة المحافظ السياسي أعلى رتبة تحصلت عليها المرأة أثناء الكفاح المسلح باستثناء ما هو موجود ضمن التنظيم النسائي أو أثناء بعثات الوفود النسائية إلى الخارج لتمثيل المرأة الجزائرية وشرح القضية الوطنية في الهيئات والمحافل الدولية ، هذا دون أن ننسى العدد الهائل من المعتقلات والشهيدات "(سعدو، 1995،ص58).

إن مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة سواء من خلال المظاهرات التي كانت تنظم في شوارع المدن الكبرى أو من خلال التحاقها بالعمل المسلح ، أو من خلال إمدادها الثورة بفلذة كبدها وسواء كان ذلك بالنسبة لأولئك اللواتي كن مناضلات في جمعيات نسوية، أو الحركة الوطنية عامة فإن هذا الشكل من النضال أو ذاك يعبر عن الوعي والحسّ المدني لدى المرأة الجزائرية سواء بشعور منها أو بدونه وبالتالي فقد أحرزت على أحد أهم الحقوق ، وهو مساواتها مع الرجل في تحمل المسؤولية بالمعنى الكامل للكلمة .

4. أهم مظاهر تغير مكانة ودور للمرأة الجزائرية بعد مشاركتها في الثورة التحريرية

رأينا سابقا كيف كان لمرحلي الاحتلال والثورة تأثيرا على الوضعيات الاجتماعية على العائلة وعلى المرأة ، وهذا لا ينطبق فقط على الجزائر وإنما على كل البلدان العربية التي مرت بنفس المراحل ، حيث كانت الثورات التحريرية من المستعمر في البلدان العربية البوابة التي فتحت مصراعها للمرأة لإثبات وجودها إذ سمحت لها بالخروج والخوض في مجال جديد عليها، حيث استطاعت أن تنال وتسترجع " كامل حقوقها بفضل مساهمتها القوية ومشاركتها الفعالة في كفاح شعبها طوال سنوات حرب التحرير التي استمرت سبع سنوات ونصف (1954-1962) ضد الاحتلال الفرنسي وقدمت الكثير من التضحيات والشهيدات في ميادين الشرف" (العسكري، 1992، ص: 317-318) لذا كان لعامل الثورة دور كبير في إخراج المرأة الجزائرية عن عزلتها ومن الوضع الذي كانت تعيشه كربة بيت وخادمة مطيعة للزوج تقوم بجميع الأعمال المنزلية من طبخ وغسل وكنس إضافة إلى وقوفها بجانب زوجها في كل أعماله ، وهذا راجع إلى تشبع المرأة الجزائرية بمبادئ الوطنية أثناء الثورة التحريرية والتي استشعرتها من خلال التنشئة داخل العائلة الجزائرية ، وكذا حصولها على نوع الثقافة العلمية خاصة في المدن الكبرى " أين كان الاحتكاك المباشر مع المجتمع الأوروبي قد اكتسبت نوع من الحرية خلال خروجها للتعليم ، وكذا العمل إذا اقتضت الضرورة سواء في بيوت الاحتلال أو في المستشفيات والمدارس، ومنه فإن هذه الحرية سمحت لها باتخاذ مواقف خاصة بشخصيتها ومبادئها وأكسبتها وعيا وإحساسا بواجبها اتجاه أمنها، ومنه المشاركة في الثورة التحريرية" (كويحل، مرجع سبق ذكره. ص 94) وهذا ما أحدث ثورة غير مباشرة داخل البناء الأسري الجزائري فإذا نظرنا إلى عادات وتقاليد العائلة الواحدة ، فالأب الذي كان يتحكم في كل الأمور المتعلقة بأفراد العائلة يتنازل ويسمح لابنته بالتحاق بالثورة ، وبدل الخوف من

العار، أصبح يخاف من أن يلقي عليها القبض أو تموت ، فقد أحدثت الثورة تغيرات سواء في ذهن الفتيات أو في ذهن الآباء، فهذه الفئة من الفتيات لعبت دورا هاما في الحرب التحريرية التي أفرزت أدوارا ومجالات جديدة للمرأة في المجتمع الجزائري ،وبذلك أحدثت قطيعة بين الفتاة التقليدية والفتاة المجاهدة التي استطاعت أن تحطم كل القيود التي نسجت لها وتتحدى أعظم قوة في العالم .

5. خاتمة:

من خلال ما سبق نستنتج أن لمرحلي الاحتلال والثورة تأثيرا على الوضعيات الاجتماعية على العائلة الجزائرية كما كانت العامل والحدث الذي أدخل تغيرات كثيرة على أوضاع الأسرة الجزائرية سواء في بنيتها ووظائفها ونمط العلاقات فيها ونظام القيم بحيث تغيرت أدوار ومكانة الأفراد وخاصة المرأة تغيرا ملحوظا حيث دفعت المرأة الجزائرية إلى المشاركة في الثورة التحريرية وإبراز قدراتها من خلال الالتحاق بصفوف الثورة والكفاح في الجبال والمدن على حد سواء، والتي ساهمت في وضع أسس جديدة لمكانة المرأة داخل البنية العائلية، ومن جهة أخرى أدت إلى ظهور بعض القيم المتمثلة في خروج المرأة إلى العمل لإعالة أسرتها التي تركها زوجها أو والدها، كل هذا كان له أثر على الأسرة بعد الاستقلال خاصة في المدن الكبرى أين بدأت العائلة الممتدة تفقد بعضا من وجودها ووظيفتها وبعض معالم بنيتها التقليدية. وبالتالي فقد أحدثت الثورة التحريرية انعكاسات عميقة وهامة على وضع كل من العائلة والمرأة داخل المجتمع الجزائري، والتي كان لها تأثيرها على كامل مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة من خلال التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي أفرزتها الثورة التحريرية كمرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر.

6. قائمة المراجع:

زايد، مصطفى، (1986)، *التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر* (62-

80، الجزائر)، د.م.ج.ج

هالي، سعاد. مسلم (1987)، *المرأة الجزائرية نضال وعمل*. مجلة الشرطة العدد 34

السويدي، محمد، (1990)، *مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، الجزائر، د.م.ج.ج*

جغلول، عبد القادر، وآخرون 1984، *(المرأة الجزائرية)*. بيروت، دار الحداثة

بن نبي، مالك. (1988)، *بين الرشاد والتهيه، دمشق، دار الفكر للطباعة*

كويحل، فاروق. (2001). نظرة المنخرطات في الجمعيات النسوية لقانون الأسرة الجزائري، أطروحة ماجستير في علم الاجتماع العائلة والسكان، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الجزائر. الجزائر.

العسلي، بسام. (1986)، المجاهدة الجزائرية ط 2 . بيروت، دار النفائس.
رسالة الأسرة، (مارس 2005)، وجوه و مواقف ، مجلة الأسرة تصدر عن الوزارة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة . الجزائر ، عدد خاص بالثامن.
سعدو، حورية. (1995)، الوضعية الاجتماعية و السياسية للمجاهدات بعد الإستقلال دراسة ميدانية لعينة مجاهدات القاطنات بالجزائر العاصمة ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي، معهد علم الاجتماع ، جامعة الجزائر. الجزائر.
العسكري، إبراهيم. (1992) لمحات من مسيرة الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرفية. الجزائر، دار البعث

Fanon, Frantz. (1968) Sociologie d'une révolution : L'an V de la révolution algérienne.

Paris, Maspero.

Minces, Juliette. (1980), La Femme Dans le Monde Arabe. Paris: Éditions Mazarines

Cadi, Mustapha . (1978), l'Image de la Femme Algérienne Pendant la Guerre 1954 - 1962, Thèse de DEA, Alger.

الثورة التحريرية الجزائرية

من منظور الاعلام وعلم الاقتصاد

منظور الثورة الجزائرية من خلال الصحافة والاعلام العربي
(تونس، مصر، ليبيا)

The perspective of the Algerian revolution through the press and the Arab
media (Tunisia, Egypt, Libya)

_____ موسى العاشوري¹ و أيوب شرقي² _____

¹ كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة سوسة تونس،

البريد الالكتروني المهني: moussa.achouri@FLSH.u-sousse.tn

² جامعة البليدة 2 على لونيبي / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

البريد الالكتروني المهني: ea.chergui@univ-blida2.dz

- مقدمة:

بعد أحداث الحرب العالمية الثانية، أصبحت فيه الكلمة أقوى من أي وقت مضى والصورة أصدق تعبيراً للأحداث في زمن أصبح فيه الإعلام بوسائله المختلفة المكتوبة منها والمنطوقة تلعب دوراً مؤثراً في صناعة وجهات وميول الأمم، فلا سبيلاً لأي جهة لإيصال صوتها وأفكارها إلى الجماهير بدون وسيلة إعلامية ومن خلال هذا المنطلق أيقنت الثورة التحريرية الجزائرية بأن الإعلام هو أحد الوسائل الفعالة لتحقيق أهدافها والوصول إلى الاستقلال ليس باستخدام السلاح فقط وإنما اللجوء إلى عديد الوسائل ومن بينها استخدام الصحف كأحد الوسائل للدفاع عن القضية الوطنية الجزائرية، كذلك دون التقاضي عن الصوت الإذاعي والذي له تأثير عميق لدى الشعوب في تلك الفترة، هذا الاهتمام بالجانب الاعلامي جاء نتيجة المعاناة والتحرير والتزييف المستمر للحقائق التي كانت تنشرها وسائل الإعلام الفرنسية، إما صحف منشورة او اخبارا مذاعة عبر قنوات الراديو، ففرنسا منذ وطئتها أقدامها أرض الجزائر وهي تعمل بشتى الطرق لمحو هوية هذا الشعب، وفي محاولة منها لإزالة كيانه السياسي من الوجود حتى أصبح لا يعرف للجزائر كيان إلا انها أرض فرنسية، وهذا ما جاء على لسان فرحات عباس: سألت التاريخ والاحياء والاموات وزرت المقابر دون جدوى ولم يخبرني أحد عن وجود أمة جزائرية، لهذا كان لزاما على رواد الثورة الجزائرية أن تدخل مجال الاعلام وتعتبره أحد أهم أسلحتها الى جانب البندقية لخوض معاركها قصد الترويج للثورة والتعريف بها

وتنوير الرأي العام العالمي والدفاع عن القضية الجزائرية في المحافل الدولية ومن هذا المنطلق شهدت الثورة الجزائرية دورا إعلامية مميزا من بلدان عربية شقيقة كانت مساندة للثورة وصوتها الناطق عبر عديد محطاتها الإذاعية وصحفها المكتوبة فكانت هذه الاقلام العربية والحناجر الإذاعية وسيلة إعلامية عملت للرد على مغالطات الاستعمار الفرنسي وساهمت في جعل القضية الجزائرية قضية أمة عربية ودولية لإسماع صوت الحق المطالب بتحرير الشعوب.

الاشكالية المطروحة: كيفت كانت رؤية الاعلام العربي المكتوب والمنطوق حول الثورة الجزائرية ؟

1- الثورة التحريرية الجزائرية وسلاح الإعلام:

بعد توسع نشاط الثورة في الجزائر عبر عديد الجبهات ووصول صدها الى اصقاع العالم كان لزاما عليها مواكبة التحديات من خلال اعتماد وسائل وادوات إعلامية دعائية اكثر تطورا خصوصا انها أخذت العبرة من تاريخ الثورات الشعبية والتي كانت محدودة النطاق، قامت وافلت دون ان يكون لها صدى داخل الجزائر، فبادر قادة الثورة الى استعمال وسائل اعلامية لتغذية الراي المحلي والخارجي بمصادر المعلومات في حينها، (بومالي، 1998، صفحة 132) ومن هذه الوسائل التالي:

1-1 التقارير والمناشير:

من اهم هذه المناشير بيان اول نوفمبر 1954م فهو منشور في ورقة واحدة موجه الى كافة المجتمع وفيه يعبر عن توجهات قادة الثورة سياسيا ودينيا واجتماعيا، يعتبر البيان وثيقة إعلامية صاغه قادة الثورة والتي اخذت عن عاتقها تفجير الثورة والقائها لدى الجماهير العريضة لتحريضها ، كتب البيان المناضل محمد العيشاوي الذي انخرط في صفوف حزب الشعب عام 1946م وقام بنسخ 1100 نسخة من البيان . (كشيدة، 2010، صفحة 105)

2-2 الصحف والجرائد:

بعد مرور عامين على انطلاق الثورة أرتأ قادة الثورة ضرورة انشاء جريدة تكون لسان الثورة التحريرية تشرح مواقفها وتتبع خطواتها فكانت جريدة المقاومة والتي صدرت باللغتين العربية والفرنسية صدرت الطبعة (أ) في باريس، ثم الطبعة (ب) في المغرب ، ثم الطبعة (ج) من تونس ، وكان عبد الرزاق شنتوف اول من اشرف على طبعة تونس وفريق تحرير مكون من عبد الرحمان شيبان، محمد الميلي ، وغيرهم. (عزي، 1992، صفحة 118)

ونظرا لصعوبة إصدار جريدة المقاومة بالخارج وغياب التنسيق بين الطباعات الثلاث قرر قادة الثورة إلغاؤها بعد عقد مؤتمر الصومام 20 اوت 1956م وإصدار جريدة المجاهد ناطقة باسم الثورة، اكتشف امرها بحلول سنة 1957م عند اضرب 8 ايام وتم اتلاف ارشيفها ومعداتاها، صدرت ثانيا في مدينة تطوان المغربية حيث صدر بها ثلاث اعداد فقط ثم اوكلت لجنة التنفيذ والتنسيق لرضا مالك مسؤولية الجريدة من العدد الثامن الى الاستقلال، بعدها تحولت الى تونس باعتبارها نافذة مطللة على العالم وبعد وقف اطلاق النار 19 مارس 1962م دخلت الجريدة الى مدينة البليدة واتخذتها مقرا لها الى اليوم. (احدادن، 2006، صفحة 48)

1-3 الإذاعة السرية:

كذلك تطلب الامر وجود إذاعة صوتية يصل بثها كامل التراب الوطني ويكون من السهولة إيصال اخبار الثورة في حينها، وبعد انعقاد مؤتمر الصومام وبالضبط في 16 ديسمبر 1956م انطلق صوت الجزائر مدويا من الإذاعة الوطنية الثورية تحت شعار صوت الجزائر الحرة المكافحة من قلب الجزائر، (قليل، 1991، صفحة 105) وتعد الإذاعة السرية مكسبا هاما وسلاحا استراتيجيا دعمت به الثورة وسائلها الاعلامية من خلال الاثر الكبير الذي خلفته لدى الجماهير الشعبية في تتبع اخبار الثورة لحظة بلحظة، هذه الإذاعة عبارة عن شاحنة من نوع GMC تحمل جهاز ارسال RC399 قوته 400 واط ومولد كهربائي وجهاز تسجيل الصوت وميكرفون، وكانت تبث برامجها على الهواء مباشرة عبر موجة قصيرة طولها 25مترا لمدة ساعتين. (ريان، 2001، صفحة 51)

2-الدعم الإعلامي العربي:

1-2الدعم الإعلامي التونسي:

لم يتأخر الاعلام التونسي في دعم الثورة والتعريف بها عربيا ودوليا ولم تكتف الجرائد التونسية بالتعليق على مجريات الأحداث بل تنافست في توجيه النقد اللاذع للممارسات الوحشية التي يقوم بها الجيش الفرنسي في الجزائر وإبراز المآثر العسكرية لرجال الثورة وقامت كذلك جرائد المعارضة بتكثيف النداءات الداعية لمساندة الثورة وتقديم العون لها أما الجرائد التابعة للحكومة فكانت هي الاخرى تتابع أخبار الثورة وتنشر المقالات المؤيدة لها. (الشايبي، 2007)

الإذاعة التونسية:

لقد كانت تونس مركزا هاما للدعاية والاعلام حول الثورة الجزائرية وقد ازدادت هذه الاهمية بعد انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة الى تونس وبعد تأسيس وكالة الانباء الجزائرية سنة 1961م على الاراضي التونسية. (بوقريوة، 2006-2005، صفحة 210)

إن الدعم التونسي الاعلامي يثبت البرامج الإذاعية الخاصة بالثورة الجزائرية وقد بدء هذا الدعم بعد استقلال تونس مباشرة ففي 20 افريل من سنة 1956م كلفت الحكومة التونسية الصحفي القدير عبد العزيز لعروسي بإدارة القسم العربي لإذاعة تونس، بعد بضعة اسابيع من هذا التاريخ بدأت الإذاعة الوطنية تبث برنامجا خاصا بالجزائر تحت عنوان صوت الجزائر الحرة، وقد أثار هذا البرنامج الجريء آنذاك ضجة اعلامية وأزمة سياسية بين حكومة تونس الفتية وفرنسا، ثم اصبح البرنامج بعدها يحمل عنوان صوت الجزائر العربية الشقيقة. (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، 2007، صفحة 67)

كما ساهمت هذه الإذاعة بدورها في التعريف بالقضية الجزائرية من خلال الحصص التي كانت تبثها عن معاناة الشعب الجزائري تحت نير الاحتلال الفرنسي، فضلا عن قيامها بفتح أبوابها لعدد من الكتاب والادباء الجزائريين للعمل فيها كعبد الحميد بن هديقة والاخضر عبد القادر السائحي وعمر البرناوي وغيرهم كثر. (صديق، 2002، صفحة 271)

لعبت هذه الإذاعة دورا هاما في نقل الاخبار عن الثورة ورصدت تطوراتها السياسية والعسكرية وسواء الكفاح الثوري وعن مصادر الاخبار. (بشيثي، 1994، صفحة 79)

ونظرا لمقتضيات القضية كان البرنامج الإذاعي يبدأ بأبناء المعارك والعمليات الفدائية واعتماد على ما كان يأتي من القيادة العسكرية الجزائرية على مستوى الولايات والمناطق والنواحي. (نور، 1988، صفحة 210)

الصحف التونسية:

لقد احتضنت الصحافة التونسية الثورة الجزائرية منذ انطلاقتها وعايشت احداثها بوعي وعمق وبالرغم من اختلاف طروحاتها وكيفية معالجتها لقضايا الثورة إلا ان هذه الاخيرة وجدت أذانا صاغية لها في النشاط الاعلامي التونسي الذي سخر لها متسع من الوقت للتعريف بالقضية الجزائرية، حيث حفظت لنا تلك الصحف والمجلات بشهادات وذكريات ومواقف تجسد صورة من أصدق صور التلاحم والتأخي بين شعبين شقيقين، وكان من بين

تلك الصحف صحيفة الصباح ، صحيفة العمل L'action، صحيفة الاسبوع، العمل الافريقي، لابراس La presse، وغيرها ومن المجلات نجد مجلة الفكر، مجلة الندوة، اللغات، المباحث. ...الخ. (بشيشي، 1994، صفحة 65)

فنظرا لأهمية الدور الذي تقوم به مجلة الصباح التونسية اليومية في احداثها او التعرض لمختلف جوانبها السياسية والعسكرية فقط، بل اتخذت مواقف موالية لتوجهات جهة التحرير الوطني الجزائرية معتبرة انها جزء لا يتجزأ من الكفاح المشترك على اثر ما نشرته في شهر نوفمبر 1956م تعرضت فيه تونس الى تهديدات فرنسية وضغوطات سياسية . (الجابري، 1990، صفحة 243)

في ديسمبر من عام 1956م تم تعطيل صدور صحيفة العمل التونسي بسبب ما تم نشره حول قضايا الاعتداء الفرنسي على شعب تونس منتقدة بذلك اسلوب الصداقة الفرنسية التونسية بقولها : في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تقصف شعب تونس الاعزل بالرصاص كان الرئيس بورقيبة في نيويورك يشيد بالصداقة المتينة مع فرنسا، لكن الصحيفة عادت الى الصدور وتغطية كفاح ونضال الشعب الجزائري لأجل الاستقلال، ومن المساهمين في الصحيفة المفكر الجزائري عبد الله شريط، لقد شارك في تحرير الصحيفة منذ صدورها كما اوكلت له بين 1955 و 1956م مهمة ترجمة المقالات الاجنبية لتنشرها. (شريط، 1995، صفحة 756)

كما كان لها دور متميز في مساندة الثورة الجزائرية بوقوفها ضد حملات التشويه التي تشنها الصحافة الفرنسية في حق الثوار والمجاهدين الجزائريين ووصفهم بأقبح الصفات كالفلاقة وغيرها من التسميات، حيث صدر مقال عنها في ماي 1956م بعنوان ((كنت مع الثوار)) لمراسلها عايش المجاهدين في الجبال الوعرة وعدة مناطق من الجزائر، فأشاد في هذا المقال بالتنظيم المحكم للثورة مقدما صورا حية من البطولات الجزائرية مقابل القصف الجهنمي والتدمير الشامل للألة الحربية الفرنسية للقوى. (موسى، 1988، صفحة 233)، كما قامت صحيفة العمل في اوت من نفس السنة بنشر مقال بعنوان ((رسالة اعتراف)) به ثلاث رسائل ارسل من طرف جنود فرنسيين تضمن ما تقوم به فرنسا من افعال يندى لها الجبين من قتل وتعذيب وإبادة وكشف القناع على ما يجري في كل من الجزائر وقسنطينة ووهران حيث تكون الصحيفة قد ابطلت مزاعم فرنسا الحضارية بالجزائر، وجاء مقال آخر بعنوان ((دراهمك الوسخة ياغي مولي)) نشر في نوفمبر كرد على مقال جريدة فيغارو الفرنسية الذي ذكر فيه اسبوع التضامن مع اطفال الجزائر أين يقوم الشعب الفرنسي بجمع التبرعات والملابس ولعب

الجنود مع الاطفال ومما جاء في المقال : انك ياغي مولى ابتكرت اسلوبا جديدا جذابا تظهر فيه الكرم والجود ولكنك تخفي وراءك صور التعذيب والتقتيل والإبادة لعائلات بأكملها واما نظر ابنائها. (شريط، 1995، صفحة 279)

2-2 الدعم الإعلامي المصري:

لم يكن في الحقيقة ثمة فوارق جوهرية في المواقف المصرية سواء كانت على الصعيد الحكومي او الشعبي، فقد نوها الرئيس جمال عبد الناصر بقضايا التحرر في الوطن العربي والجزائر خاصة إذ حدد كذلك الإطار العام للثورة وتوجهاتها في ثلاثة دوائر رئيسية وهي عربية وافريقية واسلامية واعتبر الدائرة العربية أهم هذه الدوائر جميعا.

الإذاعة المصرية :

تعتبر مصر من الدول الفاعلة آنذاك في المشرق في الدفاع عن القضية الجزائرية حيث كانت القاهرة مقر لجنة تحرير المغرب العربي منذ 1945م، كما قامت بدور نشط في مساندة الثورة الجزائرية من خلال وسائل إعلامها وكان لدى الاعلام المصري بعد استراتيجي في الكفاح ضد الاستعمار، ان صوت العرب الذي كان دوما بمثابة الناطق القومي للقضية الجزائرية وأول من أذاع بيان اول نوفمبر 1954م، فقد واكب الاعلام المصري احداث ومجريات الثورة ن حيث قدم عوننا كبيرا للجزائريين، إذ يذكر المذيع المشهور بصوت العرب أحمد سعيد أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتابع الإذاعة شخصا ويعطي التوجيهات والتعليمات منذ اللحظات الاولى لانطلاق الثورة التحريرية ، وذلك بعد تعرفه على اهداف الحركة الوطنية من ثورتها المجيدة. (عمامرة، 1988، صفحة 189)

ويؤكد كذلك السيد احمد توفيق المدني بعد حديثه لجمال عبد الناصر بأن صرح ما يلي: كنت أخذت فكرة سيئة عن الحركة الجزائرية واستهجن الطريقة التي زعم بها مصالي انه يقود بها الشعب الى الاستقلال لقد كان تفكيرا عقيما وطريقة سخيفة، لكن بعد اطلاعي على منهج الوفد ارتحت له ووعدتهم بالوقوف الى جانبهم. (المدني، 1988، صفحة 18)

لعب صوت إذاعة العرب في فترة الخمسينات دورا بارزا في دعم كفاح الشعوب العربية لأجل استقلالها ، كما أبدت استعداد مكثفا موكبا لإعداد الثورة التحريرية الجزائرية. (عمامرة، 1988، صفحة 346)

تعتبر إذاعة صوت العرب الداعم الاول عبر التأييد بالكلمة الهادفة والانشيد الثورية والتعليق السياسية حيث كان احمد سعيد يبدأ تعليقه عن الجزائر بعبارة ((باسم الاحرار

الخمسة مانفوتش الثأر يافرسنا)).ويؤكد الامين بشيشي انه الى جانب صوت احمد سعيد هناك ابو الفتوح ومحمد عروق والسهنوري، امين بسيوني، كذلك اناشيد فايدة كمال نجاح سلام، سهام رفقي، محمد قنديل، كما توجد اصوات جزائرية تعبر عن وجهة نظرها من الثورة كما فتح المجال للطلبة الجزائريين (هلال، د ت ن، صفحة 68) لإذاعة احاديث عن الثورة في ركن المغرب العربي، كما انظم الى صوت العرب السيد رايح تركي عمامرة الى السيد توفيق المدني لإذاعة برنامج وفد جبهة التحرير الوطني الذي يخاطبكم من القاهرة. (لخضر، 1988، صفحة 375)

الصحف المصرية:

تناولت الصحافة المصرية مختلف نواحي الثورة وتطوراتها فقد كان وقع اندلاع الثورة صدى كبير في الصحف المصرية ، نشرت صحيفة الاهرام بعد يوم واحد من اندلاع الثورة مقالا بعنوان اضطراب الحالة في الجزائر جاء فيه ان الثوار قد اشعلوا عدة حرائق في عدة نواحي ورموا حوالي ثلاثون قنبلة في منطقة قسنطينة، حيث اعتبرتها الصحيفة انها الاولى من نوعها كما ان تطور الاوضاع مرة واحدة دليل على وجود حركة ثورية عامة. (باي وشوية ، 2019-2020، صفحة 10)

كما اهتمت بالجانب الدبلوماسي للثورة على المستوى العربي والافريقي والاسيوي حيث تحدثت عن المطلب الذي قدمته السعودية الى مجلس الامن لأدراج القضية الجزائرية ضمن برنامجه. (التميمي، 1984، صفحة 28)، والنداء الذي تقدم به الوفد للقاهرة الى حكومات باكستان والهند وبورما وإندونيسيا، فكان ادراج القضية الجزائرية لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1955م محل اهتمام الصحافة المصرية حيث كتبت صحيفة الجمهورية عن خطر المواقف في بلدان المغرب العربي نتيجة سياسة فرنسا القمعية . (لميش، 1988، صفحة 199) ونوهت الصحيفة الى ان الجزائر ليست جزء من فرنسا بل هي دولة عربية افريقية وللدرد على ذلك استعرضت الصحيفة تاريخ الجزائر قبل 1830م وعملية دخول الاستعمار الفرنسي البلاد وقيام ثورات شعبية مضادة، وفي العام الثاني للثورة كتبت مجلة روز اليوسف مقالا جاء فيه ان الجزائر ليست فرنسية بل هي اقدم مستمرة فرنسية في شمال افريقيا، كما تناولت صحيفة الجمهورية حدثا نشر في 12 جوان 1956م كشفت فيه زيف السياسة الفرنسية المزدوجة التي تنتهجها حكومة غي مولي حيث نفت اتصالها بأعضاء من جبهة التحرير محاولة

منها معالجة القضية بمنظور فرنسي دون مراعاة لطموح المجتمع الجزائري. (لميش، 1988، صفحة 203)

وجاء في صحيفة المصور مقالات عديدة عن الكفاح الجزائري وحسب مقال السيد حسين الهام الذي عايش لفترة من الوقت ظروف المجاهدين فقال ان الثوار ينتمون لجيش عصري منظم ونفى مقولة فرنسا على انها عصابات وقطاع طرق وخارجون عن القانون وفي مقال اخر لروز اليوسف في 1958م بعنوان المال للثورة الجزائرية هكذا يهتف العرب وعند اختطاف طائرة الزعماء الخمسة استنكرت الصحافة المصرية عملية القرصنة الجوية حيث نوهت صحيفة الاهرام في مقال بعنوان الغدر الفرنسي ورجحت ان هذا التصرف ناتج عن فشل فرنسا عسكريا وسياسيا ، ثم تناول صحيفة الاخبار خبر تشكيل الحكومة المؤقتة 1958م حدثا مهما وخطوة ايجابية ومن حق فرنسا ان تجزع لأنها تعرف ان حكومة الجزائر ليست الا بلورة كفاح دام أربع سنوات، (ماضي، 2019، صفحة 172) كما تابعت كل مراحل المفاوضات وصولا الى وقف القتال في 19 مارس 1962م وكتبت الجمهورية ان كل عربي يتمنى للثورة التي كسبت الحرب ان تكسب السلام وتسعى الى تخطيط دستور يضمن النصر ومستقبل البلاد. (لميش، 1988، صفحة 224)

2-3 الدعم الإعلامي الليبي:

لم تكن ليبيا في معزل عن احداث الجزائر، شاركت العالم العربي والإسلامي محنة الجزائريين خلال ثورتهم المجيدة حكومة وشعبا وقدمت دعما معنويا وماديا معتبرا، فقد سهلت حكومة الملك إدريس السنوسي وبأوامر من رئيس الوزراء مصطفى بن حليم إمداد الثورة بالسلح خصوصاً ان الدولة الليبية شهدت معارك عنيفة بأرضها خلال الحرب العالمية الثانية خلفت ترسانة كبيرة من الاسلحة وراءها، زيادة على ذلك تسهيل عبور السلاح القادم من مصر الى ثوار الجزائر، زيادة على هذا الدعم هناك دعم لا يقل أهمية عن السلاح وهو العد الإعلامي الليبي ، دعم الكلمة لنصرة شعب الجزائر ورفع معنوياته والتعريف بقضيته محليا ودوليا. (قدارة، 2015، صفحة 7)، كما استحدثت ليبيا أسبوعا سمي أسبوع الجزائر يتم فيه تخصيص برامج إذاعية للحديث عن الجزائر. (ودوع، 2008، صفحة 111)

الإذاعة الليبية:

أيقن المسؤولين الليبيين بضرورة دعم الثورة الجزائرية وتعبئة الجماهير الشعبية، وبهذا الشأن قام الملك إدريس السنوسي بمراسلة أعضاء جبهة التحرير الوطني لإنشاء إذاعة الثورة

من طرابلس وهذا بداية من 1956م، ومن بين الإذاعات الليبية:

- صوت الجزائر من طرابلس:

بدا نشاط الإذاعة من طرابلس سنة 1958م وبإشراف كل من محمد الصالح الصديق وبشير بلقاضي، يتم من خلال البرنامج بث الاخبار العسكرية والبلاغات الرسمية وتطور البث من مرة في الاسبوع الى ثلاث مرات، فقد كان للأستاذ محمد الصالح دور في تقديم عديد الخطب والمحاضرات الدعائية للثورة، ومن بينها محاضرة ألقاها بمعهد الثقافة بطرابلس 1959م للتعريف بالكيان الجزائري ودوره البطولي في الكفاح . (مقلاتي، 2009، صفحة 247)

- صوت الجزائر من بنغازي:

بدا نشاط الإذاعة الثوري ببنغازي سنة 1958 قصد التعريف بالثورة الجزائرية فكانت المصدر الإذاعي الاول لسكان بنغازي، يقوم بالبث كل من عبد الرحمان الشريف وعبد القادر غوفة. (كواشي، 2018-2019، صفحة 67)

الصحف الليبية:

لعبت الصحافة الليبية دورا هاما كمثيلاتها من الصحف العربية في تقديم المساندة والدعم المعنوي للثورة الجزائرية ، وتعبئة الجماهير الشعبية داخل ليبيا وخارجها، فكانت جريدة المجاهد الجزائري الناطق الرسمي للثورة في ليبيا يقوم مكتب جبهة التحرير الوطني بنشرها وتوزيعها. (مقلاتي، 2009، صفحة 117)، ومن الصحف أيضا:

-صحيفة طرابلس الغرب:

وتعتبر من الصحف التي دافعت عن الثورة الجزائرية وتفاعلت معها إعلاميا وهي مصدرا تاريخيا هاما لأحداث الثورة بنشرها صور حربية واخبارا عسكرية وسياسية تفضح جرائم الاستعمار، كما كان لها بعثات ميدانية لجبال الجزائر سنة 1958م لتكون العين الناقلة لأخبار الثوار ومؤزرتهم ، وتقوم أيضا بنشر مقالات للسياسيين والاكاديميين الليبيين لشحذ همم شعبها لتقديم الدعم المادي والمعنوي، وكانت أول صحيفة تنشر كلمة الأستاذ الهادي المشرفي لإعلانه عن تكون لجنة مناصرة الجزائر. (بسمه، 2010، صفحة 78)

-صحيفة الليبي:

وجهت هذه الصحيفة مقالات الى نقابات العمال العرب لمساندة الثورة وتدعوهم لمقاطعة فرنسا اقتصاديا، كما نشرت مقال بعنوان: ماذا قدمت الجامعة العربية للجزائر؟، وعملت

على حث العمال على دفع مخصصات مالية لصالح المجاهدين الثوار الجزائريين ، حتى ان أصحاب المحلات الليبيين كانوا يكتبون لافتات مكتوب عليها دخل هذا اليوم للثورة الجزائرية، وفي مقال ثاني بعنوان: فرنسا في ميدان التضليل وركزت فيه على الحرب الاعلامية الممنهجة من طرف الاستعمار لزرع بذور الريبة والشك في صفوف المجاهدين، وهاجمت عبر جريدتها قبول الحكومة الليبية التفاوض مع فرنسا لتميرير خط انابيب الغاز عبر اراضيها واكدت ان الشعب الليبي لن يسمح إطلاقاً بهذه الصفقة والتي هي من مقدرات الجزائريين. (مقالاتي، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية، د ت، صفحة 118)

-صحيفة الطليعة:

تأسست الصحيفة في سنة 1959مواقترع حديثها عن تتبع الشأن النقابي الجزائري وأحداث الثورة وخصصت مقالا بعنوان: أسبوع مع المجاهدين الابرار، تناولت فيه نجاح مسار الثورة، ووردت مقالاتها دون توقيع واختارت هيئة التحرير الاستعارة والكنيات ومن صحافيها عيسى الباروني، ابو عامر، وعاشور إكس الذي ناقش مقالا فيه تناقضات الموقف الفرنسي السياسي وتأرجحه بين سياسة الحديد والنار وبين سوستيل وغي مولي الكثير من المتناقضات تعكس صفوة جو فرنسا التي اصبح الانشقاق والانقسام بين صفوف زعمائها. (رموم، 2017، صفحة 248)

3. خاتمة:

وصل صدى الثورة الجزائرية الى الخارج مما منها الرأي العالمي قضية دولية وقضية تصفية استعمار ، كل ذلك بفضل الكفاح المسلح المستميت للثوار والمجاهدين ن زيادة على الدور الاعلامي الذي لعبه قادة الثورة في الداخل والخارج من خلال الدعم العربي الإعلامي فقد تم تسهيل مختلف وسائل الكلمة المسموعة منها والمكتوبة سواء على المستوى الحكومي أو الشعبي فكانوا خير ناصر للثورة الجزائرية وشعبها ثورة 1954-1962.

4. قائمة المراجع:

احمد توفيق المدني. (1988). حياة كفاح (الإصدار ج1، المجلد ط2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

اسمهان كواشي. (2018-2019). الدعم الليبي للثورة التحريرية الجزائرية. قسم العلوم الانسانية. ام البواقي: جامعة العربي بن المهيدي.

الامين بشيشي. (1994). دور الاعلام في معركة التحرير ، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات. باتنة: انتاج جمعية اول نوفمبر.

بسمة خليفة ابولسن. (2010). الليبيون والثورة الجزائرية دراسة جهود لجنة جمع التبرعات لمساعدة الجزائر في اقليم طرابلس الغرب 54-62. الجزائر: دار الرائد للكتاب.

جريدة حزب الدستور الجديد الامل ، الجرائد اليوسفية البلاغ الجديد. (بلا تاريخ).

حسن بومالي. (1998). استراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية. ملتقى وطني حول الإعلام والإعلام المضاد. الجزائر: وزارة المجاهدين.

رابح تركي عمامرة. (1988). صوت الجزائر من إذاعة العرب من القاهرة من عام 1965 الى عام 1962 ، الاعلام ومهامه اثناء الثورة. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954.

زهير احداث. (2006). جريدة المجاهد اثناء الحرب التحريرية. مجلة أول نوفمبر (عدد 168).

صالح لميش. (1988). مصر وثورة التحرير الجزائرية 54-62 ، صحيفة روز اليوسف 14 مارس 1960 عدد 2223. مصر: جامعة الاسكندرية.

عبد الجليل التيمي. (1984). مع اصول الثورة وتوظيف مبادئها ، الثورة الجزائرية وصداها في العالم. الجزائر: المركز الوطني للدراسات التاريخية.

عبد الرحمان باي ، وبلال شوية . (2019-2020). دور وسائل الاعلام في الثورة الجزائرية 1954-1962 ، جريدتا المجاهد والمقاومة نموذجا. المسيلة: جامعة المسيلة.

عبد الرحمان عزي. (1992). عالم الاتصال. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد القادر نور. (1988). الاعلام عبر الوسائل السمعية للثورة الجزائرية ، الاعلام ومهامه اثناء الثورة. الجزائر: منشورات المركز الوطني للحركة الوطنية.

عبد الله شريط. (1995). الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1958. الجزائر: منشورات متحف المجاهد.

عبد الله مقلاتي. (2009). دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة التحريرية (الإصدار ج2، المجلد ط1). الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع.

عبد الله مقلاتي. (د ت). العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية (الإصدار ج2). الجزائر: وزارة الثقافة.

- عمار قليل. (1991). ملحمة الجزائر الجديدة (الإصدار ج2). قسنطينة: دار البعث للطباعة والنشر.
- عمار هلال. (د ت ن). نشاط الطلبة الجزائريين ابان ثورة نوفمبر 1954'. الجزائر: دار لقمويات للنشر.
- عيسى كشيدة. (2010). مهندسو الثورة. (عبد الحميد مهري، المحرر) الجزائر: منشورات دار الشهاب.
- فاتح رجب قدارة. (سبتمبر، 2015). الثورة الجزائرية من خلال الساسة الليبيين، مصطفى بن حليم و محمد عثمان الصيد نموذجا. مجلة الجامعة.
- قدور ريان. (2001). الإذاعة السرية صوت الجزائر الحرة المكافحة. الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 54.
- لخضر شريط وآخرون. (2007). استراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية . الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر.
- لمياء بوقريوة. (2005-2006). العلاقات التونسية الجزائرية 1954-1962. الجزائر: جامعة وهران.
- مجموعة باحثين. (1988). وسائل الثورة التحرير اثناء ثورة التحرير 1953-1962. الجزائر: منشورات التحف الوطني.
- محفوظ رموم. (2017). صدى الثورة في اسبوعية الطليعة الليبية بين 1954-1962. المجلة التاريخية الجزائرية، عدد 4.
- محمد الشريف سيدي موسى. (1988). الجزائر في وسائل اعلام العالم الثالث والكتلة الشرقية، الاعلام ومهامه اثناء الثورة. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية.
- محمد الصالح الجابري. (1990). التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس (المجلد ط1). بيروت: دار الغرب الاسلامي. 26
- محمد الصالح صديق. (2002). شخصيات فكرية وادبية ، هذه مواقفنا من الثورة التحريرية الجزائرية. الجزائر: دار الامة.

- محمد لطفي الشايبى. (2007). الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية 1954-1962. الثورة الجزائرية والعالم العربي.
- محمد ودوع. (2008). العم الليبي للثورة التحريرية الجزائرية. الجزائر: مؤسسة كوشكار للتوزيع والنشر.
- مسعود خرنان. (2003). الوحدة المغاربية من خلال مواثيق الثورة ، القيم الفكرية والانسانية في الثورة التحريرية 1954-1962. مجلة الدراسات التاريخية والفلسفية.
- مسعودة ماضي. (14, 11, 2019). موقف الصحافة المصرية المكتوبة من اندلاع الثورة الجزائرية 1954. الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية.
- منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954. (2007). الدعم العربي للثورة الجزائرية. الجزائر: مطبعة الديوان.

الإعلام ودعم العمل الثوري: قراءة في الإستراتيجية الإعلامية
أثناء الثورة التحريرية الجزائرية.

Information and support for revolutionary action:
reading in the media strategy During the Algerian Revolution

لامية طالة¹، جميلة قادم²،

¹ كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، talla.lamia@univ-alger3.dz

² كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، kadem.djamila@univ-alger3.dz

مقدمة:

يعتبر الإعلام من الركائز التي أصبح العالم والمجتمعات يعتمد عليها لتسيير أوضاعه، وإبراز حقائق معينة وتبادل أخبارهم ومعتقداتهم، لهذا فالإعلام يحظى بمكانة تسمح له بالترفع على عرش السلطة؛ ومع اختلاف الأخبار يختلف نوع الإعلام فنجد إعلام ترفيهي، إعلام رياضي، اقتصادي أو عسكري وغيرها.

ومن بين أنواع الإعلام نجد الإعلام الثوري الذي يندرج ضمن الإعلام العسكري، وهو بدوره يقوم بجمع أخبار ثورية تحريرية، بحيث يستخدم فيه وسائل إعلامية مباشرة وغير مباشرة مكتوبة كانت أو سمعية بصرية لتحقيق هدف معين وواضح.

إن الثورات باختلافها من بلد لآخر تعتمد في الأساس على أسلوبين لإنجاحها، الجانب العسكري والمتمثل في السلاح والجانب الإعلامي والمتكون من مثقفون إعلاميين ووسائل إعلامية مختلفة؛ والثورة الجزائرية كغيرها من الثورات استيقنت أن سلاح الإعلام من الأولويات التي على الثورة اتخاذها لتحقيق التواجد في القضايا العالمية لإبراز قضيتها التحريرية للرأي العام، لهذا كان التواجد الإعلامي بارزاً في مشوار الثورة التحريرية.

وعليه فالثورة الجزائرية منذ اندلاعها أدركت بأن الإعلام يعد من الوسائل الضرورية لمواجهة الاستعمار، ف اتخذت من هذا الأخير طريق لإبراز قضيتها التحريرية للعالم وتبيين عدالتها وصدقها.

وفي هذا السياق أدركت الثورة منذ بدايتها أن طريق الحرية ليس بالسهل، ونجاح الثورة يكمن في استعمال العمل المسلح أولاً والدعاية الإعلامية ثانياً خاصة أن الجزائر تواجه عدو متمرس بالحرب النفسية وله مخططات إعلامية استدمارية وجب التصدي لها.

وعلى هذا الأساس قام قادة الثورة الجزائرية ببناء ترسانة إعلامية قوية مسخرة كافة القطاعات والوسائل الممكنة من أجل قطع الطريق ضد العدو، وتؤكد أن النضال السياسي عقيم يلزمه العمل المسلح لصيرورة الكفاح الوطني متفائلا في استرجاع السيادة الوطنية. ولإبراز هذا الجانب من هذا النوع المتخصص من الإعلام نطرح الإشكالية التالية: ما هو دور الإعلام الثوري في التعريف بالثورة الجزائرية؟ وكيف كانت الإستراتيجية الإعلامية المتبعة أثناء الثورة التحريرية الجزائرية؟.

ومن هنا وضعنا التساؤلات الآتية:

- ما هي الظروف التي أدت إلى تشكيل وعي الإعلام الثوري بالجزائر؟
- ما هي دعائم الترسانة الإعلامية وفيما تمثلت أجهزة هذه الترسانة ؟
- إلى أي مدى استطاع الإعلام الثوري كبح دعايات المستعمر ؟
- كيف استطاعت وسائل الإعلام تطوير أحداث الثورة ؟ وكيف ساهمت في تدويل القضية الجزائرية؟

1. ماهية الإعلام الثوري:

يعتبر الإعلام من الوسائل التي يتبعها الفرد والمجتمع لتلقي الأخبار وجمع معلومات حول موضوع معين سياسي كان أو ثقافي، والإعلام يتنوع حسب تنوع المجال والتخصص فهناك الإعلام الاقتصادي، الإعلام الرياضي، ومن بين أنواع الإعلام أيضا نجد الإعلام الثوري، وقد أطلق هذا الاسم نسبة للثورات التي عرفها العالم، فوجب إيجاد إعلام متخصص لنقل الأخبار والمعلومات الثورية وهذا ما عرفته الجزائر أثناء الثورة التحريرية.

وحسب ما اطلعنا على دراسات ومراجع حول الموضوع المدروس فإنه لا يوجد مصطلح إعلام ثوري بالمفهوم العام، لكن هذا المصطلح جاء حسب رغبة بعض النشاطات السياسية أو كما هو الحال والأمر في الحرب التحريرية الوطنية ، وهنا ما يستدعي وجود إعلام يتماشى مع رغباتها ويحقق أهدافها ويستقطب الجمهور من حولها لإقناعه بأفكاره ومعتقداته؛

وعليه فالإعلام الثوري يعرف تحت اسم الإعلام التحرري أو الإعلام التعبوي وهو إعلام يوجد في دول مثل: سوريا، ليبيا، السودان، العراق، وهو يتسم بعدم نقد السياسات الحكومية، وسياسة وأيديولوجية الحزب الحاكم، وفي الإعلام الثوري أو التعبوي لا يتعرض بالنقد للأشخاص المهيمنة في الحركة سواء كان عن طريقا فتاحيات الصحف أو عن طريق الأخبار ومعالجتها، ويتسم أيضا بعدم وجود التباين والاختلاف.

وهنا الإعلام في تلك الدول يحاول جاهدا جذب الجماهير حول سياسات تلك الأنظمة والأحزاب الحاكمة ومحاربة الأعداء المتوهمين داخل وخارجيا، وغالبا ما تكون رسائل تعبوية تهدف إلى دعم النظام والحزب وسياسته والدفاع عنه (عبد الحفي، 2011، ص 70).

يعتبر الإعلام أحد أهم دعائم الثورة وتوجيه الأزمات الدولية، فقد أدركت الثورة الجزائرية منذ اللحظات الأولى من اندلاعها بأن الإعلام هو أحد الأسلحة المهمة والفاعلة في النضال ضد الاستعمار الفرنسي، لذلك أدركت أن الإعلام يقف في صف واحد مع السلاح في مواجهة الخصم، وتظهر أهمية الإعلام الثوري في كونه الأداة الرئيسية لإدارة الأزمة كما أدركت أيضا أن باستخدام الوسائل المختلفة ستقوم بكسب الرأي العالمي، والتعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية (الغرام، 2012، ص 72).

وعليه فإن قادة الثورة أدركوا جيدا أنه يكون هناك تكامل بين الجهود السياسية والدبلوماسية والعمل الإعلامي والدعائي خصوصا وأن الثورة كانت تواجه خصما متمرسا في ميدان الإعلام والدعاية، ورغم وضوح القضية الوطنية إلا أن عدالتها كانت محاطة بتعقيدات كثيرة داخل وخارجيا.

1.1 مهام الإعلام الثوري: تتجلى مهمة الإعلام الثوري في فترة الاحتلال في:

✧ اتصال الثورة بالشعب الجزائري وإبلاغه بحقيقة ما يجري من صراع مسلح مع الجيش الفرنسي.

✧ تعبئة الجماهير وحمائهم من الدعاية الفرنسي المهيمنة التي تمتلك إمكانات تبشيرية ومادية متطورة وإقناع الشعب الجزائري بضرورة الاستقلال والتحرر.

✧ مواجهة الدعاية الفرنسية والرد عليها بحقائق الوضع الذي ارتكبته فرنسا من عنف السلطة والاستعمار الفرنسي بكل الوسائل وخاصة المرئية منها، لأنها أكثر وقعا وتأثيرا لكونها تشرح الأحداث وتقدمها للشعب على حقيقتها وطبيعتها (نسبية، مختاري، 2017، ص 181).

✧ تحطيم الفكرة التي ظلت تردها فرنسا منذ 1980 من أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وإقناع الرأي العام بأن هناك شعب جزائري له ثقافته وأصالته وأن له الحق في الحرية وعيش حياة كريمة كباقي الشعوب.

✧ إبراز الوجه الآخر من حقيقة فرنسا، وذلك بإظهار سياستها اللاإنسانية التي أتبعها مع الشعب الجزائري.

٢٤ تغيير وجهة نظر أجهزة الإعلام الغربية من وكالات الأنباء والصحف والإذاعات والتلفزيون، وإقناع الرأي العام الدولي بأن الحركة الثورية في الجزائر الناشئة قادرة على استلام الأمور في الجزائر (شعبان شاوش، 2016، ص 95).

2.1 خصائص ومميزات الإعلام الثوري: يرجع نجاح إعلام الثورة التحريرية ودعايتها إلى توافر عدد من الخصائص والمميزات، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

- اعتماد الإعلام الثوري على قضية حية متبلورة في أعمال يومية، بحيث أنها كانت تمتد بالمعلومات المقنعة والملموسة عن الواقع المعاش.

- من بين الخصائص والمميزات التي تميزها الإعلام الثوري أيضا، لكونه مكونا من مناضلين وليس من رجال الإعلام المحترفين، أي أن الإعلام الثوري لم يعتمد على متخصصين إعلاميين للمساهمة في رفع الوعي الثوري، وقد استطاع هؤلاء المناضلون الذين لا يجيدون أصول الصنعة الإعلامية والدعائية، لكنهم يجيدون التحدث عن مئات القرى التي دمرتها فرنسا على سكانها من أطفال ونساء، لديهم مئات الحكايات والصور عن حرق المداشر والدواوير والإبادة الجماعية للإنسان والحيوان والنبات على أرض الجزائر، إضافة إلى أنه شاهد وعلى دراية بالنضال اليومي الذي يقوم به الجزائريون في أعالي الجبال والبوادي والمدن. وبهذا نرى أن المناضل الجزائري الإعلامي الثائر استطاع أن يدق أبواب أوروبا والأمم المتحدة، وأن ينتزع حماس وتأييد الشعوب وإقناعها بعدالة قضيته، وإحداث فجوة وحاجز بين الحكومات التي تؤيد فرنسا وبين شعوبها التي أصبحت تقف بجانب الشعب الجزائري وتسانده في كفاحه العادل (بوجلal، 2013، ص 553-554).

- هو إعلام يعبر عن الواقع المعيشي والمظالم التي تعرض لها الشعب الجزائري من قبل الاستعمار الفرنسي خلال فترة الاحتلال التي شملت بدورها كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأمنية وكذا الثقافية واللغوية والسياسية والدينية.

- يجب على الإعلام أثناء الثورة أن يتسم بطابع التعبير عن آماني ورغبات ومشاعر الشعب الجزائري المعترّض بذاته وهويته الحضارية العربية الإسلامية والتواق إلى الحرية والاستقلال والتخلص من الاستعمار الفرنسي.

- التكامل بين الجهود الإعلامية بالجهود العسكرية والدبلوماسية للثورة الجزائرية ومن بين المميزات والخصائص التي أعطت صورة مشرقة ومتكاملة لنضال الشعب الجزائري وحقه العادل في امتلاك مصيره أمام الرأي العام الدولي.

■ كشف الاستعمار وبت الكراهية في أوساط أعوانه وتعبئة الجماهير الشعبية وحثهم على الثورة المسلحة، وبت روح التضحية لديهم.

■ المصادقية العالية لدى رجال الإعلام الثوري لأفراد الشعب الجزائري من مميزات الإعلامي الثوري لكسب الشعب.

■ استخدام أنماط الاتصال الشخصي المباشر والجماهير غير المباشر وأيضاً استخدام أساليب وخطابات إعلامية مناسبة لكل قطاع من قطاعات الرأي العام (عبادو، 2009، ص 13-14).

3.1 أهداف الإعلام الثوري: أعطت جهة التحرير الوطني للإعلام أهمية بالغة ووظفته بوعي في خدمة المعركة والقضية الوطنية، وللتصدي لسياسة التعتيم التي اتبعتها الدوائر الاستعمارية في الجزائر التي لم تكن تسمح للإعلاميين من الاقتراب لمعرفة حقيقة ما يجري على أرضها، ونشر الحقائق والأحداث التي كانت تقوم بها الثورة الجزائرية، جعل لزاماً على الثورة الجزائرية أن تدخل مجال الإعلام، وتكتسب هذا السلاح لخوض معاركها ضد العدو إلى جانب الأسلحة الأخرى، وعليه حددت أهداف الأعلام المقاوم الجزائري كالآتي:

◀ ضرورة الرد القوي والمباشر على أجهزة الإعلام الغربية ولاسيما وكالات الأنباء المنحازة لوجهة النظر الاستعمار الفرنسي.

◀ ضرورة إيجاد التوازن بين المتطلبات الرأي العام الوطني والدولي بعرضه للقضية الجزائرية بمختلف الوسائل والأساليب قصد إقناع الرأي العام الدولي بمصادقية هذه الثورة.

◀ ضرورة الحرص الشديد على دقة البيانات والبلاغات المقدمة إلى وكالات الأنباء الأجنبية خشية تحريفها أو عدم فهمها للحفاظ على المبادئ الجوهرية للثورة.

◀ الاعتماد على وسائلها الخاصة، من ضمان حريتها في التعبير، وشرح سياساتها وتقديم برنامجها، وسرعة التحرك حسب مقتضيات المستجدات على الساحة العسكرية، والسياسية والدبلوماسية، بما يخدم أهدافها ويحقق بلوغ الاستقلال والحرية (الغرام، 2012، ص 77).

وعلى إمكاننا استنتاج مما سبق ذكره أن الإعلام الثوري هو نوع من أنواع الإعلام التي تهدف لتوصيل رسالة معينة مثلها مثل أي إعلام له خصائص ومبادئ تحكمه وهو إعلام تعبوي جاء

لتلبية رغبة الشعب الجزائري في إبراز جرائم المستعمر وتبيين قضيتها النضالية للعالم الذي حاولت فرنسا وعملت بكل جهدها لتشويه سمعته والنيل من كرامته.

2. ظهور الإعلام الثوري بالجزائر قبيل اندلاع الثورة:

بعد تعرض جبهة التحرير الوطني إلى حملة إعلامية مضادة من طرف السلطات الفرنسية، استعملت العديد من الوسائل التي أدت لعملية التبليغ والتعبئة إبان اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954، وبالرغم من قلة الإمكانيات إلا أن جبهة التحرير دخلت بوعي وتصميم الميدان الإعلام وذلك بغية مواجهة الإعلام الفرنسي المسلح بأجهزة متطورة وصحافة واسعة الانتشار، حيث انطلق النشاط الدعائي بأجهزة غير متطورة وتنقصها الخبرة، وضمن مجال بالغ الحساسية والدقة لذا كان من الضروري لجبهة التحرير استعمال الكلمة بجانب البندقية من أجل محو فكرة الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا (بومالي، 2009، ص 244).

حيث احتلت مصلحة الإعلام مكانة هامة في مجال التنظيم السياسي وذلك قصد توضيح العمل السياسي المتبع من طرف جبهة التحرير الوطني، حيث كان مسار نشاطها موجه للجبهة الداخلية والخارجية على حد سواء، فقد أدركت الثورة الجزائرية منذ اللحظات الأولى بأن الإعلام هو أحد الأسلحة الفاعلة في العصر الحديث، يقف في خندق واحد إلى جانب السلاح في مواجهة الخصم لربح المعركة (عباس، 2010، ص 21).

كان للثورة ما أرادت في هذا المجال بفضل الإدارة القوية للمجاهدين، وثقتهم في النفس، والذين استطاعوا هذه الروح العالية أن يبدعوا بحق، وأن يذللوا كل الصعاب التي كانت قائمة آنذاك ويرفعوا التحدي بكل قوة، ولنترك تفاصيل ذلك للشهادات الحية لصانعي الحدث الخالد.

1.2 بيان أول نوفمبر 1954: يعتبر البيان أهم وثيقة إعلامية صاغته الجماعة التي أخذت على عاتقها تفجير الثورة المسلحة وإلقائها إلى الجماهير العريضة التي كانت تنتظر وعلى استعداد كامل لكي تحتضن الثورة، وقد كان البيان صادرا من الأعماق صادقا للأمة مخاطبا عاطفة ووجدان العقل الجزائري.

ومما يلاحظ عن البيان أنه بدأ بمسألة ذات طابع إعلامي صريح وهو يخاطب الشعب الجزائري والمناضلين، ويتجلى ذلك في العبارة: "إليكم نتوجه بنداءنا هذا، أنتم الذين ستحكمون لنا أو علينا، إلى الكفاح، وذلك بأن نشرح لكم برنامجنا ونبين لكم صحة آرائنا ومغزى كفاحنا المبني على أساس التحرر الوطني في نطاق الشمال الإفريقي، كما نرغب في أن

نزىل عنكم البلبلة التي يعمل على تنميتها الاستعمار وعملاؤه الإداريين والسياسيين المتعنفين..." (مراج، 2016، ص 56).

وقد جاء بيان أول نوفمبر ساعيا لتحقيق مجموعة من الأهداف وهي:

- ✧ تحقيق الاستقلال الوطني.
- ✧ إعادة بناء الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإعلامية.
- ✧ احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.
- ✧ التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على المخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.
- ✧ تجميع وتنظيم جميع الطاقات السلمية لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

✧ تدويل القضية الجزائرية (أزغدي، 2009، ص 145).

وهكذا حقق إعلام الثورة منذ اللحظة الأولى قفزة نوعية، عندما ساهم بقوة في دعم التحام الشعب الجزائري بجهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني منذ انطلاق الرصاصة الأولى، وواكب المسيرة المسلحة بإيمان صادق وعميق، وقد ساعدت انتفاضة 20 أوت 1955 التي أعطت للثورة بعدها الشعبي، إعلام الثورة على التكيف والتطور مع الأحد الداخل والخارج، عندما اضطلع بدوره في التعبئة الداخلية والتجنيد والتوعية والتعريف بعدالة القضية الجزائرية، والدفاع عنها في المحافل الدولية (عباس، 2010، ص 81-82).

2.2 المنشورات: فكما هو معروف أن المنشور عبارة عن ورقة تحتوي على موضوع من المواضيع، ويوزع على الناس مجانا قصد اطلاعهم على حدث ما، وهو في العادة لا يتعدى الصفحة الواحدة لأنه إذا تعداها إلى صفحتين أو أكثر يصبح نشرة وليه منشورا، ويحرر بأسلوب عاد ومبسط لأن الغاية منه هو إطلاع الرأي العام على ما يهدف إليه إذ أنه يتوجه إلى العامة مخاطبا عقولهم.

حيث يعتبر المنشور أول وسيلة إعلامية اعتمدها الثورة الجزائرية من أجل توضيح الأهداف المسيطرة لبيان أول نوفمبر، والغاية من إصدار المنشورات هو التصدي ومحاكمة سياسة التنعيم التي استعملها الإعلام الفرنسي في الجزائر وحماية الجماهير من المناورات الفرنسية، وقد كانت المناشير توزع في سرية تامة في وقت واحد والسبب في ذلك قساوة

العقوبات التي كانت تفرضها السلطات الفرنسية على كل مناضل يحمل منشور ما، فالمنشور كان يتضمن معلومات وبيانات اعتمدتها الجهة من أجل إيجاد حلول للقضية الجزائرية (بومالي، 2009، ص 251-253).

إذ يحرر هذا الأخير بلغة بسيطة وبأسلوب مبسط لأن الغاية منه إطلاع الرأي العام على ما يهدف إليه إذ أنه يتوجه إلى عامة الناس مخاطبا عواطفهم من أجل كسب موافقتهم وتأييدهم لفكرة أساسية أو شرح أمر ذو طابع سياسي أو عسكري.

كما لعب المحافظون السياسيون دورا في هذا المجال، حيث ساهموا في رفع وتعزيز معنويات الشعب، واستطاعوا إحباط مناورات العدو بتوزيع المناشير في المدن والأرياف والاتصال المباشر بال جماهير لفضح أساليب المستعمر الفرنسي، وقد عملت حرب المدن على إعطاء مردود إيجابي للثورة وخلق حالة استنفار لدى المستوطنين الأوروبيين وبث حالة الرعب في قلوبهم، كما أظهرت مدى ضعف الجهاز الأمني والعسكري الاستعماري للسكان الأوروبيين، أمام نفوذ ونشاط جهة التحرير في كامل التراب الجزائري، إضافة إلى النشاط الإعلامي للثورة (أزغيدي، 2009، ص 155-156).

ومن بين أهم المناشير نجد منشور 30 أكتوبر 1954 والذي صدر من طرف جيش التحرير الوطني وتضمن نداء للشعب الجزائري بعنوان " من جيش التحرير الجزائري الوطني إلى الجزائر المسلمة"، وتضمن هذا المنشور تهديد لإقناع الشعب الجزائري بضرورة السلاح وأخذ العبرة من الشعوب التي حطمت الاستعمار بفصل الكفاح المسلح، كما تضمن هذا المنشور الإشارة إلى أن الثورة المسلحة دقت ساعتها وهناك منشورا ثاني بعنوان " التنظيم والدعاية"، وهو مخصص لمناضلي جهة التحرير الوطني وركز على التنظيم في قيادة وتوجيه هياكل الجهة المسار الكفاح المسلح، كما تطرق إلى الدعاية الفرنسية التي نشط أكثر عندما يلقي القبض على عضو أو قائد بارز في الثورة، وذلك بغية إحباط معنوي جهة التحرير الوطني وقد كان هذا المنشور بمثابة الإذن التي يسمع بها والعين التي يبصر بها جهة التحرير، وهناك منشور ثالث بعنوان " إنجازات الثورة" وخصص لعامة الشعب (بومالي، 2009، ص 253).

3.2 الرسائل: كانت الرسائل المكتوبة تسيير جنبا إلى جنب مع الرسائل الشفهية أو الإعلام المباشر حيث كانت توجه رسائل شخصية متعددة من بينها رسائل توجهها إلى الفئات التالية:

■ المتعاونون مع العدو وتحذيرهم بواسطتها من خطورة ذلك على الشعب وعلى حياتهم معان وأحيانا تطلعهم على الحكم الصادر ضدهم، ووقت تنفيذه.

■ الجنود المتواجدون في صفوف الجيش الفرنسي تحت فيها المرتزقة على الخصوص من الجنود الأجانب على مغادرة صفوف الجيش الفرنسي والرجوع إلى أوطانهم، وفي الوقت نفسه تحت الجنود الجزائريين الذين غررت بهم السلطات الفرنسية أن يلتحقوا بصفوف الثورة للدفاع عن وطنهم.

■ المعمرون تطالبهم فيها بالإعلانات المالية وعدم التعرض لمناضلي الجبهة وفي حالة عدم الامتثال لتعليماتهما فإنها ستعاملهم معاملة الخونة وستنفذ فيهم الكم الذي ستصدره عليهم محاكم الثورة.

وهذه إحدى نماذج من الرسائل التي وجهتها جبهة التحرير الوطني إلى مرتزقة الجيش الفرنسي، جاء فيها ما يلي: "يا جنود فرنسا إنكم بعلمكن في الجندية الفرنسية تخدمون مصالح المستعمرين وتتعذبون في سبيل سعادة وهناء أمثال روني مدير جلاد الأمة الجزائرية وإذا متم فأنكم تموتون في سبيل شرذمة مستغلة لشعب بأكمله أي أنكم تموتون فداء الاستعمار، إننا لسنا من قطاع الطرق نحن جنود جيش التحرير الوطني تعمل في سبيل مبادئ العدالة والإنسانية ولقد خدعكم في شأننا نفكر في الأمر، إن إعانة المستعمرين الذين تنقصهم الإنسانية تعتبر جريمة لا تغفر ضد شعب يدافع عن حقه، إن انتصارنا محقق ولتسقط العنصرية" (جاء الله، 1979، ص 102).

4.2 الإعلام المباشر: كان الإعلام المباشر أكثر انتشارا وأسرع تأثيرا في الرأي العام الوطني وغالبا ما كان يوجه إلى المواطنين أثناء الاجتماعات التي يعقدها المرشدون السياسيون في القرى والمدن قصد إطلاعهم على انتصارات جبهة التحرير الوطني، على الصعيدين العسكري والسياسي وكذا تبليغهم التعليمات الصادرة من الجبهة المتعلقة بمقاطعة الإدارة الاستعمارية بالإضافة إلى تلقيهم معلومات دقيقة عن تحركات العدو وعملائه وخطته... بهدف نقلها إلى قادة الثورة في قالب نظامي محكم لإبطال مفعولها وللرد عليها في الوقت المناسب وبالوسائل الملائمة.

وقد كان الإعلام المباشر يركز على الجانب الديني كالدعوة للجهاد وبث خطب حماسية في تجمعات المواطنين، حيث كانت تلك الخطب التي يلقوا تلهب الجماهير حماسا من أجل الجهاد في سبيل الله، كما كانت الدعايات بواسطة الشعب أيضا لها مفعولها حيث كان المواطنون ينقلون أخبار الانتصارات لجيش التحرير الوطني على إثر زيارات التي يؤديها للمجاهدين في الجبال ونظرا لكون الأخبار والتعليمات المنقولة شفويا تشكل خطورة على الفرد الناقل لها

والثورة من أجل ذلك كان يختار لهذه المهمة الصعبة الرجال من ذوي العزم والإيمان والثقة والقادرين على مواجهة الصعاب وتحمل الصبر على المكروه (بومالي، 2009، ص 47-48).

3. دور الإعلام الثوري خلال الثورة التحريرية:

اتخذت الثورة الجزائرية طرق عديدة واستراتيجيات إعلامية متنوعة وهذا كله لتوضيح القضية الجزائرية وإظهارها للعالم وتوضيح مصداقيتها، ولذا اتخذت هذه الأخيرة بعض الوسائل الإعلامية مثل: الجرائد والصحف ووسائل سمعية كانت أو سمعية بصرية مثل: الإذاعة والسينما.

1.3 الصحف والجرائد: إن الإعلام في الجزائر قبل الثورة اقتصر على الصحافة المكتوبة كأداة لجمع المسلمين الجزائريين وكانت تصدر إما بالعربية أو الفرنسية، ومن هنا كانت الصحف وسيلة للدعاية الاستعمارية في تغطية أحداث الثورة التحريرية، لأنه من المعلوم أن الاستعمار الفرنسي أنتهج عدة طرق بهدف الحفاظ على سيطرته الدائمة والمستمرة على الشعوب؛ ومن هذا نذكر بعض الصحف والجرائد التي كان لها صدى ودور في تغطية أحداث الثورة الجزائرية، ومن بين هذه الصحف:

- صحيفة الشعب: كانت تصدر باللغة العربية وهي جريدة نصف شهرية تكفل بإصدارها مفدي زكرياء ومحمد قنانش في الجزائر العاصمة، توقفت بعد صدور عددان فقط مع سجن مديرها السياسي "مصالي الحاج" ورئيس تحريرها مفدي زكرياء وأربعة أعضاء من طاقمها الإداري (دليو، 2014، ص 108).

أعطت الجريدة اهتماما كبيرا لذكرى عيد الاستقلال مقارنة بالمناسبات التاريخية الأخرى، أيضا ركزت جريدة الشعب على شخصية المجاهد مقارنة بشخصية الشهيد وهذا يرجع إلى اهتمامها بنقل الشهادات الحية للمجاهدين الذين بقوا على قيد الحياة حول مختلف الأحداث التي عايشوها، وتبين أن ثمن الحرية والانتصار كان غاليا (بوهلة، 2016، ص 255).

- جريدة الشباب: أصدرتها جبهة التحرير الوطني سنة 1959، عملت على تدعيم النشرات الدورية العامة بنشرات سياسية نصف شهرية منذ أفريل 1959، وقبل ذلك منذ نوفمبر 1956 بكراسات ومطويات ولوحات إعلامية وبطاقات بريدية ظرفية.

- صحيفة المجاهد: سجلت الصحيفة أول عدد لها باسم الثورة بشكل رسمي إذ كتبت "ابتداء من اليوم تصدر المجاهد باعتمادها جريدة الثورة الجزائرية ولسانها الوحيد.

ظهرت صحيفة المجاهد في منتصف شهر جوان 1956 من قلب الجزائر العاصمة، وبالتحديد من حي القصبة في وريقات معدودة، فكانت المشعل الحقيقي الذي ينير الصحافة الثورية في الجزائر، وخاصة أن المشرفين عليها كانوا من العناصر الأساسية في القيادة وهم الشهيد العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، وعبان رمضان؛ أما إذا نظرنا جيدة فإن التحول الحقيقي في حياة صحيفة المجاهد حصل بعد انتقالها من الحياة السرية إلى العلنية بعد معركة الجزائر، حيث اتخذت ثوبها الحقيقي وأصبحت المجاهد اللسان المركزي الوحيد للثورة وذلك تطبيقا لما أسفر عنه مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 (حمدي، 2009، ص 270).

في البداية مرت المجاهد في تسميتها بين المكافح أو المجاهد الجزائري، قبل اختيار اسمها النهائي لبعده الديني المعبر عن قطيعة سياسية أخلاقية وثقافية مع الاحتلال الفرنسي.

وقد تم صدور أول عدد للمجاهد في 15 جوان 1956 في شكل كراسة تحتوي 30 صفحة في الجزائر العاصمة باللغة الفرنسية ثم بالعربية في مطلع 1957، ترأس الجريدة "محمد يزيد"، أما رئاسة التحرير فتداول على نسختها الفرنسية "رضا مالك" من جويلية 1957 إلى غاية سبتمبر 1962، و"بلقاسم بن يحيى" إلى غاية ديسمبر 1963، و"مراد بوريون" حتى توقفت يوم 31 أوت 1964 (شعبان شاوش، 2016، ص 103).

2.3 الإذاعة: شهدت الإذاعة الجزائرية ميلادها في وهج الثورة التحريرية وبالضبط في 16 ديسمبر 1956، حيث شرعت الإذاعة السرية: "صوت الجزائر الحرة المكافحة" في بث برامجها بجهاز إرسال محمول فوق شاحنة من نوع GMC، تم اقتناؤه من القاعدة الأمريكية بالقنطرة في المغرب؛ وكانت تمثل إذاعة وطنية تقوم بمهام التوعية والتنوير والتعريف بالقضية ومواجهة الدعاية الاستعمارية، وهكذا بدأت المرحلة الأولى لهذه الإذاعة التي توقفت في نهاية 1957، قبل أن تستأنف البث في صيف 1959 بأجهزة بسيطة وإمكانات محدودة، وانطلق صوتها مدوية على الشاحنة المتنقلة عبر الحدود المغربية بالإعلان واللحن المتميز "هنا صوت الجزائر المكافحة صوت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني يخاطبكم من قبل الجزائر" (شلوش، 2014، ص 02).

كانت إذاعة الجزائر الحرة المكافحة إذاعة فريدة من نوعها فهي تختلف تماما عن الإذاعات الرسمية المستقرة في المباني الضخمة، لقد عملت الدول المساندة للثورة الجزائرية على فتح أمواجها لها وإيصال صوتها إلى الرأي العام المحلي والدولي (بكار، 2017، ص 83).

كما اعتمدت الثورة الجزائرية على إذاعات الدول العربية الشقيقة التي وقفت إلى جانب الثورة وهذه الإذاعات هي:

- صوت الجزائر من تونس: هذه الإذاعة تمكنت من كسب أهمية خاصة وتمثلت هذه الأهمية في صوت "عيسى مسعودي" رحمه الله، الذي يعد أبرز الأصوات الإذاعية عبر أمواج الإذاعات الجزائرية في معركة التحرير الذي قال عنه الرئيس هواري بومدين رحمه الله: "صوت عيسى مسعودي شق وجيش التحرير شق آخر"، واستطاع هذا الصوت أن يجند آلاف الشباب الجزائريين في صفوف الثورة؛ أن يؤثر تأثيراً قوياً على الجماهير الجزائريين بالرغم من أن مدة البث لا تتجاوز 30 دقيقة التي كانت غنية بالمعلومات العسكرية في المعارك الطاحنة التي جابت أرض الجزائر (نور، 2005، ص 304).

- صوت الجزائر من القاهرة: تستحق القاهرة أن تتبوأ المكانة الأولى في قائمة العواصم العربية المساندة لثورة الجزائر، لأنها كانت سباقاً قبل غيرها بهذا الدور حتى قبل الانطلاقة الأولى للمقاومة، إذ تم الإعلان عن اندلاع ثورة أول نوفمبر في نفس التاريخ من القاهرة ذاتها وكانت أول من رفع لواء جبهة التحرير الوطني خارج الوطن (بشيشي، 2013، ص 44).

كان لإذاعة صوت العرب من العاصمة المصرية القاهرة دورة حاسمة وفعالا في معركة التحرير إضافة إلى القناة الإذاعية الدولية، وكانت أخبار الثورة الجزائرية تقدم في إذاعة القاهرة ابتداء من سنة 1955 من خلال برامج تمثلت في برنامج جزائري يخاطب الفرنسيين كان يذاع باللغة الفرنسية، وكان يبث من إذاعة صوت العرب وهو تعليق سياسي يومي يذاع باللغة العربية يقدمه "عدة بن قشاط"، وكان هذا البرنامج يذاع من إذاعة القاهرة الدولية إلى فرنسا ومدته ربع ساعة (15 دقيقة) ويبث مساء كل يوم.

- صوت الجزائر من بنغازي: كانت تبث هي الأخرى حصة ثلاث مرات في الأسبوع، وكان ينشط الحصة "عبد الرحمان الشريف" والليبي "عبد القادر عوفة"، ثم عين أمين بشيشي على رأس المكتب الجزائري ابتداء من شهر ماي 1956 (سلامي، 2016، ص 97).

- صوت الجزائر من دمشق: أشرف المجاهد الغبيري على هذا الفضاء الدعائي للثورة تحت عنوان: "صوت الجزائر الثائرة"، حيث اتفق مع المسؤولين السوريين على منحه ساعة بث يومية، يحتوي البرنامج على أخبار عسكرية وتعليق سياسي وتحليل إخباري، ومن بين الذين نشطوه: محمد مهري، محمد بوعروج، الهاشمي قدوري.

توقف هذا البرنامج عن البث سنة 1961 بعد انفصال سوريا عن مصر، إذ أعرب المسئولين الجدد في سوريا على ضرورة مراقبة نص المادة الإعلامية فرفضت البعثة الجزائرية وأمرت بوقف البث (عبدلي، 2015، ص 322).

- صوت الجزائر من بغداد 1958: ابتداء من سنة 1958 تمكنت البعثة الجزائرية ببغداد من تقديم برنامج إذاعي خاص بالثورة الجزائرية لـ "عبد الكريم قاسم" آنذاك (مراح، 2016، ص 61).

- صوت الجزائر من إذاعة طرابلس: انطلق صوت الجزائر من ليبيا سنة 1958 ليمد الشعب الليبي الشقيق بأخبار الثورة الجزائرية، بحيث أمدّها بتشجيعات كبيرة مادية ومعنوية، تشن هذه الإذاعة الدكتور "لمين الدباغين" رحمه الله، حيث ألقى الكلمة الافتتاحية الأخ "رابح مشحوذ"، والوحيد الذي تولى التحرير والتعليق السياسي محمد الصالح الصديق"، وكان يساعده في الأخبار العسكرية "حسن بامي، وكانت مدة البث الإذاعي ثلاث مرات في الأسبوع مدة الحصّة الواحدة حوالي نصف ساعة (نور، 2005، ص 305).

3.3 السينما: إن ميلاد السينما الجزائرية يعود إلى عام 1956 مع ميلادها في الدول الشقيقة تونس والمغرب اللتين تأويان أهم قواعد جبهة التحرير الوطني.

وقد سعت الثورة الجزائرية من خلال استعانتها بالسينما إلى إظهار عدالة القضية وشرعيتها للرأي العام العالمي، فكان صاحب هذه السياسة "عبان رمضان" حيث قال: "... في هذا السياق يجب أن نحصر استعمال هذا السلاح الجديد: الكاميرا التي تحل محل المناشير والبيانات..." (هلال، 2013، ص 195)، وبما أن استعمال الكاميرا حديث العهد فكان على جبهة التحرير ابتداعها لأنها لم تمتلك سوى وسائل حرفية، فلقت دعم مناضلين فرنسيين مقربين من الحزب الشيوعي فقاموا بإخراج أولى الصور في الجبال ويتعلق الأمر: برونيه فوتيه، بيار كليمون، والدكتور شولي وبان لوماسون الذين أنجزوا أولى الأعلام الوثائقية، وساهموا بعدها في تكوين تقنيين جزائريين عملوا بدورهم على بث صور عن الكفاح في الجبال وتركيبها بعد ذلك في يوغسلافيا وفي ألمانيا الشرقية، وهي كلها تمثل شهادات حية (بجاوي، 2014، ص 54).

شكلت سنة 1956 نقطة تحول في استخدام الصورة من طرف جبهة التحرير الوطني، وهكذا قدم السينمائيون الذين جاؤوا من الجزائر كما هو الحال مع "جمال شندولي" وبهذا قبل الكثير بعد 1962 دور كل من هؤلاء المناضلين والمناضلات بالكاميرا في المعركة.

أنشأت وزارة الأخبار في الحكومة المؤقتة سنة 1959 قسم للسينما الذي كان يعد الأفلام التسجيلية عن المعارك ويصور نضال أفراد المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه ضد الاستعمار، وفي 1960 تم عرض فيلم " جزائرننا " في مهرجان ليبزيغ بألمانيا الشرقية وحصل على جائزة، كما أعد هذا القسم ستة أفلام تسجيلية تم توزيعها على محطات تلفزيونية باسم بعض الشركات العالمية (أليكسان، 1982، ص 216).

من هنا أيقن المجاهدين والشعب الجزائري بأن السلاح العسكري يجب أن يكون مقترن وفي صف واحد مع السلاح السلمي والمتمثل في الوسائل الإعلامية المنتهجة من قبل جبهة التحرير الوطني.

اتخذت الثورة التحريرية إستراتيجية إعلامية مختلفة في سبيل النهوض بالثورة وفرض حضورها في الرأي العام، وتحقيق ما طمحت له من أهداف لمواجهة الداعية الفرنسية، ولتمكين حضورها الإعلامي واجه الإعلام الثوري عدة تحديات وعراقيل للوصول لهذه الأهداف والطموحات.

4. الإستراتيجية الإعلامية أثناء الثورة التحريرية:

لعل من بين أهم الأسس التي يجب على أي إعلام كان إتباعها هو محاولة إيجاد إستراتيجية إعلامية مناسبة، فالأعلام الثوري بدوره اتخذ إستراتيجية إعلامية لبلوغ أهدافه وإبراز فاعليته في مواجهة الإعلام الفرنسي المضاد.

1.4 فاعلية الإعلام الثوري في مواجهة الدعاية: يصر الكثير من الباحثين المختصين في أصول البحث التاريخي الذي يهتم بتحليل الوقائع والأحداث المرتبطة بالمعارك والثورات على ضرورة تحديد المبادئ والأحداث الصارمة والدقيقة التي تهتم بمختلف الممارسات والأنشطة الاتصالية والإعلامية أثناء الثورة، وهي ممارسات تضمن تجسيد الأفكار الإيديولوجية والسياسية والدينية لتحقيق الإقناع والتأثير على الفرد اتجاه قضية ما، وهي أفكار تقود الفرد إما إلى السير والتوجه نحو المحددات القائمة على استنفار الانفعالات وتغيير التوجهات والمعتقدات أو الدفاع عن مصالح الأمة أو تبني أفكار من جهة تملك كل السبل والإمكانات المهنية في الواقع (شعبان شاوش، 2016، ص 89).

بعد إدراك السلطات الاستعمارية مدى أهمية الثورة الجزائرية ومدى صيتها لدى الرأي العام الخارجي، عمدت إلى خلق رأي عام مضلل عن طريق استخدام جميع أساليب والتقنيات من أجل إسكات صوت الإعلام الثوري، إذ لجأت فرنسا إلى الحرب الفكرية والحرب الإعلامية وذلك لكسب الرأي العام الداخلي الجزائري حتى ينفذ عن الثورة، ولقد تبنت السلطات الاستعمارية هذه الساسة طبقا للسياسة التي دعا إليها المؤرخ الاستعماري Steven Gazal الذي طالب المستوطنون بضرورة إتباع الغزو النفسي إلى جانب الغزو المادي، وسارعت السلطات الاستعمارية إلى تنفيذ هذه السياسة عن طريق تكوين جيوش من خبراء الغزو الفكري والإعلامي.

ومن بين الوسائل التي اعتمد عليها هؤلاء الجنود النشرات التي كانت توزع يوميا كما يلي:
- نشرة تصور فرنسا على أنها أعظم دولة في العالم وتصور الجيش الفرنسي على أنه أقوى جيش في العالم.

- نشرة موجهة إلى المسؤولين في جيش التحرير بالنسبة للمستويات العليا تخبرهم بأن الجيش الفرنسي حقق عدة انتصارات على جيش التحرير (بلاسي، 1990، ص 169)، ولقد سعى المستعمر من خلال رسائله الإعلامية إلى تشويه وتضليل الرأي العام.

ولم تكتفي فرنسا بهذا القدر بل عملت من أجل تطويق ومحاصرة إعلام الثورة إلى انتهاز سياسة المناطق المحرومة والمحتشدات عليها بذلك تعزل الشعب عن الثورة، ولهذا الغرض قامت الطائرات برمي المناشير التي كانت تأمر من خلالها سكان المناطق للالتحاق بمراكز معينة، واستطاعت تطويق العديد من المناطق من خلال تهديدها (بومالي، 2009، ص 178).

ولعزل الثورة عن محيطها الخارجي خاصة العربي سعت السلطات الفرنسية إلى قطع الدعم الذي كانت تحصل عليه من أشقائها العرب وخاصة مصر، حيث لم تسلم إذاعة صوت الجزائر من القاهرة من ملاحقة العدو، إذ مارست على الحكومة المصرية العديد من الضغوطات من أجل إيقاف البرامج التي كانت تبث من إذاعة صوت العرب لكن الحكومة المصرية لم ترضخ لهذه التهديد (نايت بلقاسم، 1984، ص 201).

كما استخدمت السلطات الفرنسية وسيلة إعلام وذلك للتشويش والتضليل على إعلام الثورة، بحيث عملت على تزويد المناشير التي كانت تطابق مناشير جبهة التحرير وكانت تحمل صورة العلم الجزائري وخاتم الجيش الجزائري، وكان قصدها من وراء هذه المناشير التشكيك في مناشير الجبهة الأصلية وزرع الشك في أوساط الشعوب الجزائرية، بحيث لا يعرفون أي

المناشير صحيحة وأيها المضللة، ومن بين هذه المناشير نجد منشور الحاكم العام لأكوست روبر الذي قام بتوزيعه باسم الجبهة يحذر فيه الشعب الجزائري ويشككهم في منشور كانت قد نشرته الجبهة لإقامة إضراب يوم 27 جانفي 1957 (قليل، 1991، ص 113).

وردا على السياسة الدعائية التي اتبعتها فرنسا، فقد عملت بعض وسائل الاتصال والإعلام بأشكالها التقليدية والبسيطة أثناء الثورة على تنويع السبل والرسائل المؤدية لإقناع الفرد الجزائري بضرورة مواصلة الكفاح الشرعي والصمود وعدم الاستسلام، ومن بين هذه الوسائل، المكاتب الإعلامية الدولية والملتقيات والإذاعة صوت الجزائر، وصحيفة المجاهد، الصورة، السينما كلها تتميز بطابعها الدعائي الذي يقوم على مواجهة الأفكار والتصريحات المتكررة للدعاية الفرنسية التي تعرض تصورات إيديولوجية قائمة جوهرها على مغالطات وأفكار كاذبة للتأثير على الفرد الجزائري والفرنسي وكسب القضية الجزائرية دولية وإعلامية وذلك بإتباع إستراتيجية النضال العلني في وسائل الإعلام في الداخل والخارج عن طريق:

- إعداد النشرات والتقارير والمطبوعات والاعتماد على الصحف كصحيفة المقاومة، وصحيفة المجاهد بوصفها اللسان الجوهري والمركزي لجبهة التحرير الوطني.
- إنشاء إذاعة الجزائر التي كانت تنقل باستمرار معلومات على المعارك وتذيع الأناشيد الثورية لمواصلة المقاومة.

- ارتكاز الإعلام الثوري للجبهة على رجل الإعلام الذي يسعى دائما لتفسير وشرح الأحداث وتقديمها للفرد الجزائري في طبيعتها الواقعية.

- فتح جبهة التحرير لعدد من الجبهات للدفاع عن أهم مبادئها منها الجبهة الداخلية التي كانت تهتم بالشعب الجزائري في المدن والأرياف، وبجيش التحرير في الجبال.

- فتح وكالات الأنباء والسينما والصور الفوتوغرافية وإقامة مؤتمرات والندوات العالمية، واستغلال جلسات الأمم المتحدة للدعاية كدورة 1955 لتدويل القضية الجزائرية في جدول المنظمة (شعبان شاوش، 2016، ص 94).

2.4 موقع الإعلام الثوري من الإعلام العالمي: الإعلام كما عرفناه في السابق يتميز بعدة خصائص ومبادئ؛ وهذه المبادئ اشترك الإعلام الثوري التحريرى بها مع الإعلام العالمي فأصبح للإعلام الثوري مكانة يتحدى بها وينافس على موقعه في الوسط الإعلامي العالمي، فبالرغم من تسخير الإعلام الاستعماري وسائل مادية وبشرية كبيرة إلا أنه فشل في احتلال أي رأي رقعة إعلامية أو اكتساب نصير حيث فقد الاستعماري قاعدة الناقلين لرسائله.

أما فيما يخص تحدي الثورة الجزائرية لمحاولة تحقيق هدفه في إقناع العالم بعدالة القضية وإظهار الوجه البشع للاستعمار الفرنسي للجزائر هو ما جعل الإعلام العالمي يتقبل الدعاية التي فرضت نفسها على الرأي العام وجعلته يقتنع بعد التها، ومما جعل مكانة الإعلام الثوري يحظى بمكانة في الإعلام العالمي هو تحطيمه للفكرة القائل بان الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، والعمل بتفان لإقناع الرأي العام الدولي أن الشعب الجزائري له مقوماته وتراثه ولا يمكنه أن يصبح فرنسية ومن حقه أن يحيا حياة كريمة مثل بقية الشعوب.

ومنه وبما أن المسألة الأساسية في الإعلام هو معرفة رجل الإعلام والدعاية لجوهر المبادئ العامة التي تمكنه من تقديم مادة إعلامية مقبولة، نرى أن الإعلامي الجزائري تمكن من التحلي بهذه الصفات والمبادئ ألا وهي العلمية، الموضوعية والصدق؛ ومن هنا نستنتج أن الشق الثاني (الصدق هو القاسم المشترك بين الإعلام الثوري والإعلام العالمي، وهذا ما جعله يختلف على الإعلام الاستعماري ويمكن من توسع الهوة بينهما وجعلت مكانته تتضح في الرأي العام العالمي (حمدي، 2009، ص 104-105).

5. صعوبات وتحديات الإعلام الثوري:

عملت معظم الصحف الجزائرية على تفعيل الثورة والحث على الاستقلال وتقديم عدة أساليب لأخبار واضحة لتحفيز الشعب الجزائري، ومن هذه مساهمات وتحديات ما يلي:

◀ العمل على وضع أسس وميكانزمات للربط بين الشعب والثورة في إطار العمل المسلح، لأنه لا ثورة بدون شعب ولا حرية بدون ثورة.

◀ تنشيط الدعاية الإعلامية داخليا بهدف تجنيد وتعبئة الجماهير للوقوف إلى جانب الثورة و التصدي للمستعمر الفرنسي وطرده من التراب الوطني وبدون رجعة.

◀ إظهار الوجه الحقيقي للاستعمار، وكشف ما يقوم به من أعمال دنيئة ضد الشعب الجزائري الذي له أصالته وانتماؤه و دينه ولا يمكن في أي حال الأحوال أن يكون فرنسية.

◀ اتصال الثورة بالشعب وإبلاغ المواطنين حقيقة ما يجري من صراع مسلح مع العدو.

◀ تعبئة الجماهير الشعبية لتلتف حول الثورة بغية التحرر والاستقلال.

◀ تحصين المواطنين الجزائريين من الإعلام الاستعماري وحرية النفسية والإيديولوجية.

◀ مواجهة إعلام العدو والرد عليه ودحض دعاياته (بوفريوة، 2011، ص 113).

وقد قابل الإعلام الثوري ووسائله المعتمدة أثناء الثورة التحريرية عدة عراقيل وتعقيدات في سبيل الوصول لأهدافه سواء داخليا وخارجيا مادية وبشرية نذكر منها:

✦ اختلاف قطاعات الرأي العام العالمي الذي يتوجه إليها إعلام الثورة، لأن الملاحظ في بداية الثورة التحريرية الرأي العام الأوروبي والغربي كان مرتبط تاريخيا وفكريا بفرنسا هذا ما صعب وعسر الأمور على إعلام الثورة التحريرية.

✦ مما زاد من صعوبة الحركة الإعلامية الثورية هو تأييد أجهزة الإعلام العربية لوجهة النظر الفرنسية، فكانت هذه الأخيرة تحمل في محتواها وجهات نظر سيئة وصورة مشوشة عن كفاح الشعب الجزائري، ولم تظهر سوى الجوانب السلبية للثورة الجزائرية وتبرز مساوئها الملفقة لها من قبل وسائل الإعلام الفرنسية، فكان لزام على الجزائريين اليقظة والحرص على دقة البيانات وفحصها ومراجعة المعلومات والبيانات التي كانت تعطيها أجهزة الإعلام الجزائرية إلى مندوبي الوكالات الغربية خشية تحريفها وتشويهها.

✦ من أبرز الصعوبات التي واجهت وسائل الإعلام الجزائرية هو الاضطرار إلى إدارة نشاطها الإعلامي من خارج الأراضي الجزائرية داخل دول لها سيادتها وقوانينها ومصالحها، فكان على أجهزة الإعلام الجزائرية أن تمارس وتقوم بعملها في وسط ظروف غاية في دقة والحساسية أهمها محاولة عدم الاصطدام بهذه الأنظمة التي تختلف سياستها مع سياسة الثورة الجزائرية.

✦ عانت الثورة الجزائرية في سنواتها الأولى من صعوبات مادية وفنية كثيرة مثل نقص إعلاميين مختصين ومدربين فنيا، وانعدام الإمكانيات التقنية وتشتت أجهزة الثورة بين الجزائر وتونس القاهرة والمغرب، وصعوبة الاتصال بالداخل مما ترتب عليه صدور بلاغات متناقضة أحيانا بسبب انعدام التنسيق بين أجهزة الإعلام المختلفة التي كانت تعمل باسم الثورة في مناطق متفرقة (دليو، 2014، ص 67-68).

خاتمة:

في الأخير يمكننا القول أن العمل المسلح الذي تبنته جبهة التحرير الوطني كخيار نهائي لتحقيق الاستقلال تعزز ببروز الإعلام الثوري والوسائل الاتصالية لمواجهة الداعية الفرنسية وللكشف عن السياسية التي اعتمدها والتي تتسم بالعنف والخوف وإخفاء الحقائق وإحباط معنويات الشعب الجزائري وتضليل الرأي العام العالمي، وتكمن أهمية هذا الإعلام في نفي الاعتقادات الباطلة التي تحاول فرنسا إبرازها باستمرار في المحافل الدولية والمرتبطة باعتبار الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا، كما ركزت على المهمة الدبلوماسية ودور القادة السياسيين والحديث عن الوعي التاريخي والحضاري المنفتح والمؤسس على نظرة عربية إسلامية وإفريقية

المهمة بالمجتمع والإنسان المتحرر، وكذا الدفاع عن الهوية الإسلامية بإبراز مقوماتها الحضارية.

نقل الإعلام الثوري للعالم الخارجي صور صمود الشعب الجزائري في مسيرته ضد الاستعمار الفرنسي خلال سنوات من النضال السياسي والعسكري والشعبي، وهذا من خلال تناولها للمعارك التي كانت تدور بين جيش التحرير وقوات العدو الفرنسي، ورصد الانتصارات والبطولات التي حققها جيش التحرير الوطني، حيث اعتمدت جبهة التحرير الوطني على إستراتيجية التي كان يقوم بها قادة المقاومة والمناضلين الذين اخضعوا تنفيذها لمخطط عمل محدد ومركز وصعب انطلق من الاتصال الشخصي والصحافة المكتوبة والصورة مرور بالإذاعة والسينما كسلاح في المعركة السياسية.

هكذا يتضح لنا، أن الإعلام الثوري اتجه إلى رصد معاناة الشعب الجزائري، وتتبع مساره من خلال نقل صوته إلى العالم والرد على ما كانت تنقله وسائل الإعلام المستعمر وهذا الاهتمام بمختلف مظاهر الكفاح المسلح وإسماع صوت الجزائر في العالم، كل هذا يعد مؤشرا واضحا على تمكن الإعلام الجزائري بأساليبه البسيطة مقارنة بالإعلام الفرنسي من تحقيق أهداف الثورة ومؤتمر نوفمبر وتعبئة الجماهير.

التوصيات:

عملت بعض وسائل الإعلام بأشكالها التقليدية والبسيطة أثناء الثورة التحريرية الجزائرية على تنويع السبل والرسائل المؤدية إلى إقناع الفرد بضرورة مواصلة الكفاح الشرعي والصمود وعدم الاستسلام، فقد أعطت جبهة التحرير الوطني أهمية بالغة للدعاية، فكان هذا الأخير بمثابة السلاح الذي استعانت به الثورة لتحقيق مرادها وبلوغ أهدافها المسطرة فاعتمدت بدورها على وسائل مختلفة ومتنوعة لهذا الغرض.

★ من خلال كل ما ورد نلاحظ أن الإعلام الثوري كان حتمية لا بد منها لنجاح الثورة التحريرية على الصعيدين الداخلي والخارجي فداخليا استطاع توحيد الشعب على راية الدفاع عن الثورة المسلحة وترسيخ قيم التحرر والانعتاق لديهم رغم بساطة إمكانيات الإعلام الثوري الذي صمد أمام قوى الإعلام الفرنسي التي لعبت على تشويه الثورة المجيدة.

★ أصبح الإعلام الثوري المرجع الأساسي لدى الرأي العام الجزائري، حيث استطاع إقناع الجماهير بضرورة الالتحاق بالثورة المسلحة كما كسب معركة المصادقية وإفشال المخططات الإعلامية الفرنسية.

★ أما الصعيد الخارجي فقد وصل صوت الثورة الجزائرية إلى أنحاء العالم مما جعل الرأي العام العالمي يتعاطف مع كفاح الجزائري العادل، حيث حملت وسائل الإعلام على عاتقها سلاح القلم وتدويل القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة خصوصا أن فرنسا اعتبرت القضية الجزائرية أمرا خاصا بها.

★ تعتبر الإستراتيجية الإعلامية الثورية من أهم المصادر التي أرخت الثورة الجزائرية ودونت على جبهاتها عناوين بارزة تعكس الهوية الجزائرية، وسطرت أهداف تمثلت في تحقيق آمال الشعب الجزائري الذي أقسم بالله على إعلاء كلمة الحق والوقوف ضد كل من يحاول المساس بالأراضي الطاهرة.

قائمة المراجع:

- أزغيد محمد الحسن، (2009)، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- أليكسان جان، (1982)، السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- بجاوي أحمد، (2014)، السينما وحرب التحرير الجزائري: معارك الصور، منشورات الشهاب، باتنة.
- بشيثي الأمين، (2013)، أضواء على إذاعة الجزائر الحرة المكافحة ومحطات أخرى متضامنة، منشورات أصالة، الجزائر.
- بكارفايزة، (2017)، دور إذاعة الجزائر الحرة المكافحة في الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 23.
- بلاسي نبيل أحمد، (1990)، الاتحاد العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- بوجلال عبد الله، (2013)، الإعلام والدعاية أثناء الثورة التحريرية، مجلة المعيار، العدد 32.
- بوفريوة لمياء، (2011)، إعلام الثورة الجزائرية: أداة تغيير سياسي واجتماعي، أشغال ندوة: الصحافة بتونس وبالبلدان المتوسطية في قرن 1860-1960، معهد الصحافة وعلوم الأخبار والمعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس.
- بومالي أحسن، (2009)، إستراتيجية الثورة التحريرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة، أشغال الملتقى الوطني الأول حول: الإعلام ومهامه أثناء الثورة: دراسات وبحوث الملتقى الوطني حول الإعلام والإعلام المضاد، دار القصة، الجزائر.

- بوهلة شهيرة، (2016)، صورة الثورة التحريرية الجزائرية في الصحافة المكتوبة الوطنية: جريدة الشعب نموذجا، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد 7.
- جاب الله بلقاسم، (1979)، الإعلام والدعاية وحرب التحرير، مجلة أول نوفمبر، العدد 39، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر.
- حمدي أحمد، (2009)، مؤتمر الصومام ومهام الإعلام الثوري، أشغال الملتقى الوطني الأول حول: الإعلام ومهامه أثناء الثورة: دراسات وبحوث الملتقى الوطني حول الإعلام والإعلام المضاد، دار القصة، الجزائر.
- دليو فضيل، (2014)، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- سلامي سعداني، (2016)، إستراتيجية وسائل الإعلام والاتصال في دعم الثورة التحريرية الجزائرية: رؤية تحليلية لأثيرها في العمل الثوري من 1954 إلى 1962، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 07.
- شعبان شاوش جمال، (2016)، الإعلام الثوري في مواجهة الدعاية الفرنسية أثناء الثورة التحريرية: من التأثير والتجنيد إلى الدعاية المضادة، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد 04.
- شلوش محمد، (2014)، راديو الإذاعة الجزائرية: النشأة والمسار، الجزائر.
- عبادو السعيد، (2009)، الإعلام ودوره في ثورة نوفمبر 1954، أشغال الملتقى الوطني الأول حول: الإعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني حول الإعلام والإعلام المضاد، دار القصة، الجزائر.
- عباس محمد الشريف، (2010)، واقع الإعلام الوطني أثناء الثورة التحريرية، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الطبعة الثانية، دار القصة للنشر، الجزائر.
- عبد الحي جمال محمد، (2011)، الإعلام الجماهيري: الصحف، الإذاعة والتلفزيون في السياسة العربية، مجلة أماراباك، العدد 04.
- عبدلي أحمد، (2015)، النشاط الإذاعي أثناء الثورة الجزائرية: فلسفته وتنظيمه، مجلة الدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد 28.
- الغرام جهاد، (2012)، دور الإعلام في فترة الاحتلال الفرنسي 1954-1962، مجلة كان التاريخية، العدد 17.
- قليل عمار، (2013)، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الأول، الدار العثمانية، الجزائر.
- مراج هادي، (2016)، وسائل الإعلام خلال الثورة التحريرية الكبرى: 1954-1962، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 13.

نايت بلقاسم مولود، (1984)، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، دار البعث، قسنطينة.

نسيبة فاطمة الزهراء، مختاري هتام، (2017)، الإعلام الجزائري الراهن ودوره في تعزيز قضية الثورة الجزائرية، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، الجزء السابع، العدد 01.

نور عبد القادر، (2005)، الإعلام باللغة العربية عبر الأثير في ثورة التحرير، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 12.

هلال عبد الرزق، (2013)، تاريخ السينما: التصوير الممنوع صورة الجزائري على الشاشات الفرنسية، وزارة المجاهدين، الجزائر.

الإعلام الإذاعي الجزائري أثناء الثورة التحريرية

حكيم حمزاوي

المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام (الجزائر)

hamzaoui.hakim@gmail.com

- مقدمة

كانت الثورة التحريرية الجزائرية على صلة غير ثابتة التماسك بالرأي العام الوطني والدولي في السنوات الأولى من اندلاعها. يعود ذلك للسياق السياسي السائد قبل 1954، حيث لم تنشأ منظمة جهة التحرير الوطني إلا في السنة ذاتها، وحدث أن نسبة معتبرة من الرأي العام تجهل هوية هذه التشكيلة السياسية الجديدة وأساليب ممارستها للفعل السياسي وأهدافها. غدت الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية قبلها يعرفها الرأي العام مثل حزب الشعب، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أسست كل تشكيلة سياسية وجمعية ثقافية لأشكالها في ممارسة الاتصال الجماهيري، واتخذت التجمعات السياسية والثقافية شكل مهد النقاش السياسي، وزمن مخاض الأفكار حول الاستعمار الفرنسي. تعتبر الصحافة من بين الوسائل الإعلامية التي يُنقل من خلالها ملخص النقاشات ووجهات نظرها نحو الرأي العام. فكان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفرحات عباس جرائدهم، على سبيل المثال. (BenammarBenmansour, 2013).

بحكم ذلك، كان لزاما على جهة التحرير الوطني، مرافقة العمل العسكري بخطاب إعلامي تفسيري. وذلك لكي تعرف بهويتها وبقيادتها، وتفسر الأهداف التي تسعى إليها من خلال التطورات التي تقوم على استمراريتها. لم يتم ذلك بصفة موفقة لظرف ميّزه عاملان: أما الأول، فيكمن في عدم امتلاكها لمُعَدَّات مادية متطورة وموارد بشرية مكونة على الإعلام، وتقنيات الاتصال في سياق الأزمات. أما التالي، فيتمثل في امتلاك الدولة الفرنسية لوسائل إعلام متطورة، وخبرتها، حيث تعتبر فرنسا من بين البلدان السبّاقة التي طورت وسائل الإعلام والاتصال في العالم، وكذا ممارسة الاتصال الجماهيري.

استوعبت السلطات الفرنسية سياق الأحداث وتفوقها، فسعت لفرض حظر إعلامي. من بين ما يركز عليه هذا الحظر، هو تسويق صورة إعلامية تنفي وجود ثورة، وتؤكد على أحداث معزولة. تنفيها في المضامين الإعلامية بممارسات، كفرض الرقابة عليها. دخلت كذلك في معركة

دعائية ضد وسائل إعلام جهة التحرير الوطني. كانت تقوم بعدم السماح بتوزيعها بين الجزائريين محاولة منع قراءتها. لجأت إلى ممارسات إعلامية دعائية كانت توظف في الحروب الإعلامية الكبرى، كالحرب العالمية الثانية. قامت مثلا مرات عدة بإصدار نسخ مزيفة من جريدة المجاهد وسمحت بتوزيعها، بهدف تغليب الرأي العام الوطني والدولي بمضامين إعلامية تتنافى وفلسفة الثورة الجزائرية (Brahimi, 2002, p 16).

ظهرت لجهة التحرير الوطني أهمية الإعلام، بعد تطور الأحداث على مرعامين من الزمن، لذلك أشارت إلى تكثيفه، خلال مؤتمر الصومام، لكن، ماهي الوسيلة الأنجع في ذلك السياق ؟ صحافة مكتوبة ؟ سينما ؟ تلفزيون ؟ مناشير ؟ أم إذاعة ؟ لقد وظفت لدى اندلاع الثورة التحريرية، أساسا، جريدة المقاومة الجزائرية والمناشير. كانت هذه الوسائل الإعلامية محدودة الفعالية، بحكم السياق غير المواتي. كان يميزه صعوبة توزيع النسخ من الجرائد والمناشير، إضافة إلى الأمية المتفشية في المجتمع الجزائري، والتي تحول عائقا لبث الرسالة الإعلامية عبر المكتوب.

بعد أن ظهر أن للإعلام المكتوب حدودا في أداء دور فعال في الاتصال بال جماهير، كان اللجوء للسمعي البصري مثل السينما حتمية (Sébastien, 2009). كان ذلك، بحكم إيهار السمي البصري للعالم في مدى قدرته على التعبئة. لقد بات ذلك جليا من خلال التجربة، أثناء الحرب العالمية الثانية. غير أن السياقات تجعل من وسيلة سمعية بصرية ما أكثر فعالية من الأخرى. لقد ظهر أن ذلك المتعلق بالثورة التحريرية فرض الإذاعة عن غيرها، فكان اللجوء إلى العمل الإذاعي الإعلامي، لنقل الرسالة الإعلامية للرأي العام.

تحاول هذه المساهمة من خلال خطوات بحثية علمية أن تبين كيف وظفت جهة التحرير الوطني الجزائرية الإعلام الإذاعي على الصعيدين الوطني والدولي. تظهر كذلك أن المبتغى يكمن في تعبئة الجماهير الجزائرية لتقف سندا للثورة. كان أيضا لبث خطاب تفسيري حيال فلسفة الثورة، وخصت في ذلك الرأي العام العربي والفرنسي.

1 - تأسيس إذاعة وطنية البث (صوت الجزائر المكافحة)

خلصت قيادة الثورة التحريرية بعد السنوات الأولى من الحرب ضد فرنسا أنها ليست عسكرية وحسب، بل هي أيضا إعلامية. قررت بذلك خلال مؤتمر الصومام سنة 1956، إدماج العمل الإعلامي والدعائي في سياستها الداخلية والخارجية. كرست ذلك في البند الثالث لللائحة الصومام، فأوصت على تكثيف العمل الإعلامي والدعائي. (Brahimi, 2002, p 14). غير

أن سياق الحرب جعل من الوسائل الإعلامية التي توظفها جهة التحرير الوطني، كالصحافة المكتوبة والمناشير ذا فعالية محدودة، فأصبح امتلاك إذاعة قصد توظيفها في العمل الإعلامي حتمية. تم ذلك فعليا في 16 كانون الأول/ ديسمبر عام 1956، لكن، بمعدات مادية وبشرية محدودة جدا، أخرجت من القاعدة العسكرية الأمريكية القنيطرة بالمغرب في ذات السنة. كان ذلك بفضل المناضل مسعود زقارالذي أقام علاقات تجارية، وكان يقتني أجهزة إرسال عسكرية منهم لصالح جبهة التحرير الوطني. (S.Larkeche, 2015, p 38). كان يعمل بهذه المحطة الإذاعية عدد محدود جدا من المناضلين (حوالي عشرة). تبث برامجها متنقلة عبر وهاد وفجاج منطقة الريف المغربية، الخاضعة آنذاك للحكم الإسباني، ساعتين يوميا على الموجات القصار، وهذا كل مساء، ليعاد ذات البرنامج في اليوم التالي. كانت لغة البث عربية فصحي وفرنسية وقبائلية وعامية، وكانت هذه الإذاعة تخصص يومين في الأسبوع لتوجيه برامج خاصة بالفرنسية للعمال الجزائريين المقيمين في فرنسا (بشيشي، 1994، ص 54).

دامت الفترة الأولى للبث أقل من عامين، إلى غاية سبتمبر 1957، حيث توقفت لمدة زمنية وجيزة. بعدها بدأت المرحلة الثانية باقتناء أجهزة أكثر تطورا. تم تنصيبها بالقرب من مدينة الناظور بالمغرب، بالاتفاق مع المسؤولين المغربية، فعاد البث مرة أخرى، أقوى من السابق. ارتفع الحجم الساعي للبث، فغدت تذيع ثلاث مرات في اليوم، من الرابعة إلى السادسة صباحا، من الحادية عشرة إلى الواحدة زوا، ومن الثامنة إلى العاشرة ليلا. ونظرا لرمزية الفاتح من نوفمبر، المتعلقة باندلاع الثورة التحريرية، يستمر الإرسال خلاله من الرابعة صباحا إلى الثانية من صباح اليوم الموالي. تقدم كل أسبوع أربع عشر (14) برنامجاً، أي ما يعادل حصتين أسبوعيتين كل يوم. (عواطف، 1978، ص 61).

ساهمت الوسيلة الإعلامية الجديدة في الإعلام الثوري الجزائري في التأثير على المخيال الجماعي للجزائريين، المتعلق بالثورة، ودفع ذلك إلى ممارسات إعلامية جديدة لدى هؤلاء، كان تأثيرها بالغاً في توحيد مفهوم الثورة لدى الشعب الجزائري:

كاند "صوت الجزائر المكافحة" دورا فعالا في إحداث تماسك اجتماعي، وحشد الجماهير. لقد ساهم توظيف اللغة العربية والقبائلية والفرنسية في البث في تعزيز وحدة الشعب [...] إن امتلاك جهاز استقبال يرمز إلى دفع ضربة للأمة الجزائرية، وشراء المستحقات للمساهمة في النضال بالنسبة للجزائري. مع هذا أصبح الشعب يلتف حول الثورة يوما بعد يوم. بهدف تعزيز المقاومة. (Fanon, (1959, pp 64-65).

أحدثت ظهور هذه الوسيلة ممارسات إعلامية جديدة، تتمثل في أن المتلقين الجزائريين كانوا يلخصون لمن فاته الاستماع للبرامج ويناقشون ما تم بثه. كانوا يقارنونها بالمضامين الإعلامية الفرنسية، ويردون بذلك على الإشكاليات التضليلية التي تطرحها. لقد كانت أخباراً صادرة بصفة رسمية من قبل قيادة الثورة الجزائرية. (Fanon, 1959, p 66). كان تداول الأخبار شفويا بين الجزائريين على وجه الخصوص، وفي بلدان شمال إفريقيا عموماً، يتم بسرعة فائقة، حيث كان الأوروبيون يسمون هذه الممارسة الإعلامية بـ "تليفون العرب". تبدو هذه الأخيرة في سياق الثورة، كإستراتيجية إعلامية للوقوف في وجه الدعاية التي كانت تبثها وسائل الإعلام الفرنسية.

أدى كذلك التجار الجزائريون دوراً ريادياً في توفير أجهزة الاستقبال والبطاريات، متحدين بذلك السلطات الفرنسية التي اتخذت اجراءات قانونية للتحكم في اقتناء جهاز الترانزستور، بعد أن لاحظت أن الجزائري أصبح يتتبع تطور أحداث الثورة عبر الإذاعة، ولاسيما الاستماع لما تبثه "صوت الجزائر المكافحة". (Fanon, 1959, p 65).

2 - الإعلام الإذاعي الجزائري الدولي

أولت الجزائر أهمية معتبرة للإعلام عبر الإذاعة، على الصعيد الدولي (لاسيما العربي). كانت تؤسس بذلك لخطاب تفسري لمغزى الأحداث، المعبر على رغبة الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وبرزت أهمية هذا السعي بمرور السنوات الأولى من اندلاع الثورة. لقد كانت فرنسا تبث خطاباً فحواه أن ما يحدث في الجزائر ليس بثورة شعب، بل مجرد أحداث لا رمزية لها، معزولة، يقوم بها أشخاص خارجون عن القانون. وبحكم عدم تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال، خلال تلك الفترة من الزمن، كان من الصعب على البلدان العالمية أن تميز الخطاب الواقعي من الدعائي. لذلك لجأت قيادة الثورة إلى إنتاج خطاب سياسي موجه لشعوب العالم، تفسر من خلاله ما يحدث في الجزائر من وجهة نظرها. لقد أتى تفنيدها لما تبثه فرنسا من ادعاءات مغرضة. كان بث تصريحات قيادة الثورة عاملاً فعالاً في إقناع الرأي العام الدولي، للتيقن من وجود رغبة أكيدة للشعب الجزائري في الاستقلال من المستعمر الفرنسي.

بدأ الإعلام الإذاعي الدولي الجزائري رسمياً، في الفاتح نوفمبر سنة 1954، ببرنامج "صوت العرب" من القاهرة، حيث تم بث إعلان، مفاده أن نخبة من أبناء الشعب الجزائري مسؤولة عن اندلاع الثورة ضد الاستعمار الفرنسي. (Stora, 1999, p 109). كان محمد بوضياف هو

الذي قام ببث هذا الإعلان في هذه القناة الإذاعية، حيث تشرح فيه جبهة التحرير الوطني، أسباب الثورة وأهدافها (حمزاوي، 2011).

لاحقاً، كثفت الجزائر، العمل الإعلامي الإذاعي على المستوى الدولي. تم ذلك ببرمجة حصص إذاعية في العديد من الإذاعات العربية، تُعلم من خلالها عن مجرى الأحداث في الجزائر، وتشرح أهداف المقاومة ومغزى الثورة الجزائرية. إنَّ سرد الوقائع كان يتم من القاهرة ابتداءً من سنة 1955 (صوت العرب)، من تونس ودمشق ابتداءً من سنة 1956 (الجزائر الثائرة)، من بغداد (صوت الثورة الجزائرية)، من تريبولي ابتداءً من 1958. لقد تم تدعيم "الشبكة الإذاعية" خارج الجزائر بإنشاء العديد من المحطات. من بينها الموجودة في بكين، بن غازي، أكراكوناكري، الخ. (Cheurfi, 2010, pp 90-91). وجدت كذلك الثورة الجزائرية سنداً لها في بعض الإذاعات السرية غير العربية مثل، إذاعة بودابست السرية التي تذيع برامجها تحت عنوان (صوت الاستقلال والحرية) حيث، تقوم بنشر وإذاعة أخبار الثورة الجزائرية.

كان لبرنامج "صوت العرب" من القاهرة الذي كانت تبثه جبهة التحرير الوطني تأثير بالغ. يعود ذيع صيته حسب العديد من المؤرخين لعوامل موضوعية عديدة، من بينها، العتاد المادي والبشري المتطور الذي توظفه الإذاعة المصرية. (عواطف، 1978، ص 157). لقد سمحت قوة جهاز الإرسال الموجود في هذه العاصمة بإيصال البرامج الإذاعية حول الثورة الجزائرية إلى أغلبية البلدان العربية، وحتى بعض البلدان الإفريقية. يشير الكاتب Fouad BENHALLA في كتاب له بعنوان "La guerre radiophonique"، أن ثلاثين حركة تحريرية، تبث حصصاً إذاعية في "صوت العرب" بالقاهرة، قبل موجة الاستقلال، في سنوات الستينيات غير أن "صوت الجزائر الحرة"، كانت من بين الحصص الأكثر تأثيراً في المستمع (Benhalla, 1983, p 143).

مكن هذا الإعلام الإذاعي جبهة التحرير الوطني من إيصال وقائع الثورة الجزائرية إلى العديد من شعوب العالم من وجهة نظر جزائرية، ومن كسب مساندة، الكثير من المسؤولين السياسيين الكبار الذين كان لهم تأثير على العلاقات السياسية الدولية.

3. أبعاد الإعلام الإذاعي الجزائري على الصعيدين الوطني والدولي

أدت الإذاعة دوراً رئيساً في إعلام الرأي العام الوطني والدولي خلال ثورة التحرير الجزائرية. لقد وفقت في بث الرسالة الإعلامية لقيادة جبهة التحرير الوطني، والتي تحمل وجهة نظر مخالفة للخطاب الدعائي الذي كانت تقوم به السلطات الفرنسية عبر وسائلها الإعلامية. على المستوى الوطني، وجعلت العديد من الظروف، إذاعة "صوت الجزائر الحرة المكافحة" تفرض

نفسها كمصدر إعلامي رئيسي فعال. ترمز البرامج الإذاعية في مخيال الجزائريين إلى استمرار الثورة، وبالتالي الإبقاء على أمل الاستقلال. تأتي الأمية المتفشية في أوساط الشعب الجزائري آنذاك عاملاً رئيساً في فعل الاستماع للإذاعة. لقد بلغت في 1955، 92 % (Anad, 2009)، في حين أن الثورة كان سندها الإعلام المكتوب، كالمناشير، جريدة المقاومة الجزائرية وجريدة المجاهد. لقد كانت قراءة المكتوب و الجرائد، قراءة جماعية، ما يعيق انتشار الأخبار بسرعة، وبالتالي، عدم وصول الرسالة الإعلامية إلى الأوساط الشعبية في حينها. كما أن السلطات الفرنسية أعاقَت عبر ممارسات عديدة وبسهولة هذا الإعلام المكتوب الذي تبث عبره جبهة التحرير الوطني تصوراتها، لأنها كانت تملك وسائل مادية وبشرية معتبرة. فالمكتب الخامس لأركان الجيش الفرنسي كان "يغرق" القطر الوطني الجزائري في وابل من المناشير، جرائد، ملصقات، تسجيلات صوتية، أفلام سينمائية دعائية. كما كان لديه ضباط متخصصون في الإقناع، ينتقلون من منطقة إلى أخرى، يحاولون خلالها إقناع المجتمع بأفكار غير تلك التي توافق الاستقلال. (De guilhermier, 1999, p 69).

يشير فرانس فانون إلى هذا الدور حيث يقول إنَّ "صوت الجزائر الحرة المكافحة"، أدت دوراً أساسياً في بعث انسجام وتلاحم الشعب الجزائري. يؤكد أن فعل الاستماع للبرامج بالنسبة للفرد الجزائري، لا يعني الرغبة في سماع الطرف الآخر فحسب، بل كان ذلك تضامناً وتلاحماً مع الأمة المكافحة، رضواناً واعتناقاً للتشكيلة السياسية الوطنية الجديدة، والاستماع لتكرار الملحمة الكبيرة التي يصنعها العظماء في أعالي الجبال (Fanon, 1959, pp 64-66). لم يكن تلقي البرامج يتم بلا انقطاع، نظراً للظروف والإمكانيات المادية والبشرية المحدودة التي كانت تعمل بها، وكذا قيام الجيش الفرنسي بتشويش البث. رغم وضع مماثل، إلا أنها وبفضل ما تقدمه من أخبار حول الثورة، كانت ترسم في مخيال الجزائري انهيار المستعمر الفرنسي. بحكم مرور الوقت أضحت يفتقد الصورة النمطية التي كانت تصوره في هيئة العظمة، وبدأ ينحط في وعي الفرد الجزائري. يقول المؤرخ Benjamin STORA :

لم يكن العمل الدعائي الإذاعي الذي تقوم به جبهة التحرير الوطني عبر الإذاعة، مجرد دعاية سطحية، مثلها مثل الدعايات الأخرى التي أقيمت في ظروف مماثلة. لكن، كان لها تأثير بالغ على المزارعين الجزائريين حيث أبعدهم عن حياتهم السابقة التي كان يغمرها الروتين ونمط الحياة القروية المعزولة، لتزج بهم في نظرة واسعة لعالم تسوده الثورة. (Stora, 1999, p.13).

امتد العمل الإذاعي الدعائي الذي قامت به جبهة التحرير الوطني على المستوى الدولي بفعالية معتبرة. تتميز بذلك تلك الحصص التي كانت تبث من القاهرة. لقد كانت الإذاعة المصرية آنذاك توظّر انتاج وبث ثلاثين حصة إذاعية تابعة لحركات التحرر في العالم. إلا أن حصة "صوت الجزائر الحرة المكافحة" كانت الأكثر تأثيراً في المستمع العربي خصوصاً. تم ذلك بفعل العديد من العوامل، من بينها أن "صوت /العرب" من القاهرة كانت تبث في كثير من أنحاء الوطن العربي. يكتب أحد الصحفيين في جريدة "لوموند" أن في شهر جوان من 1957 في مقال له، أن تلقي هذه البرامج الإذاعية كان يتم من قبل جماهير عربية عريضة. كان البث يتم في فضاءات عمومية مليئة بالجماهير. مثل المقاهي المصرية ووسائل النقل العمومي والخاص في بغداد ودمشق. لقد كان تأثير فعل الاستماع بادياً على تصرفات الأفراد، لحد أن كل من يقلّ هذه الوسائل مسافراً أو الذي يكون راجلاً عليه أن يحذر لأن التركيز على المضامين الإعلامية يفقد التركيز على الأفعال الأخرى، مما يعرضه لعواقب التصرف اللاعقلاني (Benhalla, 1983, p 139).

— خاتمة

طرحنا هذه المساهمة العلمية، إشكالية توظيف الإذاعة خلال حرب التحرير الوطني في 1954 كوسيلة إعلام وتعبئة للرأي العام الوطني والدولي، من قبل جبهة التحرير الوطني. بينت كيف أن هذا التوظيف كان بمثابة استراتيجية ارتكزت على استهداف الرأي العام الوطني والدولي (لا سيما العربي، بحكم التقارب الثقافي والإيديولوجي). يظهر ذلك مثل عمل ديبلوماسي يركز على الإعلام في سياق سياسي يميزه تفوق الاستعمار الفرنسي على مستويي الخبرة في ميدان الحروب الإعلامية الدولية، أو ما ينعت بـ "حروب الأمواج"، وكذا امتلاكه لموارد بشرية مكونة حول الاتصال الجماهيري خلال الأزمات وموارد مادية متطورة. رغم ذلك، فحسن استغلال السياق من قبل جبهة التحرير الوطني واختيارها الصائب لوسيلة إعلامية موالية، والمتمثلة في الإذاعة ورهانها على رغبة الشعب الجزائري الاستقلال من المستعمر الفرنسي، حقق لها التفوق إلى حد كبير.

تناولت الدراسات العلمية والشهادات الموثقة العمل العسكري لحرب التحرير الوطني بصفة كثيفة، بينما غابت جوانب عديدة من بينها دور وسائل الإعلام والاتصال. إن محدودية الدراسات حول الموضوع يعود لأسباب عديدة من بينها، طبيعة النظام السياسي في الجزائر بعد الاستقلال، الذي احتكر النقاش السياسي والعلمي حول فترة تواجد الاستعمار الفرنسي في

الجزائر، وعدم تمكن الباحثين من الاستغلال العلمي للأرشيف السمعي البصري بسبب احتكاره من قبل فرنسا وكذا عوامل أخرى ثانوية. لقد حال مثل هذا الوضع من دون انجاز دراسات علمية مرجعية حول إشكاليات ذات أهمية بالغة مثل الدعايات الإعلامية خلال هذه الفترة من الزمن، صورة الثورة التحريرية في الإعلام الفرنسي أو الدولي من خلال المضامين الإعلامية التي كانت تبثها، هوية الجزائر وتاريخها في الوسائل الإعلامية قبل وخلال الثورة. لقد ثبتت الدراسات الإعلامية العالمية، على الحملات الدعائية الإعلامية الإذاعية خلال الحرب العالمية الثانية، للتأسيس لدراسات التأثير والتنظر للدعاية. لقد ركزت على السياق الأوروبي والأمريكي وغابت (بصفة مباشرة أو غير مباشرة) سياقات أخرى، مثل ما حدث في المستعمرات. إن المراجعة العلمية لهكذا توجهات بحثية، من شأنه أن يثري النظريات القائمة. يمكن لدراسة توظيف الاستعمار الفرنسي للدعاية الإعلامية الإذاعية خلال ثورة التحرير الجزائرية، ومن قبل جهة التحرير الوطني أن يساهم في هكذا إشكالات، لذلك فمن بين التوجهات البحثية العلمية التي من الرشد، على البحث العلمي في الجزائر، أن ينحوها، هي مقارنة الثورة التحريرية من منطلق الإعلام والاتصال.

- قائمة المصادر والمراجع

إحدادن زهير، (2012)، الصحافة المكتوبة في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
الإبراهيمي أحمد طالب، (2008)، مذكرات جزائري، الجزء الثاني، الجزائر دار القصة للنشر.
بشيشي الأمين، (2014)، مذكرات الأمين بشيشي، - الجزء الأول -، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار.
عواطف عبد الرحمن، (1978)، الصحافة العربية في الجزائر، مصر، معهد الدراسات العربية.

CheurfiAchour, (2010), La presse algérienne, Algérie, Casbah Éditions.

Benhalla Fouad, (1983), La guerre des ondes, France, Presses Universitaires de France.

Fanon Frantz, (1959), L'an V de la révolution algérienne, France, Éditions François Maspero.

Michèle de Bussierre, Cécile Méadel et Caroline Ulmann-Mauriat, (1999), « Radios et télévision au temps des « événements d'Algérie - 1954-1962 », France, Éditions l'Harmattan.

Mokeddem Malika, (1997), Les hommes qui marchent, France, Éditions Grasset & Fasquelle.

Matthew Connelly, (2011), L'arme secrète du FLN, Paris, Éditions Payo.

Brahim BRAHIMI (2002), Le droit à l'information à l'épreuve du Parti unique et de l'état d'urgence, Alger, Éditions SAEC-Liberté.

Seddik S. LARKECHE (2015), Messaoud Zeghar, Alger, Éditions Casbah

Leïla BENAMMAR BENMANSOUR, (2013), Ferhat Abbas, Alger, Éditions Alger-Livres.

Khalida ANAD, (L'Algérie compte un taux de 26,5 % d'analphabètes— Une nouvelle stratégie de lutte contre le phénomène dès l'année prochaine), 13 décembre 2009, in le quotidien national algérien *Le Jeune Indépendant*, Alger.

Denis SÉBASTIEN, (2009), Le cinéma et la guerre d'Algérie (1945-1962), Alger, Éditions SEDIA.

Marie CHOMINOT, (2012), 1956-1957 : l'ALN sous l'objectif des deux reporters américains, Abderrahmane BOUCHENE et *alii (dir)* , Paris, Éditions la Découverte, Paris.

.الخصص الإذاعية:

رضا مالك، ميديا سنات، القناة الإذاعية الثانية للمؤسسة العمومية للإذاعة المسموعة، يوم 2012/10/11، توقيت البث 22:00-21:30.

لمين بشيشي، ثاسغونت، القناة الإذاعية الثانية التابعة للمؤسسة العمومية للإذاعة المسموعة، يوم 2012/02/28، توقيت البث، 11:00-09:30.

الثورة التحريرية الجزائرية من منظور وسائل الاعلام الثورية

- إذاعة الجزائر الحرة المكافحة من 1956م إلى 1962م نموذجاً -

The Algerian Liberation Revolution from the perspective of the revolutionary media - Radio Free Algeria, the struggle from 1956 AD to 1962 AD as a model

طارق هابة

جامعة حمه لخضر بالوادي (الجزائر)، haba-tarek@univ-eloued.dz

1. مقدمة:

تعتبر الثورة التحريرية الجزائرية أحد أهم الثورات التحريرية في العصر الحديث ، وذلك لما صاحبها من إعداد وتخطيط وتنظيم جيد على مستوى الصعيدين العسكري والسياسي ، ولما إستقطبته من دعم شعوب العالم الحليفة والصديقة لها آنذاك ، ولقد ساعد على نجاح هذه العديد من العوامل لعل من أبرزها إستبسال الثوار الجزائريين وإلتفاف الشعب الجزائري حوله من أجل إنجاح قضيته العادلة.

ومنذ اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية سخر الاستعمار الفرنسي جل وسائله الإعلامية والاتصالية وحتى العسكرية من أجل تحطيمها ووفرت لها الإمكانيات المادية والبشرية ، كما ساهمت وزارة الداخلية الفرنسية في التخطيط والتنظيم لهذه الحملة الإعلامية ، حيث وصفت جل الأحداث والأعمال التي قام بها الثوار الجزائريين ما هي إلا أعمال تخريبية عدائية قام بها مجموعة من الأفراد لا يمثلون إلا أنفسهم فهم مجرد مخربين وإرهابيين حسب رأيهم، بالإضافة إلى هذا وظف الاستعمار الفرنسي وسائل الإعلام أيضا في خدمة أهدافه الاستعمارية من خلال إستمالة الشعب الجزائري عن طريق تزييف الوقائع وتضليله من أجل كسبه وتهدة الأوضاع السائدة آنذاك ، ومحاولة طمأنة المستعمرين وتهديهم.

لقد فهم الثوار الجزائريين أهمية وسائل الإعلام ومدى ضرورتها في حشد الشعب الجزائري من أجل الإلتفاف حول ثورته ، ورد مزاعم الاستعمار الفرنسي، ودر دعايته والرد على الأكاذيب والمزاعم التي ينشرها ويثبتها في الداخل للشعب الجزائري ، وحتى في الخارج من أجل كسب الرأي العام العالمي لما يقوم به من جرائم في حق هذا الشعب ، ومن هنا بات من الضروري على الثوار المجاهدين آنذاك إنشاء وسيلة إعلامية تبلور أفكارهم وأفكار الثورة وتكون همزة وصل بينهم وبين الشعب لذا سارعت إلى إنشاء إذاعة الجزائر الحرة المكافحة في

أواخر سنة 1956م بإمكانيات بسيطة وبطموحات وأحلام عظيمة لإعلاميين جزائريين ، وبعد أن كانت الإذاعات العربية هي الوسيط بين الثورة والشعب الجزائري تنقل له من خلال برامجها انتصارات جيش التحرير الوطني وبياناته أضحى للجزائريين وسيلة وصوت ثوري عبر وسيلة إعلامية ثورية تتجسد في إذاعة الجزائر الحرة المكافحة فمن هذا المنطلق نطرح التساؤل الرئيسي التالي : ما هي الرؤية الإعلامية التي انتهجتها إذاعة الجزائر المكافحة حول الثورة التحريرية الجزائرية؟

2.تعريف الإذاعة :

1.2 لغة :إن تعريف الإذاعة اسم مشتق من الفعل " أذاع"، " يذيع"، " إذاعا " وتعني: "الإشاعة"، بمعنى النشر العام، وذيوع ما يقال ، حتى أن العرب قديما يصفون الرجل الذي لا يكتُم السرانه رجل " مذياع" ، فيقال: " فلان للأسرار مذياع وللأسباب مضيع . (إمام ، 1985، ص: 256)

إنّ في الأصل اللُّغوي للإذاعة هو الإشاعة فقد جاء في معجم اللغة العربية (ذاع الخبر وغيره، ذيعاً و ذيوعاً) فشا وانتشر وأذاع أفشاه ونشره، والإذاعة نقل الكلام والأخبار والموسيقى وغيرها عن طريق الجهاز اللاسلكي فالإذاعة تنقل الصوت و تحوله إلى موجات "كهرومغناطيسية" ثم تعيد نقل هذه الموجات من خلال هوائي الإرسال فتبثها في الهواء ليستقبلها المستمعون عبر جهاز الراديو كصوت مسموع "منطوق" (مكاوي ، 1989، ص: 29)

2.2 إصطلاحاً :هي الانتشار المنظم و المقصود بواسطة الراديو لمواد إخبارية ثقافية وتعليمية وتجارية وغيرها من البرامج ليلتقطها في وقت واحد المستمعون المنتشرون في شتى أنحاء العالم فرادى وجماعات باستخدام أجهزة الاستقبال المناسبة.(إمام ، 1985، ص: 256)

ويعرفها عبد العزيز شرف: عبارة عن تنظيم مهيكّل في شكل وظائف و أدوار، تقوم على بث مجموعة من البرامج ذات الطابع الترفيهي والثقيفي و الإعلامي وذلك لاستقبالها في آن واحد من طرف جمهور متناثر يتكون من أفراد وجماعات بأجهزة مناسبة.(شرف ، 1989، ص: 304) كما تعرف بأنها كل ما يبث من مادة سمعية عبر الموجات الكهرومغناطيسية، بهدف ربط المستمعين المتباعدين من خلال أجهزة استقبال الموجات، ومن ثم فقد شاركت مع التلفزيون الأخرى في تقريب ثقافات وتكوين رأي عام عالمي . (دليو ، 2013، ص: 114)

من خلال التعريفات السابقة يمكن القول بأن الإذاعة عبارة عن وسيلة إعلامية لها هيكل إداري وتقني منظم ، حيث تعتمد بشكل رئيسي على إرسال مجموعة من الرسائل

الإعلامية المتعددة والمتنوعة المضامين عن طريق بثها للجمهور عبر أجهزة تقنية تعتمد على الموجات الكهرومغناطيسية، وتكون هذه المضامين وفقا لإهتمامات ورغبات جمهورها من المستمعين المنتشرين عبر نطاق جغرافي معين .

3.نشأة إذاعة الجزائر الحرة المكافحة :

يعود تاريخ إنشاء أول إذاعة بالجزائر إلى العشرينات من القرن الماضي من طرف الاحتلال الفرنسي وكانت تابعة له، واستعملها لتكريس الفكر الاستعماري وخدمة الأقلية الفرنسية والأوروبية المتواجدة في الجزائر بشمال البلاد على المناطق الساحلية وكان أول تواجد للإذاعة سنة 1925 في الجزائر العاصمة عندما قام أحد الفرنسيين محطة إرسال على الموجة المتوسطة التي لا تتعدى قوتها 100 واط ، ثم ارتفعت إلى 600 واط ، وكانت برامجها برامج فرنسية. (إحدادن ، 1984 ، ص: 109- 110)، ومع اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954م ، أدركت قيادة الثورة أن العمل العسكري لوحده لا يكفي بل ينبغي دعمه بالعمل الإعلامي لكون هذا الأخير يستطيع أن يكيف الرأي العام ،و التحدي أمامه كان كبيرا كون العدو كان يتمتع بإمكانيات كبيرة (<https://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20141214/>) وبعد اجتماع تنسيقي بين كل من العقيد عبد الحفيظ بوصوف، عبد المؤمن الذيب، سي بومدين، وعلي ثليجي المدعو سي عمر، السنوسي صدار المدعو سي موسى، كلف من خلاله كل واحد من طرف العقيد بوصوف بتقديم تصور شامل لإقامة إذاعة سرية تحتوي على كل الخطوات الضرورية المتعلقة بانطلاق البث الإذاعي، ومن الأسباب الرئيسية لظهور هذا السلاح الإعلامي هو نوعية الحرب التي تخوضها الجزائر والمسافات البعيدة بين القيادات العسكرية بالإضافة إلى النشاطات التي كانت تقوم بها جبهة التحرير الوطني على الصعيد الدولي و ضرورة توحيد القيادات وتأمين الاتصال الدائم بين المسؤولين، وكذا العزلة التي كانت تهدد الوحدة العسكرية ، ووصول التعليمات والأوامر العسكرية بسرعة (<https://www.djelfainfo.dz/ar/enquete/12655.html>) ، ففي بداية خريف 1956م شرع عبد الحفيظ بوصوف "سي مبروك" في الإعداد العملي لتنفيذ مشروع الإذاعة السرية ، حيث أسند للمناضل مسعود زقار مهمة الحصول على الأجهزة المناسبة لذلك ، فقام بمهمة شراء أول جهاز إتصال متوسط المدى بعد الاتفاق مع ضابط أمريكي بالقاعد البحرية الأمريكية بالقيطيرة بالمغرب. (شلوش ، و بوزنون ، 2014 ، ص:2) ، لقد كان عبد الحفيظ بوصوف يرغب في أن يتم البث الإذاعي من مدينة وهران غير أن شروط الأمانة أبث غير ذلك، و

استلزمت التجارب الضرورية لتشغيل هذا الجهاز عدة أيام وحدد تاريخ أول نوفمبر 1956 موعد للإنطلاق هذا البث الإذاعي من أول محطة إذاعية جزائرية لكن وبسبب مشاكل تقنية تأجل هذا البث إلى غاية مطلع ديسمبر من نفس السنة ، وكان عبد الحميد مزيان أول مذيع في صوت الجزائر الحرة .(رحو ، 2011 ، ص : 76)

وبالرغم من قلة الإمكانيات و التجربة إستطاعت الإذاعة السرية الجزائرية التي كانت متنقلة في البداية هروبا من عيون المستعمر الفرنسي أن ترى النور في 16 ديسمبر من العام 1956 في المغرب الشقيق ، وبالتحديد من مدينة "الناظور" ، وكانت تخاطب المستمعين لتقول " هنا إذاعة الجزائر حرة مكافحة صوت جيش التحرير و جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من قلب الجزائر(<https://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20141214>)"

لقد بدأ إرسال الإذاعة السرية بجهاز إرسال من نوع PC630 متنقل، عبر شاحنة من نوع GMC تم الحصول عليها من القاعدة الأمريكية بالقنيطرة بالمغرب عام 1956، وكان من تحصل على هذه الشاحنة رشيد زقار، وكانت تبث برامجها متنقلة في منطقة الريف الذي كان خاضعا للاستعمار الإسباني لمدة ساعتين في اليوم على الموجات القصار، ساعة بالعربية ونصف ساعة بالأمازيغية ونصف ساعة بالفرنسية، وكان الإعلان عن برامج الإذاعة بهذه العبارات:هنا إذاعة الجزائر الحرة المكافحة(بوعموشة، 2017) أو صوت جبهة التحرير يخاطبكم من قلب الجزائر، وكان تبث بالعربية والفرنسية والقبائلية وتضمنت برامج البلاغات العسكرية، والتعاليق السياسية والرد على الدعاية الاستعمارية وغيرها من البرامج ذات الطابع الدعائي والتعبوي ، لقد كان للإعلام المسموع دور فعال في الثورة عبر إذاعة الجزائر السرية داخل الوطن ثم فيما بعد صوت الجزائر كان يذاع يوميا من إذاعة تونس والمغرب الشقيق . (الغرام ،2012، ص76) .

ومن أجل الرد على الدعاية الاستعمارية الكاذبة التي كان يُروج لها الإعلام الفرنسي إلا أن إذاعة الجزائر الحرة المكافحة توقفت في نهاية عام 1957 ، وفي هذه السنة شرعت قيادة الثورة في تكوين عدد من المترجمين في مجال الإشارة، لتستأنف بثها في صائفة 1959 حيث كانت تبث برامجها عبر الموجات القصيرة لمدة ساعتين في اليوم إبتداءا من الساعة الثامنة مساء باللغات العربية والقبائلية والفرنسية مشكلة من المناضلين عبد المجيد بن زيان عبد السلام بلعيد، مدني حواس.....الخ .

وفي مطلع الاستقلال، تمكن فريق من الصحفيين والتقنيين الجزائريين وعلى رأسهم الصحفي المناضل عيسى مسعودي رمز " صوت الجزائر المكافحة " من رفع التحدي عندما نجح في ضمان استمرار البث الإذاعي والتلفزيوني على إثر انسحاب الموظفين الفرنسيين احتجاجاً على إنزال العلم الفرنسي من فوق مبنى الإذاعة والتلفزيون ورفع العلم الجزائري مكانه يوم 28 أكتوبر 1962 عشية أولى الإحتفالات بذكرى إندلاع الثورة التحريرية المجيدة (الفتاح من نوفمبر)، وشكل ذلك تاريخاً لبسط السيادة الوطنية على قطاع السمعي البصري في الجزائر (شلوش ، وبوزنون ، 2014 ، ص:9) و حسب إدلاء رئيس ومدير الإذاعة والتلفزيون الجزائري "عيسى مسعودي" آنذاك فإن الفرنسيين، لم يكن في نيّتهم التعاون معنا بل بلغت الاستفزازات أقصى مداها فكانوا يمزقون بلاغات وزارة الأخبار ويوجهون الشتائم إلى المحررين الجزائريين، ولكن رغم ذلك لم يؤثر انسحاب الفنيين الفرنسيين، على سير أجهزة الإذاعة والتلفزيون، وقد حققت الإذاعة الجزائرية لأول مرة خطوة كبيرة حيث استمر الإرسال 48 ساعة بدون انقطاع بمناسبة احتفالات أول نوفمبر، وبعد استعادة الإذاعة والتلفزيون سيادتها في 28 أكتوبر 1962م بدأ الهيكل البشري الجزائري يبرز كفاءاته التقنية والإدارية رغم قلة الخبرة العلمية إلا أن الغيرة الوطنية والتفاني في العمل كانا شعار شرف إنتاجنا الإذاعي والتلفزيوني إلى غاية السبعينات (بغدادى ، 2003 ، ص: 46-48) ، ومنذ إخضاعها لوصاية وزارة الإعلام، في عهد الاستقلال، أسندت لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون مهام الخدمة العمومية، وقد سهرت الإذاعة، بموجب ذلك، على إعداد وبث برامج باللغتين الوطنيتين (العربية والأمازيغية) وكذلك باللغات الأجنبية (الفرنسية، الإنجليزية والإسبانية).

4. الإمكانيات المادية والبشرية للإذاعة الجزائرية الحرة المكافحة :

حسب تقرير صادر عن اجتماع وزارة الأخبار للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المنعقد في السابع مارس من عام 1960 فإن عدد الطاقم المعين للعمل بإذاعة الجزائر الحرة المكافحة هو 44 شخصا فقط 29 منهم في الخدمات العامة، والجدول التالي يوضح كيفية تنظيم وتوزيع المهام والوظائف داخل الإذاعة السرية الجزائرية (بكار، 2010-2011 ، ص: 66)

الجدول 1: الإمكانيات البشرية لإذاعة الجزائر الحرة المكافحة

المدير			
الخدمات العامة	الإدارة	النائب الاول	النائب الثاني
رجال الحراسة	سكرتير	فني	تقني
الطباخون	محاسب	الفريق العربي	BF استديو
ميكانيكي	رجال الاتصال	الفريق القبائلي	مراكز البث
	سائق	الفريق الفرنسي	

المصدر: بكار، 2010-2011، 66

لقد كان قادة سلاح الإشارة يتقدمه قائد الولاية الخامسة عبد الحفيظ بوصوف ونائبه آنذاك محمد بوخروبة بالإضافة عمار ثليجي ومسعود زقار أحد أهم المؤسسين للإذاعة السرية فبالإضافة إلى هذه الشخصيات الثورية والنضالية وحتى الإعلامية هناك العديد من الرجال الذين تحدوا بأصواتهم الإذاعية الترسانة الإعلامية الاستعمارية ، وما وفرته من إمكانيات مادية وبشرية للقضاء على الثورة التحريرية نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بوزيدي ، حواس مدني ، محمد السوفي، محمد بومديني ، محمد السعودي، مصطفى التومي، خالد سافر، خالد التيجيني، عمر مرزوق، مولاي خروبي، حمه ميسوم ، عاشور قدور، عبد المجيد حومة، محمد كسوري، محفوظ مغربي، قدور ريان، عمار معمري، عبد الرحمن لغواطي، سعيد غماري، يوسف مصطفى دالي، عبد الله دردك، كمال بالحبيب، لوصيف بوغرامة المدعو محمد القوردو، علي جبار، علي نصار المدعو فريد ، كمال داودي ، قدور أكتوف (شلوش ، و بوزنون، 2014 ، ص :4).

ففي أواخر سبتمبر 1959 قرر العقيد بوصوف تنصيب محمد السوفي المدعو كمال بمنصب مدير للإذاعة الجزائرية السرية وعليه أصبح لدى إذاعة صوت الجزائر الحرة المكافحة هيكل تنظيمي في شكل هرمي يتمثل في: (بنة ، 2010، ص: 183-185)

1- المديرية : تتكون من مدير ونائب فني ورئيس تحرير في الوقت نفسه مكلف البرمجة وتحرير القراءات الإذاعية ونائب تقني مكلف بمتابعة الأمور التقنية للبث .

2- الأمانة الإدارية: تقوم بالإدارة المباشرة لتسيير المالي والموظفين بالإذاعة:

أ- اللجنة الفنية: يرأسها نائب فني عيسى مسعودي وتنقسم الى ثلاث لجان فرعية كل لجنة تتكون من ستة أشخاص

- لجنة اللغة العربية: تتكون من عبد اللطيف وبومدين مكلفين بحصص اللغة العربية
- اللجنة القبائلية: تتكون من عنصر واحد محرر ومذيع في الوقت نفسه
- لجنة اللغة الفرنسية تتكون من تيجاني وسفار
- ب- اللجنة التقنية: يشرف عليها قوماري سعيد وتتفرع الى قناتين:
- قناة مركز الحصص HF يشرف عليها قوماري سعيد
- قناة مركز التسجيل BF يشرف عليها قدور ريان

أما ميزانيتها فكان يرصد لها ميزانية شهرية تقدر بمليون فرنك مغربي يعمل على تسييرها المدير وتوجه لتغطية مصروفات الإذاعة من إ طعام وإيواء لعمالها وصيانة، واقتناء ما تحتاجه من عتاد ومصاريف أخرى كالوقود، وكذا إقتناء وثائق كالكتب والجرائد والاسطوانات(بكار، 2010-2011، ص: 66)، وتضمنت برامج الإذاعة السرية عدة برامج من أهمها : الجزائر في أسبوع، من أدب الثورة، أخي المواطن ثق في نفسك، قارتنا السمراء (كموشة، 2017)

5.المقاربة الإعلامية التي تبنتها إذاعة الجزائر الحرة المكافحة

إن تطور أحداث الثورة التحريرية وعدم وصول صوت الإذاعات العربية إلى كل الشعب الجزائري خاصة تلك التي تقدم برامج دعم للقضية الجزائرية كإذاعة القاهرة وإذاعة تونس...الخ، ولحتمية مواصلة المقاومة بالإعلام ومواجهة الدعاية الفرنسية في الداخل ، ظهرت الحاجة إلى ضرورة تأسيس إذاعة الجزائر الحرة المكافحة لتكوين الرأي العام العالمي والوطني ببرامج ونقاشات وحوارات وأخبار ترتبط كلها بالقضايا التي تخص الأمة والثورة الجزائرية والرد على الدعاية والهيمنة التي فرضتها القوات الفرنسية على الفضاءات الإعلامية لتشويه سمعة المجاهدين والقادة السياسيين .

وهي تشكل أهمية بالغة لدعم الكفاح والنضال واستمالة مؤيدي الحركات التحررية في العالم ومواجهة الإستعمار والحرب النفسية خاصة في سنة 1958 أين وجهت السلطات الاستعمارية رسائل اتصالية للثوار والمناضلين للإستسلام وتشكيك الشعب الجزائري في قدرة المجاهدين في نيل الاستقلال بنشر صور الرعب والخوف (شعبان شاوش ، 2016 ، ص: 100)

تبنت إذاعة الجزائر الحرة المكافحة صوت الثورة وصوت النضال العسكري الناطق
كرؤية ونهج تعتمده عند نشأتها ، فكانت لسان جبهة التحرير في ميدان النضال الفكري
والعسكري وهمزة الوصل بين الثورة والشعب من ناحية وبين جبهة التحرير الوطني والدول
الصديقة والحليفة من ناحية أخرى ، ويقول في هذا الصدد هوارى بومدين على المناضل و
الإعلامي عيسى مسعودي إنه يمثل نصف الثورة التحريرية، إذ أكد أن الثورة انتصرت
بفضل الثنائي جيش التحرير الوطني وعيسى مسعودي هذا الأخير الذي أوصل صوت الثورة
الجزائرية إلى أبعد نقاط في العالم عبر برامجه الإذاعية الثورية (http://www.ech-78479)
chaab.com/a ، ويقول أيضا في هذا الصدد صوت عيسى مسعودي شق وجيش التحرير شرق
آخر ، لقد انتهجت الإذاعة الحرة المكافحة عبر مراحلها المختلفة منذ نشأتها صوت الثورة
والمدافع عنها فكانت بذلك الذراع الإعلامي المسموع بالموازة والمنشورات التي كانت توزع على
المناضلين سرا لتعبئتهم ورفع من معنوياتهم ومحاولة تجنيدهم في صفوفها من جهة ، كما
كانت صوت يدوي من الجبال والشعاب لرد على المزاعم الفرنسية من جهة أخرى (جبار،
وبوعمامة ، 2017، ص:180) ، لقد تحدد دور إذاعة الجزائر الحرة المكافحة ورؤيتها للثورة
الجزائرية منذ تحديد أهداف إستراتيجية الثورة في السعي للحصول على أقوى ما يمكن من
التأييد المادي والمعنوي والنفسي بتدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية ، وكان ذلك
جليا في برنامج مؤتمر الصومام 1956م الذي حدد من بين المسائل الأساسية في إستراتيجية
الثورة مسألة الإعلام ، حيث عبرت وثيقة الصومام على أهمية الإعلام والدعاية وعلى طبيعة
دورها في الكفاح المسلح كضرورة لتكثيف النشاط الدعائي على الصعيد الدولي . (الغرام ،
2012 ص : 77)

إن إعلام ودعاية جبهة التحرير الوطني لا تعكس مصالح دولة، ولا مصالح حزب، وإنما
تعكس مصالح مشتركة لجماهير تقاتل من أجل الوصول إلى الاستقلال الوطني، وطرد
المستعمر، وبناء الدولة الجديدة، أي أن هذه المبادئ جاءت مع الكفاح المسلح، لذلك فإن
حركاتها، وتوجهاتها تميزها الظروف التاريخية التي تمر بها الثورة، لهذا، فإن جبهة التحرير
الوطني حددت أهدافها بالقضاء على نوعين من الاضطهاد هما: الاضطهاد العنصري
الاستعماري، والاضطهاد الاجتماعي (حمدي، 1995، ص:133) ، لقد كان الدور الذي لعبته
إذاعة الجزائر المكافحة أثناء الثورة التحريرية الجزائرية في ربط الجزائريين بالثورة وتمكينهم
من معرفة آراء قادة الثورة وتعاليقهم على كل الأخبار والوقائع التي يروجها الفرنسيون للنيل

من عزيمة إستمرار الجهاد ضد الاستعمار جعلت الإذاعة في صدارة وسائل الإعلام والاتصال في كسب المواطن الجزائري ، وجعله وفيًا لهذه الأداة الإعلامية مقارنة بالتلفزيون وحتى الصحافة المكتوبة أو السينما والمسرح آنذاك ، وبحكم خضوع كل من الإذاعة والتلفزة الجزائرية لمؤسسة واحدة ويجمعها مبنى واحد ، فقد كان تاريخ 28 أكتوبر 1962 المصادف ليوم السبت موعدًا لإستعادة الجزائر زمام سيادتها على الإذاعة بالجزائر حيث تم تعيين السيد عبد القادر نور مديراً لها . (تيطاوني ، 2019 ، ص : 165-166)

وهكذا استطاعت إذاعة الجزائر المكافحة ان تحقق حلمين هما حلم الثورة في مخاطبة الشعب الجزائري مباشرة بوسائلها الخاصة ليلتف أكثر حولها ، وحلم الجزائريين في معرفة تطورات الكفاح الثوري دون تزيف أو تضليل للحقائق والأحداث من إذاعة جزائرية مئة بالمئة بمادتها الإعلامية وإطاراتها الإدارية والصحفية والتقنية وبوسائلها (بكار ، 2010-2011 ، ص : 58)

6. ردود فعل الاستعمار الفرنسي على إذاعة الجزائر الحرة المكافحة

حاول الفرنسيون قطع الطريق أمام نجاح الإذاعة السرية من خلال التشويش على برامجها لكن بفضل تقنيات الشباب الذين ابتكروا عدة أساليب استطاعت مواجهة مخططاتهم كتقريب موجات تبث الإذاعة السرية من موجات بث إذاعة فرنسا أو أي دولة لها علاقة طيبة معها ، وبالتالي كانت عملية التشويش التي تقوم بها فرنسا عقبها مباشرة تكون هي أول المتضررين وبعدها الدول الصديقة لها ، كما استعمل المستعمر الفرنسي أساليب البحث التقني للعثور على شاحنة البث ، لكن لحسن حظهم باءت كل محاولات المستعمر بالفشل ، كما اختارت الإذاعة أمواج البث القصيرة لا الطويلة لأن هذه الأخيرة تتطلب طاقة كهربائية وأجهزة أكبر ، وهو ما لم تكن تملكه بسبب ظروف الحرب (جبار وبوعمامة ، 2017 ، ص : 182)

كما حاول الاستعمار الفرنسي الضغط على الدول الحاضنة للإذاعة الجزائرية ، وفي منع بيع أجهزة الراديو إلا برخصة أمنية منذ 1956 وحجزها أثناء عمليات التمشيط ، كما قام أيضا بتوزيع أجهزة راديو مجانية لا تلتقط الإذاعات المؤيدة للثورة التحريرية ، وفي القنبلة العشوائية لمناطق البث الإذاعي المحتملة (مرتين في الريف المغربي عام 1957) ، وفي قرصنة البرامج والتشويش المكثف عليها ، وفي إنجاز إذاعة مخادعة تبث من فرنسا تحت إسم هنا صوت الجزائر (دليو ، وبوثلجة ، 2018 ، ص : 764) ، لقد كان إصرار القوات الفرنسية على

ملاحظة هذه المحطة الإذاعية ومطاردتها والتحري عن مكان البث الذي تنطلق منه الهاجس الذي ظل شغلها الشاغل حيث قامت القوات الفرنسية عام 1958 بمحاولة كبيرة عن طريق الطائرات وعن طريق البحر بالكشافات لتحديد المنطقة التي يوجد بها جهاز الإذاعة ، وبرغم تمكنها من رصد مكان البث إلا أنهم لم يتمكنوا من إلقاء القبض على سيارة البث الإذاعي ولا مسيرها الذين تمكنوا من الفرار وإنقاذ العتاد من الدمار ، فهذه المطاردة أجبرت الإذاعة المتنقلة عام 1959 على التوقف لمدة 04 أشهر ، لتعاود قيادة الثورة الجزائرية إقامة محطة إذاعية ثابتة على الحدود مع المغرب (تيطاوي ، 2019، ص: 165)

7. خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول بأن إذاعة الجزائر الحرة المكافحة لعبت دورا مهما في تأسيس إعلام سمعي بصري جزائري مهم حيث ساهمت في ربط الثورة التحريرية بالشعب الجزائري، وكانت لسان حاله الجزائر في المحافل الوطنية والدولية ، وبالرغم من محاولات الاستعمار الفرنسي العديدة للقضاء على هذه الإذاعة الفتية، إلا أن جل محاولاته باءت بالفشل.

إن الإعلاميون الجزائريون إبان الاستقلال أظهروا احترافية ومهنية كبيرة ساعدتهم على تخطي مرحلة صعبة ومهمة في تاريخ الإذاعة الجزائرية خاصة بعد انسحاب التقنيين الفرنسيين الذين راهنوا على عدم مقدرة الجزائريين على تسيير الإذاعة ، ورغم ذلك لم يؤثر هذا الانسحاب على سير أجهزة الإذاعة والتلفزيون، وقد حققت الإذاعة الجزائرية لأول مرة خطوة كبيرة في تاريخها حيث استمر الإرسال 48 ساعة بدون انقطاع بمناسبة احتفالات أول نوفمبر ، وحقق بذلك الجزائريين السيادة الكاملة على مبنى الإذاعة والتلفزيون وانتقلت بذلك إذاعة الجزائر الحرة المكافحة من مرحلة الإعلام الثوري إلى مرحلة جديدة وهي مرحلة البناء والتشييد الوطني مع إضفاء الطابع العمومي للإذاعة حيث أضحت مثال حي على الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في الخدمة العمومية الناجحة للمواطن الجزائري.

8. قائمة المراجع :

- إمام إبراهيم ، (1985)، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ، القاهرة :دار الفكر العربي.
- جبار أحمد ، بوعمامة العربي (6 جوان 2018)، الإذاعة الجزائرية ودورها في تعزيز مسار الثورة ورافد من روافد التنمية بعد الاستقلال ، مجله تاريخ المغرب العربي ، مج : 4 ، ع: 177، 1-189 .

حمدي أحمد ،(1995) ، الثورة الجزائرية والإعلام :دراسة في الإعلام الثوري ، الجزائر : المتحف الوطني للمجاهد.

خيرة بغداددي ،(2003)، برامج الإذاعة الجزائرية وعلاقتها بالواقع الاجتماعي " دراسة مقارنة بين القناة الأولى و الثالثة ، رسالة ماجستير ، علم الإجماع الثقافي ، جامعة الجزائر 2. بوعموشة ، (28 أكتوبر 2017) ،الإعلام أوصل صوت الجزائر المكافحة وردّ على الدعاية الاستعمارية، جريدة الشعب ، متاح على الرابط التالي : <http://www.ech-chaab.com/ar.html> ، 2021/10/22 ، 19:45.

شعبان شاوش جمال (15 جوان 2016) ، الاعلام الثوري الجزائري في مواجهة الدعاية الفرنسية أثناء الثورة التحريرية من التأثير والتجنيد الى الدعاية المضادة ،مجلة الدراسات الإفريقية ، مج :2، ع:4 ، 89-112. الغرام جهاد ،(سبتمبر 2012)، دور الإعلام في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1954-1962) ، دورية كان التاريخية، ع: 72، 17-78.

تيطاوني الحاج ،(2019) ، وسائل الاعلام في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي بدايات الصحافة المكتوبة، الاذاعة والتلفزيون ، مجلة الاتصال والصحافة ، مج 6 ، ع: 2 ، 158-174. عماد مكاوي حسن (1989)، الأخبار في الراديو والتلفزيون، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية. رحو الزهرة ،(2010/2011) عبد الحفيظ بوصوف حياته ومسيرته النضالية 1926-1979،

جامعة وهران

احد اذنهير ،(1984) تاريخ الإذاعة والتلفزة، ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية . شرف عبد العزيز ،(1989)، مدخل الى وسائل الاعلام ، القاهرة ،دار الكتاب المصري. بكار فائزة ، (2010) ،إذاعة الجزائر الحرة المكافحة – الفترة من 1956-1962-، رسالة ماجستير ، قسم الاعلام ، كلية العلوم السياسية والاعلام ،جامعة الجزائر . دليوفضيل ، بوثلجة نجا ، (مارس 2018)، الاذاعة الجزائرية قبل الاستقلال من الريف المغربي الى العاصمة العراقية ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، مج : 7 ، ع 1 ، 757-770. دليو فضيل ،(2013) ، تاريخ وسائل الإعلام والاتصال، الجزائر ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع .

شلوش محمد ، خالد بوزنون (2014)، الإذاعة الجزائرية النشأة والمسار ، الجزائر، الإذاعة الجزائرية .

ببية نجاه ، (30 جوان 2010)، الانجازات الكبرى للثورة الجزائرية وتصدي الاستعمار الفرنسي لها إذاعة صوت الجزائر الحرة المكافحة، نموذجا، مجلة المصادر، مج: 12، ع 1:، 195-173 .

<https://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20141214/22613.html>,17

/10/2021.22:30

<https://news.radioalgerie.dz/ar/node/2373>,19/10/2021.20:30

<https://www.djelfainfo.dz/ar/enquete/12655.html>, 19/11/2021.21:00

الثقافة الوطنية في ثورة التحرير الجزائرية(1962-1954)

National Culture in the Algerian Liberation Revolution(1962-1954)

سبيحي عائشة

المركز الجامعي تيبازة(الجزائر)، sbihiaicha1@gmail.com

- مقدمة:

ركز المحتل الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض البلاد جهوده أساسا على تحطيم الشخصية الجماعية للشعب الجزائري ومحاربة قيمه الثقافية ، باستهداف مؤسساته التعليمية والدينية بكل عنف، ومحاولة استئصال كل الجذور التي تربطه بماضيه الحضاري العريق، وخاصة الفترة الإسلامية منه، تسهيلا لمسحه وإذابته في كيان الدخيل. إلا أن الشعب الجزائري لم يتوان في مقاومة مخططات المستدمر والتمسك بثقافته الأصيلة باعتبارها الدرع الواقي من الذوبان والاضمحلال ، كما أن الحركة الوطنية قد جعلت من الثقافة الوطنية ضمن أولويات اهتماماتها كسلاح استراتيجي لمجابهة السياسة الإستعمارية.

واعتبر استعادة الثقافة الوطنية من الأهداف الجوهرية للكفاح المسلح التحرري الذي خاضه الشعب بقيادة جبهة التحرير الوطني، حيث أكد عليه البيان التاريخي لثورة أول نوفمبر وبقية نصوصها ومواثيقها، إضافة إلى الجهود المضنية التي بذلتها الثورة في تعليم وثقيف أبنائها بجميع فئاتهم عامة ، وجنود جيش التحرير الوطني بصفة خاصة ، إدراكا منها لدور الثقافة في دفع الجماهير إلى التفاف حول الكفاح التحرري الوطني والمساهمة في تنمية البلاد غداة الحصول على الاستقلال.

فمن هنا تكمن أهمية موضوع مداخلتنا "الثقافة الوطنية في اهتمامات ثورة التحرير الجزائرية 1962-1954"، سيما وأن هناك الكثير من الجوانب الإجتماعية والثقافية من تاريخ الثورة الجزائرية لا تزال مغيبة تماما في الكتابات والدراسات التاريخية الأكاديمية ، مقارنة مع المواضيع ذات الطابع العسكري والسياسي والدبلوماسي التي نالت حصة الأسد. وعليه فإن إشكالية مداخلتنا تتمحور أساسا حول مدى اهتمام الثورة التحريرية بالعمل الثقافي، وانعكاساته على مسار الكفاح التحرري الوطني.

1- إستراتيجية المحتل الفرنسي لتقويض الثقافة الوطنية وردود الفعل الوطنية حيالها قبل 1954:

1.1. إستراتيجية المحتل الفرنسي لتقويض الثقافة الوطنية قبل 1954:

لم تتوان فرنسا خلال السنوات الأولى من احتلالها الجزائر في القضاء على الهياكل التعليمية والدينية الوطنية، إما بغلقها، أو تحويل نشاط بعضها لخدمة مشروعها الإستعماري، وتخریب بعضها على غرار ما حدث للمساجد والزوايا الحرة. ولم تسلم حتى المكتبات من عملية النهب، والمخطوطات من الحرق، والأوقاف الإسلامية من المصادرة (العلوي، 1996، صفحة 18)، وأنفقت مداخلها على الكنائس ورجالها، وعلى بعض المؤسسات التعليمية التنصيرية، موجهة بذلك ضربة قاضية للتعليم العربي الإسلامي، حيث أغلقت المدارس وتوقفت حلقات الدروس الحرة في المساجد، واضطر علماء الجزائر للهجرة نحو العالم العربي والإسلامي (سعد الله، 1998، الصفحات 9-10)، وحل بذلك الفراغ الكثيب على الساحة الثقافية، واتضح صورة فرنسا الإجرامية من وراء كل هذه الإجراءات، المتمثلة في تجريد الشعب الجزائري من ثقافته الوطنية، ومن ثم تجهيله وتسهيل عملية مسخه حضاريا، بعدما تظاهرت بأنها ستتولى بنفسها تعليم وثقیف الجزائريين (العلوي، 1996، صفحة 18)

بعد ذلك راح المحتل الفرنسي يركز جهوده على محاربة كل المقومات الأساسية للثقافة الجزائرية من لغة ودين وعادات وتقاليد وتاريخ، إدراكا منه لخطورتها على استقراره ومشاريعه الاستيطانية الصليبية بالجزائر، سيما وأنها ظلت طوال فترة المقاومة الوطنية للسياسة الاستعمارية بمثابة سنان الرمح والملجأ الذي احتوى به الشعب الجزائري من الذوبان والاضمحلال (مجلة المجاهد، 1981، العدد 1091، صفحة 46)

فالدين يعد من أهم العوامل الحضارية التي تحافظ على ثقافة الأمة وخلق أفرادها، كما يعتبر من أقوى الوسائل التي يعول عليها في إيقاظ ضمير الأمة وتنبيه وعيها (العلوي، 1996، صفحة 18)، لذلك لم يتردد الغزاة في استهداف الدين الإسلامي باعتباره مكون أساسي للهوية الوطنية من جهة، ولأنه يشكل العقبة الكأداء التي تقف في وجه الجهود الإستعمارية لمسح المواطن الجزائري.

ويذكر في هذا الصدد الأستاذ الجزائري عبد المجيد شيخي بقوله: «...لأن القضاء على الإسلام في الجزائر يعني القضاء على اللغة الوطنية وهي أيضا لغة الإسلام وعلى الثقافة الإسلامية

والثقافة العربية، إنها عملية تعرية للشعب الجزائري من خلال تحطيم هذا الركن الأساسي في البنية الإجتماعية الجزائرية، فالإسلام من دعائم الوحدة الوطنية، بل المرجع إليه في هذا الشأن. وإذا انتقلنا إلى التاريخ وجدنا فيه ذكر لمآثرنا وأمجادنا ووقفنا فيه على أيامنا المشرقة وأيامنا الحالكة ولكن كل ذلك يكون ناقصا إذا لم نضيف إليه الإسلام فهو الذي يعطي البعد الحقيقي لهذه العناصر كلها، فيكون الشعور الوطني والوعي القومي الناتج عن هذه العناصر ذا طابع مقدس يضمن ليس فقط دوامه بل كذلك استمراره وتعاقبه على الأجيال، إذ أنه يخلق الأسباب المعنوية للثبات والصمود والنضال من أجل البقاء، هذا الذي جعل جنون الاستعمار يجن فلا يهدأ له بال ما دام هناك من يتحدث ويؤمن بالإسلام...» (شيخي، 1977، صفحة 21)

كما تجلى الموقف الفرنسي العنصري والمتطرف من الدين الإسلامي، زيادة عن هدم المساجد، وتحويل بعضها إلى كنائس وثكنات وإسطبلات لخيول المحتلين، واضطهاد ونفي المفتين الأحرار ، في التدخل السافر في الشؤون الدينية للجزائريين في كل صغيرة وكبيرة، ويتعلق الأمر بإقرار شهر الصوم وتنظيم الحج، وإلحاق القضاء الإسلامي بالمحاكم الفرنسية التي صارت تشرف عليه، وأصبحت السلطات هي التي تتحكم في تعيين الأئمة والمفتين والقضاة وتصرف لهم رواتبهم، وتنظم الدروس المسجدية وخطب الجمعة..إلخ، في الوقت الذي أقرت فيه الحرية الدينية للطوائف الأخرى الموجودة في المجتمع الجزائري على غرار الطائفتين اليهودية والمسيحية تجسيدا لتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة الذي طبق على الديانتين المسيحية واليهودية، بينما ظل الدين الإسلامي تحت رحمة السلطات الفرنسية الاستعمارية، التي تحالفت مع الكنيسة لمسح الإسلام ، من خلال محاولتها تنصير الجزائريين وبتشجيع ودعم من الإدارة الاستعمارية. (شيخي، 1977، صفحة 21)

أما اللغة العربية فهي الأخرى تعد عاملا أساسيا مقوما للثقافة الوطنية ومن أهم عوامل حفظ الكيان القومي الجزائري من الإتهيار والذوبان في الكيان الفرنسي، إضافة إلى دورها الخطير كلغة قومية"في تأجيج نار الحمية والحماس في نفوس أبنائها مما يحفزهم على الكفاح والنضال من أجل الدفاع عن الكيان والشخصية القومية المهددة وبالتالي الاعتزاز بالتاريخ والأمجاد القومية والحضارية وغيرها من القيم والمثل العليا التي ترمز إليها كل لغة في حياة الشعب"، لذلك عمد الاستعمار منذ تواجده بالبلاد إلى التضييق عليها ومحاربتها في كافة ميادين الحياة الجزائرية، واعتبارها لغة أجنبية في عقر دارها، واخضع تعليمها في المدارس

العربية الحرة لقوانين تعسفية تسير سياسته وأغراضه، وكنتيجة حتمية لهذا الموقف حلت محلها اللغة الفرنسية التي احتلت سائر مجالات الإدارة والتعليم(تركي، 1970، الصفحات 23-24)، وانتشر الجهل والأمية وحل الفراغ الثقافي بين الجزائريين (هلال، 1981، صفحة 45) ومن جهة أخرى عمل المحتل كل ما في وسعه لتعليم اللغة العربية بين مسيري إدارته وحكامه السامين ، بل فرض إجبارية تعليم هذه اللغة على الإداريين الفرنسيين ، سيما الذين لهم علاقة مباشرة مع الشعب بمختلف فئاته، بهدف تمكينهم من السيطرة على الجزائريين (هلال، 1981، صفحة 45)

ومن الوسائل الأخرى التي وظفها الإستعمار الفرنسي لمحاربة الثقافة الوطنية نجد المدرسة الفرنسية، حيث سعى من خلالها إلى تكوين((نخبة جزائرية)) ترتبط بفرنسا لغة ودينا وفكرا وثقافة، ومن ثم تعزز تواجدها-فرنسا- بالجزائر، علما بأن التعليم الفرنسي الرسمي اقتصر على فئة محدودة من الجزائريين، التي كانت تثق فيها فرنسا بعدما برهنت على وفائها وإخلاصها نحوها، بينما ظلت نسبة كبيرة من الجزائريين مستبعدين من المدرسة الفرنسية، التي مارست عملية تشويه وتزييف التاريخ الوطني وجغرافية الجزائر بربطها بجغرافية (وطن الأم)فرنسا وتاريخها ومن ثم القضاء على الوجه العربي والإسلامي للجزائر، كما حرم الجزائريون أيضا من الإستفادة من تعليمهم العربي الحر الخاص بهم، الذي شنت عليه حربا شعواء، لأهميته البالغة في التثقيف والتحصين والتوعية (العلوي، 1996، صفحة 20)، ولم تسلم أيضا الصحافة الوطنية الناطقة باللغة العربية من إضطهاد المستعمر خلال فترة بين الحربين العالميتين والأربعينيات القرن 20م لدورها في نشر الثقافة الوطنية والتنوير وبلورة الوعي الوطني، وانتقاد سياسة فرنسا، لذلك كانت هذه الصحافة تصادر وكتاها يعتقلون ويسجنون مقارنة مع الصحف المهادنة للاستعمار، وصحافة المستوطنين التي تمتعت بكل الحرية في المعالجة الإعلامية للقضايا والمواضيع المختلفة (ناصر، 2007، الصفحات 14-47). كما لجأ المحتل الفرنسي إلى فرض حصار على الجزائر سيما بعد الحرب العالمية الأولى، لعزلها ثقافيا وسياسيا وحضاريا عن بقية العالم العربي والإسلامي وخاصة المشرق العربي الذي اتهمه بلعب دور رئيسي في تحريض الجزائريين على الثورة ضده والمطالبة بالانفصال، لذلك منع بشدة دخول إنتاجه الفكري والثقافي من كتب ومجلات وصحف لاسيما المصرية منها إلى الجزائر، لقطع الصلة بين الجزائر وبقية الأقطار العربية ، وللحيلولة دون استفادة الجزائريين ثقافيا وفكريا من النهضة العربية المشرقية وانتشار الأفكار التحررية بينهم، سيما

وأن المجلات والصحف العربية التي كانت تنسرب إلى الجزائر بطرق سرية على غرار مجلة المنار المصرية، لعبت دورا لا يستهان به في بعث الحركة الثقافية والسياسية في الجزائر خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن 20م. (هلال، 1981، الصفحات 52-53)

2.1-ردود الفعل الوطنية حيال سياسة فرنسا المستهدفة لثقافة الوطنية قبل 1954:

أدرك الجزائريون منذ الوهلة الأولى طبيعة الخطر الذي شكله المستعمر الفرنسي على الهوية الوطنية والحضارية للشعب الجزائري، لذلك لم يترددوا لحظة في مقاومة الغزاة طوال القرن 19 وحتى مطلع القرن العشرين معبرين عن تعلقهم بثقافتهم الوطنية ورفضهم الذوبان في ثقافة المحتل، كما أن الحركة الوطنية التي تعتبر امتدادا للمقاومات الشعبية المسلحة الوطنية، "قد برهنت على فهم عميق للمطامع والأهداف الإستعمارية، حين جعلت نضالها منذ البدايات الأولى يمتد بشكل أساسي إلى الميدان الثقافي، وقد اكتسب هذا النضال أشكالا ولكنه كان يلتقي دائما عند غايات واحدة هي التصدي للاعتداءات المتكاملة على شخصية الشعب الجزائري بكل جوانبها الثقافية والدينية واللغوية والحضارية". (مجلة المجاهد، 1981، العدد 1093، صفحة 30)

ولم يقتصر عمل الجمعيات والأحزاب الوطنية لاسيما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري في المقاومة الثقافية الوطنية للاستعمار الفرنسي خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات القرن 20م على الجانب النظري، بل امتد إلى الميدان العملي من خلال إنشاء صحف ومجلات حرة ذات نزعة وطنية، وتأسيس شبكة هامة من المدارس للتعليم العربي الحر (مجلة المجاهد، 1981، العدد 1093، صفحة 30) الذي بذلت الجمعية جهودا مضيئة لترقيته لتحقيق الهدف الوطني المتمثل في دعم الشخصية الوطنية في الفرد وتشكيله عقائديا ومن ثمة تحقيق التماسك الثقافي بين أبناء المجتمع الواحد و"مواجهة الزحف الثقافي الاستعماري المدعم بتخطيط ثقافي تغريبي محكم وبرجال محنكين عقائديا وسياسيا وثقافيا ومهنيين وبوسائل حديثة مغرية من جهة أخرى" (العلوي، 1996، صفحة 18). إضافة إلى تأسيس نوادي وجمعيات ثقافية على غرار نادي الترقى الشهير سنة 1927، وفرق مسرحية ورياضية وبناء المساجد وتفعيل التعليم القرآني وبعث الإهتمام بالتاريخ الوطني و"تنظيم الحركة الكشفية ضمن إطار الإعثناء المطلق بمضامينها التربوية والثقافية" (مجلة المجاهد، 1981، العدد 1093، صفحة 30)

و قد ساهم هذا النشاط الثقافي للحركة الوطنية في تعميق الوعي لدى الجماهير الشعبية بعمق سياسة المستعمر المستهدفة للثقافة الوطنية وتكوين إطارات مناضلة التي ستقوم بدور طلائعي في ثورة أول نوفمبر 1954 التي لم تغفل العمل الثقافي في اهتماماتها ونشاطها الثوري (مجلة المجاهد، 1981، العدد 1093، صفحة 30) فما مظاهر ذلك؟

2- مظاهر اهتمام ثورة التحرير الجزائرية بالثقافة الوطنية:

لم تكن ثورة أول نوفمبر 1954 مجرد صراع عسكري مع المحتل الفرنسي، بل كانت أيضا صراعا حضاريا وثقافيا للتعبير عن الهوية الثقافية والحضارية للشعب الجزائري، مما جعلها، تغلغل بسرعة في أوساط كل الجماهير الشعبية التي انصهرت فيها وتفاعلت مع كل معطياتها الثقافية، والاجتماعية، والسياسية. و أمام محاولات الإستعمار شل الثورة بشتى الطرق والأساليب الدعائية الإعلامية والنفسية إضافة إلى إغراءاته الاجتماعية والمادية الاجتماعية، اهتمت الثورة بهذا المجال الثقافي، حيث صار العمل العسكري جنبا إلى جنب مع العمل الثقافي وإتخاذه كوسيلة فعالة للتوعية والتعبئة الشعبية (مجلة المجاهد، 1981، العدد 1093، الصفحات 30-31)، لدفعها إلى الالتفاف حول الكفاح التحرري الوطني ودعمه ماديا ومعنويا، وهو ما سنوضحه من خلال العنصرين الرئيسيين التاليين

1.2. الثقافة الوطنية في نصوص ومواثيق الثورة التحريرية الجزائرية (الجانب النظري):

تضمن بيان أول نوفمبر 1954 التاريخي "صراحة مميزات الشخصية الجزائرية من دين وتاريخ ولغة وتقاليد، ودعا إلى ضرورة إزالة كل ألوان الهيمنة ومظاهر الإستعمار من أرض الجزائر العربية الإسلامية". (وزني، 1983، صفحة 42).

وبدوره مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 أشار إلى المقومات الثقافية الأساسية للأمة من تاريخ، ولغة واحدة، ودين وعادات، وتحدث أيضا عن الانتماء الحضاري للشعب الجزائري، وأكد أيضا على ضرورة التخلص من الجزائر الفرنسية، والإعتراف بالأمة الجزائرية، ورحب بالشباب الجزائري المثقف الذي التحق بصفوف الثورة، واعتبر موقفهم هذا انعكاس حقيقي لإفلاس سياسة فرنسا التي حاول المحتل توظيفها لخنق الوعي الوطني لدى الشباب المثقف، كما دعا إلى ضرورة الاهتمام بالمثقفين وفتح مجالات العمل الثوري أمام الطلبة والطالبات من سياسية وإدارية وثقافية وصحية واقتصادية (سعد الله، 2007، الصفحات 85-87)

كما أشارت وثيقة المؤتمر إلى دور الإستعمار في اضطهاد اللغة العربية، وفي "تشتيت شمل الأساتذة والطلاب واغتصاب الأوقاف، وانتهاك حرمة الديانة الإسلامية ومسحها". (وزني، 1983، صفحة 42)

كما جاء في الوثيقة أيضا: "أن الجزائريين لم يقبلوا في وقت من الأوقات ((فرنسة)) الجزائر، لاسيما وأن هذه الصفة التي أريد فرضها عليهم لم يمنع الإستعماريين من اعتبارهم غرباء في وطنهم، يحرمون حتى مما يتمتع به الأجانب تحت سمائه من الحرية والتقدير". (مجلة المجاهد، 1981، العدد 205، صفحة 43)

بينما حدد برنامج طرابلس جوان 1962 "ملامح الثقافة الوطنية في الجزائر وخصائصها في ثلاثة أطر هي: كونها ثقافة وطنية، ثورية وعلمية"، فدورها كثقافة وطنية يتمثل في إعطاء اللغة العربية مكانتها الحقيقية "كلغة حضارة تمارس وظيفتها الاجتماعية لإعادة بناء التراث الوطني وإثرائه والتعريف بإنسانيته"، وباعتبارها ثقافة ثورية فهي توظف لتحرير الشعب من مخلفات الاستعمار وتطوير الوعي الثوري، "أما بصفتها ثقافة علمية فهي كذلك في وسائلها وأبعادها التي يجب أن تحدد حسب طابعها العقلاني وتجهيزها التقني وانتشارها المنهجي المعم على كل مستويات المجتمع". كما أشادت وثيقة المؤتمر بدور الشعب الجزائري في التمسك بقيمه الوطنية من خلال كفاحه المستميت مع الاستعمار، وما قام به أيضا من جهود في بناء مدارس حرة دفاعا عن ثقافته، رغم القمع الإستعماري المسلط عليه. (مجلة المجاهد، 1983، العدد 232، صفحة 42)

مما سبق ذكره يتضح أن المسألة الثقافية كانت مطروحة باهتمام من قبل الثورة في كل مراحل مسيرتها، وعالجتها على أنها إحدى مهامها الرئيسية. ولم تكتف الثورة بالاهتمام النظري للجانب الثقافي بل حاولت تجسيده عمليا.

2.2. الجهود العملية للثورة التحريرية الجزائرية في المجال الثقافي:

1.2.2 جهود الثورة التحريرية الجزائرية في تعليم وتنقيف أبنائها:

لم تحد الظروف الاستعمارية القاهرة من تحديات الثورة الجزائرية في المجال التعليمي والثقافي ككل، حيث تمكنت من إنجاز مدارس عادة ما كنت مصنوعة من الخشب والطوب في المناطق المحررة وفي القرى والمداشر والمشاوي البعيدة عن أنظار العدو وفي قلب الغابات لتعليم الأطفال وتنشئتهم على الثقافة العربية الإسلامية، وذلك بتحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم السيرة النبوية واللغة العربية وتاريخ الجزائر وجغرافيتها ومبادئ الحساب وأغاني حماسية

خاصة بالثورة الجزائرية (الحاج لخضر، دون تاريخ، صفحة 128)، ونفس الاهتمام لقيه أطفال اللاجئين بالحدود الشرقية والغربية للجزائر. (مجلة المجاهد، 1956، العدد 44، صفحة 11)، واهتمت أيضا بمحاربة الأمية في أوساط المجاهدين وتثقيفهم بل أجبرتهم على تعلم القراءة والكتابة وحفظ الأناشيد الثورية وتكوينهم عسكريا (أتومي، 2006، صفحة 185)، كما اهتمت الثورة بتعليم وتثقيف المساجين والمعتقلين عن طريق خلايا جهة التحرير الوطني التي تمكنت من تحويل مراكز القمع إلى مراكز للتوعية ونشر التعليم ومحو الأمية، و" أن العملية نجحت في رفع المستوى الثقافي نجاحا منقطع النظير مما أهاج وأغاظ ضباط الشؤون الأهلية حينما باشروا تسيير إدارة المعتقلات إذ اطلعوا على الازدهار الثقافي والتنوير الفكري" (عزوي، 1992، صفحة 53). كما أسندت مهمة تعليم وتثقيف الجماهير الشعبية وتوعيتها وتعبئتها إلى كل من المحافظ السياسي والمجالس الشعبية الثورية التي حلت محل المجالس البلدية الاستعمارية (شيخي، 1977، صفحة 27)، إضافة إلى تكفلها بإرسال بعثات طلابية لمواصلة الدراسة في معاهد الزيتونة والصادقية بتونس وجامع القرويين بالمغرب الأقصى، وجامعات مصر وسوريا والعراق والكويت وحتى بجامعات ومعاهد دول الكتلة الشرقية كالإتحاد السوفييتي والصين الشعبية بهدف تكوين إطارات للثورة وحشد الدعم لصالح الكفاح التحرير الوطني. (بومالي، 2010، صفحة 341)

2.2.2. توظيف الإعلام الثوري كوسيلة للتثقيف والتعبئة:

أدرك قادة الثورة منذ اندلاعها أهمية الإعلام في المعركة التحريرية، وأن ضمان استمرارها ونجاحها مرهون به، سيما وأن العدو وظف ترسانة من الأجهزة الإعلامية المتطورة على مختلف أشكالها لتشويه سمعة الثورة ومن ثمة عزل الشعب عنها، لذلك كان لزاما على الثورة أن تنشئ جهازا إعلاميا جديدا يفند ادعاءات وأكاذيب العدو الباطلة ويعبيء الجماهير الشعبية لخدمة الثورة. (عواطف، 1985، الصفحات 45-48)

وقد اكتفت الثورة في بداية إندلاعها في تبليغ رسالتها التحريرية والتوعية على المنشائير والاتصال الشخصي، ثم أنشأت بداية من سنة 1955 نشرات داخلية إخبارية خاصة بالمناطق الثورية، وبعد ذلك أقدمت على تأسيس وسائل إعلامية ثورية جديدة على رأسها الصحافة المكتوبة، منها المقاومة (1955-1957)، ثم جريدة المجاهد (1956-1962) الناطق الرسمي باسم جهة التحرير الوطني (إحدادن، دون تاريخ، صفحة 125)، إضافة إلى أجهزة إعلامية أخرى أنشأتها الجهة، مثل: الإذاعة الثورية بمدينة الناظور المغربية سنة 1957، والإذاعة الثورية

السرية بالعاصمة سنة 1957 ومكتب الإعلام الخارجي بداية من سنة 1955 بالقاهرة، وأعقبها فتح مكاتب أخرى للإعلام في دمشق وبيروت وجدة وعمان وطرابلس وفي تونس والمغرب سنة 1956، ومكاتب مماثلة عرفت دول أخرى من آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية وشرق إفريقيا، كما تم فتح مكاتب مماثلة في سنة 1958 في كل من إنجلترا والسويد وسويسرا، وتأسيس أيضا وكالة الأنباء الجزائرية بتونس سنة 1961 (عواطف، 1985، الصفحات 56-59)، دون أن ننسى الإعلام الموجه من الخارج، من خلال ما كان يقوم به ممثلو جبهة التحرير الوطني باستغلال وسائل إعلام الدول الصديقة والشقيقة للتعريف بالثورة الجزائرية وأهدافها الحقيقية بتنظيمهم لبرامج إذاعية تحت عنوان ((صوت الجزائر)) باللغة العربية في الرباط وتيطوان وطنجة بالمغرب الأقصى وأيضا في تونس والقاهرة، كما أدت إذاعة صوت العرب القاهرية دورا لا يستهان به في التعريف بالثورة وإحباط دعاية العدو المستهدفة لها ومن ثمة كسب التأييد العربي والدولي للثورة الجزائرية (بومالي، 2010، الصفحات 287-298)

إضافة إلى دوره التوعوي والتعبوي، أدى الإعلام الثوري دورا تنويريا وثقافيا من خلال اطلاعه الجزائريين على مختلف أحداث الثورة وتطوراتها وانتصارات جيش التحرير الوطني والمواقف الدولية المختلفة منها ودور الطلبة والعمال والتجار والمرأة في الثورة وتداعيات حرب التحرير على الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي لفرنسا وقضايا التحرر في أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا) والتشهير بجرائم الاستعمار في الجزائر ومخططاته المستهدفة للهوية الوطنية، كما كانت الصحافة المكتوبة تنشر مواضيع هامة حول الثقافة العربية الإسلامية والتاريخ الوطني وقصائد شعرية سياسية تحريرية لشعراء جزائريين على رأسهم مفدي زكريا شاعر الثورة كما اهتمت بنشر فصول من الأدب التحرري الفيتنامي والصيني. (عواطف، 1985، الصفحات 91-141).

3.2.2. الاهتمام بالمشرح والسينما :

مثل الفن بصفة عامة سلاحا فعالا في المقاومة الوطنية لسياسة المسخ الاستعمارية، وبإندلاع ثورة التحرير ازدادت أهميته ودوره في التوعية والتعبئة والتثقيف، وتعتبر الفرفة الفنية المسرحية الجزائرية ((للهاوة والتمثيل)) من أهم الفرق الفنية التي مثلت الجزائر في مهرجان الشباب العالمي بموسكو 1957 دفاعا عن القضية الجزائرية، التي ضمت في صفوفها فنانون مهاجرين وطلبة جزائريين ورواد فن المسرح على غرار (مصطفى كاتب) و((سيد علي كويرات)) وغيرهما، وعرضت الفرقة مسرحيتين بعنوان ((أحلام فدائي ونحو النور)) عرفت من خلالها

الجمهور السوفياتي بعادات وتقاليد الجزائريين وهويتهم، وعبرت من خلال عملها الفني عن رفض الشعب الجزائري للفرنسة وتمسكه بهويته الثقافية والحضارية، وبعد النجاح الذي لقيته الفرقة اتصلت بجهة التحرير الوطني بالفنان والمناضل ((مصطفى كاتب)) وطلبت منه تشكيل فرقة فنية خاصة بجهة التحرير الوطني تضم فنانين من داخل الجزائر وخارجها وهو ما تحقق في سنة 1958 بتونس ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الفرقة تؤدي دورها الفني والثقافي والتوعوي خدمة للثورة الجزائرية. (الزاوي، 2021، الصفحات 135-139)

أما بالنسبة للسينما الثورية فقد تأسست سنة 1957 وظفت هي الأخرى كسلاح استراتيجي لتوعية الجماهير الشعبية وتعبئتها لخدمة متطلبات الكفاح التحرري الوطني، كما اعتبرت وسيلة للتثقيف والدفاع عن الثقافة الوطنية من خلال الأفلام السينمائية التي كانت تقدمها للجمهور ذات دلالة وأبعاد فكرية سوسيو حضارية، مثل فيلم ((الجزائر أمة)) سنة 1957 وفيلم ((الجزائر تلتهب)) 1958 وفيلم ((بنادق الحرية)) 1961 ودورها أيضا في التشهير بالأعمال الإجرامية للجيش الفرنسي في حق الشعب الجزائري، ومعاناة الأطفال بسبب السياسة الاستعمارية، إضافة إلى دورها في توثيق أحداث الثورة وتطوراتها المختلفة. (الزاوي، 2021، الصفحات 254-265)

-خاتمة:

مما سبق ذكره يتبين أن الثورة التحريرية كانت مدركة عن وعي مكنم الخطر للمحتل الفرنسي في المجال الثقافي باستهدافه التراث الثقافي للشعب الجزائري مسخا وتشويهها لكونه وسيلة تعبير عن الهوية الوطنية، التي ظلت تشكل عقبة كأداء في وجه المشروع الاستعماري الاستيطاني الصليبي، لذلك لم تغفل الثورة مسألة الثقافة الوطنية بل اعتبرت من المسائل الجوهرية التي يجب أن تعطى لها العناية الفائقة، وترجمت ذلك عمليا من خلال المجهودات المضنية التي بذلتها في مجال تعليم وتثقيف أبنائها عامة وأفراد جيش التحرير الوطني خاصة، الذين عانوا من التجهيل والامية الناتجين عن السياسة الاستعمارية، ولعبت دورا كبيرا في الرفع من معنوياتهم ودفعهم إلى التمسك بمقومات ثقافتهم الوطنية، ومنه يمكن القول أن الثورة حملت في طياتها مشروع مجتمع متكامل الجوانب .

قائمة المراجع:

أتومي، جودي، (2006)، العقيد عميروش أمام مفترق الطرق، ترجمة موسى أشرشور، ج 2، بجاية، الجزائر، مكتبة ريم سيدي عيش

إحدادن، زهير، (دون تاريخ)، الصحافة المكتوبة في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية

الزاوي، نبيل، (2021)، دور الفرقة الفنية لجهة التحرير الوطني والسينما الثورية الجزائرية في خدمة الثورة الجزائرية(1954-1962)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة علوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة
بومالي، أحسن، (2010)، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، الجزائر، دارالمعرفة

تركي، رايح، (1970)، "سياسة التربية والتعليم بين عهدين"، مجلة الجيش، العدد 80، نوفمبر، الجزائر.

جريدة المجاهد، (1956)، جريدة المجاهد، العدد 44، 14 جانفي، الجزائر.
شيخي، عبد المجيد، (1977)، "ثورة نوفمبر وتأسيس الشخصية الوطنية" مجلة الجيش، العدد 164:نوفمبر، الجزائر

سعد الله، أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1954)، ج 8، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي

سعد الله، أبو القاسم، (2007)، تاريخ الجزائر الثقافي(1954-1962)، ج 10، الجزائر، دار البصائر

عواطف، عبد الرحمن، (1985)، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية(1954-1962، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،

العلوي، محمد الطيب، (1996)، "التربية بين الأصالة والتغريب"، جريدة السلام، العدد 1385، 21 ماي، الجزائر

العلوي، محمد الطيب، (1996)، "التعليم العربي يتحدى، جريدة السلام"، جريدة السلام، العدد 1389، 26 ماي، الجزائر

العقيد، الحاج لخضر(دون تاريخ)، قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى(مذكرات)، تحرير الطاهر حليس، الجزائر، شركة الشهاب.

عزوي، محمد الطاهر، (1992)، "المعتقلات في السجون ودور ضباط الشؤون الأهلية في الحرب النفسية داخل المعتقلات أثناء الثورة التحريرية الكبرى"، مجلة أول نوفمبر،

العددان 138-139، الجزائر

مجلة الجيش، (1981)، العدد 205، أفريل، الجزائر، ص 43

ناصر، محمد، (2007)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

هلال، عمار، (1981)، "مقومات الثقافة الجزائرية والإستعمار الفرنسي"، مجلة الجيش، العدد 209، أوت، الجزائر، ص 45

هلال، عمار، (1981)، "تشبث الجزائريين بثقافتهم ولغتهم العريبتين عبر العصور عامة وخلال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة"، مجلة الجيش، العدد 198، سبتمبر، الجزائر، ص ص 52-53

وزني، مبارك، (1983)، "مسألة الثقافة من خلال النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني"، مجلة الجيش العدد 232، جويلية، الجزائر.

الأبعاد الاقتصادية للثورة الجزائرية من خلال مصادرها التوثيقية المذكرات الشخصية
أُ نموذجًا (1954-1962م)

The economic dimensions of the Algerian revolution through its documentary
sources, personal notes as a model (1954-1962)

سنوسي فيصل¹، بوضياف خديجة²

¹ جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان- (الجزائر)، fayssal.snouci@univ-tlemcen.dz

² جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان- (الجزائر)، khadidjafaiza00@gmail.com

1. مقدمة:

يُعد الجانب الاقتصادي من الميادين الهامة في حياة الشعوب و الأمم، فهو أساس تطورها و رقيها الحضاري، و مما لا شك فيه نشأة معظم الحضارات على روافد هذا القطاع من زراعة، صناعة و تجارة، و لقد مرّ تاريخ الجزائر الاقتصادي بمحطات معلّمة هامة من القديم إلى الحديث مرورًا بالوسيط أرّخ لها العديد من شاهدي العيان و المؤرخين المتأخرين، إضافة إلى الفترة المعاصرة و التي سنتوقف عندها عامة و عند تاريخ الثورة التحريرية (1954-1962م) خاصة، حيث شهدت تحولات عديدة تعود بداياتها إلى فترة الاحتلال من خلال سيطرة فرنسا و المستوطنين على القطاع. مقابل تجريد الجزائريين من ممتلكاتهم و أراضيهم و عملت على إفقار الأهالي و تبعيتهم فيه من خلال عملهم كمزارعين و عمال لدى سلطات العدو. امتد هذا الوضع إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية و التي شهدت تسخير فرنسا كلّ إمكانيات الجزائر البشرية، الطبيعية و الاقتصادية لصالحها ضد ألمانيا بدأت بمصادرة الأراضي، تصدير المنتوجات الزراعية و الصناعية إلى ميادين المعارك و هو ما انعكس سلبيًا على السكان، بانتشار الفقر، الجوع، الأمراض و الأوبئة... الخ، لكن آمال الشعب التي كان يحذوها انتصار فرنسا في الحرب و من ثمّ الإيفاء بوعدها في استقلال الجزائر غطى تلك الأوضاع المزرية، لكن الواقع فيما بعد أثبت عكس ذلك بارتكاب فرنسا مجازر الثامن ماي 1945م، و مواصلة لسياستها الاقتصادية الرامية للقضاء على الجزائريين. رغم بعض الإصلاحات و الإغراءات التي تلت المجازر و سبقت الثورة.

ومع ثورة الفاتح من نوفمبر المجيد ضاعفت فرنسا قواتها العسكرية و عززت من ذلك سياستها الاقتصادية المُعتادة انتقامًا من الشعب الداعم للثوار. و خلال دراستنا للموضوع و

نظرا لتشعبه عبر الوطن اخترنا الولاية الثانية مع بعض المناطق التاريخية كنماذج من الدراسة ولدى الوقوف عند المذكرات الشخصية كأحد مصادر كتابة تاريخ الثورة لاحظنا ثراء المحتوى بالأبعاد الحضارية، حيث كتب المجاهدون الذين عاصروا الأحداث جل يومياتهم بداية بالأحداث السياسية والعسكرية، و تناولوا الجوانب الثقافية، كالدين وكذا الجوانب الإقتصادية كالزراعة، التجارة و المال وغيرها فقد شكلت هذه الجوانب جزءاً هاماً من حياة الثوار في الجبال والقادة السياسيين في الأحزاب والمحافل الدولية.

و لمواءمة الموضوع الإقتصادي مع الدراسة التاريخية استخدمنا المنهج الوصفي، السردى للميادين الإقتصادية الزراعة، الصناعة والتجارة من خلال الوقوف على واقعها إبان الثورة و موقف الثورة والإستعمار منها، و خلال دراستنا طرحنا جملة من الإشكاليات منها ما هو رئيسي مثل: ما هي الجوانب الإقتصادية الواردة في المذكرات الشخصية؟، و منها ما هو فرعي على غرار: كيف تم نقل القطاعات الإقتصادية في مصادر تاريخ الثورة؟، ما دور هذه الجوانب في إثراء الرصيد التاريخي للثورة؟.

2. المذكرات الشخصية كمصدر توثيقي للإقتصاد الجزائري خلال الثورة التحريرية

1.2 تعريف المذكرات الشخصية:

تتعدد المفاهيم والمصطلحات التي تقع في دائرة المذكرات والشهادات الشخصية وحقل السير الذاتية تعددًا يحيل إلى التشابك تارةً والتشابه تارةً أخرى فمثلاً نجد العديد من المفاهيم التي تقع في حيز المذكرات والكتابات الشخصية كتاريخ الحياة، سيرة الآخر، قصة حياة، الكتابة الذاتية، الكتابة الشخصية، تاريخ حياتي والشهادات الحية، الاستجابات الصحفية و اليوميات الشخصية والكتابة التسجيلية إضافة إلى الشهادات المكتوبة، الشهادات الشخصية، الرواية الشفوية وغيرها من التعبيرات التي تنتمي إلى أجناس أدبية مختلفة. الأمر الذي يلزمنا القيام بتحديد واضح لمفهوم المذكرات والشهادات الشخصية وهما مصطلحان للدلالة على المذكرات الشخصية التي يدونها صاحبها غالباً. (قدارة، 2017، ص81).

لغة:

المذكرات الشخصية هي المصطلحات الأكثر شيوعاً ونجد أيضاً ما يرادفها كالشهادات الشخصية التي يُقصد بها الشهادات المبرمجة من حيث أسئلتها هدفها وموضوعها الاستجواب ونُشرت للعموم، كما يمكن أن نجد الشهادات الشعبية التي يكون فيها الشاهد أكثر من شخص أو شهادة مجموعة من المجاهدين، السياسيين، النخب أو طائفة عاشت الحدث عن

قرب (نفسه، ص 81)، لقد وجدنا أن هناك تشابه بين المذكرات الشخصية والسير الذاتية لذلك قمنا بإدراجهما ضمن مطلب واحد نظرا لتداخل المصطلحات والمفاهيم، وتعتمد المذكرات والشهادات بالدرجة الأولى على الذاكرة أو كما تسمى بالحافضة أي القدرة على حفظ الذكريات التي كانت وقائع أو أحداثاً أو أخباراً واستعمالها بالاستذكار والاسترجاع للمعلومات المخزنة والمحفوظ بها. (أحمد خليل، 1996م، ص 23).

اصطلاحاً:

و من حيث الاصطلاح تعني المذكرة Mémoire - Mémorandum كتاب السيرة الذاتية، و بإيجاز يُقال (Mémo) أي مذكرة أو رسالة موجزة وفي ذكر (Mémoire de A la)، وصاحب و كاتب المذكرة (Mémorialiste)¹. (بلوفة، دون تاريخ، ص 106). و عليه يمكن القول أن المذكرات الشخصية هي عبارة عن شهادات كتبها مجاهدون، سياسيون، مفكرون وعلماء عاشوا أحداثاً زمنية معينة، وقاموا بتسجيل ما عاصروه أو شاهدوه أو تمت روايته لهم من شاعدي عيان آخرين سواء كان وقت التدوين حالة حدوثها أو بعد مدة زمنية معينة، وتحتوي هذه المصادر على أحداث، وقائع، وثائق، رسائل، و مواقف من قضايا عصر الشاهد وآراء حولها، وهي مفيدة في كتابة التاريخ خاصة المعاصر منه، كما تحتوي على بعض النقائص منها ذاتية المؤلف باعتبارها كتابة شخصية فردية. و ما يجب أن نلفت له الانتباه هو أن الجوانب الإقتصادية و المالية لم تتأثر بهذه العوامل عكس الحقائق السياسية و العسكرية.

2.2 الزراعة خلال الثورة ورد فعل الإستعمار:

شارك الجزائريون في هذا النشاط خلال الثورة بكل أشكاله كفلاحين وخماسة وعمال زراعيين لإيمانهم بأن إنتاج الأرض والإصلاح الزراعي هو طرد للمستعمر في حد ذاته. (كافي، 1999م، ص 15). و قد كانت معظم أراضي الولاية الثانية زراعية معوجود سهول، حقول، مزارع، أراضي خصبة، بساتين مثلاً بمسقط رأس الشاذلي (ولايتي الطارف و عنابة حالياً) حيث كانت عائلته تمارس النشاط الفلاحي (بن جديد، 2011م، ص 22، 21 ص 36) و من أهم المحاصيل التي كانت تُزرع آنذاك في سهل عنابة: الكاكاو، القمح، الشعير، التبغ، الحبوب الجافة، الخضر، ... الخ.

كما تحدّث المجاهد سالم جيليانو. في مذكراته عن عديد الجوانب الزراعيّة، ومما ذكره في بداية المذكرات جذوره الإيطالية حيث كان جدّه من المهاجرين الإيطاليين الذين قدموا إلى الجزائر في إطار حملات الإستيطان التي باشرتها فرنسا منذ الإحتلال، وقد اشتغل بالزراعة

حيث كان يمتلك مزرعة بعنابة (تابليت، دون تاريخ، ص11) وكانت هذه المزارع في سهول عنابة تستعمل فيها زراعات معاشية لكفاية الحاجات الضرورية لعائلة المجاهد من قمح وشعير. وممّا يُنْبِت قساوة المعيشة للأهالي الجزائريين بالمنطقة وغيرها من المناطق الأخرى، قِلّة المؤونة والظّروف المادية الصّعبة (نفسه، ص14، 13 ص19) حيث كان الجزائريون يَأْجرون أراضي الكولون و يقومون بزراعتها مثل زراعة التّبغ، الزّيتون، مع اعتماد بعض النشاطات الفلاحية كترية النّحل (نفسه، ص26)، تربية الماعز، الأبقار والأغنام يُستفاد من لبنها وحليبها، إضافة إلى نقل السّلاح عليها. (نفسه، ص142)

كان القمح أكثر المواد فلاحية في مجال الزّراعة يستفيد منها الثّوار، فقد كانوا يقومون بتخزينها في باطن الأرض، و مما لوحظ في مذكرات المجاهد جيليانو أنّ معظم الصور والملاحق التي أدرجها صور لمناطق فلاحية زراعية.

وممّا أكّدّه المجاهد الجودي لخضر(الجودي، 2007م، ص18، ص53) على انتشار النّشاط الفلاحي والزّراعي في السّهول وفرة الإنتاج في المحاصيل واستعمالها في صناعة المواد الغذائية، وقد التجأ إليها المجاهدون كبديل للجبال، وأصبحت مصدر رزقهم وقوتهم وتزوّدهم بالحبوب واللّحوم وحتّى الأموال، و من أمثلة ذلك وفرة المزارع في سكيكدة وقسنطينة على منتج البرتقال، الزّيتون و الفول في فصل الرّبيع. (نفسه، ص57، 56، ص61) معكثرة المشاتي الغنيّة بالأشجار المثمرة التي تغذيها الينابيع، إضافة إلى الخضر، كان ذلك ناتج عن الإستغلال الحسن للجزائريين للأرض، حتى أن بعض المناطق كانت تعيش حالة اقتصادية جيّدة نسبياً و غنيّة بالخضر والفواكه، إضافة إلى وقوع المتاجر بالقرب منها. ويعود ذلك إلى طبيعة منطقة سكيكدة السّهلية، رغم حيازة الكولون. لمعظم المناطق و ممّا دَعَم القطاع انتشار تربية الحيوانات في منطقة الحروش و تمالوس حيث حوّت أعداداً كبيرة من رؤوس البقر والغنم. (نفسه، ص121)، تُستخدم في الغذاء كما أشرنا سابقاً وعليه يمكن القول أن المنطقة كانت غنية بمصادر الرّزق تُدِرُّ أموالاً ساهمت في جلب السّلاح وتموين الثّورة.

حملت مذكرات المجاهد إبراهيم رأس العين، هي الأخرى أبعاداً زراعية متنوعة، أوّلها سرّ تسمية المجاهد برأس العين، حيث أن إسم العائلة مأخوذ من تسمية قطعة أرض امتلكها أحد أجداد المجاهد، ورأس العين تعني المنطقة أعلى الأرض. وقد كانت العائلة لا تملك مصدراً للرّزق سوى عائدات زراعة الأرض الموجودة بمنطقة فرجوة من حبوب التي لم تكن تكفي العائلة (رأس العين، 2011، ص05، 06)، مع وجود حقول للبطيخ بمنطقة ميلة، يقوم

المجاهدون بحراستها وعند جني المحصول يقومون بالبيع في حافة الطريق. معظم هذه الأراضي تقع جنوب الناحية الثالثة (جنوب ميله، شمال سطيف)، ولكثرة المساحات التي تزرع فيها الحبوب لطبيعتها التضاريسية (الهضاب). ومع وفرة الإنتاج في بعض المواسم كانت الناحية الثالثة تموّن مراكز الثورة بالنّاحية الثانية، لطبيعة هذه الأخيرة الغابية الجبلية غير الملائمة لإنتاج الحبوب (نفسه، ص19، ص49)

سياسة الثورة اتجاه القطاع:

يذكر المجاهد علي كافي في مذكراته أن الريف هو المصدر الأساسي لرزق الجزائريين خلال فترة الثورة، والدليل على ذلك تسليط فرنسا سياستها الإستعمارية على الأرض من خلال سياسة "الأرض المحروقة"، فقابلت الثورة ذلك بالتشجيع على خدمة الأرض وإقامة الزراعات، الإهتمام بالثروة الحيوانية والإستثمار في الأرض. (كافي، ص195)، كما كانت الثورة تعمل على تخريب مزارع المعمرين كونها الأخرى هي المصدر الرئيسي في تموينهم و تموين القوات الإستعمارية وتتم العملية عن طريق حرق المحاصيل، المخازن والإستبطلات، وتجريد الكولون من ممتلكاتهم الزراعية كالحيوانات (الأبقار، الخيل...)، وكان الغرض منه ضرب الإقتصاد الفرنسي وإضعاف المستوطنين إقتصاديًا وإجبارهم على الرحيل إلى المدن وتسليم المزارع إلى القوات العسكرية، ليتحول منها إلى ثكنات، ففي منطقة عنابة وحدها في بن مهيدي حوّلت ثمان مزارع إلى ثكنات. (عمر تابلت، ص91،90)، واستهدفت الولاية الثانية في مجموع عملياتها العسكرية مزارع الفرنسيين وعتادهم الفلاحي. (كافي، ص154)،

ويروي المجاهد إبراهيم رأس العين أن العمليات العسكرية التي جرت بالنّاحية الثالثة، المنطقة الأولى، الولاية الثانية ألحقت خسائر كبيرة بالعدو خاصّة في الميدان الإقتصادي، ويذكر أن تمّ حرق ممتلكات زراعية كبيرة للمعمرين، وغنم أرزاق عديدة كالأغنام والأبقار، وقد وصل عدد تلك العمليات إلى حوالي 55 عملية. ويُضيف أنّه في واحدة منها فقط تمّ غنم ما يعادل 300 رأس من الأغنام وعدد من الأبقار الحلوب، وتم تقسيمها على المراكز الثورية، ومنح عدد منها للسكان للإستفادة من حليبها، ومع تخريب المزارع والمحاصيل كان يعمل الثوار على تحطيم وتعطيل معدّات الحرث والحصاد. وكان انتقام السّلطات الفرنسية قاسيًا، حيث قامت بتعذيب المواطنين، مصادرة أرزاقهم وحوائجهم. (رأس العين، ص68، ص80)،

نتيجة تضيق السّلات الإستعمارية على المنطقة وقلّة و تراجع مصادر التّموين و انعدامه أحياناً تعرضت منطقة سوق أهراس لأزمة إقتصادية خانقة، لذلك عملت على استغلال مواردها الطبيعية (أشجار الفلين) حيث قامت بقطعه ونقله إلى تونس بدعم عسكري وبيعه في نقاط متعددة بإشراف المناضل "الصّادق بوراوي"، وقد استطاعت المنطقة تجاوز أزمته وتحسنت أوضاعها المعيشية (بن جديد، ص 90، 89)

قرارات الصومام الزراعيّة:

سبق و أن ذكرنا أن القطاع الزراعي أكثر قطاع ساهم في الثورة، والدليل على ذلك مؤتمر الصومام الذي أعطاه أولوية واضحة من أجل الإهتمام بالقطاع والنهوض به لما له من دفعة قوية للثورة ومحيطها. (كافي، ص 15) و من القرارات على سبيل المثال لا الحصر إرسال عمارة بوقلاز قائد القاعدة العسكرية الشرقية تقريراً اقتصادياً للصومام خاص بمنطقة سوق أهراس وحدها. (بن جديد، ص 86) كما قرر المؤتمر الاعتراف بالفلاح كرافد أساسي للثورة، والتطلع للاهتمام به. (كافي، ص 132، 131) و مساعدة ناحية سوق أهراس بعد تفاقم أزمته بعد 1956م. كما تناول اجتماع العقدة إصلاحات متعلقة بنظام الأراضي المحررة، والإصلاح الزراعي. (كافي، ص 320)

شجعت الثّورة على خدمة الأرض وإقامة الزّراعات و تنمية الثّروة الحيوانية و استثمار الأراضي، كما أنشأت تعاونيات فلاحية في بعض المناطق، تضم أملاك الجزائريين التي حُرِموا منها إما مصادرةً أو تهجيراً، مثل تعاونيات الأشجار المثمرة لدعم الثّورة شعباً وجيشاً (كافي، ص 195) و تدعّمت من منتوج أراضي المعمرين و ملاك الأراضي الأجانب كالإيطاليين والإسبان. (كافي، ص 242)

وما يؤكّد اهتمام الثورة بالمجال الفلاحي إدراجه ضمن وثيقة "القضايا النظامية والتعليمات المتعلقة بالولاية الثانية"، حيث جاء فيها: أن يكون الاهتمام بالفلاحة وتربية الحيوانات وضرورة الإستفادة من حاجيات المعمرين من أراضي وآلات (كافي، ص 375)

رد فعل فرنسا:

شكّل هذا القطاع مورداً أساسياً في البقاء لدى الفرنسيين و عملوا على استغلال كل جزئياته منذ 1830م. واشتد استنزافه لخدمة مصالحها أثناء نزول الحلفاء في شمال إفريقيا نوفمبر 1942م. في إطار الحرب العالمية الثّانية، فقد عاشت الجزائر غداًها أوضاع اقتصادية مزرية، فقلّت المواد الغذائية والمحاصيل صُودرت المواشي، و نفذ مخزون الحبوب للفلاحين.

وذلك بعد تسخيرها للجنود الإنجليز والأمريكيين، وبعد مجازر الثامن ماي استكملت فرنسا مصادرة بقية أراضي الجزائريين، وتسببت في هلاك المحاصيل ممّا أدّى إلى النزوح الريفي. (بن جديد، ص 39، ص 46، 47) كما نهب المعمرين هم الآخرين الأراضي، وتم تشييت وابتزاز الأعراش التي كانت مجتمعات فلاحية بامتياز، إضافة إلى استغلال الفلاحين استغلالاً بشع. (بن جديد، ص 52) واجتهدت في القضاء على الثروة الحيوانية، حرقت المزارع والغابات بالنابالم، مع التدمير الكلي للقرى. (كافي، ص 370) ويُضيف الشاذلي أن فرنسا سلبت الجزائريين أراضيهم عامة، ونهبت الخصبة منها خاصة. (بن جديد، ص 15، ص 26)

كانت معظم الأراضي الجزائرية عبارة عن مشاتي والمصدر الأساسي لعيش الأهالي وجيش التحرير الوطني، لذلك كان العدو حريصاً على إتلافها والقضاء عليها، ومنها ما تمّ في الولاية الثانية، حيث كانت تُقتل الحيوانات مثل البقر والماعز، تُبعثُ المُن كالبزيتون الحبوب والدقيق، مُخلفَةً وراءها في أكثر من مرة حسرةً وجوعاً في الأسر الجزائرية (القسنطينية- السّكيكديّة) إضافة إلى القضاء على الغابات، المحاصيل. وكان يلاحظ ذلك المجاهدين ذلك في طريقهم ومناطق عبورهم في تراب الولاية تلك السّياسة الظالمة القائمة على السّلب تطبيقاً لمخطط شال. (الجوي، ص 62، ص 155) كل هذا أدى إلى اتساع الهوة الاقتصادية بين الجزائريين والفرنسيين. (بن جديد، ص 15، ص 26، ص 37) وانعكس سلبيّاً وسط انتشار البطالة وكثرة التّسول وسط الفلاحين خلال الثورة في مدينة قسنطينة وغيرها. (كافي، ص 240)

3. الصناعة والتجارة خلال فترة الثورة من خلال المذكرات الشخصية

1.3 سياسة الثورة الصناعية ورد فعل الإستعمار

كانقطاعاً هاماً في الحياة اليومية للجزائريين رغم استحواذ المعمرين عليه، وكان الجزائريون يعملون لديهم، في الشّركات، المناجم، المصانع، ومن بين هذه الشّركات في عنابة شركة الأصناف (تابليت، ص 31) والشّركات الفرنسية التي تُوظّف اليد العاملة الجزائرية والأوروبية. مثل شركة تاباكوب Tabac cop 1951م المختصة في التّبغ والكروم في السّهول الشّمالية الشّرقية بالطّارف وعنابة. غير أنّها تحاول منع الجزائريين بأي الطرق من الإستفادة من القطاع فمثلاً كانت هذه الشركة كانت تمارس ضغوطاً على الفلاحين ببيع محاصيل هذه المناطق الزراعية بثمن زهيد. (بن جديد، ص 54)

وقد كانت فرنسا تستفيد كثيرًا من القطاع الصناعي عكس الجزائريين فأثناء مصادقتها على مشروع الأسلاك الشائكة التي كانت تُصنع في فرنسا استفاد وزير الدفاع أندري موريس صاحب الخط المكهرب من مشروع بيع الأسلاك الشائكة التي كان ينتجها في مصنعه ماليًا، في حين انعكس القطاع على الأهالي خلافًا لذلك، حيث أنّ معظمهم كانوا يعملون في إنشاء تلك الخطوط على الحدود التونسية والمغربية بأجر زهيد و ساعات إضافية كما ساهموا تحت قوة التهديد في نقل الفحم عبر سكة عناية - تبسة. ويُضطرون أحيانًا في المحتشدات لطلب رخصة للذهاب للعمل بُغية الحصول على المؤونة.(بن جديد، ص110 - ص114)

سياسة الثورة اتجاه الصناعة:

أعلنت الثورة بعد هجومات 1955/08/20 م منع إنتاج، بيع وشراء التبغ والشّمة، وشمل القرار مقاطعة جل المصانع المنتجة لها مثل: مصنع بن شيكو، بن معطي، شركة الباسطوس، مع فرض دفع الاشتراكات على السكان، حيث كانت بمثابة حرب اقتصادية على العدو. (كافي، ص116) ومن بين أهم التوجهات التي أوصى بها المجلس الوطني للثورة بعد مؤتمر الصومام العمل على قدم وساق من أجل تمكين الشعب الجزائري من تسيير واستغلال ثروات البلاد والتمتع بها. (كافي، ص17) كما تطرق اجتماع العقدة لمشاكل مالية اقتصادية مثل: مشكلة الشركات الاقتصادية، أطماع العدو في الصحراء، الكراء، الميزانية الوطنية، و غيرها. (كافي، ص318)

سياسة فرنسا اتجاه الصناعة:

من أهم ردود الأفعال الفرنسية على القطاع و تسييره و ضمن السياسة الإغرائية لامتناس غضب و حرارة الشعب الجزائريين و المجاهدين إصدار مشروع قسنطينة في 23 أكتوبر 1958م عبارة عن مخطط خماسي يهدف إلى تحويل الجزائر من دولة متخلفة إلى مُصنعة، عبر استحداث 400 ألف منصب شغل، توزيع أراضي للفلاحين، بناء ألف قرية. (كافي، ص152) وورد في أحد الفصول الخاصة بالميزانية ضرورة البحث في المحروقات ولقد خصّصت السلطات الإستعمارية للمشروع ما يعادل 40 مليون فرنك، حيث وجدت أن هناك مؤشرات تؤكد توفر كميات هائلة من البترول والغاز الطبيعي، فقررت التركيز على التنقيب عن البترول والغاز الطبيعي خاصة وأنها كانت تعتبره ثروة المستقبل في الجزائر، وقد تحدّث عن ذلك ديغول شخصيًا. و جاء في شهادات فارس عبد الرحمن أن الصحراء الجزائرية كانت

غنية بالثروات والمعادن وقد أبدت الحكومة عزمها على بدء التنقيب مع إشراك الجزائريين من مختلف المناطق في ذلك. (فارس، 2007م، ص 60) هذا بالإضافة إلى الحصول على ثروات أخرى قامت باستغلالها منها الفحم. (بن جديد، ص 111)

2.3 القطاع التجاري وأنواعه خلال فترة الثورة:

كان القطاع التجاري المصدر الأساسي في الحصول على الأموال خلال الثورة بالولاية الثانية. (كافي، ص 229) وقد تناولت مذكرات عبد الرحمن فارس التجارة في عديد المواضيع غير أن في معظمها كان النشاط محصوراً في النفوذ الإستعماري، حيث نشطت الشركات الصناعية والتجارية الفرنسية. (فارس، ص 38) ويمكن وصف النشاط التجاري والأسواق في الجزائر خلال الثورة التحريرية في نوعين وهما:

التجارة الداخلية:

عمل الجزائريون فيها عن طريق الدكاكين (تابليت، ص 33)، وقد شجعت الثورة على إقامتها مع أسواق عديدة في بعض المناطق الجبلية هدفها تموين الثورة. (كافي، ص 195) أما الأسواق في المدن فكانت برعاية الفرنسيين وتخضع للرقابة صارمة. (تابليت، ص 91) وفتحت دكاكين خاصة بالمواد الغذائية، وكانت تُمَوِّن مراكز الثورة بما تحتاجه من سلع ومواد وكان ثمن فتحها أحياناً يُقدر بـ 200 ألف فرنك. (رأس العين، ص 99) إضافة إلى أسواق أسبوعية منها سوق فجّ مزالة الذي كان يُقام يوم الجمعة، ويقصده العديد من المناطق المجاورة. (رأس العين، ص 19) وسوق الحروش الأكبر في المنطقة، يأتيه الناس من أماكن مختلفة. (كافي، ص 39) بمن فيهم الضباط الفرنسيين فقد ارتادوا الأسواق الجزائرية الأسبوعية. (بن جديد، ص 103) وفي الولاية الثانية تُعد مدينة عنابة من أكثر المدن نشاطاً تجارياً خلال الثورة التحريرية. بها أسواق ودكاكين عديدة في مدن: بن مهيدي، بلاندان للمواشي والبقول ... (بن جديد، ص 51، 50 ص 103)

التجارة الخارجية:

اقتصرت بالأساس على بيع وشراء السلاح والذخيرة وكان عمارة بوقلاز يدير سوق "جباب الله" المتخصصة في بيع الأدوات. وأثناء الثورة انتقل شخصياً إلى تونس لتوفير المال، تمكن من شراء الأسلحة من التبرعات التي جمعها هناك، كما اتصل بالبعثة الخارجية لتدعيمه بالمال والسلاح. غير أنها اشترطت أن تكون تكاليف نقله تحت مسؤولية أعضاء الثورة

بعنابة. ونجح فيما بعد بوقلاز في بيع حمولة باخرتين من الفلين لإيطاليا. وتم بيعه أيضا لشركات تونسية. (بن جديد، ص72، ص74، ص90)

سياسة الثورة اتجاه القطاع التجاري:

الإضرابات: نتيجة التماطل الفرنسي، ورفضه تدويل القضية الجزائرية في محافل هيئة الأمم المتحدة، دعى مسؤولو الثورة للتحضير لإضراب الثمانية أيام الذي امتد من 28 جانفي إلى 4 فيفري 1957م، حيث دعت الثورة إلى إضراب عام ومقاطعة الإستعمار، وقد كانت درجة الإستجابة كبيرة، حيث عمل الجزائريون على تخزين المواد الإستهلاكية قبل الإضراب. أما المجاهدون المسجونون فكانوا ينظمون إضرابات عن الطعام ليضطر العدو للإفراج عنهم. (رأس العين، ص44، ص124)

4. خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق أن:

- المذكرات الشخصية من المصادر التاريخية الهامة في تدوين تاريخ الثورة لما تحتويه من وقائع وأحداث متنوعة.
- لم تقتصر المذكرات الشخصية على الجوانب السياسية والعسكرية، حيث جاء بها أبعاد ثقافية وأخرى إقتصادية.
- من بين الأنشطة الإقتصادية الواردة في المذكرات الشخصية الزراعة، الصناعة، و التجارة.
- كانت الزراعة أكثر الأنشطة مزاولاً ومصدراً هاماً للمال والتموين. وذلك لتوفر العوامل الطبيعية والبشرية بنسبة أقل.
- سيطرة فرنسا على الصناعة واحتكارها وتوجيهها وفق ما يخدم مصالحها ومصالح الكولون.
- التنظيم الثوري بواسطة مؤسسات مختلفة مكن الثورة من الاستفادة من ثروات الجزائر والحصول على أموال منها.
- قلة النشاط التجاري للرقابة الاستعمارية وانعدام رؤوس الأموال مع ضعف في العرض والطلب كون القطاع عرف سيطرة المعمرين.
- ضرورة حث وتشجيع تدوين الجاهدين لمذكراتهم الشخصية.
- الاستفادة من القضايا الإقتصادية الواردة في المذكرات الشخصية لخلوها من الذاتية.

5. قائمة المراجع:

- أحمد خليل خليل، (1996م)، معجم مفاهيم علم الاجتماع، لبنان، معهد الإنماء العربي.
- كافي علي، (1999م)، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946-1962)، الجزائر، دار القصة.
- بن جديد الشاذلي، (2011م)، مذكرات ملامح الحياة، الجزء الأول، الجزائر، دار القصة.
- عمر تابليت، (دون تاريخ)، مذكرات الضابط سالم جيليانو (1930-1962م)، الجزائر، دار الأملية للنشر.
- لخضر الجودي بوالطمين، (2011م)، مذكرات مجاهد من بغداد إلى الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال.
- رأس العين إبراهيم، (2011م)، مذكرات إبراهيم رأس العين من مقعد الدراسة بتونس إلى ملحمة الثورة بالجزائر، الجزائر، دار الهدى، الجزائر.
- فارس عبد الرحمن، (2007م)، الحقيقة المرة مذكرات سياسية (1945-1965م)، الجزائر، دار القصة.
- قدارة فاتح رجب، (2017م)، التاريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية الأهمية و المحاذير البحثية الحالة الليبية أنموذجاً، مجلة سطور، العدد 06، ص81.
- جيلالي بلوفة عبد القادر، (العدد التجريبي)، قيمة المذكرات الشخصية في الكتابات التاريخية، مجلة الإنسان و المجتمع، العدد 00، ص106.

الثورة التحريرية الجزائرية

من منظور الأدب والفنون

رموز الثورات الجزائرية من منظور الفن التشكيلي الجزائري والغربي: دراسة على تمثيلات
صورة الأمير عبد القادر الجزائري في اللوحات الفنية

Symbols of the Algerian revolutions from the perspective of Algerian and
Western plastic art: a study on the representations of the image of Emir
Abdelkader Al-Jazaery in artistic paintings

بوخاري سمية¹ ، بشلاغم يحيى² ،

¹ جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر، كلية الآداب واللغات الأجنبية 'قسم الفنون'،

soumi.bou13@gmail.com

² جامعة قرطاج - تونس - ، المدرسة العليا للسمعي البصري والسينما - قمرت -،

yahiabechlaghem@hotmail.com

1. مقدمة:

من خلال هذا العمل وكتوطنة لعرضي تم تسليط الضوء على شخصية الأمير عبد القادر الذي يعد من الشخصيات التاريخية والفكرية التي استقطبت ومازالت تستقطب اهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين سواء على المستوى الوطني أو الدولي، وذلك من خلال الأعمال الفنية التشكيلية التي اتخذت من شخصه موضوعا لها. ذلك أن مداليل الصورة تتعدد بتعدد النيات وتعدد المتلقين لها، وتوظيف الشخصيات في الأعمال الفنية، سلاح ذو حدين إذ يمكن أن يتكفل ذلك التوظيف بتدعيم روح الانتماء والتشبث بالأصالة واحترام الموروث، كما يمكن أن يصير أداة لتسريب الشك والاحتقار لهذا الموروث وتدنيسه. وإن النظرة الغربية وخاصة الفرنسية كانت في معظم الأحيان مظلمة، وهذا الجهل بالآخر اعتبره سوء النية في كثير من الأحيان، ولم تكن مصادفة إلحاق الشرقي الصور السلبية على غرار التسلط والتخلف والجهل والتعصب. فالصورة في مجملها حقل خصب غني بالدلالات والمعاني الكامنة التي تحتاج إلى من يسلط الضوء عليها ويكشفها، وهذا ما يبرر لنا مشروعية البحث في الرسالة البصرية، من أجل الكشف عن أبعادها الرمزية والثقافية والإيديولوجية. هذا وقد وجدنا أنفسنا منقادين منهجيا إلى صياغة التساؤل الآتي:

✓ هل توافقت الصورة الممنوحة للأمير عبد القادر والمنظور الثقافي الإسلامي؟ وهل استند الفنانون في أعمالهم على المادة التاريخية؟

1.1 الفرضيات: للإجابة عن هذه التساؤلات ندرج مبدئياً الفرضيات التالية :

✓ أن هذه الأعمال الفنية صارت سلاحاً ذا حدين إذ تحفظ جزءاً مهماً من ذاكرة الشعب من جهة كما ينتاب بعضها اللبس والتزييف من جهة أخرى، فهي إعادة بناء للآخر وفقاً لتصور والمصلحة.

✓ أن الصورة تصوّر فردي أو جماعي تدخل فيه عوامل ثقافية وشعورية، موضوعية وذاتية، إذ تتكون الصورة من خلال عوامل الاحتكاك والتبادل والتأثير والتأثر.

2.1 منهج البحث: تمثل هذه الدراسة إطاراً نظرياً منهجياً لقراءة الصورة الفنية بأسلوب مسحي وتحليلي، وهو الأسلوب الأقرب لطبيعة المادة تماشياً مع هدف الدراسة، واستشراف البائن والمأمول من فعلها الإيحائي.

3.1 عينة البحث: نظراً لسعة مجتمع البحث، ارتأينا تناول هذا الفن عند أبرز الفنانين على المستوى الوطني والغربي خاصة منهم المستشرقون وذلك بين الحقيقة والتضليل. مشيرين في الوقت ذاته إلى أن اختيارنا لهذه اللوحات بالذات لم يكن اعتباطياً، بل هو مبني على عدة اعتبارات أهمها:

■ أن هناك الصورة التي قدّمها الفنان العربي بشكل عام، والجزائري بشكل خاص عن الأمير عبد القادر باعتباره رمزا من الرموز التاريخية.

■ كما نشير إلى أن الاستشراق شكل تياراً أساسياً داخل الحركة الفنية التشكيلية الفرنسية، وأن الفنانين المستشرقين لم يشكّلوا وحدة متجانسة في الرؤية السياسية والاجتماعية، فهناك من أيد مبدأ حرية الشعوب والعدالة الاجتماعية كـ: 'بايرون'، 'ديلاكروا'، وهناك من أظهر الدعم للسياسة الاستعمارية على غرار: لامارتين، 'فيرنيمهوراس'.. وغيرهم، حيث أكّدت أعمالهم وجهة نظر المستعمر التي تمجّد الجيش الفرنسي، وهناك من الفنانين من أظهر تناقضاً في مواقفه السياسية.

2. الفن كتجربة ذهنية:

تمثل الصورة الذهنية عموماً 'الناتج النهائي' للانطباعات الذاتية التي تتكوّن عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معيّن أو نظام معيّن أو شعب... أو أيّ شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان. وتتكوّن هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة أو غير المباشرة... وبغض النظر عن صحّة أو عدم صحّة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب فهي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله إلى ما حولهم، ويفهمونه أو يقدرّونه

على أساسها" (عجوة، 2003، ص 9-10). فكل الأعمال الفنيّة ناتجة عن قدر معيّن من التخطيط استجابة منه لبواعث معيّنة بصريّة كانت أم عاطفيّة، وقد يكون هذا التخطيط واعيا أو يكون تلقائيّا كما في بعض اللوحات الحديثة. وهذه من الأمور التي سنراها في تحليلنا لنتائج هذه الدراسة حيث كان الهدف من وراء تمثيل أغلب الفنانين المستشرقين للأمير عبد القادر نشر أفكار ومفاهيم تخدم مرام معيّنة تتماشى مع أهداف الاستعمار الفرنسي، والتي سطرها الفنّان مسبقا لتمرير رسائله وسياسته التي تتوافق طبعاً مع ثقافته وإيديولوجيته. فالإنسان في أغلب الأحوال يميل إلى التمسك بما لديه من صور، كما أنّه يتعصّب لهذه الصّور ويتحيز لها فلا يقبل أيّ رسالة لا تتفق معها وهو يدرك محتوى الرّسائل التي يتعرّض لها على نحو يتّفق مع الصّور التي كوّنّها. كما أنّه يتذكّر المواقف والتّفاصيل التي تدعم الصّورة الذهنية التي تكوّنت في وقت ما واستقرّت وأصبحت ذات أثر كبير في تقديره لما يحدث بعد ذلك ورؤيته للواقع وتخيله للمستقبل، على أنّ هذه الثنائية (واقع- تخيل) يتغذى بعضها من بعض، فالصورة التخيلية أو الذهنية تستمد عناصرها من الواقع ولكن ما تفتأ تستقل عنه، وأسباب هذا الاستقلال أجازها الباحث 'محمد بلاسم' فيما يلي (بلاسم، 2008، ص 26):

1.2 تراكم الخبرة: حيث يتلقى الإنسان صورا ذهنية من الواقع حوله، تتراكم بعضها فوق بعض ويتفاعل الإنسان معها بصورة معقدة، فينشئ عن هذا التفاعل صورا جديدة.

2.2 الغلبة والتّصفية: الفنان لا يكتفي بالتّجميع بل بإجراء عملية تنقية للرّوائد من هذا الركام.

3.2 العامل الثالث من عملية تركيب الصورة الذهنية هو القدرة على تأسيس نمو جديد من المعرفة حيث يكون أنساقا صورية أي التحول من التجميع إلى التركيب (ميخائيل، 1984، ص 90).

4.2 مساهمة الواقع الحسي في نشوء التغيير الدائم في الصورة الذهنية بمتواليّة هندسية تتم وفق تغيير المنظور والرؤية للعالم، وهذا ما سيظهر جليا أثناء دراستنا لصورة الأمير عبد القادر من خلال أعمال بعض الفنانين المستشرقين خاصة، حيث تغيّرت وتطوّرت مع مرور الزمن، وكان ذلك وفق المواقف والأحداث السياسية والتاريخية وأيضا تبعا لطبيعة الفنّان وبيئته الثقافية.

إذا للصور الذهنية حول الشخصيات مصادر مختلفة حيث تعدّ خبرة الحياة المباشرة أهم المصادر الموثوقة في تكوين هذه الصورة الذهنية، ذلك راجع إلى خبرة الفنان المباشرة وملاحظته للشخصية التي يتعايش معها. كذلك عن طريق تجاربه ومكتسباته القبلية. أما المصدر الثاني المتمثل في الخبرة غير المباشرة التي تتكون لدى الفرد من خلال ما يسمعه ويراه من الأصدقاء، وعبر مختلف وسائل الاتصال الجماهيري، حيث تنتقل هذه المعلومات التي لم يتم الاحتكاك بها أو تجربتها.

3. طرق وأساليب الترميز في الأعمال الفنية- البورتريه أنموذجا-

إنّ تميّز مجتمع عن آخر لا يتمثل في عامل اللغة أو الجنس فحسب، بل يتعداه إلى مجموعة من المكونات الحياتية تشكّل جميعها نظاما خاصا ومستقلا لدى كلّ فئة كالملبس والمأكل والعمران، تحمل في طياتها خصوصيات المجتمع وأبعاده الدينية والثقافية والاجتماعية (جلال). يعمل الفضاء الفني على استغلالها لإبراز الشخصية في شكل متميّز، فتتضح هويته، فالهوية كما وصفها 'سعيد بن كراد': ليست رموزا أو صورا فحسب إنّها أيضا حضور في الفضاء وفي الزمان وهي أيضا لباس وأكل.. (بنكراد، 2016، ص151). وتوظيف هذه العناصر في الصورة سواء كانت فنية أو فوتوغرافية قد يكون سلاحا ذا حدين إذ يمكن أن يتكفّل ذلك التوظيف بتدعيم روح الانتماء والتشبّث بالأصالة واحترام الموروث، كما يمكن أن يصير أداة لتسريب الشك والاحتقار لهذا الموروث وتدنيه.

فتقنية الترميز التي تدخل ضمن بلاغة الصورة، منطلقها أنّ الصورة حدث ثقافي دالّ، وشكل من أشكال التعبير المجتمعي عن المواقف والسلوكيات والقيم. وتوظيف عناصر بصرية كالديكور والملبس أو الخلفيات بمختلف أشكالها... يخدم فكرة العمل الفني ويوطّد المعنى لدى المتلقّي. لكن من جهة أخرى يظهر الدور الخطير لهذه الأخيرة إذا وظّفت بطريقة تسيء إلى مقوّمات المجتمع، فتحرفها أو تفرض بدائل عنها، أو تغيب ما وجب إبرازه وهذا ما لوحظ من خلال الأعمال الفنية محل التمثيل لصورة الأمير عبد القادر الجزائري المبينة لأثر الصورة الرمزية في زعزعة كثير من النظم الأخلاقية والثقافية.

هذا ويعد الجسد أحد العناصر الفنية التي يوظّفها الفنان في أعماله الفنية لبناء إرساليته البصرية، وذلك لما يوفّره من إمكانات تواصلية، فهو يعبر عن تمثلاتنا البيولوجية والثقافية، وهو الواجهة التي تفضح دواخلنا، وأداة لتحديد هوياتنا لقواعدها ومنهجيتها الخاصة في إنتاج الدلالات، هذه الأخيرة هي كلّ ما يقدمه الجسد من طاقات تعبيرية (بنكراد، 2003،

ص124). كـ' أشكال الوضعيّة، والاستخدام الإستعاري لليدين ودلالات النّظرة، وشكل الجلوس وكذا اللّباس، والنّحافة والبدانة.. فكل ما يعود إلى هذه التّقنيات له موقع داخل السّجل الثّقافي-الاجتماعي، الذي يؤوّل ويمنحه دلالاته' (بنكراد، 2016).

وتجدر الإشارة عند هذا المستوى من البحث إلى أنّ المصور أو النحات- في أجود الأعمال الفنية - يضع وراء الشّخصيّة الفرديّة لمن يصوّره تلميحات عالميّة معيّنة' (ريد، 2003، ص27)، حيث تضيف عين الفنّان إلى ما تراه شيئاً معنوياً آخر لا يلاحظه الآخرون في الصّورة الظّاهرة، يغلف من خلاله الواقع المرئي. وهذا ما يؤكّده تعريف دائرة المعارف البريطانيّة لفنّ الصّورة الشّخصيّة' أنّ البورتريه هو تسجيل لملامح معيّنة في شخص معيّن كما يراها شخص آخر يمكن تأليهه أو مجرد مدحه (الشّخص المرسوم)، كذلك يمكن السّخرية منه أو تقييمه... وقد يكون الفنّان مهتماً بملامح الشخصية الدّاخلية ومكانتها الاجتماعية أو مشكلاتها الدّاخلية في اللاوعي' (Britannica p264، 1964)، وقد يلتزم بالواقع أو يحيد عنه بأساليب جديدة لكن طالما ظلّت هناك إمكانيّة التعرف على شخصيّة معيّنة في اللّوحة تظلّ بورتريه.

4. الأمير عبد القادر من منظور الفنان الغربي:

لقد كانت لمقاومة الأمير عبد القادر انعكاسات سيئة على الجيش الفرنسي الذي لم يستطع بسط سيطرته الفعلية على المدن والمواقع الإستراتيجية إلا عام 1848م. هذا الجو المتوتر الذي كان له الصدى الواسع في الصحافة الفرنسية والعالمية، حوّل الأنظار باتجاه المشكلة الجزائرية. وهكذا ابتداء من عام 1830م بدأت تغزو المعارض الفنية السنوية لوحات مستوحاة من حرب الجزائر. وقد حرصت الإدارة الفرنسيّة على توظيف الرّسامين التّشكيليين المستشرقين الذين أوكل لهم أيضا رسم الصّور التّوضيحية المتعلّقة بالمعارك التي خاضها الجيش الفرنسي ضدّ المقاومة الجزائريّة. لاسيما الفنّان 'فرننيه هوراس' والذي تشهد بهذا "

لوحته الضّخمة الموسومة بـ' الدوق دومال يأسر قافلة الأمير عبد القادر' والتي بلغ طولها 21.39 مترا، تصوّر هذه اللّوحة الفرنسيين حين باغتوا معسكر الجزائريين بهجوم



مفاجئ فإذا الاضطراب يسود المعسكر. ويعد 'فيرنيه' من أوائل المأخوذون بقوة هؤلاء العرب الجزائريين الأشداء، ولكن تصويره الاستشراقي كان مضللاً للغاية بحيث نرى من خلال هذه

اللوحة المشهورة عالميا تضخيم قيادات الجيش الاستعماري، وتصغير صورة الأمير ومقاتليه، كما تمّ تصوير الجيش الفرنسي في أحسن حلة وتقبيح شخوص المقاتلين الجزائريين. وفي المقابل نجد " الفنان 'رمبراندت' Rembrandt وإجلاله للشرق، فقد كان يتّصف هذا الأخير دون سائر المصورين المستشرقين بميزة تعزعليهم جميعا وهي الإحساس الدّفين بتوقير الشرق وإجلاله. كما نجد أيضا الفنّان العسكري 'أدريان دوزا' Adriendausat (1804-1868) (جبور، 1992، ص 85) الذي اعتمد الدّقة في أسلوبه حتى اتّهمه البعض بأنّ الخيال ينقصه إذ كان يبالغ في إظهار التّفاصيل، كما كان يرسم الشّرق بمحبّة. وقد كُلف بتدوين وقائع الحملة على قسنطينة الّتي عُدتّ من أهمّ الأحداث العسكرية في حرب الجزائر' (Charles، 1844)، إلّا أنّه في نهاية أيّامه كان منسيا، حتّى أنّ السّلطة الفرنسيّة نفسها أحجّت عنه باحثة عن طاقة فنيّة أخرى تكون في خدمة مصالحها' (Paul، 1964). ولابدّ من التّنويه إلى فنّان آخر يدعى 'أوغست رافيه Auguste Raffet' الّذي استهوته المعارك في الجزائر رغم أنّه لم يزر الجزائر ولم يتسنّ له رؤية المعارك، إنّما استوحى أعماله من تقارير ومشاهدات الكتّاب والعسكريين الّذين كانوا في عداد الحملة. إلّا أنّ رسومه قاربت الدّقة أكثر من بعض الفنّانين الّذين رافقوا الجيش الفرنسي إبّان

معاركه العسكرية، من بين لوحاته:

جيش الأمير عبد القادر، للفنان:

أوغست رافيه المقاييس: (758x1400) سم



وإنّ من أبرز اللّوحات الفنّيّة الّتي تناولت شخصية الأمير عبد القادر ما يلي:

✓ عمل فني للفنان 'Théophile Gide': موسوم بـ: قادة عرب في حضرة الأمير الرئيس

(نابليون الثالث).



. المقاييس: (220 x 138) سم

. سنة الإنتاج: 1852-1853

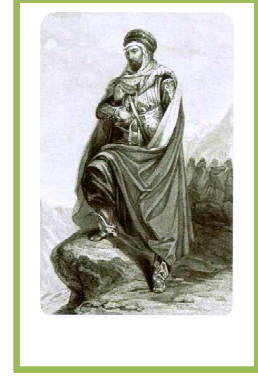
. الحامل: زيت على قماش

. متواجدة بمتحف Ajaccio-Fesch

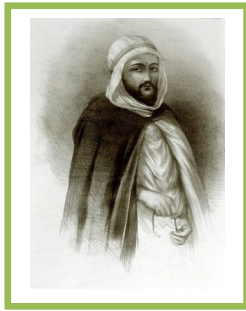
وهناك من الفنانين المستشرقين من يعنونون هذا العمل بـ'قادة الطغاة العرب الذين قَدّموا إلى الأمير-الرئيس'، صوّر من خلاله مقابلة 'نابليون الثالث' الذي شبهه بالزّعيم مع الأمير عبد القادر الذي تم تمثيله راكعا أمام يده الممدودة يحاول تقبيلها، وقد قدّم الزعماء العرب إلى الأمير- الرئيس، حيث لم يفصل الفنّان موضوعه السّياسي عن الهاجس الاجتماعي، فصورة الأمير عبد القادر لم تكن إلا رمزا للجزائر الشامخة وهي تنحني ذلا وهوانا عند أقدام الفرنسيين وقد تماذى بإسراف في ذلك، زيادة على أنها إهانة للأمير نفسه، وهذا ليس إلا غيضا من فيض فكل عمل فني رسمي أو غير رسمي جسّده الفنانون الفرنسيون إلا وفيه تأمر على الجزائر، فما بالك إذا تعلق الأمر بمن عذّب الجيش الفرنسي وكبّده خسائر جمة مادية وبشرية على مدى ثمانية عشر عاما تباعا.

✓ عمل فني للفنان ليبوليت لويس إميل بوكي: lyppolyte Louis Emlepauquet

'ليبوليت' فنان عاصر الأمير عبد القادر (1797-1871)، وقد قام من خلال هذا العمل الفني بتمثيل الأمير عبد القادر في منتصف اللوحة كمصدر إشعاع كقائد حرب - بسلاحه وزيّهِ العسكري العربي، ووضعية وقوفه... كلّ هذا يعكس صورة الفارس النبيل رجال المقاومة (Bouyerdene p52).



✓ عمل فني للفنان 'بنجامين روباو' BenjaminRoubaud : (سنة الإنتاج: 1843م)

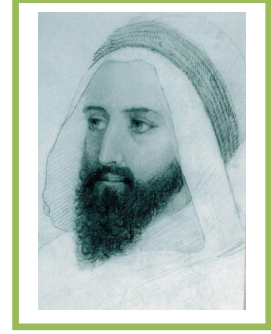


ظهر هذا البورتريه ضمن مجموعة خاصّة بجنرالات إفريقيا أنتجوا في شهر جويلية من عام 1843م (Bouyerdene p51) أثناء الحروب، وفي هذه الحقبة الزّمنية "لم يعد يصوّر الأمير عبد القادر كرجل عربي بدوي أو بربري متعصب أو بمظهر خشن متعطش للدماء" (L.A.Berbrugger p48)، وهذا وابتداء من سنة 1833م

حيث بدأت سمات الإيجابية تظهر حول شخصية الرّجل وبدأت صورته الشّخصية في الأعمال الفنّية تعكس أمورا إيجابية خاصة بعد إمضاء اتفاقية السلام، ففي البداية انطلقوا في تصوير الأمير عبد القادر من خلال المخيال الّذي كوّنهُ الغرب عن الرّجل الإفريقي وذلك

بسبب عدم وجود شاهد عيان للأمير، ورسمه بصورة بشعة كان دافعا في بداية الأمر ليعتبروا من خلاله على وجه العدو الغريب.

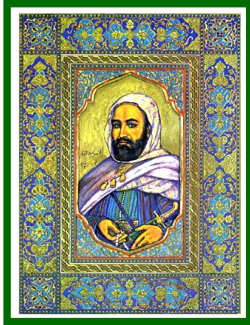
أمّا فيما يخص تشبيه الأمير بالمسيح عليه السلام، يحضرنا عمل فني للفنان الفرنسي 'شارل إينارد'، الذي رسم بورتريه الأمير عبد القادر بقصر 'هنري السادس' بـ 'بو' في شهر ماي 1848م- خلال فترة أسره-(بوزيد، دت، ص 170). والفنان كان أحد أهمّ الفنّانين الذين يدافعون عن الأمير حيث اعتبره صديقا له في الله. وفي هذا يقول 'ليونروش' إذا أراد أحد الفنّانين رسم أحد الرهبان المستوحاة من العصور الوسطى الذين قادتهم حماسهم تحت راية الصليب، فلا يوجد أنموذجا أكثر جمالا من الأمير عبد القادر، على ملامحه



ينتشر مزيج من الطّاقة الحربيّة والزّهد وسحرا يمكن تحديده، عندما يصليّ فهو زاهد وعندما يأمر فهو ملك وعندما يتحدّث عن الحرب تضئّ معالمه أنّه جندي' (Roche, 1884). فالبعد المسيحي لشخصيّة الأمير عبد القادر ظهرت أثاره لأوّل مرّة مع هؤلاء الضبّاط الفرنسيين (Azan)، وقد حافظت هذه الشهادات وأخرى على أهميّتها الكبيرة خاصّة أنها تدلّ من قبل الخصم وفي فترة الحرب مع الأمير.

5. الأمير عبد القادر من منظور الفن الجزائري

إنّ المتحدّث عن الثورة الجزائريّة لا يمكنه المرور دون التوقف عند تلك المواقف والإسهامات الوطنيّة الثوريّة التي عبر عنها النّساء والرّجال على حدّ سواء وصولا إلى الحرّيّة والاستقلال. حيث عاش الشّعب الجزائري فترة عصيبة أيامها، أمّا الفنّانون الجزائريّون فكانوا قلائل وإمكاناتهم محدودة، ونظرا للروح الاستعماريّة السّائدة الّتي لا تستطيع تقبّل مواضيع



ذات الطّابع الإنساني أو التّحرّري' (مردوخ، 1988، ص 41)، فإنّ هذه الحالة الاجتماعيّة المزريّة لم تساعد على ظهور فنّ راق، وبالرغم من القمع المسلّط على الشّعب فقد استطاع أن يعبر عن رفضه للواقع المفروض بواسطة الوسائل السّياسيّة والعسكريّة وحتّى أعمالهم الأدبيّة والفنيّة، لاسيما الفنّان الجزائري 'محمّد راسم' الّذي فرض فنّه المتمثّل في إحياء فنّ المنمنمات الجزائريّة، الّتي ضمّنها رسائل مشفّرة تدعو الشّعب إلى التّهبّؤة

والانتفاضة، ويظهر ذلك جليا في مختلف أعماله، كمنمنمة "الأمير عبد القادر" هذه الشخصية التاريخية المؤسسة للدولة الجزائرية الحديثة والتي تعدّ رمزا من رموز الأمة. وقد سعى من خلالها 'محمد راسم' إلى إعطاء دفع قوي للجهاد في سبيل الله ، حيث كثيرا ما دعى في أعماله الفنية إلى الانتفاضة ضد المستعمر في عبارات نجدها مكتوبة في مختلف أركان وزوايا أعماله الفنية، على غرار 'الجنة تحت ظلال السيوف'، 'نصر من الله وفتح قريب'، 'الحرية ثم الصبر والثبات والشجاعة'... وغيرها من العبارات.

كما ظهرت المقاومة الثقافية على ريشات العديد من الفنانين المبدعين المعاصرين الذين نقلوا لنا واقع المجتمع الجزائري أثناء حقبة الاستعمار الفرنسي، فرسموا الشخصيات الوطنية المقاومة وعلى رأسهم الأمير عبد القادر، وكان أبرزهم: الفنان الجزائري 'حسين زيان' الذي اتسمت أعماله بخاصية سردية تقصّ تاريخ الجزائر. كما تميّزت أعماله بتوظيفه للرموز التاريخية؛ وذلك من خلال استحضاره للوقائع والأحداث التاريخية ذات الأبعاد الحضارية والإنسانية المعاصرة. وهذا الاستحضار يضع المتلقي أمام عالمين: عالم قديم له قدسيته ومعاصر له ضرورته، على غرار الأعمال التالية:



. عنوان اللوحة: 'الأمير عبد القادر'

وهي صورة وجهية سعى من خلالها الفنان إلى خلق صورة البطل رمز الوطنية الجزائرية.

. سنة الإنتاج: 1984

. الحامل: زيت على قماش

. عنوان اللوحة: المبايعة

Le Sermon, ou la Moubayaa

. سنة الإنتاج: 2007

الحامل: زيت على قماش

المقاييس: (300 × 200) سم



. معركة خنق النطاح
Bataille de Khenguen-Netah
. سنة الإنتاج: 1984
. الحامل: زيت على قماش
. المقاييس: (450x210) سم

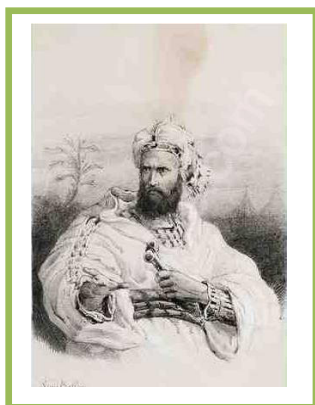


. عنوان اللوحة: معركة سيدي إبراهيم
. سنة الإنتاج: 2002
. الحامل: زيت على قماش
. المقاييس: (195x130) سم

6. الثوابت والمتغيرات في صورة الأمير عبد القادر - من خلال عينة الدراسة:-
من خلال الأعمال الفنية التي تناولت شخصية الأمير عبد القادر الجزائري خلال حقبة الاستعمار الفرنسي وغيرها من الحقب الزمنية (الحديثة والمعاصرة) والمقارنة فيما بينها وبين صورته الحقيقة الواقعية لوجدنا مفارقات كبيرة في هذا الخصوص، وكيف تعامل كل من الفنانين الغربيين والجزائريين مع هذا الموضوع، والأکید أنّ كل مجموعة مثّله وفق مبادئها وإيديولوجيتها، وذلك بأهداف وأغراض متباينة.

1.6 الفنانون المستشرقون: بعد الاحتكاك المباشر مع الأمير عبد القادر وقع اصطدام كبير بين الصورة الحقيقية للأمير والصورة الذهنية التي كوّنها عنه. وانطلاقاً من المقابلات التي ساهمت في تغيير هذه الصورة الذهنية من السلب إلى الإيجاب، بدأت الكتابات الوصفية تظهر حوله، وكانت هذه السير مكتوبة بقدر كبير من الإيجابية وهذا ما أثر على الأعمال الفنية

الفنّية عموما على غرار الخنجر الذي كان كثيرا ما يرسم بيده والذي تمّ استبداله بالمسبّحة-



الصورة 04- (عمل فني للفنان **Biolle** سنة 1858م)، إذ غالبا ما يعتمد الفنّانون في أعمالهم الفنّية على ما دوّن في الكتب، وهذا بشهادة العديد من الضباط الفرنسيين. هذه الصّورة الإيجابية للأمير تناقضت وصحّحت بشكل كبير الصّورة المتعصبة التي كانت تستمر في الانتشار في الصّحف الفرنسية مع بداية الاستعمار الفرنسي. ولكن

الصورة 04

تجدر الإشارة إلى أنّ وراء الحروب العسكرية هناك حرب نفسيّة، فالمسألة لا تتعلّق برسم الأمير عبد القادر. فمع بداية الاستعمار الفرنسي ظهرت بوادر لطمس الهوية الجزائرية في كلّ المجالات، حيث عُرف الأمير بمعاملته الحسنّة للأسرى الفرنسيّين، كما كان يتّسم بإنسانية عالية مع الجند والضباط الفرنسيّين ما يعطي صورة إيجابيّة للعدو، غير أنّ القوات الفرنسية كثيرا ما سعت إلى طمسها، لأنّ إعطاء صورة نبيلة عن العدو يحول دون الرّغبة في قتاله، والهدف كان تحريض الجنود الفرنسيّين على القتال، وإنّ مثل هذه الأحداث أثّرت سلبا على شخصيته حتّى في مجال الفنّ. ولهذا لا يوجد استقرار أو ثبوت في انعكاس صورة الأمير بل تطورت الرّؤى وفق تطوّر سياق الأحداث، إذ لم يكن هناك رأي جامع، بل آراء تتّبع أصحابها بحسب (طريقة التّفكير، الصّورة الذهنية، الإيديولوجية والأهداف). ففي المقابل نجد مثلا الجنرال 'بيجو' الذي شبّه الأمير عبد القادر بالمسيح - عليه السّلام - في كتاباته - وهذا من خلال قصة يسردها كاتب هذا الجنرال -، فهذا التّشبيه يرفع من شأن الأمير ويثمنه، وتجدر الإشارة عند هذه النّقطة أنّ الجنرال 'بيجو' كان رجل حرب اتسم بالجديّة في حياته، شديد وقاس يصعب عليه الاعتراف بقيم عدوّه، وهذا شيء خارق للعادة.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أنّ معظم الأعمال الفنّية التي مثّلت الأمير عبد القادر خلال حقبة الاستعمار الفرنسي، سواء كانت لوحات فنّية أو صور فوتوغرافية مثّلت على أنّه ضيف وليس سجين فسوّروه في القصر له خدم ومسجد وكأنّ كلّ شيء على ما يرام، الأمر الذي رفضه الأمير عبد القادر حيث ردّ كلّ الهدايا ورفض أن يكون ضيفا بل سجيّنا وكان هذا موقفا سياسيّاً قويّا منه - هذا على الصعيد السياسي -. لكن هناك رهان آخر وهو الرهان الديني،

فالأمر كانت لديه ميزة الانفتاح على الآخر، وكانت هذه فرصة للمستعمر الفرنسي للدعاية ونشر الصّور عن الأمير في الجزائر وكأنّه أصبح جزء من فرنسا، وأنّه اعتنق التقاليد والأعراف الفرنسية.. فصورة الأمير عبد القادر في تغيّر مستمر ومن خلاله تتغيّر صورة الإسلام، لأنّ الأمير في نهاية الأمر يمثل بالنسبة لهم الرجل المسلم وهذا شيء مهم.

2.6 الفنانون عبر العالم: لا تكاد تخلو دولة من الدّول العظمى بأمريكا وأوروبا وروسيا ... وغيرها، من فنّانين تناولوا شخصية الأمير عبد القادر، ويمكن أن نعدّها – في رأينا- أعمالاً فنيّة موضوعية لأنها متحررة من الرّهانات الاستعمارية، وفي الوقت نفسه لا تخضع للرّهانات الوطنية. وبالتالي تبقى معظم هذه الأعمال حتّى لا نقول كلها موضوعية تقريبا.

3.6 الفنّانين الجزائريين: إنّ أعمال الفنّانين الجزائريين حول هذه الشخصية التّاريخية تميزت بالطّابع التّبجيلي، حيث كانت تهدف عموماً إلى استرجاع الهويّة وتأسيس الأمير رمزا ومرجعية تاريخية وأسطورة مؤسسة للوجود الوطني الجزائري.

7. خاتمة:

تفتقر نظرة الآخر وتمثّلاته عن الجزائر بصورة عامة وتاريخ الثورة التحريرية بصورة أخص إلى المصداقية، فكثيراً ما ينظر إليها بعين الشك والريبة والحذر. فالمضمون التاريخي كثيراً ما اعتراه التحريف والسطحية والتزييف من قبل المستعمر الفرنسي، وقد شمل هذا الجانب الفني.. أما صورة الأمير عبد القادر فكثيراً ما نتحدث عنها وكأنّها صورة ثابتة ساكنة لا تتغيّر، غير أنّ الحقيقة هي أنّ الأمير شخصيّة تطوّرية عبر الزمن. فالصّورة التي تتكوّن في أذهان الأفراد لا تظلّ ثابتة في معالمها، إذ لا تتّصف بالثّبات والجمود، وإنّما تتّسم بالمرونة والتّفاعل المستمر. والاختلاف يكون بحسب المواقف والأحداث التّاريخية، وأيضاً تبعاً لطبيعة الرّسام أو الفنّان. فإذا كان هذا الفنّان من محبّي الأمير فالأكيد أنّه سيقدم صورة إيجابيّة عنه، بل مثاليّة في بعض الأحيان، أمّا إذا لم يكن من مناصريه فقطعاً سيعكس صورة سلبية عنه على غرار معظم الفنّانين المستشرقين الذين حاولوا وضع صورته غالباً تحت راية الزّهد، حيث ركّز معظمهم على النزعة الصوفية في شخصيته. هذا ولم يتم تمثيله بزيه العسكري، وكان هذا في نظرنا تغطية على جانبه السياسي كرمز من رموز المقاومة. كما لم تخصص له مساحة في هذه اللوحات للبعد الثّقافي العلمي، والهدف كان تزييف شخصيته عند مواطنيه الذين بايعوه على الإمارة لمحاربة الاستعمار الفرنسي. ولهذا علينا الحّد من هذا السّيل الجارف من التّماذج التي يحاول الغرب خاصّة تأصيلها في مجتمعات العالم، من خلال الحرب الإيديولوجية المعلنة

بمظهرها البادي والمتخفي. فلا يمكننا بأي حال من الأحوال التعامل مع الصورة على أنها نصّ بريء، فالمعاني الإيحائية تتجلى في الإيديولوجيا التي تحملها الصورة. وحسبنا أن نكون قد وفّقنا في إثارة اهتمام الباحثين إلى هذا الموضوع المهم، والذي يأتي متمّمًا لسلسلة دراسات قيّمة تناولت النّواحي الأدبية والفكرية والدينية والسياسية... من شخصيته. هذا وتتولّد لدينا الرّغبة مستقبلا في إتمام أوجه النّقص بشأن هذا الموضوع للوصول إلى نتائج علمية أكثر منها نتائج نظرية، بإعطاء مثل هذه الدراسات اهتماما أكبر فتعالج أو تدعّم من قبل المتخصصين في الجانب السيميولوجي، كما يمكن أن تكون ملحقا مهما لدراسة الفن الاستشرافي في الجزائر.

8. قائمة المراجع:

- إبراهيم مردوخ، 1988، الحركة التشكيلية المعاصرة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- أسعد يوسف ميخائيل، 1984، سيكولوجية الإبداع في الفن والآداب، بغداد، دار الشؤون الثقافية.
- جان جبور، 1992، الشرق في مرآة الرسم الفرنسي - من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين - 1800-1930، ط1، بيروت- لبنان، منشورات جزوس برس - طرابلس.
- زكي بوزيد، دتا، الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، الجزائر، منشورات CPS - رياض الفتح- مركز الفنون - رواق الخدمات -.
- علي عجوة، 2003، العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة، عالم الكتب.
- محمد بلاسم، 2008، الفن التشكيلي قراءة سيميائية في أنساق الرسم، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- سعيد بن كراد، 2003، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزّمن، المغرب، الدّار البيضاء.
- سعيد بن كراد، 2016، سيميائيات الصورة الإشهارية - الإشهار والتّمثّلات الثقافيّة-، الرباط، ط1، دار الأمان.
- هربرت ريد، 2003، معنى الفن - ترجمة سامي خشبة -، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- خشب جلال، تجليات الموروث في الخطاب الإشهاري العربي، أعمال الملتقى الدولي الخامس 'السّيمياء والنّص الأدبي'، جامعة بسكرة، الجزائر.

Ahmed Bouyerdene, Abd El-Kader par ses contemporains fragments d'un portrait,
Ibis press.

Guinard Paul, 1964, Dauzats et Blanchard dans la peinture romantique, Paris.

Nodier Charles, 1844, Journal de l'expédition des portes de fer, Paris.

Léon Roche, 1884, Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864), 2 vol, Paris, Firmin-
Didot,.

Encyclopedia Britannica, 1964, vol.18.

L.A.Berbrugger, op, cit.

الملاحق: إجراء مقابلات مع كل من:

1. الاتصال مباشرة بالفنان حسين زياني من خلال الفيسبوك وعبر بريده الإلكتروني.
2. مقابلة شخصية مع المؤرخ الجزائري أحمد بويردن يوم 27-11-2018 بالمؤتمر الدولي الأول و الموسوم ب: الأمير عبد القادر الجزائري بين ضفتين - مدينة معسكر-، الجزائر.

الأغنية الثورية الشاوية في الأوراس بين الشفهي وأهمية التدوين

The chaoui revolutionary song in the Aures between oral and the importance of blogging

مزياني نوميديا

جامعة باتنة 1 – قسم اللغة و الثقافة الأمازيغية

noumidya.meziani@univ-batna.dz

مقدمة

لقد ظهرت الأغنية الثورية قبل اندلاع الثورة بحد ذاتها، ورافقت ما يسمى بالخارجين عن القانون في عصيانهم للسلطة الفرنسية، وحملهم للسلاح في وجهها، فكان الفن خير سند وأقوى دعم لهم ، ولعل أشهر من خلد ذكراهم هو المطرب عيسى الجرמוوني الذي خلدوا تلك الأحداث بأغانهم تلك بأغنية بن زلماط ، ومع اندلاع الثورة انطلقت الأغاني من كل القرى والمداشر كما الشلالات تشق الجبال والهضاب لتعانق أرواح المجاهدين ووجدانهم أينما حلوا وارتحلوا، فشككت الوجه الآخر للمقاومة الشعبية ،والسد المنيع في وجه اليأس والإحباط والفشل . ولم يكن الشعب يوما في حاجة الى ملحن او مؤد نظرا لطبيعة الغناء الشاوي الذي يؤدي بشكل جماعي ويسمى تارحيث او الرحابة سواء كانت نسوية او رجالية فهي تتيح للجميع المشاركة في الغناء والرقص بعفوية وتلقائية، مما سهل تنقلها وانتشارها بسرعة البرق ، ولم يكن الفرد يحتاج إلى مناسبة او حفل كي يغني ، بل كانت حياته كلها مرفقة بالفن، سواء في الأعياد الموسمية أو أيام الحصاد والقطاف ، وكانت المرأة أكثر التصاقا بهذه الأغاني بحكم مزاومتها للأعمال اليومية التي تتطلب بعض الترفيه والترويح عن النفس وزرع بذور الأمل في محيطها ومجتمعها ككل.

تكمن أهمية الأغنية الثورية الشاوية في مدى غزارتها وقوة أشعارها ، بحيث تتعدى كونها تدون أحداثا هامة وتؤرخ لها إلى كونها فنا راقيا وإبداعا أدبيا ، هذا الصنف من الأشعار والغناء الحماسي استحق التدوين والحفظ منذ السنوات الأولى لاستقلال الجزائر لأنه حامي ذاكرتنا وحافظ على جزء مهم من تاريخنا، غير أن هذا الإرث الفني الثوري لم يلق عناية الباحثين الذين أولوا الأهمية الكبرى للأغاني الثورية باللغة العربية ، في حين تركت الأغاني الأمازيغية تصارع الاندثار والفناء رغم تشبث الجيل القديم بها بقوة وبذلك ظلت شفوية متداولة من قبل الجيل الذي صنع الحدث أو كان شاهدا عليه ، وهو اليوم يغادرنا بصمت

آخذا معه هذا الجزء الهام من تراثنا، دون أن يحظى باهتمام المختصين والأكاديميين تدوينا وبحثا . هذا الوضع المتردي يتطلب وأكثر من أي وقت مضى أن نتحرك في اتجاه التدوين الفوري لهذا الموروث وحفظه في دواوين قصد استغلالها في مختلف الدراسات والأبحاث التاريخية والأدبية كجزء عزيز من تراثنا ودليل حي عن حقبة من تاريخ هذا الوطن.

1- منهجية البحث :

كأي دراسة تحتاج إلى منهجية علمية لإنجازها ، اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، من خلال بحث ميداني بدأ بتاريخ 30 ديسمبر 2021 مع الفئة العمرية المواكبة للأغاني الثورية في الأوراس قمنا بجمع العينات اللازمة للتعرف على الأغنية الثورية الشاوية في الأوراس و قد أجري البحث في منطقة الواد الأبيض و واد عبيد بالأوراس بالإضافة إلى استقراء هذه الأغاني و ترجمتها من المتغير الشاوي للغة العربية ليتسنى للباحثين استغلالها تاريخيا و اجتماعيا وقد جمعنا 16 عينة من الأغاني مختلفة المواضيع والأصناف و هي عبارة عن مقاطع شعرية .

2. مصطلحات الدراسة

1.2 الأغنية الثورية:

هي أغنية شعبية يؤديها الرجال و النساء (غيلاني السبتي 2016) في مختلف النشاطات اليومية و المناسبات انبثقت من ثورة تحريرية، تعتمد أحيانا على الصوت فقط و أحيانا تكون مرفقة بآلة الناي، تتضمن عدة مواضيع ولدت من رحم المعاناة معظم الأحيان، كما هي ممجدة لمعارك و شخصيات يحتفي بها المغنين من خلال مناصرتهم لهم عبر هذه الأغاني، ظهرت هذه الأغنية في الثورة التحريرية الجزائرية ورافقتها إلى أن استقلت. فهي لسان الثورة وصوره نضال الشعب الجزائري ضد الطغاة تحمل بين ترانيمها مأساته ونضاله وبطولاته (تواتي رحمة .عبد اللطيف حني)

2.2 الأوراس :

اوراس هو عبارة عن سلسلة جبلية شاهقة تشمل كل من ولايات باتنة ، خنشلة ، ام البواقي وتبسة و جزء من سوق أهراس هذا من الناحية الجغرافية، بينما يترع مساحة أكبر حين نطرق عليه الأوراس الكبير الذي يشمل كل المناطق التي سكنها الإنسان الشاوي الناطق بلغته الام وهو ما يمتد الى ولاية سطيف و الطارف ، أما أعلى جبل في هذه السلسلة فهو جبل شيليا بقمته المسماة كلتوم وهي ثاني قمة في الجزائر.لقد وردت التسمية في كتب الرحالة باسم

'اوراسيوس ، اوراس ، الاوراس وكلها تسميات للفظ أوراس الذي يعني اللون الأصهب في اللغة الامازيغية و الذي يُطلق أيضا على الحصان الأصعب وهي بالفعل أرض الأحصنة البربرية التي لا تزال منتشرة في البراري.(خديجة ساعد2017)

3.نتائج الدراسة

تناولت الأغنية الثورية الشاوية بمنطقة الأوراس مختلف الموضوعات من أبرزها:

1.3 الدعوة لمناصرة الثورة

مثل هذه الأغاني ظهرت سنوات 54الى 57 وهي تحث الشعب على الالتحاق بالثورة وبذل الغالي والنفيس من اجل جزائر مستقلة.

شباب يتلو النشيد	Drari qerran di nnacid
لقد اعتقل عزوز ورشيد	Refden Eezzuz d Racid
يا إلهي امنحهم حمايتك	Ya Rebbi heğğeb fell-asen
حَمَنَّا ¹ سلك طريق الجبال	Hmenna ¹ yuy-d d srawat
كثفوا الجيوش والأدوية	qewwat-d ljic d dwawat
الجريح نداويه	Win yeblisan ila ad tendawa-t
ومن خذلنا نسجله	wi i yirandan ila aten merkat

وفي الاغنية الموالية يحث الشاعر النساء غير الازيات بما يحدث في الوطن على التبرع بحلمهن

الشتاء قارس مثلج	Lmecta n yideflawen
والسادة بلا برانيس	Sadat bla yiElawen
تبرعن بالذهب والفضة	Selxet ureY d yiẓerfawen
يا باردات الأحاسيس	A tişemmaḍin n wulawen

الطائرات الصفر	Tiṭeyyarin tiwraYin
العابرة للشرق وخط موريس	A iyuYin ccerq d lalin
منذ رحيل شاطري ابراهيم	Si i iYab Caṭri Braham
غابت الأخبار والرسائل	Lalexber la tibraḍin

حمنا يقصد به احمد عزوي قائد كتبية اشمول-1

وسرعان ما تهاطلت التبرعات من كل حذب وصوب ولم يبخل الشعب على ثورته بشئ، بل رضي بأن يعاني الفاقة والحرمان مقابل ان ينتصر المجاهدون في الجبال وهذه أغنية ساخرة عن شارل ديغول

في مرحلة حكمه للجمهورية الخامسة.

الشعب تبرع بالأموال	Ssifil iberre s lmal
ديغول غاصب مستاء	Digul iYad-it lhal
إن كنتم من بذرة طيبة	Ma tell-am d tarwa n leh lal
عودوا إلينا منتصرين	Adef-t-id s nejma wehlal

2.3. تمجيد الأبطال

هذا النوع من الأغاني ظهر بعد سنوات من الكفاح المسلح والمعارك الضارية، وبعد أن ذاع صيت بعض الأبطال الذين استحقوا التكريم والتبجيل، أو المواساة والدعم أيضا.

حوسا اسمر اللون	Hussa ² d aberkan
حمل سلاح الرفال	Yerfed rrafal
انه حرمة هذه الجبال	D lherm n yidurar

حابا أوعبد الرحمن	Heyyer lgrub ad hman
جهز جيشك للانطلاق	Haba ³ uEbd rrehman
سنجلب السلاح الألماني	Ad nissetqsaYef tebyast n Lalman
وبه سننتصر	Ad nawi stiqlal ad neḍman

أيتها الصبية لوزا	Tahyuyt Lwiza
املاك المحتل مصادرة	Agel n lkulun iziza
جيش حابا يصول ويجول	Ljic n Haba yetruza
بعناية الجبل الزرق	S lberhan n yic aziza

حوسا يقصد به حسين برحاييل-2

المرحوم المجاهد حابة محمد -3

3.3. المعارك والاشتباكات

هذه الأغاني تؤرخ بصدق للحياة اليومية للمجاهدين ومعاناتهم بعيدا عن الأهل، كما تصف بدقة أرض المعركة ونوع الذخائر والأسلحة التي يواجهونها.

طائرة في السماء	Taṭeyyart n ujenna
حامت يا سيدتي حولي	A lalla ḥewem-d fella
أمنيقي ان اجتاز الجبال	Ad neɣli ɣer uɣella
وإن مت فلن ابالي	Ma mmuteɣ matta fella
الطائرات الصفراء	Tiṭeyyarin tiwraɣin
تلك التي غادرت أقبلي وخط النار	Yeğğin aqebli d lalin
حمل الشباب معداتهم	Drari refden timuẓiḍin
نحو الغابات والشجيرات	ɣer leɣwabi d tuẓẓimin
شجرة الليمون	Tacejrit, n llim
يجلس قبالتها الطاهر معاليم	iqabel-it-id Taheṛ Mɛalim ⁵
السلاح مهياً للاطلاق	Tabyast testala tetzim
تراجعوا يا اوغاد قبل الاحتراق	Sexxret a la liju terɣim
المعركة في بريافا	Lmeɛrakt di Berbaga
مات فيها مئة مجاهد	Muten dis myat fellaga
بين التوابا والشرقا	Ma bin Twaba d Craga
يا ربي ارحم الشهداء	A Rebbi rḥem cuhada
العزواني منتفض	Lɛezwani ⁶ yethewwel
نصب كمينا في المحمل	Yenṣeb tabyast di Lmeḥmel
ولا شاحنة نجت من بطشه	Kamyu la irewweḥ-d yejmel

الطاهر معاليم مجاهد من الرعيل الأول، قبطان نارة-5

الشهيد أحمد عزوي-6

4.3. معاناة المرأة إبان الثورة

معاناة المرأة خلال الثورة كانت مضاعفة فهي مكلفة بمهام لا حصر لها تجاه العائلة والثورة أيضا وعلى لسانها تأتي معظم تلك الأغاني الحزينة التي تعبر عن اللوعة والشوق وألم الفراق.

قاقا يا بني	Gaga ⁷ memmi
اين اخذوا سلاحك	Rrafal-nnek mani
بالأمس مرت دورية من هنا	La groud iEddan idelli
تركت أمك باكية حزينة	Yemm-ak till tYenni

كم اخبرتك يا امي	NniY-am i wa yemma
ورجوتك ان لا تبك	NnniY-am lillca fella
النظام استدعاني	Nniḍam yesseqsa fella
والجهاد يكفيني	Ijihad bzayed fella

كم اشفقت عليك يا أمي	Wa ay teYn-id i wa yemma
كم أحزنني اجتيازك لتلك الثنية	Wa ay teYn-id tizi i teYl-id
بالسلاح والتدريب	Lbariṭa ḥed tnin
لم نترك عدوا من الحلف	isem n uberbac la yeqqim

بهذه الأهازيج الرائعة التي تحمل في طياتها رسائل مشفرة وتعايير صادقة نابعة من عمق المعاناة دعم الشعب ثورته وسجل ابداعه على صفحات التاريخ واستمر هذا الدعم الى ما بعد الاستقلال بسنوات طويلة مع مطربين مثل بقار حدة علياخنشلي، كلثوم الأوراسية، مسعودة بن عكشة، مريز الطيب.

قاقا او اسماعيل او بلقاسم مدوري مجاهد (ملازم في الجيش) بلدية تكوت-7

4. مناقشة نتائج الدراسة:

1.4 الشخصيات الثورية في الأغاني الثورية الشاوية:

لقد ذكر في الأغاني الثورية عدة شخصيات خلدت تاريخ من البطولة ولعل أكثر الشخصيات التي أخذت حصة الأسد كانت من نصيب مصطفى بن بولعيد كونه قائد الثورة التحريرية في الأوراس، بالإضافة إلى عدة شخصيات معروفة على مستوى المنطقة ممن كتبوا التاريخ بشجاعتهم وتضحياتهم نذكر منهم البعض الذي ذكر في العينات المجموعة:

-أحمد عزوي ، حابة محمد

-شاطري ابراهيم ، الطاهر معاليم

-حسين برحاييل ، بلقاسم مدوري

2.4 دور الأغنية الثورية الشاوية في الأوراس في الثورة التحريرية :

لعبت الأغنية الثورية دور مهم فقد كانت الوقود الذي يدعم الثورة وكانت بمثابة وسيلة للتنفس بسبب التضيق الذي كان على منطقة الأوراس لاسيما أن تلك الأغاني كانت باللغة الأم للمجتمع الأوراسي ، فكانت وسيلة يعبرون بها عن هويتهم وإيمانهم بالثورة والرغبة في التحرر من الاستعمار الذي احتل البلاد وارتكب فيها أبشع الجرائم ، وقد كانت تلك الأغاني بمثابة أرشيف شفهي و أصبحت في يومنا هذا موروث شعبي حافظت عليه الذاكرة الجماعية ، تلك الأغاني كان لها دور كبير في التأريخ للعديد من الأحداث والأبطال و أعمالهم، « فالأغنية كانت صورة لمشاعر الشعب و حياته الاجتماعية و السياسية و الدينية لأنها اقتحمت كل جوانب حياة الناس وقضاياهم» (عبد اللطيف حني 2016)

3.4 أهمية تدوين الأغنية الثورية الشاوية :

كون الأغنية الثورية بمنطقة الأوراس أرشيف جماعي تناقلته الأجيال و حافظت عليه ليومنا هذا من خلال التداول في عدة مناسبات، فقد أخذت الأغنية الثورية حيز كبير من اهتمام المرأة الأوراسية فحافظت عليه كونها حافظة الثقافة و اللسان، فقد أصبحت دندنة هذه الأغاني لا تقتصر في الأعمال اليومية للمرأة الأوراسية بل امتد ليشمل أيضا أعراس الزواج و كونه نوع أدبي شفهي في الأوراس لابد من نقله من الشفوي إلى الكتابي و استغلال تلك الأغاني من قبل الباحثين في التاريخ و المجتمع لتلك الحقبة الزمنية. إن نصوص فترة حرب التحرير تعتبر وثائق تسجيلية أي أنها عبارة عن بيانات عسكرية وسياسية واجتماعية (عبد اللطيف

حني(2016) وجب رسم منهجية علمية محددة لجمعها أولا ولتدوينها ثانيا، لتقدم للباحثين في جميع الميادين للاستفادة منها واستغلالها.

خاتمة

بهذه الأهازيج الرائعة التي تحمل في طياتها رسائل مشفرة وتعايير صادقة نابعة من عمق المعانات ، دعم الشعب ثورته وسجل إبداعه على صفحات التاريخ واستمر هذا الدعم الى ما بعد الاستقلال بسنوات طويلة مع مطربين مثل حدة بقار، علي الخندلي، كلثوم الاوراسية، مسعودة اولت عكشة ، فعاشت أيامها الذهبية مع كل الحناجر ومع ذلك الجيل الذي صنعها وتفاعل معها ، ومع مرور الوقت بدأ كل هذا الزخم في التلاشي وهو اليوم يوشك على الاندثار الشامل مع رحيل آخر المحافظين عليه من أبناء الاوراس دون أية عناية أو رعاية من قبل السلطات الوصية عن الثقافة و الفنون ولا حتى الإعلاميين على اختلاف وسائل عملهم وهنا وجب علينا أن ندق ناقوس الخطر من اجل إيقاف هذا الانحدار السريع والمرعب نحو الفناء والتلاشي والذي يهدد الأغنية الثورية الشاوية التي لم تكتب أو تدون أو تحظى ولو بالدراسة والبحث رغم اعتبارها من قبل المختصين الوجه الأخر لثورتنا. إن الوضع الكارثي الذب تتواجد فيه الأغنية الثورية الشاوية يحتم علينا التوجه باحثين ، إعلاميين ، سلطات مسؤولة عن الثقافة بمختلف مستوياتها من اجل التحرك الفوري لإنقاذ هذا الإرث الوطني الهام من خلال مجموعة من التدابير والخطوات الهامة :

- تنظيم ملتقيات خاصة بالأغنية الثورية الأمازيغية.
- إدخال قصائد من الأغنية الثورية الشاوية في المناهج الدراسية للتلاميذ الذين يدرسون الأمازيغية.
- توجيه الطلبة إلى انجاز أبحاث و دراسات على الأغنية الثورية الشاوية.
- الیاء الاهتمام الأكبر للأغنية الشاوية إعلاميا خاصة في المناسبات الوطنية.

المراجع

- تواتير حمة، حني عبد اللطيف، الأغنية الشعبية الثورية الجزائرية في المنطقة الشرقية بين مقاومة الاستعمار وجمالية الشعبية. مقاربات. 5.2. ص 54-60.
- حني عبد اللطيف. دور الأغنية الشعبية في بناء الهوية الوطنية دراسة سوسيولوجية بمنطقة الطارف . الذاكرة. 4.1. ص 233-256.
- ساعد خديجة ، (2017)، الطوبونيميا الأمازيغية ، الجزائر، دار النشر أنزار.
- غيلاني السبتي (سبتمبر 2016) الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفويا مكملًا لأحداث الثورة التحريرية 1954-1962. مجلة دراسات و أبحاث. 24.

الثورة التحريرية في الأدب النسوي الجزائري- زليخا السعودي أنموذجا-

The editorial revolution in Algerian feminist literature

-Saudi Zulikha as a model-

نورة بوغقال

جامعة عباس لغرور خنشلة(الجزائر)، nora.boughegal@univ-khenchela.dz

1. مقدمة:

بعد الحرب العالمية الثانية، وقع حدثان عظيمان في البلاد العربية، أسالا من الحبر الكثير، ومن الدماء ما ارتوت به الأرض في شرقها وغربها، ونقصد بذلك الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين (في الشرق الأوسط)، وقيام الثورة التحريرية في الجزائر (في المغرب العربي)، ولكل من هذين الحدثين نتائجه وآثاره في حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية، وإذا كانت هذه النتائج قد برزت في مجالات السياسة والفكر والاجتماع، بدرجة أقوى وأوضح من بروزها في مجالات الفن والأدب، هذا الأخير الذي يحتاج إلى نضج الأفكار والمشاعر والانفعالات، وتخمرها في مصير النفس، فتتغلغل في الأعماق التي لا تصل إليها الفورات السياسية، أو التحديات الاجتماعية أو الخطرات الفكرية، فالنفس وحده يستطيع أن يلج عتبات النفس وأغوارها فيخرج بها بعد مخاض الخلق إلى النور (العظمة، 2015م، صفحة 11)، ان عظمة الثورة الجزائرية وما رافقها من بطولات، تسمو بالدراس عن مستوى الدراسات الشكلية التحليلية لأدب النضال فتتناول العبارة والفكرة والعاطفة ومدى ما أصابه الأديب من نجاح أو فشل في خدمة الثورة، يبدو لعبا أمام البحث عن التجربة الثورية في هذا الأدب النابع من عاطفة صادقة لا تشوبها شائبة من نفاق أو زور.

وقبل التعمق في الموضوع لا بد من التعرف على مصطلح الثورة لتتجلى لنا مسارات البحث أفضل.

2. مصطلحات البحث:

1.2. مفاهيم الثورة :

لغة :

ورد عن لسان العرب أن معنى الثورة من ثار الشيء ثورا وثؤورا وثوراناً، وتثور: هاج الثائر الغضب، ويقال للغضبان أهيج ما يكون: وقد ثار ثائرة وفار فورة فائرة، اذا غضب

وهاج غضبه ،وثار إليه ووثب، ويقال: انتظر حتى تسكن الثورة: وهي الهيج، وثار الدخان والغبار وغيرهما: ظهر وسطع (ابن منظور، 2000 ج3، ص54).

وفي الصحاح: ثار الغبار يثور ثورا وثورانا: أي سطع وأثاره غيره، وثار بفلان الحصبة، وثار به الناس: أي وثبوا عليه ،والمثاورة: الموائبة، يقال انتظر حتى تسكن هذه الثورة: وهي الهيج، وثور فلان عليهم الشر: أي هيجه وأظهره، وثور القرآن: أي بحث عن علمه، وثور البرك واستثارها: أي أزعجها وأنهضها، وثارته نفسه: أي جشأت، ورأيته ثائر الرأس: إذا رأيته وقد اشعان شعر رأسه، أو ثار ثائرته: أي هاج غضبه، والثور: الذكر من البقرو، الأنثى ثورة، والجمع ثورة وثيرة وثيران وثيرة أيضا، والثور: قطعة من الأقط والجمع ثورة، والثور: برج في السماء، وقولهم سقط ثور الشفق: فهو انتشار الشفق وثورانه ويقال معظمه، ويقال للطحلب: ثور الماء (الجوهري، 1999 م، ج1 ص380).

واللافت للانتباه أن هذين التعريفين اللغويين وغيرهما من المعاجم العربية القديمة، لا يفسر معنى الثورة كما هو متعارف عليه في عصرنا، الانقلاب والتمرد على الأوضاع، ومحاولة تغيير النظام، بل تشير إلى معنى الوثوب والموائبة والهباج والغضب.

اصطلاحا:

ورد في كتاب مصطلحات فكرية، أن الثورة معناها عودة الشيء الى أصله أو مكانه، وهو نفس المفهوم الذي ساد لهذا المصطلح خلال القرن السابع عشر، فهي لا تشير الى العنف بقدر ما تشير الى حركة دائرية متكررة، وعندما نقلت الى المجال السياسي كان معناها، تعاقب الحكومات والدول في دورة لا يمكن للبشر تبديلها أو تغييرها (خشبة، 1994 م، ص 231).

وفي الموسوعة السياسية ذكر المؤلف بأن مصطلح الثورة، يستخدمه معظم المفكرين المعاصرين للدلالة على تغيرات فجائية وجذرية، تتم في الظروف الاجتماعية والسياسية، أي عندما يتم تغيير حكم قائم، وتغيير النظام الاجتماعي والقانوني المصاحب له بصورة فجائية، أحيانا بصورة عنيفة بحكم آخر (الكيلي، 1979 م، ص 870).

والملاحظ من معنى التعريفين الاصطلاحيين المقدمين أنهما يشتركان في معنى التغيير، والانتقال من حال الى حال، سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي، ويتم ذلك سواء بطريقه عنيفة أو غير عنيفة.

الثورة التحريرية:

هي نوع من الثورات موجهة ضد سلطة سياسية مستبدة داخل الدولة، بغية ازاحة تلك

السلطة من الحكم واحداث تغييرات في نظام الدولة، سواء كانت تلك السلطة وطنية من الدولة أو سلطة محتل أجنبي، وقد تكون الثورة في مواجهة السلطتان معا (وطنية وأجنبية) ، أي مقاومة سلطة وطنية متعاونة مع المحتل، وفي نفس الوقت تناضل ضد الاحتلال، فتلك الثورات تسعى الى اقامة دولة وطنية مستقلة، ظهر هذا النوع من الثورات بعد الحرب العالمية الثانية، بعد ضعف القوى الاستعمارية وانتشار مبدأ تقرير المصير.

تحدد مهام هذه الثورات حسب الظروف الخاصة بكل دولة، وبطبيعة المرحلة التاريخية التي تحدث فيها (داوود، 2013م، ص165)، ومن تلك الثورات التي نشدت التغيير سياسيا مستخدمة السلاح: الثورة الجزائرية المجيدة التي اندلعت في الفاتح من نوفمبر 1954م، بمشاركة حوالي 1200 مجاهد، كان بحوزتهم 400 قطعة سلاح، وبعض قنابل تقليدية، واستمرت سبع سنوات دفعت خلالها مليون ونصف مليون شهيدا ثمنا للحرية، خلدت ذكراها في كتب التاريخ، وعلم الاجتماع والفلسفة، والفنون والأدب، وهذا الأخير خصص له مصطلح الأدب الثوري وأدب الثورة، لأنه سجل آثار الثورة في قوالب لغوية جميلة تعج بالمشاعر الطافحة، والذكريات المبهجة والمبكية في آن واحد، وهو أدب هادف يتصف بالالتزام بعرض القضية وتقليبها على جميع وجوهها.

2.2.1 الأدب النسوي الجزائري:

شاركت المرأة الجزائرية الرجل الجزائري في النهضة الأدبية التي قام بها، لكن مشاركتها الفعلية المجسدة في آثار أدبية مكتوبة، جاءت متأخرة نسبيا مقارنة مع نظيرها الرجل، وكان لها ذلك في العقد السادس من القرن العشرين وما بعده، في إطار ما يسمى بالأدب النسوي، فمنذ فجر التاريخ والمرأة تكتب أنوثتها على لوح الوجود الملموس أينما تعيش حياتها اليومية ، وحينما كان آدم كانت حواء وكانت البداية، لذلك ربما يضم التاريخ في أرشيفه شيئا عن تلك المرأة الأولى التي كتبت يوميات الوجود والحياة عبر مخيالها الأنثوي (رسول، 2013 م، ص09)، فلا يخف على بال بأن التاريخ الأدبي الجزائري حافل بإبداعات نسائية في مختلف الأجناس الأدبية، فقد خرجت الأنثى من عنق الزجاج حيث الكلمة التي احتسبت كتابتها لتتحلى بأقصى ما تستطيع من قوة، إنها تريد أن تنتقم لذاتها بالإقبال الشره عليها غير مبالية مقصات الرقباء، مهما كانت مواقعهم، لأنها على يقين من أن الكتابة الابداعية شكل من أشكال التحرر ان لم يكن أقواها على الإطلاق، لا يمكن أن ترضى عن نفسها فتشعر بأنها حرة ما دامت السلطة المذكورة ومقصاتها تمثل في ذهنها، أما حضورها كخلفية تاريخية في ذهن

المرأة فهو أحد آليات الدفاع عن النفس لدحضها وإدانتها والتخلص من روايتها التي مازالت عالقة (ملحم، 2016 م، ص 51) ولعل المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر والتي أثرت لا محالة في الفكر والأدب أخرت نهضة المرأة الجزائرية، في ظل هيمنة الجو المحافظ المتشدد، الذي كان يستنكر وجود المرأة في نص أدبي، فضلا عن أن تكون المرأة هي المبدعة لذلك النص، إلا أن ناديا رياضيا إسلاميا حين أراد أن ينظم مسابقة قصصية سنة 1939م، اشترط في نصوص المسابقة أن تكون خالية من المرأة، وقد كرس الاستعمار الفرنسي، مثل هذا الوضع الثقافي المظلم الذي لا نصيب فيه للمرأة من العلم والثقافة (وغليسي، 2013 م، ص 69) ولعل غياب المرأة وتأخرها عن الرجل، في مجال الإبداع القصصي والروائي في العقود السابقة، لم يكن نتيجة قصور ذاتي عندها، بقدر ما كان قصورا في الحياة العامة الثقافية والاجتماعية، التي لم تمنح لها الظهور والتعبير عن ذاتها فنيا وأدبيا (نجمي، د.ت، ص 173)، وعلى الرغم من كل الظروف المعرقة للكتابة للمرأة الجزائرية، إلا أننا نجد بعض الكاتبات تشجعن وكتبن مقالات في مجلة البصائر أيام ثورة التحرير المباركة أمثال زهور ونيسي، وباية خليفة، ولويزة قلال، وفريدة عباس، وخديجة بوكثرة، والعالية لعل، وليلى ذياب، وزليخا خربوش (وغليسي، مرجع سابق، ص 71 و 72).

وقد برزت زهور ونيسي في القصة مع زليخا السعودي، وجميلة زنير، وخيرة بغداد، وليلى بن سعد اليعقوبية، وفي فن الرواية: زهور ونيسي (دوغان، د.ت، ص من 11 إلى 85)، وأبدعت في فن الشعر كل من مبروكة بوساحة، وأحلام مستغاني في بداياتها قبل التحول إلى كتابة فن الرواية (وغليسي، مرجع سابق، ص 81) وجاءت بعدهما من الثمانينيات إلى اليوم: زينب الأعوج، وربيعة جلطي، ونورة السعدي وأخريات.

3. زليخا السعودي وأدبها الثوري:

ولدت عائشة السعودي بنت الحاج محيو بن محمد السعودي المدعوة زليخا يوم 20 ديسمبر 1943م، بمنطقة بابار بخنشلة، تلقت تعليمها الأول في الكتاب الذي حفظت فيه نصف القرآن الكريم، دخلت مدرسة الإصلاح التي كان يديرها عمها سنة 1949م، هناك أغرمت بالعلم وعشقت التعبير، شجعها هذا العم على مواصلة تعليمها بمعونة أخيها المغدور محمد السعودي، الذي كان يزودها بالمراجع أثناء إقامته بالقاهرة، فقد كان عضوا في فرقة يوسف وهبي المسرحية، قبل التحاقه بصفوف الثورة متخصصا في الاتصالات اللاسلكية.

بعد حصولها على شهادة الأهلية التحقت بالتعليم وانتقلت للإقامة في عنابة عام 1965م ، ثم انتقلت للعيش في مدينة باتنة بعد ذلك، وفي عام 1972م انتقلت الى العاصمة للالتحاق بالاذاعة الوطنية، وفي السنة نفسها غادرتنا الراحلة زليخا ، تاركة خلفها عدة أدبية متنوعة تنوعا ملفتا للنظر تمثلت في: 18 قصة، وثلاث مسرحيات، 25 مقالا، و4 رسائل، و3 خواطر، وأربع محاولات شعرية (شريط، 2001م، ص من 13 الى 18)، تلك كانت حصيلة الآثار التي جمعها الدكتور شريط أحمد شريط ، الذي يرى في مقدمة تحقيقه الموسوم بالآثار الكاملة للأديبة الجزائرية زليخا السعودي (1943 إلى 1972)، أنه ما زالت بضع رسائل لم تر النور بعد، معولا على زينب الأعوج لنشرها لاحقا، أرسلتها السعودي إلى الكاتب الجزائري القدير محمد الأخضر السائحي.

1.3. الطبيعة الموضوعاتية والفنية لأدب زليخا السعودي:

ألقت زليخا السعودي 18 قصة متنوعة الموضوعات والأساليب ، مستخدمة تقنيات السرد المعروفة على أيامها من حوار ووصف وفلاش باك ... الخ، ولعل أبرز ما تميزت به قصصها وبعض مقالاتها: الروح الوطنية والوعي بالقضايا الوطنية، فكل القصص التي ألفتها تتحدث عن الثورة التحريرية ، أبطالها ثوار تفتانوا في الذود عن حياض الوطن الحبيب. كما خصصت للمرأة مكانة متميزة في مجموعتها القصصية ، قاصدة من خلال ذلك توعية النساء بضرورة مسايرة الحياة الجديدة، والنهوض من الواقع المزري الذي يعيشه جراء الاستعمار، وكذا التخلص من بعض التقاليد البالية التي تحد من تفعيل أدوار المرأة الحقيقية في المجتمع الجزائري بعامة والأوراسي بخاصة، فهي تجمع بين النضال أيام حرب التحرير، والنضال من أجل مجتمع أفضل.

وإذا كانت قصص زليخا: "عرجونة" و"عازف الناي" و"من البطل" (السعودي، 2001م، ص 176 و 131 و 146)، قد جاءت على أحداث نضالية، فإنها عبرت كذا عن صور اجتماعية عدة، حتى أن الشخصيات الثانوية التي تنمي الحدث القصصي غالبا ما كانت من النساء، فترى في قصة "عرجونة" هذه الأسماء: "عيشة، المعلمة، زينب، عرجونة"، و"الطاهر" بالمقابل ، وكذلك هو الحال في قصتي "من البطل" فربيعة، وأنا، والدة الأخضر، وأمينة، وزيتونة، وباهية ، وطفلة الأخضر" مقابل "الأخضر الطيب وبلقاسم"، (دوغان، 1996م، ص 175). والجدير بالذكر أن زليخا السعودي قد جاءت على دور المرأة في الكفاح الثوري والضرية التي دفعتها، فقد استشهدت "ربيعة" في قصة "من البطل"، وتحملت "عيشة" في قصة "عرجونة" كل أنواع

العذاب المعنوي ،والتعذيب الجسدي الوحشي من أجل أن تبقى وفية لثورتها، وفي الأخير نجد أن الذين قدمت لهم خيرا لم يقفوا إلى جانبها وقت الاستقلال (دوغان، 1996م ص 175) لأن المجتمع لو منحها مكانتها الحقيقية لما استمرت الكاتبة في سرد معاناة المرأة في كل قصة من قصصها الثورية، فأغلب بطولاتها مناضلات، لكنهن لم يحصلن على ما حصل عليه المناضلون من الرجال بعد الاستقلال ،فلذلك نجد الكاتبة مصرة في كل مرة على إقحام المرأة(الشخصية القصصية) في مواجهات دائمة مع المجتمع ومع الرجل ومع النساء الأخريات، لكي تدافع عن حقوق المرأة بطريقتها القصصية.

أما لغة السعودي في جميع قصصها ، فهي تدل على إدراكها الكامل لمقومات اللغة القصصية، من حيث تركيب الجمل الاستفهامية التي استغنت بها عن الحوار في أغلب الأحيان، فكان لديها الوصف الذي يساعد على امتلاك الجاذبية(دوغان، د.ت، ص 39)، وهذه الموهبة لم تأت لها بين عشية وضحاها، بل امتلكتها بعد عناء قراءة عشرات الكتب ،التي كان يرسلها إليها -أخوها رحمه الله -من مصر أثناء إقامته هناك، قبل التحاقه بصفوف الثوار، فأحمد دوغان قال عنها بعدما قرأ قصصها: قرأت هذه القصص وجدت نفسي إني أمام كاتبة قصة ظلمها الزمن، لم تكن في قصصها ناشئة ولم تكن مدعية أو مقلدة ،ولا غرور في القول أنها ولدت قاصة ورحلت قاصة ،دون أن يشير إلى قصصها أحد إلا بكلمات قليلة (دوغان، د.ت، ص 29) .

2.3. قراءة في نماذج من أدب الثورة لزيخا السعودي :

إن التجربة الثورية أمر ضروري لكل أديب يريد أن يغني ثورة، وكون رؤياها، وليس كثيرا من الشعب الذي خلق الثورة الجزائرية أن يمنحنا الأديب الثوري، وعلى غرار الرجال الجزائريين الذين كتبوا عن الثورة وبخاصة الشعراء منهم، فللنساء في ذلك نصيب أيضا، وكانت أول قاصة جزائرية تُولف عملا سرديا إبداعيا حول الثورة التحريرية هي: "زهورونيسي" التي ألفت مجموعتها القصصية الموسومة "بالرصيف النائم" ،التي تضم بين صفحاتها قصصا من الواقع الثوري الجزائري (ونيسي، 1997م) ، بعد الإستقلال مباشرة، واستمرت الكاتبة على نفس النهج في مجموعتها القصصية الثانية "على الشاطئ الآخر" ، معتمدة على مرجعية واحدة لأحداث السرد هي الثورة التحريرية الجزائرية (ونيسي ، 1974م)، وواصلت على نفس النسق في روايتها "يوميات مدرسة حرة" ، فلم تخرج من حيز الثورة الجزائرية (ونيسي، 1979م)، وهذا هو ديدن رفيقتها الأدبية زليخا السعودي التي نشرت قصتها الأولى "عازف الناي" في مجلة الفجر الجزائرية بتاريخ 15/12/1962م، وتتابع نشرها لقصصها في الجرائد الوطنية طيلة عقد

السيتينيات، ولم تنل قصصها شرف النشر في كتاب موحد إلا بعد وفاتها، فنشرها الباحث شريط أحمد شريط (شريط، 2001م)، الذي جمع لها 18 قصة كاملة هي: ابتسامة العمر، على مذبح الوعي أو المقيدون، وحي العزلة، آخر خيط، الحمامات المهاجرة، خطوات في الثلج، عودة البطل، النهاية، اليوم الآخر، المساهمة، الحاج زيتون، طفلة في الميدان، عازف الناي، الذوبان، الجرح والأمل، من البطل، من وراء المنحنى، عرجونة.

وقد جسدت الأدبية صورة البطل الثوري الصادق إبان الثورة التحريرية في منطقة الأوراس، من خلال قصة "عازف الناي" خليفة، الذي كان خير خلف لخير سلف، فاسم البطل خليفة، واسم جده خليفة، هذا الأخير الذي ضحى بنفسه وبابنه في سبيل عدم انكشاف سر الثورة، وعدم إفشاء خطط المجاهدين، ورغم علمه بأنه سيموت هو وابنه جراء ذلك إلا أنه لم يتراجع عن موقفه، ومعتقدده في الثورة هو الموت أو الإستقلال، وعازف الناي هذا الحفيد الذي كان يحضر كل يوم إلى قبر جده، ليعزف لحن الحرية الممزوج بالمرارة والحزن على فراق أهله من الشهداء، الذين لم يبق منهم غيره يحمل رسالة حب الوطن والتضحية في سبيله عبر الأجيال (السعودي، مرجع سابق، ص 131).

وفي قصة "من البطل" تقاسم الزوجان "ربيعة والأخضر" والتضحية من أجل الوطن، على الرغم من معاناة كل منهما معاناته الخاصة، إلا أنهما اجتمعا على حب الوطن والموت في سبيله، صورت لنا زليخا في هذه القصة واقع المجتمع الجزائري في تلك الفترة، التي لا يملك فيها الإنسان خيار الارتباط بمن أحب، ليبقى الحب آخر شيء يفكر فيه في مسألة الزواج، فعلى الرغم من أن الزوجان لم يكونا يكتفون ببعضهما أي مشاعر، وتعلقهما بشخصين مختلفين، غير أن مشيئة الأهل في تزويج الأبناء تبقى هي السلطة الوحيدة التي يجب الإمتثال لها، وأثمر ارتباط "الأخضر بربيعة" إنجاب طفل وطفلة، بعد ذلك هاجر الوالد لتركهما معها بحثا عن عمل في فرنسا، هذه الهجرة أسفرت عن معاناة كبيرة أصابت البطلة التي تركت مع عجوزتها التي لا تكف عن الشجار معها بسبب الإبن المهاجر الذي انقطعت أخباره، أما الأخضر فقد إنغمس في الشرب حتى تهالك جسده، فنقل إلى المستشفى، هناك التقى بالمرضة الإسبانية "آنا"، لكن في ذلك الحين كان الأوان قد فات عن الإستمتاع بالحياة، فالمرض نخر جسمه، وأيامه أصبحت معدودة فاعتزم على العودة إلى الوطن ليقضي نحبه هناك، بعد أن ضحى بنفسه في عملية ثورية ضد المستعمر، وفي نفس لحظة وفاته استشهدت ربيعة بعد افراطها في تناول حشائش سامة تسبب الإجهاض، لأنها حملت بطفل غير شرعي بعد إعتداء

تعرضت له من قبل جنود المستعمر إثر مداهمتهم للقرية. تصور لنا القاصة في هذه القصة المعاناة الحقيقية والإستعباد الذي طال الجزائريين رجالا ونساء، فهم لا يملكون الحرية في اختيار الشريك، ولا في الإنجاب، ولا في امتلاك الوطن، ولا في الأمن، لذلك كان القرار النهائي والفاصل هو الشهادة للتخلص من عبء الإستعمار. وتبدو المرأة هنا أكثر المأمن الرجل لأنها تكبدت عناء البقاء على ذمة رجل هجرها، ومع عجوز دائمة التنغيص عليها، فضلا عن وجوب خدمتها لها لأنها طاعنة في السن، مع عدم وجود إمكانية لمغادرة القرية الكثيفة لأن فيها أرضهم وهي مصدر الرزق الوحيد للعائلة، زيادة على تربية طفلين لوحدها.

والأمر اللافت في شخصية البطلة هو أنها تحملت كل مشاق الحياة البائسة، إلا أنها لم تستطع تحمل عبء أن تحمل بابن كافر مستعمر، ذلك المصاب هو الأثقل على كاهلها على الإطلاق، فوضعت حدا لحياتها لكي لا تعيش بقية عمرها في العار. أما الأخضر فعلى الرغم من ضياعه في الحانات إلا أنه مازال يملك في قلبه عرقا ينبض بحب الوطن، وكانت الشهادة في سبيله، هي المسلك الوحيد للتكفير عن كل ذنوبه وآثامه التي اقترفها في حياته.

هذه القصة رسخت مبادئ الثورة وأشادت بدور المرأة فيها فعلى الرغم من أن البطلة لم تحمل السلاح إلا أن نضالها كان من نوع آخر (السعودي، مرجع سابق، ص 146).

وعلى الرغم من تعدد القصص وتنوع أسماء الشخصيات وصفاتها في جميع سرديات السعودي، إلا أن زمانها واحد هو زمان الثورة التحريرية، ومكانها واحد هو أرض الجزائر المحتلة من طرف الفرنسي.

أشادت السعودي كذلك ببعض أبطال الثورة الخالدين، في بعض مقالاتها المنشورة في الجرائد الوطنية منها ثلاثة مقالات، الأول موسوم بـ "من أبطالنا الخالدين العربي التبسي" (السعودي، مرجع سابق، ص 334)، والثاني موسوم بـ "رسالة إلى مفدي زكريا" (السعودي، مرجع سابق، ص 357)، والثالث موسوم بـ "في عيد الثورة (السعودي، مرجع سابق، ص 362).

ففي مقالها حول الشيخ العربي التبسي احتفلت الكاتبة برموز الثقافة الجزائرية دون استثناء، كما يبين هذا المقال إعجابها الشديد بأحد رموز الحركة الإصلاحية في الجزائر "العربي التبسي" مشيدة بمناقبه وجهوده الإصلاحية، وختمت مقالها بقولها: فسلاما على روح التبسي مع الخالدين، وتحية إلى تبسة المجاهدة بلده الأول الذي نرجو أن يحيي ذكره ويخلدها لا في أسماء أنهج أو شوارع ... بل في حركة علمية ثورية تنشئ المعاهد والمدارس وتسميتها باسم

الرائد الخالد، لببشر الأجيال الصاعدة على وحي اسمه العظيم وروحته الخيرة المشعة (السعودي، مرجع سابق، ص363).

وفي رسالتها إلى شاعر الثورة صاحب الإلياذة مفدي زكريا ، في شكل مقال منشور في إحدى جرائد الوطن، وهو مقال فكري يتميز بالأسلوب والمقصد معا، وهذه العبارة تعكس فحواه: يجب أن تنهض برسالتك تجاه الوطن الكبير. مهما كانت هذه الرسالة الصغيرة بسيطة، فهي لبنة في الكيان الوطني، تنهض بها كما كنت في غمرة النضال الفذ الذي سجل وجودك، وأخرج شخصيتك إلى العالم، المتعالية في سموها وطموحها، بعيدا عن الشقاء، والقلق، والتشكك الذي لن يجدينا شيئا سوى التبعثر والركود (السعودي، مرجع سابق، ص361).

وفي مقال "في عيد الثورة"، وهو في الأصل خطبة كانت الأدبية قد ألفتها أمام الجماهير الشعبية بمناسبة الذكرى الأولى لعيد الاستقلال، وقد كان لهذه الخطبة صدى عميقا لدى الأوساط الجماهيرية، وفي الصحافة الوطنية آنذاك، منها صحيفة الأحرار التي كان يشرف على تحريرها "الطاهر وطار" - رحمه الله-، هذا مقتطف منها: نحن نستقبل هذه الذكرى الخالدة، وكل عرق من عروق الشعب وكل جزء من الوطن الجزائري يستعد للوثبة الجديدة للثورة الثانية، لأجل مستويات أفضل ومجتمع تسوده الكرامة والسعادة (السعودي، مرجع سابق، ص362).

خاتمة :

تبقى زليخا السعودي رائدة من رائدات الأدب الجزائري المهمشات، نهضت به في وقت لم يكن هينا على المرأة التعبير عن مختلفاتها شفويا، فما بالناس بالكتابة في مجتمع وأد الكثير من الطاقات والمواهب باسم العادات والتقاليد، وبخاصة في منطقة الأوراس أيام الستينيات، ومهما يكن فهذه الكاتبة الثائرة ، وجدت لها موطأ قدم في ساحة الأدب الجزائري ، على الرغم من قصر عمرها، فالمنية عاجلتها وهي في ريعان الشباب، وقد أسفرت دراستنا حول أدب الثورة عند هذه الأديبة ، التي عانت نصوصها من التهميش والنسيان، عن بعض النتائج نذكر منها:

-يفيد مصطلح الثورة الوثوب والهباج في اللغة، والانتقال والتغيير في الاصطلاح، وإذا أضفنا له كلمة التحرير أفاد: تغيير نظام الدولة، وأما إذا زدنا عليه لفظ الجزائر، دل على النضال ضد الاحتلال سعيا لإقامة دولة وطنية مستقلة.

- يرجع السبب في تأخر ظهور الأدب النسوي في الجزائر إلى القصور في الحياة العامة، كانت إرهاباته الأولى مقالات عن الثورة، نشرت في مجلة البصائر، أيام الثورة المباركة ، بأقلام

الكاتبات : زهور ونيسي، وباية خليفة، ولؤيزة قلال، وفريدة عباس، وغيرهن...

- تصدرت زهور ونيسي المشهد السردى النسوي الجزائري بالكتابة للثورة التحريرية، تلتها زليخا السعودي في ذلك زمنيا، حيث ألفت 18 قصة ثورية، نشرتها بالتواتر على مدار العقد الستيني، في الجرائد الوطنية، وزادت على ذلك عددا من المقالات الممجدة للثورة ولأبطالها.

- تميزت قصص السعودي فنيا باعتماد تقنيات السرد المعروفة على أيامها (الحوار، والوصف، والفلاش باك...)، لكننا نجدها تستغني في كثير من الأحيان عن الحوار، بتركيب جمل استفهامية، إدراكا منها لمقومات اللغة القصصية، وعمدت إلى توظيف تقنية الوصف التي ساعدت نصوصها على اجتذاب القارئ، أما تقنية الفلاش باك فقد مكنتها من العودة بالزمن، من زمن الاستقلال إلى زمن الثورة في سهولة ويسر.

- اعتمدت المؤلفة في قصصها اعتمادا كليا على واقع الثورة، الشخصيات: ثورية، الزمان: أيام الثورة وكذا زمن الاستقلال، المكان: الجزائر وفرنسا، الأحداث: مستلهم من الثورة، الصراع: قائم بين الشعب الجزائري والمستعمر الفرنسي، إلى جانب صراعات داخلية أخرى فرضتها أحداث كل قصة.

- وزعت الكاتبة أدوار البطولة الثورية في بعض قصصها مناصفة بين الرجل والمرأة (قصة من البطل)، وخصصت البطولة المطلقة للمرأة في قصص أخرى (قصة عرجونة)، وتقاسم البطولة عدة رجال الجد والابن والحفيد في (قصة عازف الناي).

- غلبت زليخا العنصر النسوي من حيث عدد الشخصيات الثانوية الأنثوية التي وظفتها في قصصها، على حساب عدد الشخصيات الذكورية في كثير من تلك القصص، وظهر ذلك جليا في (قصتي عرجونة ومن البطل).

- خصت زليخا السعودي المرأة بمكانة مهمة في أعمالها السردية، قاصدة من ذلك توعيتها بضرورة النهوض من الواقع المزري المعيش بسبب الاستعمار، وحثها على النضال الاجتماعي والتحريري معا، كما أكدت على جسامه الضريبة التي دفعها المرأة في الكفاح الثوري، وضآلة الجزاء الذي نالته من نضالها ذاك مقارنة بجزاء نضال الرجل، وهذا ما يفسر إلحاح القاصة على إقحام المرأة في مواجهات دائمة مع: الرجال، ومع المجتمع، ومع نساء أخريات، تهدف من ذلك إلى الدفاع عن حقوق المرأة عن طريق السرد القصصي.

- تنتهي أغلب قصص السعودي بالشهادة، فالجد خليفة وابنه استشهدا في سبيل حفظ سر الثورة في قصة عازف الناي، والحفيد خليفتهما باق على العهد يمجدا بطولتهما بعزف لحن

الاستقلال في المقبرة يوميا، محافظا على قيم أسلافه التي هي ذاتها مبادئ الثورة المجيدة ، كما انتهت قصة من البطل باستشهاد ربعة والأخضر في سبيل الوطن، على الرغم من اختلاف مواقفهما، وتباين عذابتهما، إلا أن حب الوطن جمعتهما فكانت النتيجة متماثلة هي السعي إلى الشهادة.

- استمرت السعودي في الكتابة للثورة حتى بعد الاستقلال ، من خلال عدة مقالات نشرتها في جرائد وطنية ، مجدت فيها أبطال الثورة ، عرفانا منها ببطولاتهم الراسخة في خدمة الوطن ، والتفاني في تحريره ، ومن بين أولئك الأبطال: الشيخ العربي التبسي ، أحد رواد الحركة الإصلاحية الوطنية، ومفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية وآخرون.

وفي ختام هذه المداخلة نقول :هل من منصف لزيخا السعودي ، هذه القامة التي تستحق منا عناء البحث والدراسة ، بشتى المناهج ، وفي شتى مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية، لأننصوصها صورة طبق الأصل عن واقع معيش فترة الستينيات، هو واقع الثورة التحريرية وما بعدها، فلم لا يقام هذا المؤتمر الدولي كل سنة يتناول احدى الشخصيات الجزائرية التي خدمت الثورة حسب تخصصها وما تبرع فيه، وتكريم هذه الشخصية إن كانت على قيد الحياة، أو دعوة أحد المقربين منها لتجيب عن أسئلة الجمهور الحاضر لفعاليات الملتقى، قصد الإضاءة أكثر على شخصياتنا الوطنية، التي مازالت تحتاج منا لمزيد من الجهودات للتعريف بها، وبانجازاتها العظيمة التي ساهمت في بناء مستقبلنا، ومستقبل الأجيال القادمة في جزائر تنعم بالاستقلال الذي ضحى في سبيل تحقيقه أجدادنا، الذين أستشهد منهم مليون ونصف مليون شهيد،-المجد والخلود لشهدائنا الأبرار-

قائمة المراجع:

- ابن منظور محمد بن مكرم، (2000م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1.
- الجوهري اسماعيل بن حماد، (1999م)، معجم الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، تحاميل بديع يعقوب ونبيل الطريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- نجمي حسين، (د.ت)، شعيرة الفضاء السردى المتخيل والهوية في الرواية العربية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- خشبة سامي، (1994م)، مصطلحات فكرية، مكتبة الأكاديمية القاهرة، مصر.
- داوود وفاء علي، (2013م)، التأصيل النظري لمفهوم الثورة والمفاهيم المرتبطة بها، مجلة الديموقراطية، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، عدد يناير.

دوغان أحمد، (د.ت)، الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، سلسلة أدبية تصدرها مجلة آمال عن وزارة الثقافة الجزائرية.

دوغان أحمد، (1996م)، في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، سوريا.

رسول محمد رسول، (2013م)، الأنوثة الساردة قراءات سيميائية في الرواية الخليجية، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ودارالنشر تونس، ط1.

السعودي زليخا، (2001م)، الأثار الأدبية الكاملة ، جمع وتحقيق شريط أحمد شريط، الصندوق الوطني لترقية الفنون والأدب لتطويرها التابع لوزارة الاتصال والثقافة، ط1. الكيلاني عبد الوهاب، (1979م)، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.

العظمة نذير، (2015م)، أدب المقاومة بين الأسطورة والتاريخ، دارعلاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ط1.

ملحم ابراهيم أحمد، (2016م)، الأنوثة في الأدب النظرية والتطبيق، دارالكتاب الحديث، عمان ، الأردن.

وغليسي يوسف، (2013م)، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر.

ونيسي زهور، (1997م)، الرصيف النائم، القاهرة، مصر.

ونيسي زهور، (1974م)، على الشاطئ الآخر، الجزائر، ط1.

ونيسي زهور، (1979م)، من يوميات مدرسة حرة، الجزائر.

جماليات التوظيف الثوري في الرواية الجزائرية، نماذج مختارة.

The aesthetics of revolutionary recruitment in the algerian novels.

Selected models.

حنان بن قيراط.

جامعة 08 ماي 1945، قالمة – الجزائر.

benkirat.hanane@univ-guelma.dz

1. مقدمة:

كانت الثورة التحريرية المجيدة ولا زالت مصدر إلهام الكثير من الأدباء في إبداعاتهم المختلفة، وذلك لتجذرها في المجتمع الجزائري ولما تركته من آثار عميقة على عدة أصعدة؛ وقد عبّر الأدباء الجزائريون عن قداسة ثورة التحرير وجسّدوا تأملاتهم ومواقفهم منها، وحضر المشهد التعبيري للثورة المجيدة في مختلف الفنون من المسرح والموسيقى والرسم والأدب... وكان للرواية أيضًا نصيبٌ لتصوير وتمثيل وجه أبطال نوفمبر وشهداء وأحداثه.

ولأنّ الثورة حاضرة في فؤاد ونصّ كل أديب جزائريّ، سنجد صعوبةً كبيرةً في تقديم كلّ النماذج الثورية التي جسّدها الروائيون؛ فهي كثيرة من جهةٍ، وتتضمن المعاني الكبيرة الحماسية من جهةٍ أخرى، وفيها المواقف والمشاهد الطويلة التي تجمع مشاهد البطولة وصور التعذيب الاستعماري ومختلف ما عاشه الشعب وما عاناه آنذاك.

ومن بين ما جسّد ذلك رواية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، طيور في الظهيرة، البزاة لمرزاق بقطاش، اللاز، الزلزال للطاهر وطّار، على جبال الظهرة لمحمد ساري، هموم الزمن الفلّاقى لمحمد مفلّاح، حورية لمحمد مليس، نارونور لعبد المالك مرتاض، جسر للبوّاح وآخر للحنين لزهور ونيسي، ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي... وقد مثّلت جوانب من الماضي الثوري ورصدت التطوّرات التاريخية والاجتماعية التي ولّدت هذه الأزمة، وشخّصت أحداثًا وقعت فترة الاستقلال وكانت مبنيةً على ماضي الثورة المجيد.

كلّ ذلك تتعرض له كلّ روايةٍ بشكلٍ روائيٍّ خاصٍّ، تتضافر فيه روعة السرد يتخلله شعورٌ بالمتعة والشاعرية، مع شعورٍ آخر بالحيرة والتساؤل: كيف تمثّلت الروايات ثورة التحرير المجيدة؟ كيف جسّد الروائيون رؤيتهم للثورة التحريرية في خضم رؤية التاريخ وسؤال الهوية

القومية وتشكيل الوعي؟ ما هو هدف الروايات من ذلك؟ ما هي جماليات التوظيف التاريخي للثورة التحريرية فيها؟

2. توظيف التاريخ في الرواية:

لكلّ مجتمعٍ تاريخه الذي يفخر به ويستند إليه لبناء حاضره والتطلّع إلى مستقبله، والمجتمع الجزائري له تاريخه العريق الذي تشهد عليه الثورة التحريرية التي كانت ولا زالت أهمّ موضوعٍ في الإبداعات الروائية الجزائرية التي تمحورت حولها نظرًا لتجذّرها في المجتمع الجزائري. والتاريخ كما يراه الأدباء ليس مجرد أحداث مضت، بل هو دروسٌ وعبرٌ يمكن الاستفادة منها، لذلك نراهم يسقطون أحداث الماضي على الحاضر ويرون الحاضر في ضوء الماضي. وتصبح الرواية بذلك تاريخًا نقديًا مهمته: " أن يحزّر الفكر الإنساني من العبودية والخرافة والغباء من أجل نشر الحرّية والتنوير والعقل " (صبيح، لا ت، صفحة 81).

وقد اشتغلت رواية السبعينيات والثمانينيات على كتابة تاريخ الثورة فعليًا وتخيّلًا أي نقلها من الواقع إلى المتخيّل، ما جعلها ضمن مسوح المقدّس لتؤسّس جسرًا تواصلًا. وهذا ما دفع الأدباء لجعل التاريخ مادةً لأعمالهم الأدبية والروائية خاصةً بعد الاستقلال، حيث برز نفر منهم حين بدا تأثرهم واضحًا به وتركوا آثارًا عميقة لما عانوه خلال الثورة من فقدان الشخصية الوطنية والهوية القومية والوحدة...

3. فاعلية التاريخ الثوري الجزائري في الإبداع الأدبي:

للتاريخ علاقة مباشرة بالأحداث الواقعية بمختلف مراحلها الزمنية، وللمكوّن التاريخي حضورٌ كبيرٌ على مستوى الإبداع الأدبي. فحضور الدلائل التاريخية في النص الأدبي لا يعني بالضرورة هيمنة التاريخ على حساب السياق الفني للنصّ، بل على العكس من ذلك؛ إذ أن الأدب يأخذ بعض مادته من التاريخ المحمّل بالإشارات والرموز كمرجعيات للواقع؛ وقد يعود الروائي: " إلى لحظة في الماضي لاستكشاف الحاضر وفهمه، وهو قد يعود إليها كسندٍ في مواجهة وطأة الحاضر " (عاشور، 1981، صفحة 134). وهذا ما يجعل المعالجة الفنية للوقائع التاريخية أكثر انفتاحًا على التحليل وفق الدلائل التاريخية التي تنفتح عبرها النصوص الروائية. كما أنّ التفاعل بين المكوّنين التخيلي والتاريخي يخضعان لمبدأ الانتقاء.

ويمثّل المكوّن التاريخي أحداثًا لا تحمل إيديولوجيات ثابتة، بل إنّ المرجعيات التاريخية التي يمكن أن نعتمدها في تأويل النصوص الروائية هي الحاملة لقيم إيديولوجية متعدّدة ومختلفة باختلاف التعامل مع الحقيقة التاريخية، بلغةٍ مكثّفةٍ دلاليًا: " يعلن النصّ عن ذاته

من خلال متضمّنه، ومتضمّن النصّ ليس سوى الفكر والرأي والموقف إذ لا يمكن أن يتمّ ذلك إلاّ بتحقيق قراءاتٍ تشبّع بها شخص المبدع " (الدين، 1984، صفحة 11). فالنصّ الروائي لا يمكن أن يتصوّر كلفة هذه الحقيقة التاريخية المطلقة بقدر ما يحاول أن يمثلها وفق رؤية فكرية يكون حضورها عبر المكوّن التاريخي.

وهذا ما يجعلنا نعتقد أنّ عملية الانتقاء التي يقوم بها المؤلّف للمكوّنات التاريخية ليبنّيها في نصّه هي التي تعبّر عن موقفه الإيديولوجي؛ بمعنى أنّ المكوّن التاريخي يخترق النصّ الأدبي من زاوية إيديولوجية محدّدة تسعى لبثّ قيمٍ فكريةٍ لها علاقةٌ مباشرةٌ بالعناصر السوسيو تاريخية لبنية المجتمع، وذلك وفق صياغةٍ فنيةٍ رفيعةٍ تمزج جماليات النصّ بأبعاد التاريخ من خلال: " إبراز الخصائص التي يميّز بها الأدب خلال مراحل حياته المتعاقبة، ومن ثمّ في التفتيش عن عواملها ومسبباتها في الواقع التاريخي وفي تراث الفكر والثقافة " (عاصي، صفحة 128).

إنّ الثورة التحريرية المجيدة ليست تلك المدوّنات النظرية التي سجّلها التاريخ بسرد أحداثها ووقائعها وتقديمتها للأجيال اللاحقة بصورة خطيّة مستقيمة فقط، بل هي النمط الذي يتعرّض للوقائع التاريخية الاستعمارية لاستخلاص العبر والدروس واقتراح حلول معاصرة اتكاءً على أحداث الماضي، باعتبار أنّ التاريخ شاهد ومهيمن على العقل الكلي، ويهيمن على الوقائع ويصوغها في منطلقها الداخلي، من خلال تفاعل الشخصيات التاريخية نفسها مع المقصد الخفيّ الذي يبلوره المنطلق الباطني للتاريخ، وبالتالي، فكلّ حدثٍ من أحداث الثورة إنّما جرى وفقاً لمقتضيات الضرورة والشرعية لتخدم قصداً معيّناً نحو الاستقلال والحرية. وأهميتها تكمن في أنها منظومةٌ فكرٍ لتحقيق وعيٍ خاضع لمنطقٍ باطنٍ كامنٍ انبثق من الشخصيات الثورية والمجاهدين والشهداء.

جاءت ثورة التحرير للتحرّر من أشكال الهيمنة والاستعباد والقهر، وقد ارتبط الأديب الجزائري بها منذ انطلاقتها، فعبرت عن طموح الشعب وتحسّس الأدباء همومه ومقاومته وصموده ضدّ الاستعمار الفرنسي. وكان الأدباء أوّل من لبّى النداء وكانوا في طليعة المجاهدين وقاموا بشحن النفوس بقيم الثورة والجهاد، حتى كان التلاحم الكبير بينهما في كلّ مراحلها وتقدّم إنجازاتها المصيرية وبم تركته من صورةٍ مشرقة في الأذهان والنفوس والإبداعات.

وبالرغم أنّ الرواية الجزائرية لم تعاصر الثورة كما عاصرها الشعر، إلاّ أنها كانت شديدة الارتباط بأحداثها وإن اختلفت موضوعاتها وإيديولوجياتها والرؤى التي يتصوّر

الروائي عن كبرى القضايا الثورية كبطولات الشعب وجرائم الاستعمار... ووجد الروائي فيها: " صورة الماضي القريب وصدمات الواقع المتحول، فكان يلتفت إلى الماضي ليستحضر حرب التحرير سائلها طورًا ويتلذذ بذكرها أطوارًا، وهو في ذلك يحنّ إلى ماضٍ مجيد يستأنس به وقد يوظفه لنقد الواقع، وقد يقحمه فيأتي امتدادا للخطاب السياسي الرسمي الذي جعل من التراث الوطني شعارا لتكريس الشرعية التاريخية" (عامر، صفحة 26). وهذا يعني أنّ نظرة الروائيين للثورة وكيفية توظيفها قد اختلفت من روائي لآخر ولكلّهم انفتحو إلى بطولاتها ومآثرها التي كتبها الشعب الجزائري بدماء أبنائه. لذلك كان حضور الثورة كثيفًا خاصّة في روايات التأسيس الأولى التي ارتكزت على المضمون الواقعي والإيديولوجي أكثر من الجمالية الفنية التي لازمت اتجاهات الرواية الجزائرية في مسيرة تطورها. وهنا سنحاول دراسة بعض الروايات التي تجسّد هذا الاتجاه الذي يتمحور حول الثورة وأحداثها ووقائعها وما خلفته من آثارٍ، وقد اخترنا في ذلك ثلاث نماذج متنوعة من حيث المضمون والمعالجة والأماكن التي حدثت فيها بين الريف والمدينة، وما كان لها من صدى إيديولوجي.

3. 1 الشخصية الثورية وتعدّد الإيديولوجيا في رواية اللّاز للظاهر وطّار:

حاول الروائي أن ينقل للقارئ مقومات جيش التحرير وأهل الريف للمستعمر الفرنسي، وكانت إنجازًا فنيًا جريئًا وضخمًا طرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة التحريرية والتحالفات التي كانت ضدّ قوى الثورة آنذاك بدافع التعصّب الإيديولوجي الذي لا علاقة له بها، والصراع الذي كان يحدث بين رفقاء السلاح: " جاء تصوير اللّاز للثورة الجزائرية من الداخل ينم على معاشة الروائي اليومية ووعيه السياسي والاجتماعي لأحداث الثورة الجزائرية وأزماتها ومشكلاتها وخلافاتها التنظيمية" (عطية، صفحة 254).

ومن خلال عالم شخصية اللّاز المتباين، تحاول الرواية جعل القارئ ينتبه ويلامس الصراع الأيديولوجي من جهة بتضارب أحداث الثورة بين المناضلين والموالين لفرنسا ومصالحهم، فتبرز في النهاية عدّة مشاهد تتجلى فيها مقاومة سكان الريف للمستعمر ودورهم أثناء الثورة، وبطولات وانتصارات المجاهدين التي تثير حماس الجزائريين، وتعطي صورةً مليئةً بازدواج الفكر الاشتراكي والشيوعي الماركسي والإسلامي: " أعلن الروائي الطاهر وطّار من خلال تجربته الروائية التي استقطبت السرد التراثي الشعبي بأشكاله المختلفة وألوانه المتباينة عن انحيازه إلى الواقعية الاشتراكية كمذهب أدبي يقوم على شعبية الأدب. وقد برز هذا الانتماء في

أغلب أعماله الروائية التي حاولت أن ترصد حركة التحرر الوطني في الجزائر، والتحوّلات الاجتماعية بكلّ تعقّراتها " (مغشيش، 2012، صفحة 93).

وقد جمع الحديث عن الثورة التحريرية في رواية اللّاز بين الإيديولوجيا كتاريخٍ معاشٍ فعلاً وبين التركيز على نقد أحداث وقعت زمن الثورة، إذ يتكشف الجانب الثوري في الرواية بدءاً من شخصية اللّاز المحورية في الرواية وما تقوم به من أحداث. وكان التشكيل الفني لها انطلاقاً من بنية لغوية عن دلالات اللّاز ككلمة أجنبية تطلق في القديم على: " الجزء الأدنى من العملة، والآن يطلق على العدد المفرد في أوراق اللعب " (وطار، صفحة 91). ليجعل بذلك الروائي انطباقاً بين الدلالتين، فاللاز ينتمي إلى أدنى طبقات المجتمع باعتباره لقيطاً سعى للاندماج في الثورة، ومن ثمّ الامتلاء الإنساني وجودياً ومعنوياً وتفاعلياً... وهو ما يكشف تفاعله مع عديد الشخصيات بعدها، ليصبح شخصاً قادراً على العطاء والقيام بما لا يقدر عليه غيره في سبيل الثورة: " أنتَ المكلف، أنتَ الأخ المناضل، ماذا أسمع؟ اللازما بالك؟ ردّد اللاز هذيانه: ما يبقى في الواد غير حجاره. ثم في لهجة حاجة كما لو أنّه لم يذق قطرة خمر، بل كما لو أنّه ليس هو اللاز ولم يكنه في لحظة من لحظات حياته، إنّما الأخ المناضل، المكلف بعملية تهريب الجنود الجزائريين من الثكنة: السلعة جاهزة، غدا على الساعة الخامسة " (وطار، صفحة 33).

وتطرح الثورة في الرواية كفعلٍ وجوديّ جماعيّ، يجمع بها الفرد ماضيه وعبوديته لتحقيق حريته وإنسانيته، كحال اللّاز الذي اكتسب شرعية وجوده بانضمامه للثورة؛ فحين يؤسّ بدأ بالنضال لإعادة تكوين حياته وشخصيته ومصيره في واقعٍ جديدٍ يرتبط بقيم الثورة التي تسعى لتحقيق الحرية الوطنية والاستقلال: " ما إن خلت القاعة حتى تمتم اللاز متهدّداً من أعماقه للمرة العاشرة، وقد نسي جراحه وآلامه وشعر بنوعٍ من التفتح لمواجهة ما يحيط به... لقد انتهيت، نعم، وإذا ما استأنفت حياةً جديدةً فيقينا أنني سأكون لراً جديداً " (وطار، صفحة 62). فقد أصبح اللاز رافضاً للرتب العسكرية لأنّه في نظره يقوم بمهامٍ ومسؤولياتٍ، ولأنّ الرتب تُحدث انفصلاً في صفوف المناضلين الذين تربطهم حقيقة الإيمان بتحرير الوطن والتضحية والفداء والثورة الحقّة.

وهو ما جعله بفعل الإيمان بالثورة يصبح إنساناً جديداً ينتمي إلى العالم كبقية الناس، بعدما كان يتمزّق بين الواقع والممكن والكائن، وأصبح انتماءه الإنساني بذلك فعلاً لإعادة البناء ونبذ التهميش، وتأسيساً لفكرٍ واسعٍ يقوم بالثورة وعلى الثورة ويؤهل للاستمرار الثوري.

وبذلك كان الانتماء الإنساني الذي حققه اللاز بعد اندماجه الثوري سبيلا لإحداث الوعي حتى عند شخصيات الرواية الأخرى في مناقشاتهم وحواراتهم وأفكارهم التي تكشف إيديولوجيا نقدية عمد إليها الروائي لتكشف المستور.

كما تفاعلت شخصيات الرواية لتحقيق الاختلاف والائتلاف في سيرورة أحداث تاريخية ركزت على الثورة التحريرية، لكنها تجاوزت ما كان مألوفًا نحو إيديولوجيا انزياحية شكّلت وعيًا خاصًا على مختلف التحوّلات الإيديولوجية المصاحبة لمجريات الواقع والشخصيات والأمكنة والأزمنة. وكان اللاز امتدادًا للثورة واستمرارًا لها حتى بعد انتهائها زمنيًا، وهو ما تفصح عنه الرواية في الأخير: "إنّك الآن أفضلنا جميعًا يا اللاز، لأنّك لا تحسّ بشيء، لأنّك ما تزال تعيش الثورة بل لأنّك الثورة" (وطار، صفحة 277).

3. 2 وعي الذات والنضج الثوري في رواية مرزاق بقطاش:

المتتبع لروايات مرزاق بقطاش في مرحلة التأسيس خاصة طيور في الظهيرة، البزاة، يلاحظ تركيزها على الصراع بين الأنا الوطني والآخر المستعمر، وهي حقيقة تاريخية تعكس ممارسات فرنسا ضدّ الهوية الوطنية بكلّ الوسائل المتاحة، وبالمقابل لم يقف الجزائريون مكتوفي الأيدي كبارًا وصغارًا، فصوّروا عاملا مساعدا للأنا الوطني ليَتَحَصَّن بهويته ويدافع عنها بكلّ ما يملك. والحديث عن مجرى الثورة هنا يتضمّن ما صوّره الروائي من أحداثٍ ثورية وما قدّمته من توضّياتٍ جسامٍ لنيل الحرية والاستقلال، وإن راح ضحيتها الأطفال الذين لم يتمتعوا ببراءتهم، بل حملوا الوعي والهّمّ الوطني في قلوبهم وعقولهم وتفكيرهم .

استثمر الروائي جوانب من سيرة الثورة التحريرية في ثنائياته الروائية، محدّدًا الفترة التي دارت فيها أحداثهما (أوت 1956 – فيفري 1957)، في عالم المدينة (باب الواد) خلاف الريف الذي جسّده غيره من الروائيين، وهو إذ ذاك يدوّن جوانب من طفولته فصوّر: "إنجازات الثورة الوطنية ويرسم بريشة دقيقة معاناة الطبقة المسحوقة إبان الاستعمار الفرنسي والهموم الكبيرة التي يعيشها الأطفال" (الأعرج، 1986، صفحة 90).

مزجت الرواية بين الذاتي الذي يمثّل مرحلة الطفولة، والتاريخي الذي يسجّل أحداث الثورة التحريرية مع كثيرٍ من المواقف والأحداث الهامة التي حدثت آنذاك، منها:

- إضراب الطلبة الجزائريين: كان الإضراب عن إجبارية تعليم اللغة الفرنسية، لغة العدو في مدارسهم، لأنّهم أدركوا أنّ فرنسا تسعى لغرس القيم والثقافة الاستعمارية، وذلك للقضاء على مختلف مقوّمات الهوية العربية والإسلامية.

وهذا يعبر عن مدى وعي الطلبة الجزائريين واتخاذهم موقفًا مصيريًا وإن كلفهم ذلك الكثير، وهو ما يجسّده في الرواية موقف الطفل مراد ذي 12 سنة، بم ينم عن وعي عميق وتأكيد الذات والقومية. كما ركزت الرواية على صدى قرار الإضراب محليًا وعالميًا، بم يعكس تضامن الطلاب الجزائريين مع الشعب والمجاهدين، حتى بدأت طلائعهم تلتحق بالمجاهدين في الجبال (بقطاش، طيور في الظهيرة، 1981، الصفحات 67-69).

شكّل الإضراب كما صوّرت الرواية بواد النضج الثوري عند مراد، بعدما شارك فيه مع صفوف الكبارضدّ تعلّم الفرنسية، ما حرّك مشاعر التلاميذ نحو التضامن والالتزام التام بالقرار مهما كان. وهو حال مراد حين تمسّك بالمجموعة للحصول على معلومات عن المجاهدين: "أبصر بأحد التلاميذ الكبار ينتقل من جماعة إلى جماعة وهو يهمس ببعض الكلمات، وعندما اقترب من التلاميذ الواقفين بالقرب منه، سمعه يحثّهم على عدم الدخول إلى الأقسام الدراسية والامتناع عن دراسة اللغة الفرنسية، ثمّ قال لهم أنّه يجب الاكتفاء بدراسة اللغة العربية. أمّا الحصص المخصّصة للغة الفرنسية فيجب مقاطعتها. وخفق قلب مراد خفقًا سريعًا، هذا ما كان ينتظره من المجاهدين". (بقطاش، صفحة 65).

ويوحي رفض التلاميذ لتعلّم اللغة الفرنسية بالنضج والشعور بالأنا ضدّ سلطة الآخر (فرنسا، المعلمون الفرنسيون)، ما دفعهم للإضراب عن الدراسة وعدم تعلّم الفرنسية.

• ذكرى اندلاع الثورة التحريرية: تتحدّث الرواية عن استرجاع ذكرى ثورة نوفمبر المجيدة بين مختلف أوساط الجزائريين من فدائيين ومجاهدين وشعب... وما كان يقام من تذكير واحتفالات وتجمّعات سرية تدعو للجهاد ومواصلة الكفاح. والجديد الذي اعتمده الروائي هنا هو اكتشاف البطل مراد لهذا الحدث التاريخي والوطني الهام الذي أدرك من خلاله حقيقة الاستعمار الذي وجب إخراجه من أرض الجزائر، وما يعنيه نوفمبر للجزائريين لأنّه لم يكن كباقي الشهور، حين جاءه صوت خطيب في المقبرة مع حشد كبير من الناس: "إننا نحتفل اليوم بالذكرى الثانية لأول نوفمبر، أيها الأخوات والإخوان. وتساءل مراد عن أوّل نوفمبر وما يعنيه، لمّ هذا التاريخ بالضبط؟ إنّه يعرف أسماء الأشهر كلّها... نوفمبر هذا يخفي شيئًا وراءه، ينبغي الاستفسار عنه" (بقطاش، صفحة 110).

ولا أدلّ على ذلك من مشاركة مراد في إضراب الجزائريين عن الطعام والتوقف عن العمل: "قرأ الكلمات الأولى فأدرك بأنّها منشور من المجاهدين ينادي المواطنين إلى التوقف

عن العمل لمدة أسبوع كامل، هذا هو الخبر القاطع إذن... في أسفل الورقة ختمٌ باسم جبهة التحرير الوطني " (بقطاش، البزاة، 1983، صفحة 83).

كانت شخصية مراد تعجّ بالتساؤلات بين الحيرة والارتباك وحب المعرفة والتمرد والحرية والبحث عن كلّ ما يدور حوله من أمورٍ يجهلها: " عندما بدأ يفهم بعض الحقائق في الحياة، أدرك أنّ هناك فرقاً بين العرب والفرنسيين، لقد قيل له دائماً أنّهم مستعمرون احتلوا البلاد بالقوة، إنّهُ الوحيد الذي يحفظ عدداً كبيراً من الأناشيد الوطنية " (بقطاش، طيور في الظهيرة، صفحة 21).

وتصوّر الرواية البطل مراد، الطفل الصغير الذي بدأ يعي في المرات الأولى الكثير عن مفاهيم الثورة والاستعمار والاستقلال ونوفمبر وكره فرنسا... وقد أثر ذلك على فكره وتفكيره الذي زاده تمسّكاً بهويته ورغبته في معرفة الحقائق، وهو المثير هنا في طفلٍ صغيرٍ لا زال لا يدرك ويعي طبيعة الأمور عن الاستعمار عن الاستعمار والثورة والجهاد: " هذا التجمّع لا يمكن أن يكون إلا من تنظيم المجاهدين، وسرعان ما تأكّد من صحّة زعمه، فلقد سمع أحد الخطباء يتحدّث عن الجهاد ويوصي النساء والرجال بتشديد الكفاح ضدّ الاستعمار، ولم يفهم كلمة استعمار، إلا أنّه استنتج أنها تعني الأوروبيين، إنّها أوّل مرة يسمع فيها هذه الكلمة. العدو كان بالنسبة إليه يتمثّل في الأوروبيين " (بقطاش، طيور في الظهيرة، صفحة 109).

• في جانبٍ آخر، تحدّثت الرواية عن جوانب تاريخية ارتبطت بالثورة وسياسة المستعمر ضدّ المجاهدين؛ فتطرّقت إلى محاولات تكثيف جهود الدوريات العسكرية لتطويق الثورة ومنعها من الانتشار خاصّةً في جبال الأوراس معقل الثورة آنذاك، وسجن بربروس وطرق التعذيب التي اعتمدها فرنسا فيه. كما تتحقّق صور الوعي الوطني والنضج الفكري عند مراد، ويلمها شعورٌ بالذات والهوية والقومية العربية، قاده كلّ ذلك لمحاولة الالتحاق بالجيش والثورة، خاصّةً بعدما عرف أنّ والده هو الآخر مجاهدٌ في صفوف المناضلين، ويتلهّف بشدّة لمعرفة أخبار المجاهدين وكلّ ما يجري في الوطن من أحداثٍ عبر الراديو.

3 . 3 الثورة التحريرية وهم الذاكرة في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي:

مثّلت الرواية جوانب من سيرة المجتمع الجزائري واختصرت تاريخه الموضع، من خلال سرد البطل للماضي الثوري وإثارة عدة قضايا كانت نتيجةً للأزمة؛ ورصد التطوّرات التاريخية والاجتماعية التي ولّدها، ثم انتقلت إلى تشخيص أحداثٍ وقعت في فترة الاستقلال.

تحمل رواية ذاكرة الجسد عدّة أبعادٍ؛ ففيها التاريخي الذي من خلاله استعرضت الرواية تاريخ الجزائر وعرضت لأحداث في الوطن العربي، كما تضمّنت بعداً اجتماعياً وعقائدياً ينتقد المظاهر المجتمعية الشكلية والمزيفة في الأوطان العربية عمومًا وفي الجزائر خصوصًا. وبعداً إيديولوجيًا توضّح فيه زيف الطبقات الرأسمالية في المجتمعات العربية وهشاشتها وعلاقة النفاق والتلفيق التي تحكم أصحاب تلك الطبقات، معرجةً إلى أولئك الذين انبطحوا بمبادئهم بعد الثورة وأخذوا يعقدون صفقاتٍ مع الدول الأجنبية تعود بالضرر على بلادهم، ذلك كله بهدف زيادة ثرواتهم.

كل ذلك تتعرّض له الرواية بشكلٍ تتضافر فيه روعة السرد وإتقانٍ محكمٍ لمصطلحات اللغة المباشرة والرمزية، وكلّ هذه الأبعاد التي حملتها الرواية تمرلتتمحور حول تعلّق البطل خالد بوطنه الجزائر. وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم مرجعيات هذه الأحداث إلى مرحلتين:

● مرحلة الثورة:

تصوّر الرواية أحداثًا واقعيةً تمثّلت أساسًا في ثورة التحرير المجيدة ونضال الشعب الجزائري ضدّ الاستعمار الفرنسي، كما تضمّنت عدّة مواقف تاريخية من مسيرة الجزائر النضالية في سبيل تحقيق الحرية والاستقلال، من خلال عرض بعض الأحداث الخالدة التي تمجّد التاريخ القسنطيني في قول خالد: "هنا أضرحة الرومان والوندال والبيزنطيين والفاطميين والحفصيين والعثمانيين وواحد وأربعين بابًا تناوبوا عليها قبل أن تسقط في يد الفرنسيين... فرنسا التي دخلت الجزائر سنة 1830. لم تفتح هذه المدينة الجالسة على صخرة إلا سنة 1937 سالكة ممرا جبليا تركت فيه نصف جيشها، وتركت فيه قسنطينة خيرة رجالها" (مستغانمي، صفحة 291، 292).

وهذا يعكس الموقف نفسه للمدن الجزائرية الأخرى تجاه الاستعمار الفرنسي، فتمكّنت بفضل إرادة شعبها وعزيمتهم من تحقيق النصر العظيم، يقول خالد: "كان الموت يومها يمشي إلى جوارنا، ويناام ويأخذ كسوته معنا على عجلٍ، تمامًا مثل الشوق والصبر والإيمان... والسعادة المهمة التي لا تفارقنا" (مستغانمي، صفحة 26). وقد كانت المهمة السردية في سرد الأحداث الثورية ملقاةً على عاتق البطل خالد، بوصفه من أبرز مجاهدي صفوف جيش التحرير الوطني، فعاش تفاصيلها ومآسها من بين الصانعين لها في وقت مضى.

وصوّرت الرواية نضال الشعب الجزائري من خلال مظاهرات 08 ماي 1945 التي تعدّ أكبر الأحداث العالمية، قدّمت فيها قسنطينة وسطيف وضواحيها أول عربونٍ للثورة ممثلاً في

دفعلة أولى تتكوّن من آلاف الشهداء سقطوا في مظاهرة واحدة (مستغاني، صفحة 86). وفي ذلك يقول خالد: " كان سجن الكديا جزءا من ذاكرتي... فأدخله من جديد كما دخلته يوما من سنة 1945 مع خمسين ألف سجين أُلقي عليهم القبض بعد مظاهرات 08 ماي 1945 الحزينة الذكر... خمسة وأربعين ألف شهيد سقطوا في مظاهرات هزّت الشرق الجزائري كلّهُ، بين قسنطينة وسطيف وقالمّة وخرّاطة..." (مستغاني، صفحة 319)

كما أشارت الرواية إلى فترة النضال السياسي بعد هذه الانتفاضة، والتي كان من نتائجها التخطيط للثورة وبروز حركات سياسية بكلّ تنظيّماتها، كما تبنت النضال السياسي كطريقة ثانية لمواجهة هذا الاستعمار وذلك بتدويل القضية الجزائرية. ومن بين هذه التنظيمات السياسية آنذاك حزب جبهة التحرير الجزائري "ممثلا بمصالي الحاج. وترجع الذاكرة بخالد عند مروره بسجن الكديا حادثة: " يوم 10 نوفمبر 1955 بعد صلاة المغرب كان مصطفى بن بولعيد ومعه عشرة آخرون من رفاقه قد هربوا من الكديا وقاموا بأغرب عملية هروب من زنّانة لم يغادروا أحد ذلك اليوم... سوى إلى المقصلة " (مستغاني، صفحة 323).

بعد ذلك تحدثت الرواية عن فترة اندلاع الثورة وأهم صانعيها الذين خططوا لها من أجل إنجازها سياسيا وعسكريا، فركّزت على قائدها سي الطاهر: " لقد خلق لكي يكون قائدا، كان فيه شيء من سلالة طارق بن زياد والأمير عبد القادر، وأولئك الذين يمكنهم أن يغيروا التاريخ بخطبة واحدة " (مستغاني، صفحة 37). والذين كان لهم وزن كبير في تنظيم وإنجاح هذه الثورة منهم : ديدوش مراد ، عميروش، بن مهيدي وغيرهم. وقد قامت الكاتبة بعملية تقسيم وتقييم فترات هذه الثورة التي كانت تتأجج بين النصر والهزيمة، فأشارت إلى بعض المناطق التي كانت مسرحًا لمعارك كبرى، وهي معارك وقعت بالفعل ولها مرجعيتها التاريخية: "وجاءت تلك المعركة الضارية التي دارت على مشارف باتنة لتقلب يومًا كلَّ شيء... فقد فقدنا فيها ستة مجاهدين وكنت فيها من عداد " (مستغاني، صفحة 40).

حاولت الرواية باستحضارها أبيات ابن باديس في قصيدة شعب الجزائر مسلّم تذكير الشعب العريق بعروبته التي يفتخر بها، هذا النشيد الذي وحّد الشعب زمن الثورة حين كانت الحماسة تشدّ همّته وتقوي عزمته للجهاد في سبيل الحرية. ولم يمنع ذلك بعض المنافقين من أبناء الوطن من التخلي عن مبادئه: " بين أول رصاصة وآخر رصاصة، تغيّرت الصدور وتغيرت الأهداف وتغير الوطن " (مستغاني، صفحة 24). فقد كان الجري وراء المناصب

واستغلال ثروات البلاد هدفَ البعض ممن سمحوا لأنفسهم الصعود على حساب مصلحة البلاد وتقليد المناصب ورفع شعارات مزيفة لبناء مستقبل الأجيال.

مثّلت الرواية هذه الفترة بخطابٍ أعادت فيه سرد التاريخ على لسان البطل خالد، حين شارك في صنع الحدث التاريخي للحفاظ على ذاكرة الشعب وتجنّب أيّ محاولةٍ للعب بهذا الماضي المجيد، لأنه يعدّ مكسبًا ومفخرةً لهذا الشعب العظيم. وإنّ مصداقية هذه الأحداث لها مرجعية تاريخية مادية ؛ فهي ليست من صنع خيال الكاتبة بقدر ما هي حقيقة واقعية وهذا ما أعطاهم موضوعيةً، لأنّ العنصر التاريخي كان حاضرًا حضورًا زمنيًا ومكانيًا مكثفًا في النص. أمّا حضور الدلالة الإيديولوجية لتلك الأحداث التاريخية وربطها بحاضر البطل فيمثّل مقارنةً بين إيديولوجية الماضي وواقع الحاضر، فكان بذلك يعيش إيديولوجية الماضي بكل أبعادها، رافضًا إيديولوجية الحاضر الذي قسا عليه وعلى وطنه.

• مرحلة الاستقلال:

تستمرّ الرواية في تصوير الأحداث بعد الاستقلال التي تعتبر من المراحل الحرجة للدولة المستقلة حديثًا، وهي مرحلة تصفية الحسابات وتأخذ شكل الدليل القاطع على الواقع الجديد، خاصةً في البلدان العربية التي طغى عليها الحكم العسكري الدكتاتوري: " لا أذكر من قال يقضي الإنسان سنواته الأولى في تعلّم النطق وتقضي الأنظمة العربية بقية عمره في تعليمه الصمت". هذا الحكم الذي كان نتيجةً لانقلابٍ ما أو انتصارٍ ثوري مسلّح، هذه هي حال الوطن التي تجسدت بعد الاستقلال بحكمٍ جاء نتيجة الانقلاب العسكري، سعي آنذاك التصحيح الثوري، هذا النظام الجديد كان يحمل صبغة الدكتاتورية التي تقضي بتصفية الأشخاص الحاملين لوعي رافضٍ أو مناهضٍ لنظام الحكم السائد في تلك الفترة والذين لم يبتلعوا ألسنتهم بعد. ومنهم خالد الذي دخل السجن على يد أبناء بلده، وتمّ وضعه في زنزانة منفردة: " آخرها حزيران 1971 الذي قضيت بعضه في سجن للتحقيق والتأديب يستضاف فيه بعض الذين لم يبتلعوا ألسنتهم بعد " (مستغاني، صفحة 34).

وهذا ما يتجلّى نصيًا من خلال التساؤل المير الذي طرحه البطل خالد: " هل توقعت يوم كنت شابا بحماسته وعنفوانه وتطرّف أحلامه أنّه سيأتي بعد ربع قرنٍ يوم عجيب كهذا، يجرّدني فيه جزائري مثلي من ثيابي وحتى من ساعتني وأشياءني، لينزج بي في زنزانية فردية هذه المرة، زنزانية أدخلها باسم الثورة هذه المرة " (مستغاني، صفحة 283). ونتيجةً تلك المعاملة والمضايقات السياسية آنذاك شدّ خالد الرحال إلى فرنسا التي حارها بالأمس، والشهادة بتر

ذراعه التي يحملها كهوية في جسده. وتعاج الرواية أيضاً قضية الانحراف عن الخط المرسوم، كانتشار أسلوب الزيف والقمع الذي مارسه المسؤولون بعد الاستقلال ومنهم خالد نفسه الذي كاد ينجر في هذا الاتجاه لولا عودة الوعي له بفضل الشاعر الفلسطيني زياد: " تلقيتُ كلماته كصفعةٍ أعادتني إلى الواقع وأيقظتني بخجلٍ، لقد كان ذلك الشاعر على حقٍّ، كيف لم أكتشف أنني لم أكن أفعل شيئاً منذ سنواتٍ، سوى تحويل ما يوضع أمامي من إنتاج إلى نسخةٍ مبتورةٍ مشوهةٍ مثلي..." (مستغاني، صفحة 150) .

وتُبرز لرواية موقفاً آخر من خلال زفاف حياة واقعاً مغايراً لصور الزيف التي حلت بالبلاد، فكيف يعقل أن تزف الفتاة المتعلّمة، المثقفة، ابنة الشهيد بواحدٍ من الطفيليين ذي سمعةٍ سيئةٍ وكزوجةٍ ثانيةٍ؟ هذا ما تستنكره على لسان خالد: " ولكن لماذا هو... كيف يمكنك أن تمرغي اسم والدك في مزبلةٍ كهذه، أنت لست امرأةً فقط، أنتِ وطنٌ، فهل لا يهملك ما سيكتبه التاريخ يوماً؟ " (مستغاني، صفحة 276، 277) . وتقبل الفتاة الحسناء التي تمثّل رمز الجزائر على هذا الزفاف المشؤوم وكأنه قضاءً وقدرٌ محتومٌ، ولا تعتبر ذلك ارتباطاً بل هروباً إليه فقط من ذاكرةٍ لم تعد تصلح للسكن بعد تنالي الخيبات والأحلام المستحيلة، وهو ما يعكس موقفها السلبي. وأكثر سلبيةً منه موقف خالد الذي يحضر الزفاف كشاهدٍ على تلك الجريمة لإعطائها الشرعية: " كنت أعرف مسبقاً أن دعوتي لم تكن مجرد نيةٍ حسنةٍ... ولكن كانت قبل كلّ شيءٍ استغلالاً للذاكرة واستعمالاً سيئاً لاسمٍ من الأسماء القليلة التي ظلت نظيفة في زمنٍ انتشرت فيه وباء القذارة... " (مستغاني، صفحة 179) .

وهذا الفعل، فحياة تُهين الماضي والحاضر، وهذا الموقف السلبي لكل منهما لا يتلاءم مع شخصيتهما ؛ لأنّ خالدًا يمثل رمز المجاهد الذي يحمل هويته في جسده والمضحي بمنصبه كي لا يندمج في دوامة الانحراف. كما كانت حياة ابنة الشهيد الذي ضحّى أيضاً بنفسه في سبيل الجزائر، لتعيش يتيمة الأب، محرومةً من حبّه وعطفه ومساندته.

كما صوّرت لنا الرواية اهتمام البلاد ببناء المصانع وإهمال الثقافة بإهمال الصحف الجزائرية لمعرض خالد في باريس: " لم تهتم به غير صحافةٍ فرنسية مختصةٍ كالعادة وبعض المجلات العربية المهاجرة... وحدها الصحافة الجزائرية تجاهلتها عن إهمالٍ لا غير كالعادة، جريدة ومجلة أسبوعية واحدة كتبتا عنها بطريقةٍ مقتضبةٍ، وكأنهما تعانيان فعلاً من قلّة الصفحات وليس من قلّة المواد الصحفية " (مستغاني، صفحة 180، 181). كما أشارت الكاتبة إلى الاهتمام بالمهرجان الإفريقي الأول للرقص على شرف الثورة: " سنة 1969 وفي عزّ

الفراغ والبؤس الثقافي الذي كان يعيشه الوطن، اخترع أحدهم في بضعة أيام أكبر مهرجان عرفته الجزائر وإفريقيا... كم من ملايين أنفقت وقتها على مهرجان لفرح ظل الأول والأخير، وكانت أهم إنجازاته التعطيم على محاكمة قائد تاريخي" (مستغانمي، صفحة 182).

4 . خاتمة:

مثّلت كثيرٌ من الروايات فترة الثورة التحريرية وتناولت محنة الجزائر التي تبقى تدور في فلكها سائر أسئلة المتن الحكائي. كما اقتحمتْ عنفَ المرحلة وارتسمتْ بصور الجراح العميقة في الوجدان وجسدتْ حفريات لا تندمل مهما كانت وإن نسجتْها خيوط الألم والأمل معاً؛ فسألت المحنة سؤال التاريخ والجذور والنتائج التي ارتبطت بالهوية والقومية والوحدة... وأرّخت تفاصيل العنف والموت كمطارحات إيديولوجية وسياسية على لسان شخصياتها ومسارات أفكارهم.

ولا يزال موضوع توظيف الثورة في الأدب العربي كما الجزائري ميداناً خصباً وعذرياً لعديد البحوث والدراسات التي يمكن أن تدرسه من جوانب عديدة لم يلتفت إليها بحثنا في ظلّ غنى الروايات منذ مرحلة التأسيس بالحديث عن مزايا ومآثر الثورة التحريرية المجيدة.

5 . المراجع:

مستغانمي أحلام. ذاكرة الجسد (الإصدار الطبعة السادسة والعشرون). بيروت، لبنان: دار الآداب.

محمد عطية أحمد. البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة. وزارة الثقافة السورية. محمود صبحي أحمد. (لا ت). في فلسفة التاريخ. الإسكندرية، مصر: منشورات الثقافة الجامعية.

وطار الطاهر. اللاز. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

عاشور رضوان. (1981). الروائي والتاريخ. مجلة الطريق .

نور الدين صدوق. (1984). حدود النص الأدبي، دراسة في التنظير والإبداع (الإصدار الطبعة الأولى). الدار البيضاء، المغرب: دار الثقافة.

مغشيش عبد المالك. (ديسمبر، 2012). الخطاب الروائي الجزائري بين تمجيد الثورة ورهانات المستقبل، رواية اللاز للطاهر وطار أنموذجاً. مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد 6 (العدد 2).

عامر مخلوف. توظيف التراث في الرواية الجزائرية، بحث في الرواية المكتوبة بالعربية (الإصدار الطبعة الأولى). وهران الجزائر: منشورات دار الأديب.

بقطاش مرزاق. (1983). البزاة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
بقطاش مرزاق. (1981). طيور في الظهيرة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
عاصي ميشال. (1970). الفن والأدب، بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية،
الطبعة الثانية. بيروت ، لبنان، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.
الأعرج واسيني. (1986). اتجاهات الرواية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية
للرواية الجزائرية. الجزائر.

ثورة الكتابة وكتابة النص الثوري – ثلاثية الجزائر- لمحمد ديب أنموذجا

Title in English The Revolution of Writing and Writing the Revolutionary Text -

The Trilogy of Algeria - by Mohamed Dib As a Model

فتيحة عاشوري

جامعة الشاذلي بن جديد (الجزائر) afatiha41@yahoo.fr

مقدمة:

تعتبر ثلاثية "ديب" سجلاً حافلاً بالتاريخ الوطني، ويكفي في هذا المقام ما قاله عنها "لويس أراغون" «Luis Aragon» بأنها تمثل "مذكرات الشعب الجزائري، بل أن المكتبة الوطنية للجزائر هي محمد ديب" (سعاد محمد خضر، د ت، ص. 146)، الذي قاسم شعبه أقراحه وهمومه وأحلامه لحظة بلحظة، ونقلها لنا بكل أمانة، فارتبط اسمه بتاريخ الجزائر وظروفها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وهي سمة بارزة في إنتاجات "ديب" الثورية، أين يمتزج تاريخه الشخصي من خلال شخوصه الإشكالية بتاريخ الجزائر الثوري، مشكّلاً ملحمة تاريخية بطلتها الجزائر، لذلك فلا غرو أن تُثري أعماله المكتبة الوطنية بهذا الرصيد الهائل من الذكريات.

كما تعتبر "ثلاثية الجزائر" وليدة بدايات الثورة، تنتمي إلى التيار الاثنوجرافي الذي يتخذ من الحياة اليومية مسرحاً لموضوعاته، ومن تيمة الثورة تحديداً أنموذجاً لواقع اجتماعي متنوع، لذلك فهي تمثل محلية "ديب" ككلية جماعية، تطمح لتعريف الواقع الاستعماري ومسحه، وإنتاج دلالة الحرية كقيمة إيديولوجية، يتطلّع من خلالها "ديب" لردّ الاعتبار لكرامته وتوحيد شمله، وهو ما يفسّر الروح الإنسانية للكاتب الرابضة في قلب الحدث وبين ثنايا الصفحات، والتي تعكس حقيقته باعتباره كيانا إنسانيا يميل إلى السلم والهدوء والاستقرار النفسي والاجتماعي، والوصول بالإنسان إلى درجة من الرضى عن نفسه وواقعه، بل ويدفعه إليه دفعا.

هذا النوع من الرضى ارتبط عند "ديب" بالكتابة كفعل إلزامي للتحرّر، واقترن بتحرّر الجزائر عبر فعل الثورة.. هذا التوازي في الفعل انتهى إلى تطابق تام بين ثورة الكتابة وثورة الجزائر، اللتان اقتترنتا بدورهما بالفعل التحرري الفردي الذي تداخل بالروح التحررية

الجمعية، لذلك يغلب في الفعل الكتابي عند "ديب" مزجه التاريخ الشخصي بالتاريخ العام، يرصد حقائق تاريخية، اجتماعية ثورية عبّرت بصدق عن قوّة الموقف والفكرة معاً.

أولاً: الكتابة الثورية وأيديولوجيا الواقع الثوري

يتحدّد مفهوم الثّورة من خلال وظيفتها المتمثّلة في استئصال قوى الشرّ، الذي تمارسه فئة معينة تحمل خصوصية مخالفة لأخرى في القيم والهويّة والثّقافة والقوّة أيضاً، هذا النزوع الذي يتمثّل في التخلّص من جذور القهر كفيل بتحقيق الخصوصية للشّعب، وتوجّه الثّلاثية يكشف هذا النزوع بصورة جليّة، إذ من خلال تلاحم صور الجوع، البؤس، الاضطهاد، الظلم، الاستغلال والقهر تشكّلت حوافز ساهمت في "تكوين حركة الوعي التي مهّدت لفعل التمرد والثّورة وترهّص لقيامها، وتقود الشّعب إلى طريق الحرّيّة، ويتحرّك نحو مصيره في دورة الأحداث الوطنيّة والعالميّة" (سيد أحمد، 1989، ص: 9)، ثم من خلال لغة الكاتب نفسها والتي كانت مظهرًا من مظاهر المأساة، قد "وجدت جبهة النّضال المشترك... وأصبحت فيما بعد سلاحاً من أسلحة المعركة ضد العدو" (سلمان نور، 2009، ص: 152)، ولعلّ الحضور القويّ للغة الثّورية في النصّ يؤكّد ذلك.

لم يكن دافع "ديب" من تناوله لموضوعة الفقر في "الدّار الكبيرة" هو عرضه لمشاكل الواقع الاجتماعي فحسب، وإنّما كقضية كبرى لواقع مأساوي مقهور يُنبئ بالتمرد والثّورة، وتؤكّد شخص "ديب" رفضها لهذا الواقع النّاجم عن قهر وظلم المؤسّسة الاستعمارية، وهي بذلك تطمح إلى تغيير الأوضاع، فـ "عمر" ابن العاشرة بات يقلّب سبب الشّقاء والفقر ويؤوّلّه، فيجد أن يداً عدوانية سلبت حقّه في الحياة، وتعطينا "الدّار الكبيرة" أيضاً صورة أخرى من صور التمرد على الواقع أين "يميّز عمر بين عالم النّساء وعالم الرجال، يخرج من البيت ويحتكّ بعالم الرجال الذي ينادي بالمقاومة" (Arnaud Jacqueline, 1986, P. 175)، أمّا عالم النّساء فهو عالم جماعي مليء بالضوضاء والضّجيج، الخصومات، العراك، القلق والجوع أيضاً، وكلّها أحاسيس تعكس غليانا نفسياً يترجم الفّل الثّوري ضدّ الفقر، البؤس والحرمان.

عرف "عمر" من خلال المناضل "حميد سراج" "طريق الخلاص الوحيد لهذا الوضع، وهو أن يعمل من أجل تغيير هذه الأوضاع" (سلمان نور، 2009، ص: 106)، وقد بدأ إعجابه به منذ اجتماعه بالفلاحين الذي حضره، وهناك شعر بكلمات "سراج" وكأنّها تنطلق من فمه، فتعبّر عمّا يجول في خاطره، هذا التّماهي الصّريح بشخصية المناضل مكّنه من صقل أفكاره، وفهم حقيقة واقعه الذي يرزخ تحت نير الغزو الاستعماري.

ساهمت موضوعة الجوع في بروز تيار الوعي الساعي دوما للبحث عن الحقيقة، وحقيقة "عمر" تكمن في سر هذا الجوع رغم الخيرات والثروات التي تزخر بها البلاد، ورغم كثرة اليد العاملة الجزائرية، ومع ذلك نلمس تناقضا واضحا بين فئات الشعب فيما بينهم وبين المعمرين من جهة ثانية، فيشير "ديب" من خلال تساؤلات الفتى "عمر" إلى العتبات الأولى لبروز تيار الوعي في أوساط الطبقة البروليتارية الكادحة والفقيرة، ليصل إلى جوهر وأبعاد أيديولوجيته وهو إيصال صوت الإنسانية المقهورة في الجزائر إلى العالم.

تتواصل الثورة على الجوع في "الحريق" لتتخطى بأبعادها حدود لقمة العيش إلى التمرد على الظلم والاستغلال والاضطهاد، وتتواصل معها سلسلة العمليات الذهنية التي تعتمل في وعيهم ولا وعيهم، والتي شككت في معظمها إجابات شافية لتساؤلاتهم، وفي مقدمتهم "عمر" الذي ما انفك يستفسر عما يدور من حوله، محاولا إيجاد حلول تزيل عنه الالتباس والغموض من خلال احتكاكه ببعض الشخصيات الفاعلة، التي شككت في مجملها مجموع الأنساق والبنى الإيديولوجية، التاريخية، السياسية والاقتصادية التي كشفت له "ذلك الخط الذي بعده لا يجوع الإنسان والذي قبله يشعر بحرقة في دمه وبشدة لا تبرحه" (Dib Mohammed, 1954, PP. 22-23)، فمع "أم الخير" و"كومندار" غرف من مهمل التاريخ، وعرف بأن للجزائر تاريخ طويل ضاربة جذوره في القدم، ومع "حميد سراج" اكتسب أفكار توجّهه الثوري "كمناضل عالمي، وتحليله للطبقات الاجتماعية جاء مطابقا لأفكار الحزب الشيوعي، والحركات التي يقوم بها حول رواتب العمال دليل على ذلك" (Arnaud Jacqueline, 1986, P. 186)، وهوبذلك يعكس البنية الايديولوجية الحزبية لـ "ديب" الذي تقاسم نقاط الرؤية حاسا بقدم مواجهة...باحثا لرفع الرؤية وربط التحرك الوطني والثورة الاجتماعية، أين التأكيد على وجود صبغة لإضراب ثان خاص بالتضامن الفعال بين المدينة والريف" (Arnaud Jacqueline, 1986, P. 180) وفي المقابل نجد الكتلة المناهضة للإيديولوجيتين السابقتين ممثلة في العميل "قارة علي"، النموذج السلبي كونه حامل للنسق الايديولوجي الاستعماري والرأي الأمين على مصالحها التي تمثل بالأساس مصالحه الشخصية، لذلك نلمحه يتعقب أثر كل اتجاه وطني وفي مقدمتها اتجاه "حميد سراج"، ويسعى لإطفاء كل شعلة للتمرد تبزغ من قبل الفلاحين، لذلك جاءت إيديولوجيا "ديب" استجابة لطموحات الفلاحين في العيش الكريم، ولإمالة اللثام عن المخططات الاستعمارية العميلة.

يمثل "الحريق" الموضوع الرئيسي للثلاثية، فمن خلاله تشتبك الأحداث وتصل إلى ذروتها، لذلك فهو يشكل عقدها وحبكتها، كونه "يستدعي التاريخ ويعلنه...ليعطي الحدث الثوري للحريق معناه التاريخي الكامل، الكامن في النص" (Bonn Charles, 1987, Pp. 32-34)، من خلال الاستغلال والظلم والقهر الذي أفضى إلى التمرد، وقاد لإضراب الفلاحين الذي شكّل بدوره حافزا هاماً يحيل على فعل الثورة، لذلك شكّلت العودة إلى الماضي- من خلال ذكر تاريخ أمجاده من قبل "كومندار" الذي أتى على ذكر تاريخ المنصورة- الذّاكرة الجمعية لأبطال "ديب"، ولعلّ أسطورة "الحصان الطائر" تحمل من أبعاد ورموز الماضي والحاضر والمستقبل ما يجعلها دافعا قوياً في رسم طريق الحرّية.

يبرز الفّعل الثّوري في "الحريق" -أيضاً- من خلال ردود الفّعل الّتي يبديها فلاحو بني بوبلان ضدّ الاستغلال، الظّلم والاضطهاد، والّتي تتمثّل في "الحريق" نفسه الذي أضرموه ضدّ قوى الشّر، وقد "أعطى الكاتب مثالا لمعنى التّجمعات السّياسية الّتي يقودها رجل ذو توجّه ماركسي واقعي في أوساط الفلاحين...وترك لهم أخذ الكلمة والتعبير الحرّ" (Arnaud Jacqueline, 1986, P. 179)، إنها شخصية "حميد سراج" الشيوعية الّتي تلقّن الفلاحين قواعد وآليات التّنظيم السّياسي" (Bonn Charles, 1987, P. 40)، وساهمت بشكل فعّال في الصعود المتنامي لفكرة الوّعي الرّيفي، الذي ساهم بدوره في تفجير ثورتهم الدّاخلية الّتي اخترقت أجسادهم لتذهب بلهيمها إلى كلّ من اغتصب أرضهم وأحلامهم وحرّيتهم، وما عزّز روح التمرد والثّورة هو تزامنها مع بدايات الحرب العالميّة الثّانية، أين ألقت فرنسا بأبناء الجزائر في خضمّها، لذلك فـ "الكلّ يتحرّك وقلقهم يتحوّل إلى ترقّب إلى ثورة لا تبقي ولا تذر" (سعاد محمد خضر، د ت، ص. 152).

"يحلّل ديب" في الحريق التّناقضات الأساسيّة والثّانويّة بين فئتين من الفلاحين ويتحدّث عن الجانب المعنوي لأيديولوجياتهم، وهي ذات مرجعية إسلاميّة" (Arnaud Jacqueline, 1986, P. 178)، وهو ما يفسّر الصّراع الدّائري بين فئة الفلاحين الصّغار الذين يملكون الأراضي، والعمال الفلاحين الموالين للنّسق الاستعماري، غير أنّ الوّعي الدّيني للفلاح جعله يسلم "بأنّ الأرض ملك لله ولا أحد يملك الأرض، فقد سخّرها الله للإنسان للاستغلال فقط، وحبّ الأرض مقدّس لدى الفلاحين وعند ديب" (Arnaud Jacqueline, 1986, P. 178)، إلّا أنّ تفاقم إيديولوجيا العنف والظّلم والاستغلال والاضطهاد...والجوع أسهم في بروز تيّار الوّعي الرّيفي بين الفلاحين، وقد أسفر تصاعده عن ردود أفعال تمثّلت في إضراب الطبقة البروليتارية الّتي

حسّمت ثورة غضبها بحريق التّهمّت ألسنته اليد التي تناولت عليهم وقد "أكّد سارتر أنّ المسألة الجزائرية اقتصادية أولاً، كما أنّها اجتماعية وسيكولوجية، ولا يمكن أن تتمّ الإصلاحات على أيدي المستعمرين، بل هي من شأن الشعب الجزائري نفسه، وليس صحيحاً أن هناك مستعمرين صالحين وآخرين أشراراً، بل هناك مستعمرون وحسب" (سلمان نور، 2009، ص.190).

تترجم الرؤية الأيديولوجية للبنى الواقعية في الجزائر إبان الغزو الاستعماري من خلال الجزء الثالث والأخير من ثلاثية "ديب" "مهنة النسيج" الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد: بؤس يخيم تحت تأثير الحرب: العمّال والفلاحون يقبضون أجوراً زهيدة، الجوع منتشر في كلّ مكان، ومن ناحية أخرى نلمس أثر قساوة الواقع على المستوى الفيزيولوجي والمعنوي: "إنهاك، تعب، قلق، قنوط" نلمسه على الوجوه المحطّمة" (Belhadj-Kacem 1983, P. 79)، وهي ملامح تؤكّد خفوت ثورة الحماس، وهدوء التمرّد الذي يسبق عاصفة الثورة، عدا تجمع العمّال وإضرابهم عن العمل، في محاولة منهم للمطالبة بحقوقهم في ظلّ التّفاوت الطبقي الذي يعكس حجم التناقضات التي اكتسحت الشريحة الاجتماعية الجزائرية، ويبرز ذلك بشكل جليّ بين عمال "النّول" من جهة وصاحب المعمل الذي يگنّ للنظام الاستعماري كامل مولاته من ناحية أخرى، ناهيك عن الفروق بين النّظامين الاستعماري والجزائري التي لم يعرلها "ديب" اهتماماً كالأولى، وفي المقابل نلمس وعي شخوص "ديب" بواقعها رغم توجهاتها الأيديولوجية المختلفة، ذلك أنّ ما يجمعهم هو حتمية المصير المشترك، ويتّضح ذلك من خلال آرائهم وحواراتهم التي يتبادلونها حول الأوضاع الاجتماعية العامة، "لكنهم لا يخرجون عن اتّجاهات سياسية ثلاثة كانت قويّة الحضور على الساحة الجزائرية في الثلاثينيات والأربعينيات، فهناك الاتّجاه الديني السلفي الذي كانت تمثّله جمعية العلماء ونجده ممثلاً في شخصية "غوّثي لمين" وهناك اتّجاه حزب الشّعب الذي يمثّله "عكاشة" وهناك الاتّجاه اليساري الذي يمثّله "حمزة" (أحمد منور، 2007، ص.330)، إذ رغم اختلاف سبلهم ووجهات نظرهم إلّا أنّ هدفهم واحد وهو السّعي إلى التّغيير.

وجد "عمر" نفسه في خضمّ تباين هذه الاتّجاهات الأيديولوجية أمام "مدرسة الحياة" (Belhadj-Kacem Nouredine, 1983, P. 79)، التي مكّنته من الإجابة عن كلّ استفساراته وتساؤلاته التي سبق ولم يجد لها إجابة، وقد تحقّق ذلك بشكل خاص أثناء مرافقته أيضاً "لعكاشة" الذي ساعده في حلّ طلاس كبريات القضايا وفهمها، وعلى كلّ حال، تتّسم

شخصيات "ديب" في الغالب بالجرّاء القاعل والمتداخل، كلّ بحسب إيديولوجياتها ودرجة تفكيرها، الأمر الذي جعل منها شخوصاً معقّدة تختزن غموض الحياة في ذاتها، لذلك من الصّعب القبض عليها، ومع ذلك فقد سجّرها "ديب" للتعريف بقضية إنسانية تتعلّق بإثبات وجود دولة الجزائر ككيان قائم بذاته وراسخ منذ القدم.

وهكذا "تعطينا الثلاثية لوحات أخرى من ذلك الصّمت المترقّب أمام ما يحدث أمام الشّر، أمام الفقر وأمام الجريمة...ولكنّه صمت يترجمه -أحيانا- "عمر" في إجاباته المقتضبة والذي يعكس ثورة وتفهما وترقبا لاختيار الطريق الصحيح للخروج من كل تلك المآزق"(سعاد محمد خضر، د ت، ص. 152)، فضلا عن بعض الشّخصيات الفاعلة التي تعكس جملة وتفصيلا الواقع الإيديولوجي في الجزائر، الذي أفرز رؤى وتصوّرات تصبّ كلّها في الرّغبة الجامحة في الفّل الثّوري، ولعلّ أقوى هذه الشّخصيات إعمالا للفكر "عكاشة" الذي يلتقي إلى حدّ بعيد مع شخصية المناضل "حميد سراج"، اللّذان يتماهى معهما "عمر"، وساهما في توجيهه، ورسم معالم طريقه بما يبثّه من أفكار تطمح إلى تحقيق فعل الحرّية، كما أسهمت حوافز مثل الجوع والاستلاب والاستغلال والقهر في إيقاظ الضّمير الجمعي لشّخوص "ديب"، وقادت إلى التمرد ومن ثمّة إلى الفّل الثّوري، لذلك كانت "مواضيع الحرّية والثّورة والتعلّم بمثابة الخطاب الذي يبيّن إمكانية التحوّل التاريخي"(Chikhi Beida, 1989, P. 12). ثانياً: ثورة الكتابة/ أسئلة الوعي وتعالق الكيانات

إذا كانت "الثلاثية" ملحمة ثورية واقعية من خلال إبرازها لكافة الجوانب، مصوّرة في كلّ جزء من أجزائها الثلاثة لوحة عريضة من لوحات الحياة، فإنّ الكتابة وما أصبغه الكاتب عليها من حمولات بنائية جعلت من شكلها الغريب الجديد ثورة ثانية تلاحمت مع ثورة مضمونها لتعريّة السياسة الاستعمارية وإيديولوجيتها عزّزت شرعية تحولها إلى ثورة بالسّلاح انخرط فيها شعب بأكمله.

قادت ثورة الكتابة هذه إلى إنتاج لغة مشحونة بانفعالات وأفكار منشؤها- باعتبارها سلاحا ذو حدين- كونها أوّلا لغة المستعمر، وثانيا أنّها حاملة لخطاب مضاد، فالقارئ للثلاثية في لغتها الأصل يلمس بساطة أسلوبها الذي يكاد يتقاطع إلى حدّ كبير في تخيّر للكلمات وتركيبها مع الأسلوب العربي، نجد ذلك في ترحلق بعض الألفاظ العربية إلى الحرف الفرنسي الذي دلّل من خلاله القراءة لمنجزه على أنّ "ديب" عندما كتب بلغة المستعمر كان يفكر بروح عربية، والسّؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصّدّد ... لماذا فعل "ديب" ذلك – تضمين الكتابة

بالكلمات العربية الدارجة ذات الأحرف الفرنسية- وهو قادر على كتابتها بما يعادلها من الفرنسية؟.

كتبت ثلاثية "ديب" بأسلوب بسيط "ينم عن أصالته العربية أكثر من أي عمل أدبي آخر كتبه أيّ روائي جزائري، رغم اعتماده اللّغة الفرنسية التي كانت مجرد أداة يستخدمها الروائيون الجزائريون للكتابة، وأنها تأخذ طابعاً مختلفاً تحت أقلامهم" (بامية عايده أديب، 1982، ص.256)، فعلى الرغم من ثقافته ولغته الفرنسيّتان نجده متشبعاً بالأصالة العربيّة، إذ يبدو أنّه متأثر باللّجة، وبالتعبير المحليّين، فالبينة المحليّة تسيطر في أعماقه بكلّ محتوياتها، فضلاً عمّا ورثه من التّراث العربي الإسلامي.

"اعتمد "محمد ديب" المظهر العربي في أسلوبه قاصداً هذا المنحى لكي يعطي لكتاباتهِ صبغة عربية خاصّة، بيد أنّ هذا الاتجاه توقّف مع الاستقلال... وهذا المنحى في أسلوبه يعتبر واحداً من العوامل التي تميّزه عن الكاتب الجزائري المولد" (بامية عايده أديب، 1982، ص.257)، إذ يبدو ذلك من خلال توظيفه للعديد من التعبيرات العربيّة الدارجة بلغة فرنسية، هذه العربيّة التي أراد الاستعمار محوها، وربّما تعمّد "ديب" هذا الأسلوب رغبة منه في أن يصل صوت الجزائر إلى العالم.

أخذت ثورة الكتابة في هذا الاتجاه منحى متعالياً في العالم تعزّز بانخراطه في التيار الشيوعي المناهض للثورات، ومحاكاة رواه على غرار "مكسيم غوركيMaxime Gorki" في كتاباته وأفكاره، لذلك نلمس عنف اللفظة في كتابة "ديب".

فاللّغة كائن حي، وهي أيضاً ظاهرة اجتماعية دالة على الهوية، لذلك فتوظيف "ديب" للغة المستعمر- كتقنية لإبراز الواقع القهري للشّعب الجزائري- لا يعني تخليّه عن التزامه بقضية شعبه ووطنه والدفاع عنها، والمساهمة في تدويلها، وإنّما جاء ردّ فعل لفضح الأساليب والمواقف الايديولوجية والعملية التي تنتهجها السياسة الاستعمارية في قمعها للشّعوب الضعيفة، بخرقها لمبادئ حقوق الإنسان وحقّ الشّعوب في تقرير مصائرهما، ثمّ إنّ خطابه الموجه نحو الطبقة الواعية وحثّها على تحريك الشعب، ساعدت تقنية الكتابة التي اعتمدها فيه في تقريب مساحة الفهم لدى الفرد والمجتمع معاً، وتوصيل الأفكار الثّورية، هذا النمط من الكتابة نجده عند عديد الكتاب أمثال أهداف السوييف، ويعد "ديب" أول من استخدم هذه التقنية باعتباره أب الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، ناهيك عن أنّها لغة المستعمر في

تحد صارخ له كنوع من أنواع الأسلحة في وجهه، ونضالا يعزّزها، وقد تعزّز نضال "ديب" بالقلم لشحن النفوس وشحذها نحو الكفاح المسلّح عشية الثورة ضد المعتدي المغتصب.

التزلق اللّغوي وتداخل أجناس الخطابات

يعرف "التزلق اللّغوي" "Code-switching" بأنه "الاستخدام البديل من قبل ثنائيي اللّغة للغتين أو أكثر في الخطاب نفسه" (Lesley Milroy, Pieter Muysken, 1955, P: 07)، أي أنّه ظاهرة لغوية تضطر فيها اللّغة إلى الانحراف؛ أي الاقتراض من العامية المحلية أو من لغات أخرى لغايات في نفس الكاتب، وقد شاعت ظاهرة الاقتراض اللّغوي في النصوص الإبداعية في الفترة التي سبقت القرنين العشرين والواحد والعشرين، وهي ظاهرة تتفاعل فيها اللّغات داخل النص الواحد بأكثر من لغة، أو لهجة محلية، ونستذكر في هذا المقام "صمويل بكيت Samuel Beckett" الذي كتب باللغتين الانجليزية والفرنسية، "وكما صك جويس في "يقظة فنجان" نثرا جديدا، ومزيجا من لغات كثيرة ليعبر عن رسالته في وحدة الشعور، فإن أنطوني بيرجيس قد حاول مزج الإنجليزية بالروسية للتعبير عن مواقف وأحاسيس لا يمكن أن تعبر كل منها على انفراد! أما "بيكت" فقد استعان بالتكرار في الحوار لكي يعبر عن انعدام المعنى في الحياة المعاصرة" (نبيل راغب، 1990، ص ص 12-13)، وهذه التقنية تختلف عن تقنية "تداخل الأجناس" في كون هذه الأخيرة تستدعي المتضايقات من النصوص الأخرى، وإن كانت تشترك مع الأولى في سمة الانحراف، تعيد بناء النصوص وفق استراتيجية متشظية ضمن بنية نصية منظمة، ومحبكة تضيف على الشكل الجديد رؤية خاصة تنفتح على اللامحدود من العالم الروائي، وتعمل على إلغاء الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية إلى حد التماهي بينها، والإقرار بتداخلها إلى الحد الذي ينتج معه جنس هجين، يحمل مواصفات مشتركة.

وتعد هاتان التقنيتان ثورة في الكتابة، اعتمدها "ديب" إلى جانب تقنية كتابته عن الثورة التحريرية بلغة المستعمر، تجلت هذه الأخيرة في الثلاثية بشكل سافر؛ ففي "الدار الكبيرة" نلمس البساطة والتواضع في التعبير، هذا الأسلوب البالغ التجريد في هذه الرواية لم يكن طبيعياً، بل يمثل ردّة فعل الكاتب إزاء الأسلوب النقي والمنقّى للغاية الذي كتب به شعره" (بامية عايدة أديب، 1982، ص 255)، وربّما يعود ذلك إلى أن الأديب لم يلج عالم الأدب إلا من خلال الشّعور، ويرى أنّ الأسلوب الشّعري المنمّق لا يمكن أن يستوعبه القراء نظراً لصعوبته، الأمر الذي جعله يتحوّل إلى الكتابة السردية بأسلوب بسيط يقرّبه أكثر من قرائه ومتلقيه، والتّي يبدو من خلاله أنّه "متأثر بكتابات "فرجينيا وولف" ومقلّد لأسلوبها

العاطفي، ولكي يتحرّر من تأثيره تدرّب على كتابة الجُمْل القصيرة المتماسكة المحكمة... وقد جاء هذا الأسلوب نتيجة للوضع السّياسي في الجزائر الذي اقتضى من الكُتّاب الجزائريّين أن يكونوا محامين عن قضيتهم" (بامية عايدة أديب، 1982، ص.255).

يلمس متصفّح "الدار الكبيرة" ذلك التّأثير العربي المحليّ من خلال استعمال "ديب" لبعض الكلمات العربيّة بأحرف لاتينيّة، وهذه بعض منها:

-كلمة "مايدة" "(Maida)" (Dib Mohammed, 1952, P. 16) ويعرّفها في تذييله بأنّها عبارة عن طاولة مستديرة منخفضة تأكل عليها الأسرة الجزائرية، وفي هذا إشارة إلى أنّ هذه الكلمة تستعملها كل أسرة جزائرية.

-كلمة "دروب" "(Derbes)" (Dib Mohammed, 1952, P. 26) ويعرّفها بأنّها أزقة ضيّقة ومتعرجة تلتوي عبر أحياء المدينة القديمة، ويتكلم بها سكان الغرب الجزائري.

-وكلمة "عراقيات" "(araguiats)" (Dib Mohammed, 1952, P.131) وهي عبارة عن طاقات بيضاء يضعها الجزائري المسن فوق رأسه رفقة لباسه التقليدي، ويتكلم بها -غالبا- سكان مناطق الشمال الشرقي.

أمّا التّرجمة الحرفية لبعض التّعابير العربيّة وما يقابلها باللّهجة الجزائرية فنجد منها مايلي:
- "رَبّي يحفظك يابنت ما" "(Dieu te garde, Fille de ma mère" (Dib Mohammed, 1952, Pp.83-84)

- "Oncle Kaddour, Allah te protège viens me donner mon pain le bon dieu t'accordera" (Dib Mohammed, 1952, P. 188) une fortune qu'il te conduise à la Mecque) ويقابلها: يا

عمّي قدور الله يحفظك، أرواح اعطيني الخبز، الله يرزقك ويبعثك لمكة...
وقد جمع "ديب" أغلب اللهجات في "الدار الكبيرة" التي ترمز للوطن الأم (الجزائر) التي يمكنها أن تحتوي أبناءها الذين مهما اختلفت لهجاتهم وأعراقهم و.. تظل الهوية والروح واحدة.

تشير "الحريق" إلى أهمية العلاقة العضوية بين الإنسان والأرض، منتجة لتناص واضح مع نصوص عالمية كرواية "الأرض" لإميل زولا و"الأرض" لعبد الرحمان الشرقاوي (رشيد أمينة، 1992، ص.61)، الأمر الذي يعكس مقولة "ديب" الذي أكّد "على أنّ استعماله للأسلوب المنمّق يحدث فقط عندما يعالج مواضيع عالمية وليست مواضيع تتعلّق بالمشاكل الجزائرية" (بامية عايدة أديب، 1982، ص.255) للتدليل بها على الثبات والصّلابة والتّمسك بالأرض.

تحتفي "الحريق" كمثيلتها بتعابير عربيّة بأحرف لاتينية، وُظّفت بشكل خاص في الأمثال والحكم والأحاجي والأغاني الشعبيّة، وقد تعمّد "ديب" ذلك ليحافظ على خصوصيتها ونقائها حتّى لا يتشوّه معناها وتُفهم في سياقاتها الحقيقية، وليدّل بها أيضا على قوة الارتباط بالدم وعلى عمق الهوية الضاربة جذورها في التاريخ، وهذه بعض منها:

« Qui Creuse un Fossé pour son Frère, Y tombera lui-même » (Dib Mohamed, 1954, P. - 49) ويقابلها: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها .

« Une maison du Fer, par des nèges, hantée: La Pastèque » (Dib - Mohammed, 1954, P. 24) ويقابلها: د من حديد ... مسكونة بالعبيد ك البطيخ.

كما وُظّف "ديب" الفولكلور الشّعبى من خلال أغنية شعبية قديمة حملت عنوان "ماما ماريتورن" (Mama La Maritorne)، ويبدو أنّ عنوان الأغنية الحقيقي هو "ماما قرمولة" (Mama Gharmoula)، وقد استبدله "ديب" هنا بـ (Maritorne) وهو اسم لخدمة "دون كيشوت" "DonQuichotte" البخيلة، وقد وُظف هنا لحاجة الفهم" (-) Belhadj) (Kacem Noureddine, 1983, P. 19

إذا كانت "الحريق" ترصد تلك العلاقة الحميمة بين الإنسان والأرض في بني بوبلان، فإنّ هذا الأخير يأخذ أبعادا رمزية تفوق بكثير أبعاد الأرض المسلوبة إلى معنى الوطن الأم، وذلك من خلال قوله: "الأرض هي امرأة" (Mohammed Dib, 1954, P. 19)، والمرأة هنا هي "عيني" التي ترمز للوطن الأم وللسلام، مزج "ديب" فيها بين الأسلوبين الواقعي والرمزي لأنّ طبيعة المرحلة تقتضي تحفيز الشّعب وتذكيره بخصوصيته من خلال ترسيخ الثّوابت الوطنية التي تشكّل قوّته، واتّحاده، وتضامنه، ودافعه للوقوف في وجه النّسق الاستعماري.

لم يخل الجزء الثالث من "الثلاثية" أيضا (النّول أو مهنة النسيج) من بعض التعابير والكلمات العربيّة بأحرف لاتينية من مثل:

« Ba Mohammed à la maison, Ouma Fatma au marché » (Mohammed Dib, 1957, P. 39) ويقابلها: با محمد في الدّار وما فاطمة في السّوق.

أمّا عن بعض الكلمات العربيّة بأحرف لاتينية فقد اخترنا منها ما يلي:
- كلمة "حايك" (Haik) (Mohammed Dib, 1957, P. 172)، وهو لباس أبيض، شبيه بالملاءة ترتديه المرأة الجزائرية قديما، وكلمة "حريرة" التي كتبت هكذا (Harira) (Mohammed Dib,

(P107, 1957, وهي صنف من أصناف الأطعمة، كما يزخر النص ببعض المصطلحات والعبارات المستقاة من الحقل الثقافي الإسلامي نحو كلمات : الله، القرآن، البردة .

وكّلها عناصر تكشف النّسق القيمي والانتماء الثقافي للشّعب الجزائري، المستمد من الثقافة العربية الإسلامية، لذلك لا يعدو هذا المنحى مجرد " وسيلة للتعبير عن ذاتهم التي مهما تكبلها غربة اللّغة تبقى ذاتاً جزائرية، جذورها متأصلة في البيئة الجزائرية مهما اضطربت هذه الجذور ونمت في ازدواجية متمزقة" (سلمان نور، 2009، ص.208)، لذا كان التزامه بقضية وطنه وشعبه وتضامنه معه والدفاع عنه بالكلمة البيّنة، والحجة الدامغة والمقنعة "جزء من هذا التّأصيل وهذا الانتماء، فعبروا عن الرّفص وعن الثّورة برمزية فنيّة وبرومانسية أعطتا الموقف الثّوري أبعاداً إنسانية جديدة" (سلمان نور، 2009، ص.319) تهدف بدرجة أولى إلى كشف النقاب عن المواقف الايديولوجية والعملية للنسق الاستعماري.

كان "ديب" غالبا ما يختفي بين ثنايا السطور والصفحات ليترك قارئه يستنبط النتائج، ويتّضح ذلك من خلال تقنية تسييره للأحداث، وتوجيهه للقارئ نحو التّعاطف مع قضية شعبه المظلوم، وفي الوقت نفسه فهو يثير فيه التقزّز والضعينة ضدّ النّسق الاستعماري، ويظهر ذلك في إحساس "ديب" بقوة الكلمة وفعاليتها وبقيمتها وقدرتها الفنيّة كسلاح يدافع به عن شعبه ووطنه، غير أنّه إذا كان النّسق القهري قد أفلح في حرمان "ديب" من استخدام لغته الأم، فإنّه قطعاً لا يستطيع تضليل وعيه وقوّة موقفه تجاه عدالة شعبه، لذلك جاءت هذه اللّغة لتعري الحقيقة الإيديولوجية الاستعمارية وسياستها القمعية في قهر الشّعب.

لذلك اقتضت الكتابة عند "ديب" البحث في مقارنة الحقائق التي استدعت بالضرورة جدل الإنصات إلى ماهية الظواهر، وما تثيره من أسئلة كبرى تحدّدت وفقها مواقف الأبطال الإشكاليين إزاء الأحداث، وأنّ استدعاء التاريخ وكذا التراث بأشكاله المتنوعة، وتداخل الأجناس (الأسطورة، الأغنية الشعبية، الأحاجي، ...) - باعتبارها كيانات قائمة بذاتها، ومحصلة لتجارب رؤيوية امتدت عبر العصور - في نص واحد، وبلغة استثنائية (هجينة) -، ساهمت بشكل أو بآخر في إثارة الوعي الكامن في ذوات الشخصوس الورقية، وهيأت لتكوّن البطل الإشكالي (عمر) لخوض غمار تجربته في سياقها الزماني والمكاني، وتعبئتها لمواصلة مسيرة التاريخ، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الوعي الذي أحال على أن فكرا إنسانيا جديدا قد بدأ في التشكل، يسعى إلى " تعميق السؤال حول الوجود، ومحاولة الوقوف على هذا الجانب على المقول واللامقول الذي يتحكّم في منطق تمثالتنا للتاريخ، للهوية، الأنما،

الحقيقة" (أدمونحابيس، 2003، ص.3)، وبالتالي فإنّ الكتابة عند "ديب" في رحلة بحثها عن هذه التمثلات، إنّما هي رحلة البحث في الوعي عن حقائق العالم والوجود، وقبل ذلك في الذوات التي هي دائما في حالة تأهب ونضال مستمرين، وذات عمر هي ذات الكاتب التي تسعى إلى عالم أكثر إنسانية وتحرا.

خاتمة:

- تعكس "الثلاثية" في عمومها تنشئة الأديب الاجتماعية التي تلخصها شخصية الفتى "عمر" التي تؤسس بدورها لإيديولوجيا "ديب" التي تطمح لتصوير أقصى ملامح الواقع وتمثلاته، وهي على اختلافها مطالبة بالالتزام بقضايا المجتمع وهمومه وانشغالاته للوصول معا إلى الهدف وهو التغيير، وهو ما يدفع بنا للقول بأن "الثلاثية" في أيديولوجيتها لم تخرج عن نطاق الأفكار الثورية التي لا تختلف في مجملها عن الفكرة الثورية العالمية.

- على مستوى الكيانات الاجتماعية نجد "محمد ديب" يطرح إشكالية البحث عن الذات الوطنية، وهو ما يجسده بطله الإشكالي الذي توصّل إلى الوعي بوصفه فردا منتما لمجتمعه، باعتباره عنصرا أو نسقا من أنساق الثقافة الوطنية الحاملة لمقومات تنشئته الاجتماعية (الأسرة، المحيط الاجتماعي، التراث، العادات، التقاليد...)، التي تحدّد وجوده ككيان اجتماعي يعيش ضمن كلفة اجتماعية، وكلّها حوافز تبعث في نفسية بطل "ديب" الرغبة في التمرد والثورة على النسق القهري، حفاظا على هذه الذات الوطنية التي حاول العدو طمسها، غير أنّه من جهة أخرى نجد أن أبطال "ديب" في بحثهم عن هويتهم، يتجاوزون بشكل غير مباشر مستوى التعبير عن الهوية المحلية إلى ما هو قومي من خلال جملة المشتراكات الثقافية والإيديولوجية المحددة للشخصية العربية ككل، والتي تحدّدت معاييرها على مستوى البنيات الاجتماعية المختلفة، وكلّها تؤدي لإفراز سمات على مستوى الواقع، تتسم بظهور نزعات الاستقلالية الفردية للكتل الاجتماعية الواحدة التي تؤسس للقيم وللهوية المحلية .

- الأسلوب المليء بالتعابير والكلمات العربية، التي تعمّد "ديب" استعمالها جاء ليؤكد أنّ اللغة المعتمدة التي استخدمها لم تكن سوى خطابا مضادا للمستعمر بلغته نفسها في تحد له بأنّ اللغة العربية ليست قاصرة على استيعاب الواقع بحمولاته الأيديولوجية والقيمية والثورية والتاريخية... بل بإمكانها احتواء جميع اللغات بما فيها لغته، وهو ما جعل "ديب" ملزم من خلال الكتابة بتخليد هذا الأثر ولهذه الهوية الضاربة في عمق التاريخ.

- هذا وقد تحوّلت هذه الرمزية فيما بعد إلى قناعة أيديولوجية نحت بالكتابة إلى عالم سريالي، تجلّى انطلاقاً من ثلاثيته الثانية "الشمالية" وما بعدها من الأعمال أين النزوع نحو الباطن والتجريد والرمزية والغموض والتعقيد، أرادها ديب أن تكون في منتهى الإنسانية، لهذا تحتاج أعماله إلى مزيد من التقصي والبحث في كنه الذات والآخر والعالم والوجود من خلال البحث في تاريخ الكيانات الفردية والشعوب التي باتت تعيش في عالم تتزحلق فيه الهويات، وتتفاعل في ظلّه الأفكار.

قائمة المراجع:

- راغب نبيل. (1990)، معالم الأدب العالمي المعاصر، د ط، مصر، دار مصر للطباعة.
- سلمان نور (2009)، الأدب الجزائري في رحاب الرقص والتحرر، ط1، الجزائر، دار الأصاله.
- سيد أحمد. (1989)، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، د ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- محمد خضر سعاد. (د ت)، الأدب الجزائري المعاصر، د ط، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.
- منور أحمد. (2007)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه، د ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- أدمون حابيس. (2003)، أسئلة الكتابة – أو حوار الفلسفة والأدب، تر: إدريس كثير، عز الدين الخطيب، د ط، فاس، منشورات مابعد الحداثة.
- باهية عايدة أديب. (1982)، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، تر: محمد صقر، د ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- بلحسن عمار. (1992)، مرافعة المستعمر: إطار سوسيولوجي وثقافي لفهم الرواية الثلاثية لمحمد ديب. مجلة التبيين، عدد 4، الجزائر.
- سارتر جون بول. (د ت)، ما لأدب، تر: غنيمي هلال، د ط، القاهرة، دار نهضة مصر.

Dib, M. (1952), La Grande Maison, Paris, Ed, Le Seuil.

(1954), L'incendie, Paris, Ed, Le Seuil.

(1957), Le Métier à Tisser, Paris, Ed, Le Seuil.

Arnaud, J. (1986), La Littérature Maghrébine de langue Française, T1, Paris, origines et perspectives Publisud.

Belhaj- Kacem, N. (1983), Le Thème de la Dépossession dans la « trilogie » de Mohammed Dib, Alger, ENAL.

Bonn, Ch. (1987) , Lecture Présente de Mohammed Dib, Alger, ENAL.

Chikhi, B.(1989), Problématique de L'écriture dans L'œuvre romanesque de Mohammed Dib, Alger, OPU.

Déjeu, J. (1980), Littérature Maghrébine de langue Française, 3ED, canada, Naaman, Sherbrooke.

Khatibi, A. (1979), Le Roman Maghrébin, SMER, Essai, Réédite, 2ED, Maroc, Rabat.

-Essais

Lesley, M. (1995), Pieter Muysken, One speaker, tow languages: Cross- disciplinary perspectives on code – switching, Cambridge University Press, First Published, Britain.

تجليات الثورة التحريرية الجزائرية في النص الأدبي التعليمي – التوثيق والتّمثّلات -
مرحلة التعليم المتوسّط أنموذجًا

The manifestations of the Algerian liberation revolution in the didactical
The case of the secondary - documentation and representations -literary Text
education cycle.

مُختارية عوَّاد¹، عبد الرزاق حاجي²

¹ جامعة أحمد بن بلّة وهران 1 (الجزائر)، aoued.mokhtaria@edu.univ-oran1.dz

² جامعة أحمد بن بلّة وهران 1 (الجزائر)، hadji.abderrezak@edu.univ-oran1.dz

1. مقدمة:

في ظلّ العولمة، وانفتاح العالم على ثقافات الشعوب المختلفة، وأنشغال شبابنا الجزائريّ بمن فيهم فئة المتعلّمين بمنتجات الحضارة الرّقمية المحمّلة بثقافة الآخر، ولغته، وتاريخه، والانكباب على المنتجات المادّية وغير المادّية لهذه العولمة، كان ولا بُدّ على المدرسة الجزائرية أن تعمل على بناء الفرد المتعلّم، والعمل على توثيق صلّته بوطنه وتاريخه المُشرف، ورموزه الوطنيّة من خلال المناهج الدّراسيّة المقرّرة.

ويتكفّل بهذا الدور الجسيم النصّ التعليميّ الذي بات مركزاً ومنطلق العملية التعليميّة التّعلّميّة ككلّ، فالنصّ التعليميّ ليس غايةً في ذاته، بل الغاية المنشودة من خلاله هي تكوين وبناء المتعلّم؛ وذلك بترسيخ الشّخصيّة الجزائريّة، وترسيخ وحدة الأُمّة، وتجذير الشّعور الوطنيّ لديه، وتنمية التّعلّق بالجزائر وتاريخها المُجيد وفي مُقدّمها الثورة التحريريّة المباركة.

وعلى هذا الأساس تمّ اختيار موضوع ورقتنا البحثيّة الموسومة بـ: (تجليات الثورة المتوسّط أنموذجًا)، لتكون الإشكاليّة المطروحة في هذا المقام كالآتي:

— هل استطاع النصّ الأدبيّ التعليميّ أن يوثق لتاريخ وبطولة الثورة التحريريّة الجزائرية؟ وكيف يتمثّل هذا النصّ التعليميّ أحداث هذه الثورة المباركة؟

وقد تمحورت الدّراسة حول: تجليات الثورة التحريريّة الجزائرية في النصّ الأدبيّ التّعليميّ من خلال مقرّرات تعليميّة اللّغة العربيّة لمرحلة التعليم المتوسّط، فتركزت الدّراسة

على تحليل مضامين النصوص الأدبية المقررة على المتعلمين في تعليمية اللغة العربية، وذلك بغية تبين إسهام النص الأدبي التعليمي في التوثيق لتاريخ ورموز وبطولة هذه الثورة، إلى جانب توصيف تمثّل تلك النصوص الأدبية لأحداث الثورة.

وتهدف الدراسة إلى رصد كلّ ما يُمثّل الثورة التحريرية من أحداث ورموز في المقرر الدراسي الوارد في كتاب اللغة العربية لمرحلة التعليم المتوسط.

2. رهان تدريس النص الأدبي وغايته:

قبل خوض غمار الحديث عن رهان تدريس النص الأدبي، وجب علينا أن نقف أولاً عند حدود هذا النص على اعتباره "وحدة تعليمية تجمع بين معارف عديدة لغوية وتربوية ونفسية واجتماعية وفق أنسجة لغوية من أصوات وكلمات وتراكيب تمنح جميعها، فيصير بذلك النص وحدة معرفية تتفاعل فيها معارف لسانية وغير لسانية، ممّا يجعله يتجاوز كونه مجرد ظاهرة لسانية إلى مرونة اجتماعية ثقافية أوسع نطاقاً، فهو بذلك وسيلة لنقل المعرفة والثقافة، له ديمومة الزمان والمكان" (هباشي، 2008، صفحة 01)

انطلاقاً من هذا القول، نخلص إلى أنّ النص الأدبي لا يقف عند كونه ظاهرة لسانية فحسب، وإنما يختص كذلك بمرونة اجتماعية ثقافية، لذلك كان التساؤل عن وظيفة تدريس الأدب إشكالاً قديماً جديداً، إذ تباينت آراء الفلاسفة والنقاد حول وظيفة الأدب منذ أرسطو إلى يومنا هذا، ويمكن تصنيف هذه الرؤى إلىوظيفتين:

أ- الوظيفة التفعّلية (التعليم): وذلك كون الأدب يقدم منفعة بما يتضمنه من معارف وتجارب وثقافة ينقلها من جيل إلى آخر، وهذا ما تتبناه أغلب الآراء قديماً وحديثاً، فالأدب لديه رسالة اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية حسب الخلفيات الفكرية والمذهبية.

ب- الوظيفة الجمالية (المتعة): باعتبار أنّ الأدب لا يكون أداة لسواه، فالقصيدة التي تمثّل التجلي الخالص للأدب لا تستطيع أن تكون أداة لسواها، لتعبئة الجماهير أو لشحنها أو لتوحيدها مثلاً، فهذه المهمات وغيرها توكل لغير القصيدة (بوتكلاي، 2011، صفحة 16).

أمّا عن ترجيح كفة إحدى هاتين الوظيفتين، فهناك من يرى أنّ الوظيفة التفعّلية- التعليمية تتقدم، في حين تتراجع الوظيفة الجمالية لتصبح وظيفة ثانوية لاحقة، وبخاصة في العصور التي مجّدت العقل بوصفه لبّ الإبداع الأدبي وجوهره، والتي شهدت هيمنة المبادئ العقلية والمنطقية، وهي العصور الكلاسيكية في الأدب الغربي، وطلائع التفكير النقدي العربي حتى القرن السادس الهجري، ليستمر التنازع بين الوظيفتين حتى الوقت الحاضر، ليكشف

الواقع الإبداعي سيادة الوظيفة التّفعيّة التّعليميّة التي تُحمّل الأدب مهمّات الكشف عن حقائق الكون والطّبيعة الإنسانيّة (حسب حسين ، 2007 ، صفحة 51).

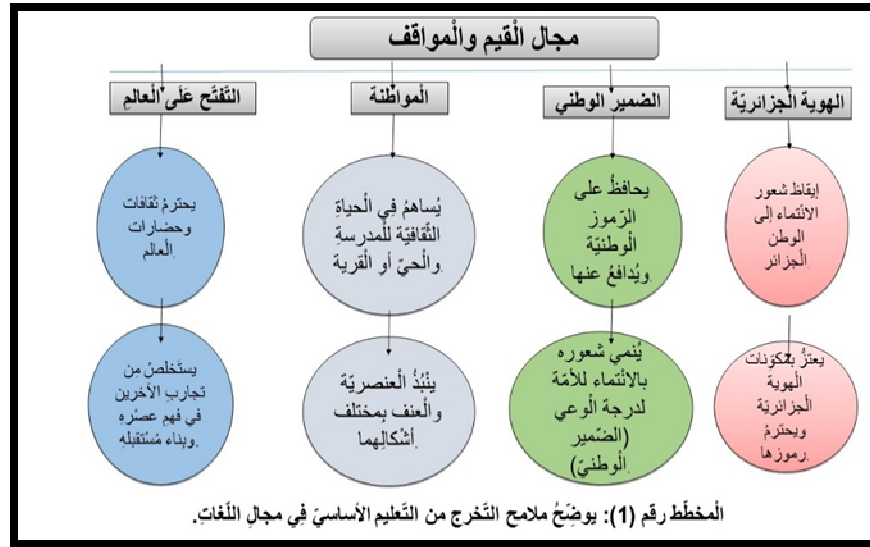
في حين يذهب البعض -وهو الرّأي الذي يتوافق وموقع النصّ في العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة- أنّ الأدب يجمع بين هاتين المقولتين /الوظيفيتين فالنّصّ الأدبيّ يُمكن أن يكون في نفس الوقت أداة للمتعة، ومُستودعًا للأفكار المُقدّمة للقارئ، ومكان التّعريف على الواقع، وهو بهذا السبب مُنفتح على معانٍ مُتعدّدة، وعليه فالمدرسة لا يُمكن إلا أن تجمع في تدريس النّص الأدبيّ (حتّى النّص الشعريّ الذي أعفاه بعض الفلاسفة والنّقاد من أداء أية رسالة وأي معنى) بين الوظيفتين، ذلك أنّ المدرسة تُعدّ التّلميذ للحياة عن طريق تزويده بالتّجارب، ومدّه بالخبرات، والمهارات اللازمة من جهة أولى، وتعدّه لتذوّق الآثار الأدبيّة، والشّعور بلذّة في قراءتها أثناء الدّراسة، وبعدها من جهة ثانية (بوتكلاي، 2011 ، الصفحات 17-19)

1.2. غايات تدريس النّص الأدبيّ في ظلّ المقاربة النّصيّة:

عرّف المُشهد التربويّ في الجزائر في العقدين الأخيرين تحوّلًا بيداغوجيًا تمثّل في تبني مقاربات جديدة في تعليم وتعلّم اللّغة، ومنها المقاربة النّصيّة، وهي عبارة عن "طريقة أو منهج لدراسة النّص من منظور ديداكتيكي، تُمكن المُتعلّم من تفكيك النّص، وفهمه، واستثمار بنياته الدّلاليّة، وتراكيبه، ومجموع العلاقات التي تُنظّمها في الإنتاج التّواصليّ؛ بما يتناسب ورصيده المعرفيّ وقدراته الفكريّة؛ أي أنّ النّص سيُصبح بُورّة العمليّة التّعليميّة -التّعلّميّة، حيثُ سيكون مصدر لكلّ معرفة لغويّة وعلميّة، ورصيدًا لمُختلف تجارب الحياة الإنسانيّة" (هيشور، مغزي وآخرون ، 2017 ، صفحة 22)، فالنّص إلى جانب بنياته اللّسانيّة والدّلاليّة، فهو خلاصة لتجارب الإنسان، يحمل رسالةً قيميةً قد تكون هذه الرّسالة اجتماعيّة أو أخلاقيّة أو تاريخيّة، وهذا ما أعطى للنّص الأدبيّ مكانةً في العمليّة التّعليميّة.

فالنّص الأدبيّ كمادّة دراسيّة، نجده من أهمّ الدّروس التي "توفّر للمُتعلّم تحرير العقل من عبء العلوم الصّرفة التي تستبدّ بالأذهان وتشغلّ الأفكار، فضلًا عن أنّ الأدب يوفّر للمُتعلّم رؤية ذاتية، والإحساس بوجوده، فدرس الأدب للمتعة والرّاحة والتّذوّق، وتوجيه السّلوّك، وتنميّة القيم الفاضلة، ودور الأدب في تربية الشّعوب كبيرٌ مشهودٌ لما يوفّره من مبادئ ومُثُل وأساليب وتفكير، زدّ على ذلك فهو مادّة تعليميّة، ومادّة لغويّة، وثقافيّة إنسانيّة، فهو مادّة تعليم لأنّ التّعليم يرمي إلى تعديل السّلوّك، والأدب كفيلاً بتعديل جانب كبيرٍ من سّلوّك الإنسان لما يُبثّ من قيم وعادات وطرائق تفكير" (عطية م، 2007 ، صفحة 267)

وبالحديث عن مجال القيم والمواقف، نجد أنّ ملمح التّخرج من التّعليم الأساسي في مجال تعليم اللّغات، ومنها تعليم اللّغة العربيّة، قد فصل في تحديد القيم الواجب إكسابها للمتعلم في هذه المرحلة التّعليميّة، كما هو موضح في المخطّط الآتي (اللّجنة الوطنيّة للمناهج، 2016، صفحة 72)



المصدر: من إعداد الباحثين مختارية عواد، حاجي عبد الرزاق

2.2 حضور النّص الأدبي في العمليّة التّعليميّة:

تتمحورُ العمليّةُ التّعليميّةُ التّعلّميّةُ في تعليميّة اللّغة العربيّة الخاصّة بِمرحلة التّعليم المتوسّط حول النّص الذي يُعدُّ "الوسيلة الإبلّغيّة التي يشترك فيها طرفان مُرسِلٌ ومُرسَلٌ إليه، والنّص بمثابة الرّسالة الواصلة بينهما" (أبوزيد، 1996، صفحة 26، 27)، والطّرفان في العمليّة التّعليميّة هما المُعلِّم والمُتعلِّم، والرّسالة الواصلة بينهما هي النّص الأدبي المتضمّن من خلال الكتاب المدرسيّ الذي يشتملُ على ثمانية مقاطع تعليميّة "ذات دلالة بالنسبة للمُتعلِّم، ومن صميم واقعه المعيش، وهي موحية بقيمٍ أُسريّة ووطنيّة وإنسانيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة" (كحوال، بومشاط، 2017، صفحة 22)، ويتجسّدُ هذا الحضور من خلال ميدانين اثنين، وهما:

أ-ميدان فهم المنطوق وإنتاجه (التّعبير الشّفوي):

الميدانُ الأوّل الذي يتعاملُ معه المُتعلِّم في بداية كلّ مقطعٍ تعلّميّ ميدان فهم المنطوق وإنتاجه، و"يُمكنُ تعريف التّعبير الشّفويّ على أنّه: العمليّة التي يتمُّ من خلالها ترجمة الصّورة الدّهنيّة التي تكوّنت في عقل التّلميذ نتيجةً لمروره بموقفٍ طبيعيٍّ أو مُصطنعٍ، أو تفاعله مع

مثير أو صورة منطوقة تعكس عددًا كبيرًا من العمليات العقلية التي قام بها" (المُرسي، عبد الوهاب، دت، صفحة 215)، ومن مركّبات الكفاءة في هذا الميدان أن يتمكن المتعلّم من:

- الوقوف على الموضوع وفهمه.
- التعبير عن الفهم والتفاعل مع الموضوع أو الفكرة.
- استنتاج القيم والمواقف. (كحوال و بومشاط، 2017، صفحة 16)

ب-ميدان فهم المكتوب (قراءة مشروحة/ دراسة النص الأدبي):

من المعلوم "أنّ النصّ المقروء ليس غايةً في ذاته، وإنّما هو نقطة انطلاق، ينطلق منها المتعلّم مع طلابه في حوارٍ خلاقٍ ألاقٍ، يصيرُ مستبصرً، يفهمُ السّطور، وما بين السّطور، وما وراء السّطور، يُحلّلُ وينقّذُ، يُضيفُ ويحذفُ، يؤيّدُ ويُعارضُ، يُقارنُ ويوازنُ، يعلّلُ ويُبرهنُ، يستحسنُ ويتذوّقُ، مُنتفعًا مُستفيدًا مُثرًا لخبراته الشخصية ومعنّقا لها" (المُرسي و عبد الوهاب، صفحة 153)، ومن مركّبات الكفاءة في هذا الميدان أن يستطيع المتعلّم أن: - يستخرج الفكرة العامّة، والأفكار الأساسيّة مع إبداء رأيه الشخصي.

- يستخرج القيم الواردة في النصوص مع التعليق عليها. (كحوال و بومشاط، 2017، صفحة 17)

3. تجليات الثورة التحريرية في المحمول النصّي التعليمي :

تعرف الثورة في شقّها الاصطلاحيّ على أنّها "تحركٌ شعبيّ واسعٌ خارج البنية الدّستورية القائمة أو خارج الشرعيّة، يتمثّل هدفه في تغيير نظام الحكم القائم في الدولة، والثّورة بهذا المعنى هي حركةٌ تغييرٍ لشرعيّة سياسيّة قائمة لا تعترف بها، وتستبدلها بـشرعيّة جديدة" (عزمي، 2011، صفحة 20)، وهذا ما ينطبق على ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، التي ثار من خلالها الشعب الجزائريّ بجميع أطيافه ضدّ تواجد الاحتلال الفرنسي، وسياسته الجائرة، ولقد استقطبت هذه الثّورة أعلام الأدباء، والشّعراء خاصّة "كونها ثورة عظيمة في زمنها ومكانها، فقد جاءت بعد ثورات تحرّر متواصلة في البلاد العربيّة، وحروب طاحنة ضدّ قوى الاحتلال الغربيّ والصّهيوّني، ولعلّ مأساة فلسطين، وعجز الأُمّة عن التّخلّص من هذا الكيان الغاصب المدعوم من القوى العظمى، ومنها فرنسا كانا حاضرين في وجدان كلّ عربيّ، ما جعل تفجير الثّورة الجزائريّة أملاً في استرجاع الأُمّة لبعض مجدها الضّائع" (حيّوني، 2012، صفحة 117) ومن الجوانب الثّورية المتناولة في النصّ الأدبيّ التعليمي:

1.3 تصحيحُ تمثّلات الانتماء والهوية:

لا شكَّ أنَّ الإنسانَ لا يفرطُ في حقوقه عندما يكونُ على قدرٍ مُعيّنٍ من الوعي، لذلك حاولت فرنسا بكلِّ ما أُتيحَ لها من قوّة أن تطمس الذّاتية الجزائريّة التي تتشكّل من العروبة والإسلام وتجمعان في وطنٍ هو أرض الجزائر، وذلك من خلال اتّباع فرنسا لسياسة الاندماج، التي كانت تطمحُ من ورائها إلى الاستحواذ على الجزائر أرضاً وشعباً أطول فترة ممكنة، وهكذا فقد "غرست الأُمّية جذورها عميقةً في أوساط الجماهير الجزائريّة التي كان كلّ فردٍ منها قبل الاحتلال يُحسن القراءة والكتابة، ووُجِهت الضّربات مُتتالية للغة القرآن: فحُرم تعليمها بحجة كونها وسيلة الدّعوة إلى الثّورة على السّلاطات الاستعماريّة، وطُرد متعلّموها بدعوى أنّهم يُناهضون الحضارة الغربيّة، ويقفون في وجه الغزو الثقافي الذي بدأ فعليّاً مع نزول الجماعة الأولى من المعمرين، وبنفس الحجج ولنفس الغرض، هُدمت المساجد التي كان يتمّ فيها التّعليم، وأغلقت الزّوايا التي كانت عبارة عن جامعات، وبذلك صارت الإحصائيات تُشيرُ إلى أنّ حوالي 19% فقط، من الجزائريين متعلّمون" (الزّبيريّ م.، 1984، صفحة 44)، وتبعاً لذلك صار الطّفلُ الجزائريّ مغيباً عن لغته ووطنه الأمّ تغييراً تامّاً، وهذا ما نلمسه في نص (درس في الوطنيّة)(هيشور، مغزي وآخرون ، 2017، صفحة 91)

"الوطنُ هو أرضُ الآباء، هو البَلَدُ الذي نَسْكُنُهُ مُنْذُ أَجْيَالٍ، وتوسّع الأُسْتاذُ حسن في الموضوع، فشرح: إنّ الوطنَ ليسَ الأرضَ التي نعيشُ فوقها فَحَسْبُ، بل هو كذلك كلُّ ما على هذه الأرضِ مِنْ سُكَّانٍ، وكلُّ ما فيها بوجه الإجمال...وحيث يَأْتِي مِنْ خَارِجِ الوطنِ أناسٌ أَجَانِبُ يدْعُونَهُمْ هُمُ السّادَةُ، فإنَّ الوطنَ يكونُ عندئذٍ في خطرٍ، هؤلاء الأَجَانِبُ أَعْدَاءُ، يجبُ على جَمِيعِ الأهالي أن يُدَافِعُوا عن الوطنِ المُهدّدِ...إنَّ الذين يُحِبُّونَ وَطَنَهُمْ، وَيَعْمَلُونَ في سبيلِ مَصْلَحَتِهِ، يُسَمَّونَ وَطَنِيّينَ".

فالطّفل (عمر) يمثّل هنا أطفال الجزائر الذين يدرسون في المدارس الفرنسيّة، باللّغة الفرنسيّة المُحمّلة بأبعاد هوية الآخر البعيدة عن هوية الشّعب الجزائريّ، وفي تساؤل (عمر) نقفُ على مأساة الشّعب الجزائريّ، فقد جاء على لسان عمر بعدما استمع لكلام المُعلّم (حسن):

— المُعلّم يقولُ هذا! كلِّ هؤلاء يُعدُّونَ مِنَ الوطنِ؟...وحميدُ سراج أيضاً؟

— أي بليدٍ هو بلده؟...إنَّ عمرَ يودُ لو يسألُ المُعلّمَ ذلكَ كي يَعْلَمَ.

فكلام الأستاذ (حسن) أثار فضول الطفل (عمر)، ولا شك أن عمر لن يتوقف عن السؤال عن حقيقة وطنه، وسيكتشف حقيقة فرنسا وإدعائها الكاذب:

"دُهْشَ عُمُرُ حِينَ سَمِعَ الْمُعَلِّمَ يَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ... لَيْسَ صَحِيحًا مَا يُقَالُ لَكُمْ مِنْ أَنَّ فَرَنْسَا هِيَ وَطَنُكُمْ".

ومن هنا يمكن القول أن هذه المقتطفات من النص الأدبي التعليمي الوارد في ميدان فهم المنظوق وإنتاجه، ستعطي صورة عن العراقيل التي واجهت الثورة التحريرية في لم شمل جميع أبناء الجزائر، وتعبئة الجماهير من أجل محاربة المحتل الفرنسي، فقد أشار الكثير من الدارسين إلى أن "تمسك الجماهير الكادحة بكثير من الشعارات الواقعية مثل: الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني، وهي شعارات يعود الفضل إليها في الإحالة دون ذوبان الشعب والقضاء عليه بالرغم من جميع التدابير التعسفية والمحاولات الرامية إلى ذلك والتي لا تعد ولا تحصى" (الزيري م.، 1984، صفحة 51)

2.3 العمليات الفدائية بوصفها عنوان المقاومة:

رغم عدم تكافؤ الثورة الجزائرية مع قوى المحتل الغاشم، فلم يتوان الجزائريون في الدفاع عن وطنهم بما هو متاح لهم، ومنها العمليات الفدائية داخل المدن، بحكم المراقبة الأمنية المشددة من قبل القوات الفرنسية، فجيش التحرير، كما هو جيش نظامي، فإنه إلى جانب ذلك جيش أنصار منقطع للحرب الثورية، وإلى جانب المقاتلين بزيهم الرسمي أو المجاهدين الذين تشملهم الترتيبات المختلفة، نجد مقاتلين لا يرتدون الزي الموحد، ومن هؤلاء المسابلون والفدائيون، فأما الفدائيون فيندشطون في المدن والقرى بتنظيم عمليات انقضاض على مفوضيات الشرطة والدرك والثكنات، وإشعال الحرائق، وتخريب المباني العامة، ومن رسالتهم أيضا أن يفتكوا بالجلادين الفرنسيين والذين يخونون قضية الوطن (البجاوي، الثورة الجزائرية والقانون، دت، صفحة 82، 83)، وهذا ما يشير إليه نص فهم المكتوب (فداء الجزائر) (كحوال وبومشاط، 2017، صفحة 40)

"لَحِقْتُ بِمَخْلُوفٍ الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُنِي فِي مُنْعَطَفِ الشَّارِعِ، وَكُنَّا قَدِ اقْتَرَبْنَا آنَذَاكَ مِنْ مَرَكَزِ الشُّرْطَةِ فَقَالَ مَخْلُوفٌ: افْتَحِي الْعُلْبَةَ يَا ، نَاولِينِي قُنْبَلَةً، اخْتَبَيْ هُنَا وَرَاءَ الْجِدَارِ، وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، دَوَى انفِجَارٌ رَهيبٌ هَزَّ أَرْكَانَ زُهْورِ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ مَخْلُوفٌ: نَاولِينِي قُنْبَلَةً ثَانِيَةً يَا زُهْورُ...".

ويتّضح من خلال هذا النص أنّ العمليات الفدائية داخل المدن ما كانت لتتمّ لولا وجود العنصر النسويّ، نظرًا للتفتيش الصّارم الذي يُسلطُ على الرّجال، فخلال الفترة الممتدّة بين 1956 و1962، كانت المهامّ المُسندة للمرأة مُتنوّعة وخطيرة، حيثُ كانت تُقلّ الأسلحة والقنابل من المعسكرات إلى قلب المدينة، ثمّ تُسترجعها بعد نهاية العمليات العسكريّة، كما كانت تُنقلُ الرّسائل والمعلومات، وتُجمّع أموال الاشتراكات (بالي، 2014، صفحة 10)، وهذا ما يعني أنّ المرأة الجزائريّة قد اكتسحت جميع الميادين العسكريّة منها، وغير العسكريّة. وقد تضاعف دورها أكثر أثناء الثورة التحريريّة.

وقد تضاعف دور المرأة أكثر أثناء الثورة التحريريّة، ومما ورد بهذا الشأن أنّه "أثناء معركة الجزائر من جانفي إلى سبتمبر 1957م، كان تعدادُ سُكان المدينة يقاربُ 300000 جزائريّ، يُطوّقهم 30000 عنصراً من جنود ودرك وشُرطة، أي ما يعدلُ عسكريّ واحدٍ لكلّ مدنيين راشدين من الذّكور، أمّا جبهة التحرير الوطنيّ التي كان يبلغُ تعداد رجالها المسلّحين 500 رجلٍ لم تكن قادرةً على التّحرّك، فكانت النّساء تسدّ ذلك الفراغ، وبلغت عددُ عمليّات وضع القنابل من طرف النّساء وحدهنّ أو بمرافقة أحد المجاهدين ثلثي العمليّات" (بالي، 2014، صفحة 18، 19).

3.3 المرأة بوصفها أيقونة الثورة التحريريّة:

لعلّ حضور المجاهدة البطلّة (جميلة بوحيرد) في النصّ الأدبيّ التّعليميّ بكثافة كونها سفيرة عن جميع نساء الجزائر اللّواتي شهدن أحداث الثورة التحريريّة المظفّرة، إذ نجدها حاضرةً من خلال النصّ الشعريّ المَعنُون بـ (جميلة بوحيرد - صديقة الصّحراء، وأسطورة القرن العشرين) من نظم الشّاعر السّوريّ (سليمان العيسى) الذي قال فيها (كحوال و بومشاط، 2017، صفحة 54):

أَيْنَ مَيِّ عَيْنَانِ خَلَفَ جِدَارَ السِّدِّ	جَنِّ مَكْحُولَتَانِ بِالْكَبْرِياءِ
وَجَبِينُ وَأَلْفُ نَجْمَةٍ صُبْحِ	لَأَلَّتْ فَوْقَ جُرْجِهَا الْوَضَاءِ
وَقَمِّ تَعْجِزِ الْحُرُوقِ وَتَعْيَا	فِيهِ عَنْ مَحْوِ بَسْمَةِ زَهْرَاءِ

ففي هذه الأبيات وصفُ لكبرياء وعظمة المجاهدة (جميلة بوحيرد)، وصمودها الشّامخ أمام التعذيب الوحشيّ الذي لاقتّه في سجون المحتل الفرنسيّ، ومأساة البطلّة (جميلة بوحيرد) ما هي إلّا عيّنة عن حجم التّضحيات التي قدّمها الشعبُ الجزائريّ رجالاً ونساءً في

هنا ثورة الماجدين	هنا منبَعُ الفائزين
جزائر.. جزائر.. جزائر	هنا موطنُ الظَّافرين
هنا في رياضِ الحُماةِ	هنا شُعْلَةُ الثَّوراتِ
فَكُنَّا كَأُسْدِ الشَّرى	طَرَدْنَا الَّذِي اسْتَعْمَرَ
طُفْنَا رَجَالًا.. حرائر	فَمَنْ مُدُنٍ وَقُرى..
ألسنا الألى من وقف	فَرَدَّدَ مَعِيَ لَا تَخَفْ
بِجمع العِصِي والخناجر	لِنِيلِ العُلَى والشَّرَفِ...
بِأَنَا كِرَامًا صَمَدْنَا	وَأوراسُ يشهدُ عَنَّا
وَمِنْهُ أَتَتْنَا البَشَائِرُ	قَتَلْنَا بِهِ وَقَتَلْنَا

فالشاعر (سليمان جوادِي) يُخلد المكان الذي شهد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر بتوظيف ما يدلُّ عليه من أسماء المكان (منبَع، موطن، أوراس، مُدن، قُرى)، ذلك أنَّ المكان في القصيدة يحملُ ثقلَ الحدث الذي يقع فيه، بل يتبادلان الاعتراز والفخر بجسامة التّضحيات، غير أنَّ المكانَ يلبسُ لبوس الرّمز فيغدو لفظةً ذا حمولة من المعاني الثّرية والمتعلّقة بالقيم والإنسان والزّمان معًا، فيحدثُ ذلك الانصهار الدّلاليّ الذي يُلخصُ العظمة في أوضحِ صُورها (حينُوني، 2012، الصفحات 121-122)، ولم يتوقف الشّاعر عند دلالة المكان فقط، بل يسيرُ بالمتلقي إلى تمثّل أطراف الصّراع صراع الأحرار (الفائزين، الماجدين، أُسْدُ الشّرى، كرام) وكلّها صفات تدلُّ على أحقية الموصوف بالأرض والمكان، مع المحتل (الذي استعمر) الذي كان لِزامًا أن يُطرد من قبل الأحرار، ويُحيلنا مُفدي إلى تلاحم كلّ أبناء الجزائر في طرد هذا الغاشم (رجالًا.. حرائر)، مُشيرًا إلى عدم تكافؤ طرفي الصّراع، وهو ما تشيرُ إليه الكلمات (العِصِي، الخناجر)، لتكون الكلمة الأخيرة كلمة (البشائر) هي نتيجة هذا الصّراع، بشائر الاستقلال والحرية.

3. خاتمة:

وفي الأخير يُمكنُ القولُ:

- أولى النّص الأدبيّ أهميّةً بالغَةً للحفاظ على الدّاتية الجزائرية التي تعدُّ من أبرز أسباب اندلاع الثّورة التّحريرية، ذلك أنَّ الهدف الأسمى الذي ناشدته هذه الثّورة هو رفض الاندماج الذي أعلنته سُلطات الاحتلال الفرنسيّ.

- رفض الشعب الجزائريّ الرّضوح أمام جبروت فرنسا، ومُحاولة اختراق وجود هذا المحتل عن طريق العمليات الفدائية.
- المشاركة الفعالة للمرأة الجزائرية الفدائية داخل المدن التي كانت تشهد تطويقاً عسكرياً مُشدّداً، وتنفيذها للعمليات الفدائية التي كبدت المحتل خسائر بشرية مُعتبرة.
- جميلات الجزائريّهن امتداداً لفاطماتها، فجميلة بوحيرد، وغيرها من المجاهدات تركن بصمتهم في تاريخ الجزائر الحديث، وأنّ الثورة التحريرية هي ثورة شعبية.
- "نوفمبر" في تاريخ الجزائر ليس مجرد واحد من الأشهر الشمسية، وإنما هو رمزية ثورية خالدة، إلى جانب المكان.

وبما أن مضامين النصّ التعليمي تهتم كثيراً بتاريخ الجزائر قديمه وحديثه، وأسلوب التلقين لمثل هذه النصوص يُشعر المتعلّم بالرتابة، وربما لا يندمج مع المُعلّم أثناء عرضها، يقترح الباحثان كتوصية عامة لهذه الورقة البحثية أن يصنع فنونا قصصية يتفاعل فيها المتعلم والمعلم، وبتحقيق التفاعل يتم ترسيخ المعلومة وتمثلها في الحياة.

5. قائمة المراجع:

- أحمد سعيد مغزي، وكمال هيشور، (د ت)، دليل استخدام كتاب اللغة العربية (السنة الثالثة من التعليم المتوسّط)، الجزائر، أوراس للنشر.
- بالي بلحسن، (2014)، المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962، ترجمة: صاري علي حكمت، الأبيار، الجزائر، منشورات ثالة.
- بشارة عزمي، (2011)، في الثورة والقبليّة للثورة (دراسة)، الدوحة، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- حامد أبوزيد، (1996)، مفهوم النصّ (دراسة في علوم القرآن)، ط3، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع..
- كمال هيشور، أحمد سعيد مغزي، وآخرون، (د ت)، دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، الجزائر، أوراس للنشر.
- اللجنة الوطنية للمناهج، (2016)، الدليل المنهجي لإعداد المناهج (نسخة مكيفة مع القانون التوجيهي للتربية المؤرخ في 23 يناير 2008)، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

- لحسن بُوتكلاني، (2011)، تدريس النص الأدبي مِنَ البنيةِ إلى التَّفَاعُل، المغرب، أفريقيا الشرق.
- لطيفة هباشي، (2008)، استثمار النصوص الأصلية في تنمية القراءة الناقدة، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديثة.
- مُحسِن علي عطية، (2007)، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية، ط1، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع.
- محفوظ كحوال، ومحمد بومشاط، (د ت)، دليل الأستاذ اللغة العربية (السنة الأولى من التعليم المتوسط)، الجزائر، موفم للنشر.
- محمد البجاوي، (د ت)، الثورة الجزائرية والقانون، ترجمة: علي الخش، دمشق، سوريا، دار الأيقظة العربية للنشر.
- محمد العربي الزبيري، (1984)، لثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، قسنطينة، الجزائر، دار البعث.
- محمد حسن المرسي، وسمير عبد الوهاب، (د ت)، قضايا تربوية حول تعليم اللغة العربية، دُمياط، مصر، مكتبة نانسي.
- مسعود عثمان، (2012)، الثورة التحريرية أمام الزمان الصعب، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- مسلم حسب حُسين، (2007)، جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة) ط1، الأردن، دار السِّياب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ميلود غرمول، وسعيد أحمد مغزي، (2017)، اللغة العربية (السنة الثانية من التعليم المتوسط)، الجزائر، أوراس للنشر.
- رمضان حينوني، (2012)، الثورة الجزائرية في الشعر العربي الحديث، مجلة إشكالات، المركز الجامعي لتامنغست، المجلد1، العدد1، 113-123.

إسهامات الفنانين التشكيليين الجزائريين أثناء الثورة التحريرية

Contributions of Algerian plastic artists during the liberation revolution

كمال بن سنوسي

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، bensenouci.kamel@yahoo.fr

1. مقدمة:

تزخر الجزائر بإرث ثقافي تعاقبت عليه حضارات تعكس سحر البيئة وعمقها، وأصالتها بالتراث متميز في الصناعات التقليدية، المنتشرة في مختلف أنحاء الوطن، نجدها في الأواني الفخارية، والزرابي، والصناعات الجلدية، والحلي دواة العناصر الزخرفية البربرية. تهدف هذه الدراسة في المساهمة في خلق ذاكرة للفن التشكيلي الجزائري، وتخليده من خلال التطرق إلى المحطات التاريخية التي مر بها في نشأته، للتعريف بأهم الفنانين الجزائريين الذين حافظوا على الفن التشكيلي الجزائري؛ إبان الاستعمار وأثناء الاستقلال وأبرز السمات التي تميز بها هؤلاء الرواد، وما رسخوه من أعمالهم الفنية.

2. الفن التشكيلي الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي:

كثيراً ما ننظر لمقاومة الاستعمار نظرة لا تكاد تتجاوز الحراك السياسي من خلال الأحزاب الوطنية كحزب النجم، الشعب، الانتصار والبيان، والإصلاح من خلال جمعية العلماء المسلمين ثم نغض الطرف على الجبهات الأخرى التي قاوم من خلالها الجزائريون سياسة المسخ والتدمير التي مورست على كل ما هو إسلامي وعربي فجاءت المقاومة متنوعة وفعالة ليس فقط في المجالات السياسية وإنما أيضاً في المجالات الجمالية ومنها الفن التشكيلي الذي فتح جبهة لمحاربة التغريب والتشبث بالأصالة والتراث والتفتح على الحضارة وتوظيفها في صالح الفن الجزائري، في خدمة الأصالة، ومن هؤلاء الرواد الفنان الكبير:

1.2 الفنان محمد راسم:

ولد الفنان في العاصمة الجزائرية عام 1896م، وهو ينحدر من أسرة عريقة في دروب الفن التشكيلي سعت إلى توثيق التراث، وإبراز دوره الهام في الحياة الجزائرية التقليدية والانتماء الإسلامي، وهو رائد من أهم رواد الفن التشكيلي الجزائري، ويعد من أبرز الفنانين في التصوير، كما برع في المدرسة التقليدية حيث اهتم برسم المناظر الطبيعية، والأحياء في

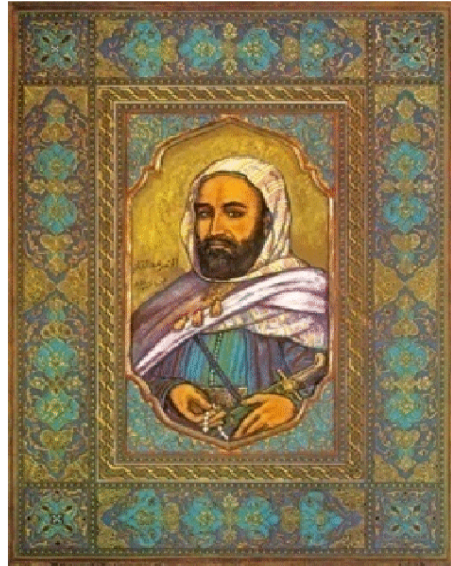
مدينة كما برزت قدراته الإبداعية أثناء عمله أستاذا في المدرسة الوطنية فنون النممة والزخرفة، وبلغ صيته أقصي أوروبا.

لم يكن محمد راسم فنانا شعبيا فحسب، حيث تميزت معرفته بتحويلات الفن الحديث في أوروبا بالعمق والأصالة كان باحثا عن هوية تضع الفن في مساره التاريخي الصحيح؛ وسط خيارات فكرية وفنية فرضها المستعمر الفرنسي ليمارس من خلالها تطبيع أحواله ثقافيا. بهذا المعنى كان فن راسم فناً مقاوماً، اتخذ من العودة إلى نوع ماضوي من الفن ذريعة لصنع فن يشيد الحاضر على قاعدة وطنية.



منمنمة خير الدين باربروس
براهيم ب.، 2017، صفحة 59)

في السنوات التي شهدت تصاعد وتيرة الثورة الجزائرية لم يحمل راسم السلاح، غير أنه كان يقف في مقدمة المقاومين وكان الفن سلاحه. تناول فيها الموضوعات التاريخية لبلدنا مثل: منمنمة "خير الدين باربروس، ومنمنمة الأمير عبد القادر، ومنمنمة معركة بحرية" (مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة، 1988، صفحة 21) "موثقاً بيده الأعمال مآثر وأمجاد الثورة والشعب الجزائري.



منمنمة الأمير عبد القادر

للفنان محمد راسم (هاجر، 2021، صفحة 306)

منمنمة معركة بحرية
للفنان محمد راسم
(هاجر، تجليات المقاومة
في الفن التشكيلي أبان
الاستعمار الفرنسي للجزائر،
2021، صفحة 306)



كما أجاد محمد راسم بدعوته إلى الثورة ضد المحتل ببعض العبارات الثورية المريحة، ومن هذه العبارات "الجنة تحت ظليل السيوف، الحرية ثمرة الصبر والثبات، والشجاعة نصر من الله قريب" (مردوخ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر، 2005، صفحة 99).
أنجز محمد راسم المهمة الأصعب في خضم الإشكالية الفكرية الفلسفية العالمية الكبرى حين وضع التراث في حركيته التاريخية، حيث أسقط كل النظريات الاستعمارية العنصرية المستصغرة لشأن الثقافة والتاريخ والتراث، والراغبة في إغلاق قنوات تواصلها، لإظهار الجزائر قاصرة إنسانياً وخالية تاريخياً، وعاجزة إنجاز حضارة تذكر. وقد دحض نص الفلسفة الاستعمارية القائلة بأن: "الإفريقي يعاني من نقص بيولوجي، وإبداعي جعله دون تاريخ ودون ثقافة" (الكناني، منمنمات محمد راسم الجزائري، 2012، صفحة 71).

2.2 الفنان محمد تمام:

ولد يوم 23 فبراير من عام 1915 من عائلة جزائرية عريقة لها جذورها الفنية، والجمالية خصوصاً، وأنه ولد ونشأ وترعرع بمدينة القصبة حيث يعبق التاريخ، ويلتحم مع الجمال من خلال ذلك البياض الناصع من بيوتها القديمة وأزقتها الضيقة المتصاعدة في تألق إلى الأعلى، وكأنها سلالم بيضاء تصعد إلى النور (مردوخ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر، 2005، صفحة 99).

احترف فن التصوير والزخرفة العربية الإسلامية، وفن المنمنمات، وكان يجيد بالفرنسي الموسيقى الأندلسي، واهتم بتاريخه، والكتابة عن رواده، وكان يعزف على العود والقيثارة كما استقى الكثير من الخبرة الزخرفية والمنمنمات الإسلامية من خلال انتسابه إلى "مدرسة الفنون التي أسسها عمر راسم مشعل إحياء التراث الجزائري الإسلامي، وكانت تحمل شخصيته بين اتجاهين الاستعمارية الكامنة في حركة الاستشراق. وكان محمد تمام يجمع في الوقت نفسه متناقضين فهو شديد التمسك بالتراث العربي الإسلامي مع الانفتاح والاطلاع على إبداعات الحضارة الغربية، تشهد أعماله الانطباعية مناظر طبيعية ومواضيع اجتماعية التي صورتها بالزيت من خلال أعماله حيث رسم زخارف فائقة الجمال لصفحات القرآن الكريم فن الزخرفة الإسلامية على الكثير من اهتماماته، بالإضافة لمواضيع أخرى ذات طابع ديني وتراثي. فكان مقاوما لإثبات الذات والشخصية الوطنية ومميزاتها وخصوصياتها التي تنأى بها عن المميزات والخصوصيات الفرنسية فكانت مقاومة حضارية ومتصادمة جمالية أبدع فيها الفنان الجزائري، وجعل من الخط العربي والمنمنمات والزخارف الجبهة التي لا يمكن اختراقها وتدميرها من قبل الحملات الاستعمارية الشرسة على الهوية الجزائرية وثقافتها حيث لم تستطع تجريد الجزائريين من أذواقهم وانتمائهم الجمالي والحضاري الراسخ (الكناني، 2012، صفحة 108).

3.2 الفنان محمد اسياخم : ولد الفنان التشكيلي الجزائري محمد اسياخم بمدينة القبائل (أزفون) بالجزائر في 28 جوان 1928 وتوفي سنة 1985. فهو أحد مؤسسي الفن التشكيلي الحديث بالجزائر، وخريج المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر، والمدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس، أقام العديد من المعارض الشخصية، وشارك في عدة معارض بالجزائر، وفي الخارج سنة 1951م (Abrous, 2002, pp. 119-120)، نجد من أبرز لوحاته الخالدة مثل: (محاكمة جميلة بوحيرو)، ولوحة (الأرملة) حيث كرم محمد اسياخم الأمهات والأرامل اللاتي بقين صامدات رغم آلامهن مجسدا بذلك صورة المرأة التي لا تستسلم أبدا، ولا شك أنه أراد أن يرمز أيضا لمخاض لميلاد أمة.



لوحة الأرملة للفنان
محمد اسياخم

4.2 الفنان مصلي شكري محمود: ولد بتلمسان سنة 1931م، خريج مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر، كما تخرج كذلك من المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة بباريس (مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة، 1988، صفحة 98).

يعتبر الفنان محمود شكري من مؤسسي جماعة أوشام، حيث أقام أول معرض له سنة 1956م، لكنه فيما بعد انقطع عن ممارسة الفن وانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، وقد عبر الفنان عن الثورة من خلال لوحته الشهيرة (الجزائر ملتهبة) التي أنجزها سنة 1962م، وهي لوحة تجريدية فيها نوع من التكوين الهندسي يعبر عن البناء المعماري، والغالب على اللوحة اللون الأحمر يرمز إلى النار والدم، بالإضافة إلى اللون البرتقالي الذي يعبر عن الأمل والاستقلال (ابراهيم، 2017، صفحة 55).



لوحة الجزائر ملتهبة للفنان مصلي محمود شكري

(ابراهيم، الفكر الثوري في الفن التشكيلي الجزائري، 2017، صفحة 55).

5.2 الفنان فارس بوخاتم: ولد في جويلية 1941م، بمدينة مرسط قرب الحدود التونسية، فنان عصامي، لم يتمكن من الدراسة الفنية، كون نفسه بداية سنة 1957، عندما كان جنديا بجيش التحرير الوطني، نجد لوحاته معبرة عن الأحداث الأليمة للثورة التي ذاقها شعبنا أثناء الكفاح على المستعمر مثل: لوحة مجزرة ساقية سيدي يوسف (Abrous, les artistes algériens (1917-1999), 2002, p. 90).

كما نجد من بين أعماله لوحة اللاجئين يعبرون الحدود التونسية، يصف فيها الحياة المؤلمة التي يعيشها اللاجئين.



لوحة اللاجئين يعبرون الحدود

(ابراهيم، الفكر الثوري في الفن التشكيلي الجزائري، 2017، صفحة 61).

بالإضافة إلى لوحة أخرى وهي لوحة خط موريس، التي يظهر فيها جنود يعبرون الحدود مسارعين خوفاً من انفجار القنابل، لا خوفاً من الشهادة بل يخافون من الإعاقة ويعجزون عن الدفاع عن الوطن.



لوحة خط موريس للفنان فارس بوخاتم(الصدوق، 2017، صفحة 61)

استطاع الفنان فارس بوخاتم أن يجتذب اهتمام الشعب بفنه الصادق من خلال لوحاته التي تصور وجوهاً كالحة تصرخ بالألم، ويميل فارس إلى تمثيل هذا العنف بوجوه النساء المستنات، والأشخاص القبيحي الشكل، والمشوهين كذلك.

إن واقع فارس المتمرد بحدية تأتي ولا شك من نظرتة للحياة، التي كان محروما حتى من قوته اليومي، فهذا الحرمان برهافة حس يعبر عن سلوكه اليومي، وفي تعامله مع الأحداث، ومع الآخرين (الجادر، 1977، صفحة 13).

هذه بعض الصور المعروضة في المتحف الوطني للفنون، بقدر ما تمثل مرحلة زمانية معينة إلا أنها من ناحية الأساليب سنذكرها من خلال استعراضنا للفن المعاصر بالجزائر.

3. الفن التشكيلي الجزائري بعد الاستقلال:

استطاع جيل ما بعد الاستقلال من الفنانين التشكيليين الجزائريين أن يخلقوا تيارا فنيا استمد عمقه من التراث الجزائري، نذكر منهم:

1.3 الفنان إسماعيل صمصوم:

ولد بالجزائر العاصمة سنة 1934م، وتوفي سنة 1988م، له عدة أعمال في فرنسا- موسكو- مصر- وكوبا (مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة، 1988، صفحة 89). نجد الفنان تناول لوحتين في الموضوع، أحدهما تحدث عن الوحدة الإفريقية، وهي لوحة (إفريقيا المخصبة)، وفي اللوحة الأخرى جسد ثورة نوفمبر في شكل شاب قوي (رجل أول نوفمبر) (مردوخ ا، 1988، صفحة 43)، ولوحة (الشهيد) التي تعتبر من أولى إنتاجه الفني (شرقي، هاجر، 2021، صفحة 308)



لوحة الشهيد للفنان إسماعيل صمصوم

(هاجر، تجليات المقاومة في الفن التشكيلي إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، 1988، صفحة 308).

2.3 الفنان إبراهيم مردوخ: ولد بدائرة القرارة ، ولاية غرداية يوم 1938/01/20م، تخرج من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة سنة 1967م قسم التصوير، عمل ناقدا فنياً في الصحف والمجلات الجزائرية، خاصة صحيفة المجاهد – الشعب- الجزائرية شارك في العديد من المعارض خارج الوطن، في بغداد- الكويت، مصر، باريس، طوكيو، كوبا، ألمانيا... وغيرهم، وقد توجد أعماله في المتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر، وفي السفارة الجزائرية

بباوندى(الكاميرون)، وعند الكثير من جامعي الأعمال الفنية في الجزائر(مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة، صفحة 99).

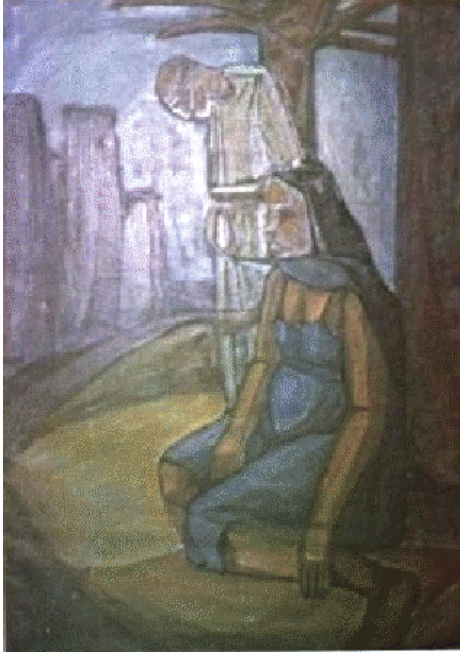
اهتم في أعماله بإبراز مختلف معالم الجزائر خاصة منطقة غرداية، يحاول فيها أن يستوحي ملامح أسلوبه الشخصي من الهندسة المعمارية بوادي ميزاب، وقد ساهم بالعديد من لوحاته للإشادة بثورة أول نوفمبر(المسيرة الثورية).



لوحة مسيرة الثورة للفنان إبراهيم مردوخ(هاجر، تجليات المقاومة في الفن التشكيلي إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، 2021، صفحة 308).

فهذه اللوحة تعبر عن حياة الثوار الجزائريين معاناتهم في الجبال، وتوضيح وسيلة ترحالهم وهو الحمار وما يحمله من مئونة للمجاهدين، والخلفية بالألوان الحارة ليعبر بها عن الثورة التحريرية.

كما عالج الفنان إبراهيم مردوخ الثورة التحريرية في تصوير عدة لوحات فنية، نجد لوحة (الشهيد، الجريح، الشهداء)، ومن أشهر اللوحات الموجودة لوحة (أرملة الشهيد) (هاجر، تجليات المقاومة في الفن التشكيلي إبان الاستعمار الفرنسي، 1988، صفحة 308).



لوحة أرملة الشهيد للفنان إبراهيم مردوخ (هاجر،
تجليات المقاومة في الفن التشكيلي ابان الاستعمار
الفرنسي للجزائر، 1988، صفحة 308)

تبين لنا هذه الصورة الشهيد مشنوقاً في شجرة
وزوجته بجواره على ركبتيها، فالصورة لها رمزية
وتذكير بإعدام الفنان الجزائري (علي معاشي)
بولاية تيارت شنقاً في شجرة بالشارع يوم 08 جوان
1956م، الذي يعد عيداً للفنان بالجزائر (ابراهيم،
2017، صفحة 61).

3.3 الفنان صالح حيون: من مواليد (1936 - 2017) له عدة أعمال فنية، تناول فيها
معاناة الجزائريين وتضحياتهم خلال الفترة الاستعمارية؛ فالنساء اللاتي رسمهن هن في الغالب
زوجات مناضلي الثورة وشهدائهن أو أمهاتهن كما في لوحته (المنسية).

[http://alaraby\(22/Novembre/2021\)](http://alaraby(22/Novembre/2021))



لوحة المنسية للفنان صالح حيون ([http://alaraby\(22/Novembre/2021\)](http://alaraby(22/Novembre/2021)))

كما نجد لوحة أخرى رسمها تخليداً لذكرى استقلال الجزائر سماها (الاستقلال):



لوحة الاستقلال للفنان صالح حيون

(ابراهيم، الفكر الثوري في الفن التشكيلي الجزائري، 2017، صفحة 62)

بدأ صالح حيون تجربته التشكيلية منتصف الستينيات؛ حيث شارك في معرض جماعي عام 1965م بالجزائر العاصمة، ثم درس الفنون الجميلة في الجزائر وباريس، وقدم أول معرضٍ فردي له عام 1969م، قبل أن يُقيم مجموعةً من المعارض داخل الجزائر وخارجها، وفي عام 1983م، حاز جائزة الجزائر الكبرى للتشكيل ([http://alaraby\(22/Novembre/2021\)](http://alaraby(22/Novembre/2021)))

من خلال دراستنا للوحات الفنانين أثناء الثورة التحريرية نجده قد عرفت رواجاً كبيراً لدى الفنان الجزائري في الأيام الأولى للاستقلال الوطني، وذلك وفاء منه لأرواح شهداءنا الأبرار، حيث بدأ الفنان يتفاعل مع الانجازات الثورية التي تقوم بها الدولة الجزائرية في عدة مناسبات وطنية، وهي تصور المراحل التي قطعتها الثورة من التحرير إلى البناء والتشييد (ابراهيم م، 1988، صفحة 45).

4. خاتمة:

كانت الثورة الجزائرية من أبرز الثورات العالمية، بدليل الدعم القوي والشعارات المساندة التي رفعها كل ثوار العالم، نصرة لها ضد الاستعمار الفرنسي، ومن أبرز هذه الصور المساندة، هي تلك التي جاءت من الفنانين التشكيليين الجزائريين كلهم رفعوا شعار (الجزائر جزائرية)، وقد نجد ذلك في كل من الفنان (محمد راسم، ومحمد اسياخم، وفارس بوخاتم) أثناء الثورة، فقد ساهموا بلوحاتهم التشكيلية للدفاع عن الوطن، أما بعد الاستقلال فقد

نجد كذلك فنانين ما زالوا يصورون لنا كل أحداث الثورة وایصالها للأجيال القادمة مثل:(الفنان اسماعيل صمصوم، وابراهيم مردوخ، وصالح حيون) .

- فمن بين الاقتراحات :

- إعادة الاعتبار للفنان التشكيلي الجزائري الذي ساهم بريشته في إعطاء صورة المستعمر الفرنسي للجزائر.

- فتح ورشات خاصة للمحافظة على التراث الفني الوطني، ونشر الهوية الوطنية لدى المتدربين.

5. قائمة المراجع:

إبراهيم مردوخ. (1988). *الحركة التشكيلية المعاصرة* (الإصدار ط). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

إبراهيم مردوخ. (2005). *مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر* (الإصدار ط1). الجزائر: دار هومة.
بن الصديق ابراهيم. (2017). الفكر الثوري في الفن التشكيلي الجزائري. مجلة جماليات (59).

شيخي حبيب شرقي، هاجر. (2021). تجليات المقاومة في الفن التشكيلي ابان الاستعمار الفرنسي للجزائر. مجلة (لغة - وكلام) (المجلد 7/ العدد 02).

عبد الرحمان جعفر الكناني. (2012). *منمنمات محمد راسم الجزائري - روح الشرق في الفن التشكيلي العالمي*. الجزائر: منشورات البريز الصندوق الوطني لترقية الفنون وأدابها.
وليد محمود الجادر. (1977). الفن التشكيلي في الجزائر. مجلة الأقلام ، العدد(11).

العربي الجديد. (2021) عودة إلى ذاكرة صالح حيون: [http://alaraby\(22/Novembre/2021](http://alaraby(22/Novembre/2021)
Mansour Abrous. (2002) *les artiste algériens(1917-1999*.(alger: casbah.

- خاتمة

في الختام ومحصلة الكتاب يظل موضوع الثورة التحريرية الجزائرية موضوعا مهما على المستوى الأكاديمي البحثي يحمل تأويلاتٍ لامتناهية بقراءاتٍ متنوّعةٍ تنتظر من يخرجها إلى الوجود ويفجّر طاقاتها الإبداعية المخزونة. لذلك يفتح هذا الموضوع آفاقاً جديدةً للبحث والدراسة تنطلق من طرح تساؤلاتٍ جديدةٍ وإشكالياتٍ مفيدةٍ عن مفاهيم وتصوّرات عديدة.

نخلص الى مجموعة من التوصيات أهمها:

- برمجة مؤتمراً دولياً سنوياً خاصاً بالثورة التحريرية الجزائرية، فموضوع الثورة التحريرية مازالمفتوحاً ولكن بأشكال جديدة ورؤى متجددة- ولما لا إنشاء مخبر خاص بالثورة الجزائرية.
- تخصيص مشروع ماستر وطني خاص بالثورة الجزائرية، ومن ثم فتح مشروع دكتوراه خاص بالثورة الجزائرية موحد على مستوى الوطن.
- تكليف لجنة من أساتذة باحثين مختصين في تاريخ الثورة الجزائرية، تعنى بتسجيل شهادات معما تبقى من المجاهدين قبل أن يحال بيننا وبينهم.
- دعوة رؤساء المخابر ومراكز البحث والمختصين بشأن الثورة الجزائرية من أجل توحيد الرؤى حول هذا التراث حتى لا يكون هناك تضارب في الروايات التاريخية وبقية الدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية.
- جعل الوثائق الأرشيفية سواء تلك الموجودة لدى المجاهدين أو المؤسسات الأخرى في خدمة الباحثين وتسهيل الوصول إليها.
- العمل على رقمنة الارشيف وحمايته من التلف والضياع والعمل على استحداث أرشيف وطني رقمي للوثائق والمخطوطات الرسمية المتعلقة بالثورة التحريرية.
- تنظيم ندوات ولأئية وجهوية ووطنية حول الارشيف بقصد جمع أكبر عدد من الوثائق.
- عقد اتفاقيات مع الجزائر تقضي بتسليم كل الوثائق الارشيفية المتعلقة بالثورة التحريرية.
- إجراء المزيد من البحوث المستقبلية في العلوم الانسانية والاجتماعية وتكيف نشاطاتها على مستوى جامعات تراب الوطني في ربوعها وابرار اختلافاتها واتفاقاتها خلال مقارنتها فيما بينها للوصول إلى الحقائق العلمية.
- إعادة احياء موضوع الثورة التحريرية من خلال التعمق فيه أكثر من منظور العلوم الانسانية والاجتماعية قيم التضحية والالتزام نحو الوطن وقيم التضامن والوحدة الوطنية في مجتمعات ربوع الوطن.



anzaredition@yahoo.fr

Tél : 05 41 66 53 60

Chetma wilaya de Biskra Algérie

مارس 2022